



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

قسم: اللغة العربية وآدابها



وسائل التأثير و استراتيجية الإقناع الحجاجية في مقالات الطيب العقبي

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

تخصص: لسانيات النصّ وتحليل الخطاب.

إشراف الأستاذة الدكتورة:

"شفيقة العلوي"

إعداد الطالب:

"بن شهرة زروقي"

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة -	أ/د نصيرة غماري
مشرفا ومقرا	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة -	أ/د شفيقة العلوي
ممتحنا	جامعة الجزائر - 2 -	د / أمين قادري
ممتحنا	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة -	أ/د نعيمة زواخ
ممتحنا	جامعة تيبازة	د / فايزة حريزي
ممتحنا	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة -	د / مريم بوجناح

السنة الجامعية: 2022/2021م

إهداء

إلى من رافقوني في رحلتي هذه في دروب الخطاب

الحجاجي، يجددون أمني... ويشدون

أزري... ويزينون الحلم في عيني... إلى أبي و أمي

وزوجي وأولادي "الأبهم"، "تسنيم"، "أويس"،

"ميسان"، أهدي هذا العمل.

شكر وامتنان

الحمد لله الذي يسر طريقي ووفقني في عرض هذا العمل، اللهم بك
المعونة ومنك الهداية، ربي عليك توكلت وإليك أنبت وإليك المصير، وأصلي
وأسلم على رسولك الذي آتته الحكمة وفصل الخطاب، ومنحته فضيلة
البيان، فكان من الحجة والبلاغة بما كان، قطع بها لسان أهل الزور والبهتان
وبعد:

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل بدءاً
من الأستاذة الدكتورة: "شفيقة العلوي" التي تفضلت بالإشراف على هذه
الدراسة، فكانت مشرفة قوّمت للدراسة طريقها، وتعهّدت لها مسارها إلى أن
وصلت إلى إخراجها.

كما أتقدم بعظيم الشكر والامتنان للأساتذة الكرام أعضاء لجنة
المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة.

وإلى كل أساتذة المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة -

الحمد لله الذي شرف العربية بنزول القرآن الكريم، واصطفى من خلقه من نذروا أنفسهم لخدمتها على مرّ الأعوام والسنين، والصلاة والسلام على من بلغ الأمانة، وأدى الرسالة فكان رحمة للعالمين.

وبعد: تعدّ اللغة أهم سمة تدلّ على تميّز الإنسان وتفردّه، إذ تحقق له الفعل التواصليّ اليوميّ الذي يمكّنه من الاستمرار في هذا الوجود، وهي ظاهرة ارتقت جهابذة اللغة على مرّ العصور، محاولة منهم لدراستها ومقارنتها وسبر أنماطها وأشكالها اللغوية، فالخطاب العاديّ اليوميّ ليس مثل الخطاب السياسيّ وليس مثله الدّينيّ ولا الإصلاحيّ، وغيره من الخطابات، فكلّ واحد من هاتين يحدّد الاستراتيجيّة والأنماط التعبيرية اللغوية التي ينبغي على المرسل توظيفها في نصوصه، فنحن اليوم في عصر تتصارع فيه الأيديولوجيات والآراء المتباينة، ولكل طائفة مهما اختلفت توجهاتها إعلام يسعى إلى تجميع أكثر عدد من الناس حولها، فعندئذ يبرز سلطان الكلمة وتظهر اللغة في لباس غير اللباس التواصليّ العاديّ، وتنبج أبرز خاصية تتمتع بها اللغة وهي الخاصية الحجاجيّة التي تعدّ بؤرة الوظائف اللغوية، وملتقى الأشكال التعبيرية، كل هذا رغبة في تحقيق غاية واحدة، هي الإقناع.

ومن هنا كان لزاماً على المحاجج أن يستدعي في صناعته النصية كلّ الأفانين و الأدوات اللغويّة التي يراها مناسبة لمحتوى نصّه، فيلجأ إلى اللغة مادة الأدب، ويبدأ في تفتيقها وتكسیر نمطيتها وإخراج العبارة منها إخراجاً مغايراً عن المؤلف مستعيناً في ذلك بقوة مخيلته لتبدو أفضل ممّا كانت عليه من قبل. وحتىّ يُحصّل مضمون الرسالة ويثبت صحّة دعواها يلجأ المحاجج إلى توظيف الحجج والبراهين إذ يُؤيّد بها موقفاً ما، أو يدحض آخر، همه فيها إقناع المتلقّي الذي يدعّن لتخييله فتنبسط نفسه وتنفعل وتميل إلى تبّي موقف المتكلم، ومرات يراوغ المحاجج متلقّيه بحجج تمويهية؛ إلاّ أنّه أحكم نسجها لغةً وقاربها تشبيهاً فتجلّت للمتلقّي في صورة تخيلية تطلّبت منه أعمال الفكر لفهمها، فشرع في تحليل ألفاظها وكلماتها ومساءلة أفعالها، وبعد محاورته لها يتيقّن أنّ صاحب النص لم يشحن كلامه بهذه الحجج من قبيل المصادفة؛ بل ليقنعه ويجعله يسلمّ لما يلقى عليه. و في ظلّ هذا الأخذ والرّد والانقباض والانبساط، أعاد المحاجج للغة دورها في السّياق، فكلّ شيء قيل وسيقال إلاّ له هدف وله دلالة، فما بال النص الأدبيّ باعتباره لمحّة دالّة تشير أكثر ممّا تقول، فلم تعدّ الأفعال المزروعة في جسد النصّ مستهدفة للإخبار بقدر ما هي مدعاة إلى فعل شيء، أو إنجاز أمر وجب عليه تنفيذه بحجج معيّنة.

إنّ المطلع على الساحة اللسانية المعاصرة الغربيّة خاصّة منها، يجد أنّها لم تكن بمعزل عن الصّراعات التي يضحجّ بها العالم اليوم، إذ قامت بدورها في دراسة الخطاب الحجاجي وطرق الإقناع بشتّى أنواعها، وقد بدأ هذا الاهتمام في النصف الثاني من القرن العشرين على يد مجموعة من اللغويين، فأسسوا في ذلك نظريات حجاجيّة رائدة مثل نظرية البلاغة الجديدة، ونظرية الحجاج في اللغة، وقد استقطبت دراسة الحجاج وفق هذه النظريات كثيراً

من النظريات الأخرى مثل نظرية القراءة، والتأويل، لأنّ النصّ الحجاجيّ يكون موجها لشخص أو مجموعة من الأشخاص عندئذ تبدأ مرحلة التفاعل بين المرسل والقارئ بواسطة الرسالة اللغوية، وعليه تتأسس العملية الإقناعية في مدى استيعاب المتلقّي للنص وفهمه، إلا أن عملية القراءة والفهم لا تتوقف عند النصوص المباشرة، بل تتعدّها لتصل إلى النصوص الإيحائية البلاغية الفنية التي تكسب الخطاب جمالية ومنتعة.

إنّ النصّ الحجاجي الذي اتّجهت صوبه الدّراسات المعاصرة هو ذلك النص الذي يحقّق النفعية في الخطاب

بطريق فتانة تصيّر تحفة فنيّة، لتجعل القارئ يتلذذ عندما تفرع أسماعه الحجاج حتى يدعن لها ويقع في شركها، وهذه حيلة ذكية لا يتمتّع بها إلا المتمكّن من اللغة، فيجعل من تلك اللدّة النصّية جسرا يعبر به إلى المتلقّي ليقبل دعواه، وباعتماد الباث على هذا الأسلوب التعبيري، يجعلنا أمام نص مكتمل مترابط الأجزاء تحققت فيه وظيفتان هما (الإقناع و الإمتاع).

وهاتان الوظيفتان تحتزان في داخلهما وظائف أخرى كشفت عنها المناهج التي تعنى بدراسة الخطاب في

الدرس اللساني - خاصة المنهج التداولي- الذي انتقل في دراسة اللغة من حيّز الوصف إلى الجانب الاستعمالي والتفاعلي بين المخاطبين، غير مغفل أمورا مهمة أثناء مقارنته للنصوص، والتي منها مناسبة القول والظروف المنتجة للغة (أحوال المرسل والمرسل إليه، والمقام والسياق، ومقصدية المتكلم).

وللحجاج بين قضايا التداولية حصّة الأسد من الاهتمام والمراعاة، كونه تلك الأساليب والتقنيات اللغوية

التي يتركز عليها المتكلم في طريقه للتأثير على الآخر، ولأن التداولية منهج يدرس الخطاب فهو يعنى بالإجابة عن الكثير من الأسئلة المتغافل عنها من طرف المناهج القديمة (البنوية، التفكيكية...)، وهذه الأسئلة قد فرضت نفسها على الساحة العلمية وهي من قبيل: ماذا نصنع حين نتكلم؟، ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟، من يتكلم؟، ومع من؟، وما هي الغاية من هذا الكلام؟، ماذا علينا أن نعلم حتى نرفع الغموض عن جملة ما؟، فكل هذه الأسئلة وغيرها استطاعت التداولية أن تجيب عنها لتعدد منابعا ومجالاتها، بفتحها آفاقا للمتلقّي بالقراءة والتأويل، وصيرته قطبا في عملية التواصل والعملية الإبداعية.

ومن أصناف الخطابات التي اهتمت بها التداولية الخطاب الأدبي الفني، شعرا كان أم نثرا، والذي يعتمد فيه

الباث على وسائل لغوية تمنح للنص عناصر تخيلية تحسّينية تحقّق المتعة للقارئ، فتكون هذه المتعة معبرا يعتمد فيه لأسر المتلقّي من خلال هذه الفنيّة النصّية، والتي تعتبر بدورها استراتيجية فعّالة تصل بالمبدع إلى أهدافه الحجاجية.

من خلال قراءتنا فيما سبق نجد أنفسنا أمام قضية معقّدة طرحتها البلاغة الجديدة من قبل بيرلمان (

perleman) و ماير (mayer)، وهي قضية ترجع للبلاغة سطوها وجبروتها في كل الخطابات، بحيث لا

يمكن الفصل مطلقا بين فنية النص وجماليته، وبين التأثير الذي يحدثه في المتلقي، فمن هنا تصبح للبلاغة وظيفتان رئيستان هما (الإقناع والإمتاع)، ومتى وجدت وتحققت الوظيفتان في خطاب معين وجدنا أنفسنا أمام نصّ منسجم يصل به صاحبه إلى درجة الإبداع.

وليست الخطابات الأدبية العربية الجزائرية بمنأى عن هذا كلّ، فالشيخ الطيب العقبي على سبيل المثال لا الحصر واحد من جهابذة الخطابة في الجزائر، وأحد أبرز أدبائها الأفاضل، الخطيب المحجاج المعروف عنه الحسّ البلاغي المرهف، والقريحة الوقادة، واللّسان المفوّه، والقلم السيّال، ويكفيك أن تنتقي من مؤلفاته ومقالاته نصا واحدا لتعلم وزن الرجل في السّاحة الأدبية.

وقد اخترنا مدونة " **جريدة المنتقد** " محلاّ للدراسة والتّطبيق ليس لقيمتها الأدبية وحسب، بل ولقيمتها التاريخية، إذ لا يخفى على أحد أن الرجل عاش إبان حقبة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، أراد فيها هذا الأخير طمس الهوية الجزائرية العربية بنشر الجهل والامية، لولا ظهور فئة هي النخبة في ذلك الوقت، عُرفت بجمعية العلماء المسلمين، وكان الشيخ الطيب العقبي عضوا فعّالا فيها، بحمله لواء الحرب على سياسة المستعمر وسلاحه في ذلك العلم وسيف الخطابة، فكان من الكتاب الأفاضل الذين إذا تحدّثوا لم يُحذروا تأثروا ولم يُهدروا، أجاد فن الخطابة وله مواقف قويّة في مواطن الإقناع بالنشر، وهو ما جعل الباحث يُطبّق نظيراته على إبداعه النثري الذي كاد يُنسى، ولعلّ قراءة الباحث الموسومة بـ: (**استراتيجية الإقناع الحجاجية في مقالات الطيب العقبي - جريدة المنتقد أنموذجا**) تحاول إضاءة بعض الجوانب فيه.

إنّ العمل البحثي حصر الدراسة التطبيقية التمثيلية في جريدة المنتقد دون غيرها من مقالات الطيب العقبي والسبب أولا: رغبتنا في تقييد العمل بغية الوصول إلى نتائج أكثر دقة، فالتوسّع والتشعب في المدونة قد يخلط الظواهر فلا يتمكن من ضبط النتائج.

ثانيا: لأن وجدنا جريدة المنتقد حافلة بالظواهر النصية و الحجاجية التي يدور حولها البحث فاتخذناها أنموذجا للدراسة.

ثالثا: ومثل هذه الاعترافات بدت لنا - للأسف - بعد التسجيل الإداري لموضوع الأطروحة وبعد المضي قدما في البحث فتحاشينا إعادة تغيير العنوان في هذه المرحلة و تسجيله إداريا خشية أن يتأخر خروج عملنا أي بحثنا للنور، ولأنه لا يوجد تعارض كبير بين العنوانين الأول المقيد في الأطروحة والثاني (وسائل التأثير و استراتيجية الإقناع الحجاجية في مقالات الطيب العقبي). الذي هيمن على مضامين البحث.

أ - أسباب اختيار موضوع البحث:

1- إنَّ ما يُبتغى الوصول إليه من خلال هذه الدِّراسة تحديد الفِئَات اللُّغويَّة والتَّقنيَّات الحجاجيَّة التي يعتمدها الكتاب في احتجاجهم لتأييد رأي أو تبني فكرة أو تغيير سلوك أو دحض موقف، محاولين في ذلك إقناع المتلقِّي وحمله على الإذعان والتَّسليم لما يُعرض عليه، ليكون هذا البحث دراسة لسانيَّة بلاغيَّة تُعنى بأساليب القول التي تصنع النَّصَّ و الخطاب سواء من ناحية الكتابة أو التَّلْفِظ، فكان هذا المحضُّر الأوَّل لنا، فأن يُدرك معنى القول تأويلاً وقرأه أمر قد لا يُجيده الكثيرون.

2- كما كان من بين ما دفعنا للبحث في هذا الموضوع رحابة التُّراث البلاغي الجزائري وسعة إشاراتهِ النَّقدية الواعيَّة البعيدة التي أثَّرت في نفسيتنا ووقعت منها موقعا حسنا، ولاسيما جريدة "المنتقد" التي انطوت على مقالات الشيخ الطيب العقبي الذي أولى أهمية قصوى للجانب الإصلاحي والتوجيهي في تنوير الأمة وتزويدها بالتعاليم السَّميحة لبناء العقيدة الصَّحيحة، ونقده لبعض الطُّرقية وما عُرفت به من خزعبلات شاذَّة، و هرطقات ما أنزل الله بها من سلطان، فقد كان منصفاً لرجال جمعية العلماء المسلمين الذين اتَّهموا بالابتداع في الدِّين فيما مضى، وموضِّحاً للقوم أنَّ لرجال الجمعية أفكاراً تتوجَّب أن يعبروا عليها بمُحجج فكريَّة وبغير هذا التَّعبير ينقطع التَّواصل بينهم وبين المتلقِّين.

ب - الإشكالية:

انطلقت هذه الدِّراسة من إشكالية أساسية هي:

ما هي الآليات الحجاجية التي اتركز عليها الشيخ الطيب العقبي في خطابه للنهوض بالشعب الجزائري نحو الأفضل؟

أو بعبارة أخرى: ماهي وسائل وأفانين الإقناع التي اعتمدها الشيخ الطيب العقبي في مقالاته "المنتقد"؟ وهل دمج

الشيخ العقبي في حججه بين الإقناع والإمتاع؟

كان من بين الأسئلة التي أُنثت إشكالية هذا البحث:

- ما هي الاستراتيجية المعتمدة في تحليل الخطاب للوصول إلى المقاصد الحجاجية؟

- كيف يتشكّل الحجاج في المقال الأدبي؟ وما هي الآليات التي تدخل في تشكيله؟

- ما الأثر القرائي الذي تُحدثه الحجَّة في النصِّ النَّثري؟

- هل كان لتنظيرات البلاغيين في الحجاج والإقناع الخطابي وجود في المقالات التي حرَّرها الشيخ الطيب العقبي في

جريدة "المنتقد"؟

- ما هو المنهج المتبع في تحليل الخطاب للوصول إلى المرامي الإقناعية؟

ج- فرضيات البحث:

أ- يقوم كل نص مهما كان نوعه على الحجاج، إلا أنّ طرق توظيف الحجج وترتيبها مسألة تتفاوت من مبدع إلى آخر، على حسب قدرة كلّ واحد وتمكّنه من إيرادها والتّصرف فيها، وهذا ملمح فني قائم على المادة اللغوية.

ب- إنّ الحجاج سمةٌ قارئةٌ من سمات تحديد الأدبيّة في مقالات الشيخ الطيب العقي " جريدة المنتقد"، إذ هي الجماليات والفنّيات المتعلّقة بأساليب القول و أفانيته، وعليه لن تقوم لها قائمة من غير محاجة القارئ لها وإخراج معناه الملقى فيها.

ج- في ظلّ البلاغة الجديدة الرحبة تغيّرت وظيفة الكلام. في مقالات الطيب العقي. من مثير تحسّيني يجمّل النص، ويضفي عليه جمالية إلى مثير حجاجي دفاعي يراد به الإقناع وتبكيك الخصوم والتأثير فيهم، أي إنّ النصّ في البلاغة الجديدة يأخذ وظيفتين إحداهما أدبية نفسية تركز على التأثير، والأخرى تداولية حجاجية غايتها الإقناع.

د- يركّز الخطاب الحجاجي العقي على تقديم النتيجة ثم إدراج الحجج لتدعيم هذه النتيجة أو العكس، فقد تكون النتيجة مضمرة فيقوم باستخلاصها من مقاصد المتكلم بالاعتماد على سياق النص، ثم يوجّهها وجهة حجاجية انطلاقاً من المقاصد.

هـ- حمل الخطاب الثري العقي في طيّاته خطاباً حجاجياً خاصاً، مزج فيه صاحبه بين استراتيجية الإقناع وبلاغة الإمتاع.

و- وظف الشيخ العقي الآليات البلاغية واللسانية برؤية جديدة تنهض على تحقيق المنفعة للنص، ولذلك نجده يحدّد الأبعاد التداولية لها التي تحقّق السّلطة للنص وتجعله محطّ أنظار القارئ، الذي يبدأ في عملية تأويله والاستمتاع بمعانيه.

د- خطة البحث:

أدير البحث على مقدمة وسبعة فصول و خاتمة فملحق جمعنا فيها بعض النتائج المحصّل عليها من خلال هذا البحث.

أما الفصل الأول فعنوانه (تحديدات ومفاهيم أساسية)، ويتضمن خمسة مباحث، الأول منها جعلناه لتحديد مفهوم الاستراتيجية اللغوي والاصطلاحي، وأهم أصنافها، وكذا أهميتها في تحليل الخطاب للوصول إلى المقاصد الحجاجية، أما الثاني فقد بُحّث من خلاله عن ماهية مصطلح الإقناع عند العرب والغرب، وأهم الأسس

التي يتركز عليها، بالإضافة إلى أبرز أنواع استراتيجيات الإقناع الحجاجية، والمبحث الثالث جعلناه لعرض ماهية الحجاج وكذا أصوله وأهم منطلقاته.

ثم فرغ الفصل الثاني لإجلاء: (تمظهرات الحجاج في الدراسات الأدبية)، وانطوى على مبحثين هامّين، الأول منهما وسّعنا الحديث فيه حول الحجاج في المنجز الغربي القديم والحديث، أما المبحث الثاني فقد ضمّناه تمظهرات الحجاج في البلاغة العربية القديمة، وأراء العرب وتنظيراتهم الحجاجية في الفكر المعاصر.

عمد الفصل الثالث إلى دراسة (الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية والبنى التركيبية في جريدة المنتقد) وخصّ بتتبّع أهم الوجوه والأساليب البلاغية و مدى تعالقها بالوظيفة الحجاجية الإقناعية، وقد انشطر إلى مبحثين رئيسيين، الأول منها كان حول تجلّيات أسلوب الاستفهام والتوكيد والنفي والتكرار في جريدة "المنتقد"، وفيه أثبتنا دور هذه الأساليب في تقصّي فعالية النصّ الأدبيّ من جهة الوظيفة والأداء، مع اكتمال التعلّق بينها وبين الحجاج، والثاني تطرقنا فيه إلى الاستراتيجية الحجاجية لأسلوب الحذف والالتفات والبنى الإفرادية.

جاء الفصل الرابع من الدّراسة موسوماً بـ: (الوظيفة الحجاجية لآليات الإقناع في اللسانيات التداولية في جريدة المنتقد) وتفرّع عنه مبحثان، الأول وضّحنا فيه كيف يمكن للروابط الحجاجية أن تساعد في ترتيب الحجج، والثاني تعرضنا فيه للاستلزام الحواري في جريدة "المنتقد" والانتقال من الدلالة الوضعية للغة إلى الدلالة المستلزمة.

وقف البحث في الفصل الخامس المسمّى بـ: (وسائل الإقناع شبه المنطقية في جريدة المنتقد) و تمحور حول ثلاثة مباحث، الأول منها كان حول الأشكال والبنى الحجاجية في جريدة "المنتقد"، أي كيفية بناء الحجج من خلال المقدمات، والتبريرات، ووسائل التدعيم وصولاً إلى الدعاوى والنتائج، والثاني سميناه: القياس ودوره في الإقناع، وتضمن ثلاثة عناصر هي: القياس المنطقي، والقياس المضمر، والقياس المتدرج، والمبحث الثالث تمحور حول نظرية السلام الحجاجية في "جريدة المنتقد".

أما الفصل السادس الذي وُسم بـ: (آليات الحجاج البلاغية في جريدة "المنتقد")، فقد وُسع الحديث فيه حول مصطلح البيان وكيفية المحاججة به، وقد ضمّ مبحثين اثنين رئيسيين شرّع في أولهما الحديث عن القوة الإقناعية للتشبيه، ليُحصّر الكلام فيه عن وظائف التشبيه الإقناعية في النصّ الأدبي و أهم أنواع هذا اللون البياني في مقالات الشيخ الطيّب العقبي، ثمّ تُطرّق بعده إلى الكشف عن الطاقة البرهانية للاستعارة في جريدة "المنتقد"، وبعد هذا دُيّل هذا الفصل بمبحث ثانٍ و أخير خصّص لدراسة البديع من وجهة حجاجية في مقالات الطيب العقبي، وقد جُزّي هو الآخر إلى شطرين رئيسيين أُشير في أولها إلى البديع من الإيقاع إلى الإقناع، و البديع بين

وظيفتين (التحسينية والتداولية). ثم أُبَيّ الحديث في شطره الثاني عن : الرؤية المعاصرة للبديع، وفيه تُوبعت الألوان البديعية في مقالات الشيخ الطيب العقبي المحكمة حجيتها وتأثيرها على المتلقي من وجهتين :

- 1- البديع التكراري: يحوي الجناس والتفسير والتقسيم بين المحاور والمعنى و المبالغة من التّفخيم إلى الفهم.
- 2- البديع التقابلي: ويشمل المطابقة من المفاجأة إلى التأثير، و المقابلة من الجمال إلى السّبك، ثم تُحدّث عن التّسويم و التّحجيل ودورهما في سبك النّصّ وانسجامه.

أما الفصل السابع عنوّاه ب: (أهم الأسس العقائدية والأسلوبية المُشكّلة للمنظومة الحجاجية العقبية)، وقسّمناه إل ثلاثة مباحث رئيسة تعرضنا فيها إلى أبرز المرتكزات العقائدية والأسلوبية التي بنى عليها الشيخ العقبي سنده الإفتاعي، المبحث الأول بيّنّا فيه حجّة البنى الاستشهادية ودورها في تغذية مقالات الشيخ العقبي، والمبحث الثاني تعرّضنا فيه إلى جمالية التنسيق اللفظي ودلالته الإيحائية في مدونة جريدة " المنتقد"، أما المبحث الثالث كان حول أهم العلاقات الحجاجية التي أسهمت في بناء المقالات العقبية. و دُيّلَ البحث بخاتمةٍ حُصرت فيها معظم النتائج المتوصّل إليها.

هـ- منهج البحث:

أمّا فيما يخصّ المنهج المتّبع فقد استعنا بمناهج مختلفة منها المنهج التاريخي الذي استوجب استعماله أثناء تتبع التطور الزمني التاريخي لنظرية الحجاج، مستحضرين آليتي الوصف والتحليل اللتين بهما نحاول إعادة قراءة بعض النصوص وتخرّيجها بما يقتضيه المنهج الحجاجي، فنحن مضطرون إلى تحليل هذه الشواهد والتعمق في وصفها حتى نصل إلى استنباط المغزى الحجاجي منها، وهذا ما استدعى منهجا آخر هو المنهج التداولي، الذي هو أسّ العملية التخاطبية، كونه لا يقصي أي عنصر من عناصر العملية التواصلية.

و- مصادر البحث ومراجعته:

ما كان لهذا البحث أن يتّم ويستوي عوده، لولا فضل مكتبة البحث التي ارتكزنا عليها والمكونة من مصادر تراثية، ككتّابي "عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ)" (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز)، و"ضياء الدين بن الأثير(ت: 637هـ)" (المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر) وكتاب "حازم القرطاجني(ت: 684هـ)" (منهاج البلغاء وسراج الأدباء).

و أخرى حديثة و معاصرة ككتاب (الحجاج في الشعر العربي) لصاحبه سامية الدريدي، وكتاب (في حجاج النّصّ الشعري) لمحمّد عبد الباسط عيد، (وموسوعة الحجاج وآفاق التّواصل) إشراف حافظ اسماعيل علوي، و(الحجاج واللغة) لأبي بكر العزاوي، و كتاب (البلاغة الجديدة بين التّحجيل والتّداول) لمحمّد العمري. وكتب غريبة طوّعت

هذا المصطلح ووسّعت آفاقه ومنها نذكر: كتاب: (مصنّف في الحجّاج البلاغة الجديدة) لشايم بيرلمان وزميله تيتيكاه، وكتاب (مدخل إلى الخطابة لأوليفي روبول)، و(الحجّاج في التّواصل) لفيليب بروتون، و(الحجّاج) لكريستيان بلانتان وغيرها، كما استفدنا من بعض الآراء التّقديّة المبنوثة في المجلّات المحكّمة كمجلة فصل الخطاب التي يصدرها مخبر الخطاب الحجّاجي بجامعة ابن خلدون. تيارت (الأعداد الثمانية الأولى) ، و مجلة المخبر بجامعة بسكرة وتحليل الخطاب التي كان عددها التاسع معنوناً بالحجّاج.

ز- عمل السابقين في هذا المضمّار:

لاحظنا في هذا السياق انعدام دراسات تناولت استراتيجية الإقناع الحجّاجية في مقالات الطّيب العقبي، إلا

أنه وفي خضمّ اطلاعه وبجته، وقف عند بعض الأبحاث المعالجة لبعض زوايا الموضوع من بينها:

- الطيب العقبي أديبا، كمال عجالي، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة قسنطينة، 1997-1998م.

- معالم لدراسة تداولية وحجّاجية للخطاب الصحفي الجزائري، عمر بلخير، أطروحة دكتوراه، (مصدر نصي غير مخطوط)، جامعة الجزائر، 2005 - 2006م.

- البعد التداولي للخطاب القرآني الموجه لبني إسرائيل، قدور عمران، أطروحة دكتوراه، (مصدر نصي غير مخطوط)، جامعة الجزائر، 2008 - 2009م.

- الحجّاج وأثره القرآني على النص الشعري، بحث في جدلية التلقي و آليات التأويل، أمحمد تركي، أطروحة دكتوراه، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2015 - 2016م.

- استراتيجيات الخطاب القرآني سورة "آل عمران أنموذجا"، مقارنة لغوية تداولية، جيلي هدية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد الأمين دباغين، سطيف، 2017 - 2018م.

- التلويّنات الحجّاجية في مقالات البشير الإبراهيمي، دراسة لغوية تداولية، زويير بوزاغو، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليباس، سيدي بلعباس، 2017 - 2018م.

ح- الصعوبات:

اعتور هذا البحث صعوبات ومشاقّ اعترضت طريقه، شأنه شأن سائر الأبحاث، أهمّها ذلك التراكم المعرّبي، وصعوبة التعامل مع المادة العلمية التي تمحورت حول الدراسة الحدائثية للخطاب الحجّاجي، لأن هذا النوع من الدّراسات الحجّاجية التّداولية يقتضي منا سعة الاطلاع على المنتج الغربي وسياقاته الثقافية للظفر بآلياته وأفانيه، وهذا أمر عسير بسبب التضارب في المصطلحات وكثرتها التي يرجع الاختلاف فيها إلى تعدد المدارس

الحجاجية في الوطن العربي وعدم توحيد الجهود. ولأن الحجاج لم يستقر مفهومه في الوطن العربي إلا في بعض المحاولات التي استفادت من المنجز الغربي وبيئته، كما في دراسة الشهري، ومشروع محمد العمري، وفلسفة طه عبد الرحمن في دراسته التداولية للخطاب والحوار والحجاج.

وفي الختام نرجو أن نكون قد وفقنا للإمام بجوانب الدراسة وتشعباتها، ونأمل أن يسهم هذا البحث -ولو بالنزر اليسير- في إثراء حقل الدراسات الحجاجية الإقناعية في خطاب الشيخ الطيب العقبي حتى نحدو حذوه في جميع خطاباتنا اليومية والتعليمية، لأنه كان صاحب مشروع نهضوي ناجح، كما لا يسعنا بعد إكمال هذا البحث المتواضع إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذتي المشرفة الأستاذة الدكتورة "شفيقة العلوي"، لما بذلته من جهد واهتمام ورعاية طيلة إشرافها على هذا البحث حتى استوى و آل إلى ما هو عليه الآن، فقد كانت نصائحها وإرشاداتها سراجاً أنار لنا الدرب وذلّل الصعوبات فيه، فضلاً عن خبرتها التي أعانتنا على المضي قدماً في فهم هذا الموضوع والتوسع فيه مع الغور في أعماقه. و الشكر كل الشكر لأساتذتنا أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا البحث وإثرائه بأفكارهم القيّمة، وقد تجشموا وعناء السفر و عناء القراءة، فلهم منا كل الاحترام والتقدير. ويبقى من طبيعة الإنسان الخطأ والنسيان، فإن وُفقنا فمن الله الذي أمدنا بالصبر على تحمّل عناء البحث والاكتشاف، وبث في نفوسنا الإرادة والشأو والعزم على التّحدي لتقديم عمل يكون دُخراً لنا ونفعاً لغيرنا، وإن أخطأنا فالأمر يعود لنا وينعكس علينا وحدنا، والله من وراء القصد وهو مولانا ونعم النصير، والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وأن آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

الطالب: أبو الأيهم بن شهرة زروقي الجزائر/ أوت 2021

المبحث الأول : الاستراتيجية، المفهوم، الأنواع، الأهمية

تمهيد:

ينبغي الخطاب من خلال وظائفه التواصلية إلى التعبير عن مقاصد معينة، وتحقيق غايات محددة، إذ تبرز في الخطاب مقاصد كثيرة قد تظهر مباشرة من شكل الخطاب وقد لا تظهر، وعندما تصبح لغة الخطاب شكلا دالا يقود إلى المدلولات الثابتة خلفه من خلال المعطيات السياقية، والعلاقات التخاطبية، والافتراضات المسبقة التي يعيها المتكلم أو يفترض وجودها، يبنى لغة خطابه عليها، كما يدركها المتلقي ليستدل على المقاصد من خلالها، ويتوخى المرسل لتحقيق ذلك خططا معينة، هي التي يمكن أن نطلق عليها استراتيجيات.

1 مفهوم الاستراتيجية:

قبل الحديث عن مصطلح الاستراتيجية بشكل خاص متعلق أو مقترن بمصطلح الخطاب، وجب علينا الحديث عن المصطلح ودلالته العامة، لكون هذا الأخير يحمل قدرا من اللبس، بسبب شيوعه بلفظه الدخيل، إضافة إلى كثرة استعماله في ميادين معرفية وحضارية مختلفة، وعليه كان لزاما علينا أن نشير إلى بعض مفاهيمه ومجالاته.

فالاستراتيجية اصطلاح عسكري وهي "علم و فن ينصرفان إلى الخطط و الوسائل التي تعالج الوضع الكلي لصراع ما ... من أجل تحقيق سياسة ما، وغالبا ما تقترن الاستراتيجية بالأهداف البعيدة المدى"¹.

إذا الاستراتيجية عملية تخطيط لتحقيق سياسة ما والتحكم في الوضع بشكل كلي.

وتعني أيضا «مجموعة القرارات و التصرفات الإدارية التي توجه أداء المنظمة في الأمد الطويل أو هي العملية التي بواسطتها يتمكن المدراء من تحديد الاتجاه الطويل الأمد للمنظمة وتحديد أهدافها»².

من خلال هذا التعريف يتضح أن الاستراتيجية هي تصوير مبدئي للرؤى المستقبلية للمنظمة (منظمة العمل) ورسم سياستها وتحديد غاياتها على المدى البعيد.

و عرفت أيضا بكونها " طرق محددة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محدد والتحكم بها"³.

و بهذا فإن الاستراتيجية تتعلق بإعداد الخطط بالدرجة الأولى و هذه الخطط هي السبيل لتحقيق الأهداف.

الاستراتيجية في المفهوم التقليدي، والأكثر شيوعا هي " عبارة عن مسلك أو مسار أو خطة توضع عن قصد ووعي

للتعامل مع موقف معين، فالطالب عندما يقول إن لديه استراتيجية للنجاح في الامتحان يقصد بذلك الطريقة التي

¹ - هيثم الأيوبي وآخرون، الموسوعة العسكرية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م، ص66.

² - عادل حرحوش ومؤيد سعيد سالم، الموارد البشرية مدخل استراتيجي، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العلمي، الأردن، ط2، 2006م، ص3.

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2004م، ص53.

يسلكها لتحقيق الهدف"¹.

يستخلص من هذه المفاهيم أن الاستراتيجية مفهوم معنوي لا يمكن لأي شخص رؤيته أو لمسها، وأن كل الاستراتيجيات عبارة عن ابتكار من مخيلة شخص معين، وهي نمط لأهم الطرق و الخطط الموضوعة لتحقيق سياسة ما، أو هي الأهمية القصوى للشيء أو الهدف، وهذا هو المفهوم السائد في اللغة العربية الفصيحة المعاصرة.

أما عند الغرب الذين وفدت منهم هذه الكلمة، فيعرفها "ميشال فوكو" بما يلي: " تستعمل كلمة استراتيجية عادة بثلاثة معان هي:

أولاً: للتدليل على اختيار الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة.

ثانياً: للتدليل على الطريقة التي نحاول بها التأثير على الغير.

ثالثاً: للتدليل على مجمل الأساليب المستخدمة في مجابهة ما، لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام"².

و تتفق هذه المفاهيم التي قدمها فوكو للاستراتيجية في أنها اختيار الوسائل المادية وغير المادية المناسبة للوصول إلى هدف محدد وتحقيق غاية ما.

أما إذا ربطنا مصطلح "الاستراتيجية" بالخطاب فإننا عندئذ سنحدد ميدان هذه الاستراتيجية ومجالها، إذ تصبح العملية التواصلية التي يقوم بها المرسل انتقاء الوسائل و الأدوات المناسبة، وكذا اختيار السياق الملائم، فهو قبل إلقاء خطابه يخطط لكيفية إيصال معناه إلى المرسل إليه، فالمرسل الاستراتيجي يسعى إلى تحقيق هدف إبلاغي تواصلية، وحتى يتأني له ذلك، يحرص على استعمال اللغة استعمالاً دقيقاً يتناسب والسياق.

2- مفهوم الاستراتيجية الخطابية:

يرنو كل باث لخطابه لإيصال رسالته إلى المتلقي، فيجند بذلك كل العناصر اللغوية دون أن يهمل العناصر غير اللغوية (السياقية) المحيطة به حين ينتج خطابه، وهذا الاستخدام والاختيار هما عين الاستراتيجية.

¹ - شريف حمزوي، عن مفهوم الاستراتيجية في إدارة الأعمال، مجلة التواصل، عدد جوان 2002م، الجزائر، ص41.

² - أوبيير دريفوس و بول رابينوف، ميشال فوكو مسيرة فلسفية، تر: جورج أبو صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1988م، ص 200.

و يرى الشهري أن المرسل « لا ينتج خطابه غفلا عن اعتبار السياق فلا خطاب دون الخراطه في سياق معين، كما لا يتحلى الخطاب دون استعمال العلامات المناسبة، فقد يستعمل المرسل اللغة الطبيعية، كما قد يستعمل بعض العلامات غير اللغوية ليمارس بها خطابا قد يوصف بأنه نوع من السلوك¹».

و باعتبار أن اختيار السياق الملائم لخطاب ما، واستخدامه هو عنصر مهم من عناصر العمل الاستراتيجي فإن هذا السياق " قد يتنوع، كما قد تتباين آثار عناصره على تشكيل الخطاب باختلاف السياق، وينعكس هذا التنوع وذلك التباين على تكوين الخطاب"².

فالتنوع في أشكال الخطاب ناتج عن التنوع السياقي و التشكل اللغوي، وهذه العملية توسم بأنها استراتيجية الخطاب إذ يعمد المرسل إلى أن ينتج خطابه وفقا لاستراتيجية معينة.

و يخلص الشهري إلى تعريف الاستراتيجية الخطابية بأنها "عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ إرادته والتعبير عن مقاصده التي تؤدي إلى تحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية، وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ ويستحسنه المرسل"³.

فالاستراتيجية الخطابية هي سبيل يسلكه المرسل للوصول إلى الغرض أو الهدف المنشود وهو التأثير.

و الاستراتيجيات عند فوكو هي "كيفيات في التعامل مع الخطاب و تناوله تختلف فيما بينها اختلافا نسقيا، تختلف في حصر الموضوعات ووصلها وفصلها وربطها وتفرغ بعضها من بعض، كيفيات تختلف في تركيب أشكال العبارات في اختيارها وتنصيبها وإنشاء مجموعات وتركيبها في وحدات بلاغية كبرى، وفي التعامل بالمفاهيم لوضع قواعد استخدامها وإدخالها في تناسقات جهوية، وإنشاء بناءات مفاهيمية انطلاقا من ذلك"⁴.

فالاستراتيجيات مبنية على طريقة التعامل مع الخطاب وكيفية تناوله، وهذه الكيفية تتعدد وتختلف من حيث حصر الموضوعات، واتصالها ببعضها البعض وانفصالها، كما تتباين في توظيف العبارات وتركيبها، وكذا ضبط المفاهيم وكيفية تحديد قواعد استخدامها.

ويحدد ميشال فوكو الخصائص العامة للاستراتيجية بأنها عمل عقلي قائم على افتراضات مسبقة، وتتجسد من خلال وسائل وأدوات تلائم سياق استعمالها، وذلك لكون الاستراتيجية محاولة للتكيف مع عناصر السياق المحيط بالفعل، وعليه ستكون فعلا ضروريا وشاملا لجل مجالات الحياة.⁵

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 55.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 52.

³ - المرجع نفسه، ص 62.

⁴ - ميشال فوكو، حفریات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005م، ص: 65

⁵ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق ص 55.

فتعدد الظروف المحيطة بالسياق يستوجب تعدد الاستراتيجيات، وأي تغيير في بعض العناصر يؤدي بالضرورة إلى تغيير في الاستراتيجية بغية تحقيق الغاية المنشودة، لأن ما يكون مناسباً في سياق ما قد لا يكون مناسباً كذلك في سياق غيره¹، وكل هذا يتحكم فيه العقل ويسيره.

وبالتالي يصبح التخطيط الذهني السبيل الأوحى القادر على تحليل كل العناصر المحيطة من أجل انتقاء الاستراتيجية الأنسب لذلك المقام أو السياق.

و من خلال ما تقدم من البحث يمكن القول إن مفهوم الاستراتيجية الخطابية يقوم وفقاً لثلاثة أبعاد هي، غاية الخطاب أو هدفه، وعناصره السياقية التي ينتج ضمنها، والعلاقة القائمة بين طرفيه (المرسل و المتلقي).

3- أصناف استراتيجيات الخطاب:

يتم تصنيف أنواع الاستراتيجيات الخطابية بناء على معايير واضحة يمكن إجمالها في ثلاثة معايير عامة². هي:

المعيار الاجتماعي و هو معيار العلاقات التخاطبية، والمعيار اللغوي ويتعلق بشكل الخطاب اللغوي، ومعيار ثالث هو معيار الهدف من الخطاب.

وقد لاقت هذه المعايير قبولا عند عديد الباحثين، يقول أحدهم: "لقد تم تصنيف أنواع الاستراتيجيات التخاطبية في الدراسات التداولية بحسب ثلاثة معايير و هي: أولاً: المعيار الاجتماعي، ويتعلق بالعلاقة بين طرفي التخاطب، وقد تفرع عن هذا المعيار استراتيجيتان هما: الاستراتيجية التضامنية والاستراتيجية التوجيهية، ثانياً: معيار شكل الخطاب، ويتعلق بشكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل وعن هذا المعيار تفرعت الاستراتيجية التلميحية، ثالثاً: معيار هدف الخطاب وعنه تفرعت الاستراتيجية الحجاجية"³.

1.3- الاستراتيجية التضامنية:

و هي "الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعيتها، وأن يعبر عن مدى احترامه له ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه"⁴.

يختار المرسل هذه الاستراتيجية إذا كان بصدد إنشاء أو تقوية العلاقة بينه وبين المتلقي، ويهدف المرسل من خلال استخدامه هذه الاستراتيجية إلى توطيد أواصر القرى بينه وبين المتلقي بأن يعبر عن تقديره له وأن ينزله منزلة لائقة ويعطيه قيمة محترمة، فهي إذا محاولة المرسل الاقتراب من المرسل إليه لأغراض معينة.

¹ - جبلي هدية، استراتيجيات الخطاب القرآني سورة "آل عمران" أمودجا- مقارنة لغوية تداولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد الأمين دباغين، سطيف، 2017م، ص 49.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 07.

³ - إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المغرب، المجلد الثامن، العدد 15، 2014م، ص 543.

⁴ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 257.

2.3- الاستراتيجية التوجيهية:

وهي الاستراتيجية التي قد يهمل فيها المرسل الجانب الخلقى ومبدأ التأدب في الخطاب الذي تفرضه الاستراتيجية التضامنية، ويأخذ بجوانب أخرى وفق ما يقتضيه سياق الخطاب، أي أن الظروف المحيطة بالمتلقي هي من توجهه لانتهاج أسلوب معين في خطابه مع المتلقي، فهناك مواقف تستدعي اللين والمرونة في الحديث وهناك مواقف تستدعي الشدة.

ويرى الشهري بأن " الخطاب ذا الاستراتيجية التوجيهية يعد ضغطا وتدخلا ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه، وتوجيهه لفعل مستقبلي معين، وهذا سبب تجاوز المرسل لتهديب الخطاب من خلال استعمال بعض الأساليب والأدوات اللغوية التي لا تتضمن بطبيعتها ذلك"¹. فغاية المرسل من خطابه في هذه الاستراتيجية ليس تأسيس علاقة طيبة فهذا أمر ثانوي بالنسبة إليه، بل تبليغ قصده إحداث تغيير في المتلقي باستخدام سلطته عليه.

3.3- الاستراتيجية التلميحية:

هي " التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز بقصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق"².

في هذه الاستراتيجية يعبر المرسل للمتلقي عن قصده بأسلوب غير مباشر، بحيث يلمح بدلا أن يصرح، وفي هذه الحالة على المتلقي أن يبذل مجهودا ذهنيا لاكتشاف المعنى غير المباشر وفهم ما يروم إليه المرسل، ومثال ذلك كأن يقول الإمام للمصلي المنشغل بالحديث مع غيره (الإمام فوق المنبر) فالغرض من هذه العبارة ليس إبلاغ الطالب بمعلومة مفادها أن الإمام صعد المنبر، بل الغرض الحقيقي هو أمر بالسكوت.

4.3- الاستراتيجية الإقناعية:

و هي الاستراتيجية التي ستتركز دراستنا عليها، ويتمحور بحثنا حولها، وترتبط هذه الاستراتيجية بالهدف من الخطاب، فهدف المرسل هو إقناع المتلقي بما يراه أي " إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه"³، وأن يزرع فيه تصديقا لما يقوله، ذلك أنه " لكل خطاب هدف ينشده وغاية يرمي إليها فهو ينشد الفعل في المتلقي و يروم التأثير فيه وتوجيه أفكاره الوجهة التي يريد"⁴، فالمرسل حين يختار استراتيجية الإقناع، فهو يرنو لإحداث تغيير في رؤى المتلقي وقناعاته، بحيث يجعله يتبنى موقفا معينا، يسلك طريقا محددًا وفق ما يهدف إليه المرسل.

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص322.

² - المرجع نفسه، ص371.

³ - المرجع نفسه، ص 446.

⁴ - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيتها وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2001م، ص70.

فالهدف من الخطاب هو المعيار الذي تقوم عليه استراتيجية الإقناع.

4- أهمية استراتيجيات الخطاب:

بهذا غدا من الواضح إذاً، أهمية مناقشة الاستراتيجيات في الخطاب، إذ إننا نعيش في عالم أصبح يعتمد على لغة للخطاب بديلة لوسائل أخرى، سواء في الحوارات الدبلوماسية أو في النقاشات السياسية أو في الحياة اليومية، وتحف بهذه العوامل من كل حذب وصبوب سياقات مختلفة، وتتدخل هذه السياقات في صياغة الخطاب ولغته.

فموضوع استراتيجيات الخطاب من الموضوعات اللغوية المهمة، وتكمن أهميته في كل مجال من مجالات الحياة، ومنها الاجتماعي، والتعليمي، والسياسي والاقتصادي.¹

فلمجتمع سياقات كثيرة، تتطلب خطابات متنوعة، لترضي أهداف الناس المتباينة، لذلك فالحاجة قائمة لاكتشاف هذه الاستراتيجيات، ومعرفة كيفية تطويعها واستعمالها، وتطوير ذوات الناس التخاطبية بما يواكب متطلبات السياق، وما يكفل التكيف مع تقلباته، ونحن أولى المجتمعات بذلك في حياتنا الثقافية، لما للخطاب من دور في تقريب وجهات النظر، وإيضاح الحقائق و توجيه الناس صوب الوجهة التي نرتضيها، كما أنه غدا توظيف الاستراتيجيات أمراً ضرورياً في خطابات الدعوة وتبادل الأفكار بين الناس، بل يعد ضرورة حتى في البيت، وفي السوق، وفي الطريق، وفي كل مرافق الحياة، فالمعلم يحتاج إلى استعمال أكثر من استراتيجية في خطابه مع طلابه، لاختلافهم في التكوين ولتعدد ميولهم، ودرجة استيعاب كل منهم في الفهم، وكذلك القائد مع منسوبي وحدته، والأب في بيته، ورجل الإعلام في وسيلته الإعلامية، وغيرهم كثير.

وعليه، فتعدد هذه السياقات مدعاة لتعدد الخطابات اللغوية، وهذا مؤشر إلى ضرورة تعدد الاستراتيجيات، لما لكل منها مزايا وآثار حميدة، إذ لا يستطيع الإنسان أن يقتصر على استعمال استراتيجية واحدة في كل سياقات خطابه، فهذا جمود في التفكير، كما أن الاستراتيجيات تتفاضل فيما بينها، وذلك عائد إلى الآليات اللغوية والأدوات التي تتجسد من خلالها، وقد لا ينتبه الناس لكل ذلك، كما قد لا يتيسر لهم فهم ومعرفة هذه الاستراتيجيات في مراحل الاكتساب اللغوي والتداولي، مما يجعل من هذا القصور سبباً في حدوث كل زلات اللسان وآفاته، فقد تكمن زلة اللسان في عدم التناسب بين الخطاب و بين السياق، وكفى بذلك إرهاباً بفشل المرسل في تحقيق أهدافه، أو في بيان مقاصده.²

و تتبوأ الاستراتيجيات في الخطاب مكانة مهمة، فهي طرائق توصل المقاصد وتعين على إدارة دفة الحديث، وبها يكمن التوافق مع سياق الخطاب أيًا كان نوعه، سواء أكان سياقاً عاماً أم سياقاً خاصاً، وتختلف الاستراتيجيات من مرسل إلى مرسل آخر.

¹ - ينظر: ميغان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص 89.

² - ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، دار هومة، الجزائر، 1997م، ص 16.

ويظل إنتاج الخطاب وفقا لها أمرا ضروريا، خصوصا في عصرنا الحاضر، وعليه فإن من المهم الكشف عنها وسير أغوارها، وإنزالها منزلتها، ولفت الانتباه إلى قدراتها الكامنة التي تتجلى من خلالها مهارة المرسل وكفاءته التداولية. ولهذا، تعنى استراتيجيات الخطاب بدراسة اللغة في الاستعمال، مما يتطلب منهجا يعتد بالسياق الذي تستعمل فيه وأثره على بنية الخطاب ومعناه، وهذا ما يوفره ما عرف في المناهج اللغوية الحديثة بالمنهج التداولي، كونه يتأسس على مفاهيم عديدة تُولف فيما بينها محاوره التي يتشكل منها وأطره العامة التي توضح معالمه.

المبحث الثاني : الإقناع ، مفهومه ، استراتيجياته ، ركائزه

تمهيد :

إنّ القراءة المجردة لواقعية المجتمعات الإنسانية على اختلافها و تشعب مشاربها و انشغالاتها تجعلنا ندرك أنه لم تعد تجدي كثرة الردود و المناظرات و مجالسهما بالرغم من كثرة وجودهما على مر العصور ، حيث ما يزال الجدال قائما، بل يتفاقم و لا ينقص، فلا نكاد نرى مجموعة من الناس تتفق مع الأخرى، بل كثيرا ما نرى الفئة الواحدة تنشق على نفسها، فتصبح فئات المتعددة، مع أن كل فئة تزعم أنها على الحق و أنها تحتكم الى العقل ! و الحقيقة أنه بعد طول نظر و تفكير عميق في الأمر تتولد لدينا " قناعة" أن أول الأسباب التي أدت إلى هذا الخلاف هي غياب الثقافة الإقناع ، فلا يمكننا أن نقنع أحدا إلا إذا أراد هو أن يقتنع، و لا يمكن أن يقتنع أحد بأي حجة مهما مانت منطقية دامغة ما لم يكن طالبا للاقتناع راعبا فيه، و السبب في ذلك أن الإقناع عملية يشترك فيها العقل و القلب .

1- مفهوم الإقناع (persuasion) :

- لغة : ذكر ابن فارس (ت 395 هـ) في معجم مقاييس اللغة أن الثلاثي (قنع) له أصلا ن صحيحان و ثالث شاذ على النحو الآتي :

الأول : الإقبال على الشيء و الرضا به و هو الإقناع .

الثاني : يدل على استدارة في شيء، كقناع المرأة لأنها تديره على رأسها، و هو القنْعُ . بكسر القاف و سكون النون . و القناع.

الثالث : - يرى أنه شاذ عن الأصل - (الإقناع) بمعنى ارتفاع الشيء ليس فيه تصوب¹

أو كما في لسان العرب : " رفع الرأس في اعوجاج " ²

و قريب منه " رفع الرأس و النظر في ذل الخشوع " ³

و لا ريب أن المعنى الأول هو الأقرب الى مُراد دراستنا هذه ، مما يجعلنا نوجه النظر اليه دون غيره .

و نجد في المعجم الوسيط تحديدا أكثر لمعنى الاقتناع ، بأنه القبول بالفكرة او الرأي أو الاطمئنان اليه ، و هذا أدق من

مجرد الرضا : " اقتنع : قنع - بالفكرة أو الرأي - و قبله و اطمأن إليه . " ⁴

- اصطلاحا :

أ- عند العرب :

نجد من التعريفات للإقناع :

- أنه " عملية أو طريقة يتم بواسطتها انتقال المعرفة من شخص إلى آخر ، أو إلى مجموعة من الأشخاص حتى تصبح

قاسما مشتركا و تؤدي الى التفاهم فيما بينهم " ⁵

فإذا استطعنا اختيار الطريقة المناسبة تمكنا من تغيير معتقد إنسان ما اتجاه قضية معينة، و عندها نستطيع أن نغيّر موقفه

و من ثم معرفة سلوكه لتصب تصرفاته في الهدف الذي أقنعناه به، وهذا ما يزيد من أهمية معرفة الأساليب و الطرائق التي

تؤدي الى الإقناع .

- أنه " عمليات فكرية و شكلية يحاول فيها أحد الطرفين التأثير على الآخر، و اخضاعه لفكرة ما " ⁶

¹ - أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، (مادة قنع)، تح: عبد السلام هارون، ج 5، دار الفكر، سوريا، ط1، 1979، ص 32، 33.

² - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، ج8، مادة (هطع)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص 372 .

³ - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (قنع) ، ص 299.

⁴ - إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد نجار، المعجم الوسيط، مادة (قنع)، تح: مجمع اللغة العربية، ج 2، دار الدعوة، مصر، ط 3، 1998م، ص 763

⁵ - سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، الأصول التطبيقية للإعلام الإسلامي ، دار عالم الكتب للنشر و التوزيع ، الرياض ، 1996 م ، ص 43 .

⁶ - عبد الله بن محمد العوشن ، كيف تقنع الآخرين ، دار العاصمة للنشر و التوزيع ، الرياض ، ط1، 1413 هـ ، 1992 م ، ص 26 .

فالإقناع عملية فكرية ذات أصل حجاجي لكونه ينطلق من تقديم مجموعة من الحجج و البراهين ، فهو يتجسد في أنماط مختلفة من القول، بما في ذلك الجدل، و لعل ما يسمح بتبيين أهمية ثقافة الإقناع و فعاليتها الحجاجية هو إدراك ذلك التفاعل من خلال المعنى في المقام التواصل .

- يعرفه حازم القرطاجي في كتابه "منهاج البلغاء " فيقول : " هو حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو اعتقاده"¹ أي : القدرة على جعل المتلقين يؤمنون بصواب و صحة أفكار محددة ، أو جعلهم يتخلون عن أمور و أفكار كانوا يعتقدون صوابها و صحتها .

و يظهر هذا المعنى جليا عند الجاحظ- إن لم يرد بلفظه - فيما أكده حول مكانة الكلام البليغ ووقعه في النفوس، إذ يقول : " إذا كان المعنى شريفا و اللفظ بليغا و كان صحيح الطبع ، بعيدا عن الاستكراه ، و كان منزها عن الاختلال مصونا عن التكلف ، صنع في القلب صنع الغيث في التربة الكريمة"².

فالقائم بالإقناع لابد له من شروط يتقيد بها كي ينجز العملية الإقناعية، و تكمن هذه الشروط في إلزامية الاعتناء بالخطاب شكلا و مضمونا، فإن فعل ذلك حصل الإقناع لدى الملتقى ، و تأثر كتأثر التربة الكريمة بالغيث النافع .

و من التعريفات أيضا نجد الدكتور طه عبد الرحمن الذي وظف مصطلح "الإقناعية" في شروط التبادل اللغوي و عرفها بقوله : " عندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته ، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه ، و لا تدرج على منهج القمع ، و إنما تتبع في تحصيل غرضها سُبُلًا استدلالية متنوعة تجر الغير جَرًّا الى الإقناع برأي المحاور"³

بمعنى أن القائم على الإقناع لا يمكنه إكراه أي إنسان على اتخاذ موقف ما، أو حمله على التصرف بطريقة معينة، لأنه مجبول بطبعه على رفض الإكراه و التمرد عليه و لو كلفه ذلك ما كلفه، كما أن الإكراه و المضايقة يوجبان المقاومة و يورثان النزاع، بينما الإقناع و المحاورَة يُقيان على الود و الألفة، و يقودان إلى التغيير بسهولة و يُسرِّ و رضاً .

و يمكن القول بشكل مبسط و شامل بأنه : " فعل متعدد الأشكال يسعى لإحداث تأثير أو تغيير معين في الفرد أو الجماعة "¹.

¹ - حازم القرطاجي، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3 ، 1986م ، ص 20

² - أبو عثمان الجاحظ، البيان و التبيين ، تح عبد السلام محمد هارون، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دت)، ص37.

³ - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط3 ، 2007م ، ص 38 .

و قد شمل هذا التعريف ثلاث جمل :

الجملة الأولى : " فعل متعددة الأشكال " : يعني فعل يحدث بأشكال كثيرة و شتى، وإن كانت الفكرة الأساسية أو الأسلوب واحداً، فباعتبار الوسيلة بشكل عام، هناك الحديث أو ما في حكمه من الكتابة أو الإشارة، وهناك الممارسة العملية بالمواقف و التصرفات أو غير ذلك، و باعتبار الأسلوب يكون الإقناع بالحجة أو بالتأثير في العاطفة و ذلك بالنظر الى التكوين العقلي و العاطفي للإنسان .²

و باعتبار الوضوح يكون مباشراً و غير مباشر ، و باعتبار القائم به يمكن أن يصدر من فرد و يمكن أن يصدر من جماعة، وباعتبار الغاية يمكن أن تكون سلبية، و يمكن أن تكون إيجابية ، و الحكم في ذلك أمر تقديري نسبي، فقد يحكم طرف بأنها سلبية و الطرف الآخر بأنها إيجابية .

الجملة الثانية : " يسعى لإحداث تأثير أو تغيير معين " .

و يعني هذا أن الإقناع يرنو للتأثير في الآخر بشكل عام أو جزئي سواء كان ذلك في الفكر و السلوك أو في أحدهما .

الجملة الثالثة : " في الفرد أو الجماعة " .

و يعني أن ممارسة الإقناع و التأثير قد يكون موجهاً إلى فرد بعينه كما في الدعوة الفردية و كما بين المرء و زوجته أو الوالد لأحد أبنائه أو طبيب لمريضه ، أو تكون موجهة إلى مجموعة تمثل مجتمعاً نوعياً كمجتمع التجار، أو جنسياً كالرجال أو النساء ، أو أمة و نحو ذلك .

نلاحظ من خلال ما سبق أن الإقناع عملية في التبادل الحوارية و ذلك من خلال فاعلية التأثير لدى المتلقي، و هذا في حدود الحوار الهادئ و المشاركة الهادفة ، كما أنه أفضل وسيلة لاستمالة الناس و التأثير فيهم، لأنه عملية تبدأ من المقتنع نفسه قبل أن تحرك الفطرة الإنسانية و الشعور العميق في الغير، و من هذا المنطلق فإن العنيد الذي لا يعرف الاقتناع، لا يمكن أن يعرف حقيقة الإقناع، ومع ذلك، فإنه لم يعد غريباً أن يتعرض الإنسان في حياته اليومية لمحاولات إقناعيه عديدة ، إذ حيثما توجه و مهما عمل ، فهناك من يحاول تغيير رأيه أو موقفه حول شيء معين .

ب- الإقناع عند الغربيين (persuasion) :

¹ - ينظر: إبراهيم بن صالح الحميدان ، الإقناع و التأثير (دراسة تأصيلية دعوية) مجلة جامعة الإمام ، كلية الدعوة و الإعلام ، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية ، العدد 49 ، محرم 1426 هـ ، ص 247 .

² - محمد عبد الله بن مسعود دراز ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم، الكويت، ط3، 1977م، ص 113 .

أما الإقناع عند الغربيين فيتناول تلك العملية الاتصالية التي تحدث النتائج، وهذا ما ذهب إليه ليونيل بلينجر (belenger Lionel) في تعريفه للإقناع حيث يقول: " ما هو إلا تغيير فحائي لفعل على الآخر ".¹

و يحدد مفهومه ولبرشرام (welberchram) و دونالد روبرت (donald robert) بأنه: "عملية اتصال تتضمن بعض المعلومات التي تؤدي بالمستقبل إلى إعادة تقييم إدراكه لمحيطه أو إعادة النظر في حاجاته و ظرف التقائهما، أو علاقته الاجتماعية، أو معتقداته، أو اتجاهاته".²

بمعنى أن الإقناع هو عملية اتصالية بين الفرد و المجتمع الذي يجبره على تغيير سلوكه، ويفرض عليه ممارسة عادات أخرى من شأنها أن تتفاعل معه وفق العقد الاجتماعي .

و يقدم هنريش بليث (Henrich Bleet) تعريفاً آخر للإقناع فيقول بأنه: " قصد المتحدث الى إحداث تغيير

في الموقف الفكري أو العاطفي عند المتلقي ".³ و بهذا يقتصر الإقناع حسبه على تغيير المواقف سواء أكانت فكرية عقلية أم شعورية انفعالية دون العمل بها .

و في تعريف لباتريك شارودو (Patric Charodou) و دومينيك مانغونو (Dominic Mangono) يعتبران أن الإقناع حالة عقلية مرتبطة بفعل الخطاب ، و تحليل عملية الإقناع عندهما " تدعو إلى تحليل الاعتناق و خطابات الاعتناق و المعتنقين التي تؤثر بلوغ الغاية ... و لا ينظر الى الإقناع على أنه مجرد حالة عضلية ، أي انحراف العقل، و إنما العمل الذي يتم في الاتجاه الذي يوحي به الخطاب ".⁴

معنى هذا أن نوعية الخطاب هي محور العملية التواصلية، و سمة الخطاب هي أساس الاقتناع و روحه، فثمار الإقناع لا تكون إلا ببذور الخطاب الذي يعتبر الموجه الرئيس و المرشد الحقيقي للعقل .

نستنتج من التعريفات السابقة أن الإقناع عند الغربيين عملية واعية تستهدف تغيير المواقف و الاعتقادات و التوجيهات لدى المتلقين للخطاب دون إكراه أو قسر أو عنف .

¹ - بدون و بو ريكورد، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، تر : سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1، 1986 م، ص 96 .

² - جيهان أحمد رشتي ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 2، 1978 م ، ص 20 .

³ - هنريش بليث ، البلاغة و الأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النصوص، ترجمة و تقديم و تعليق محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 2 ، 1999م، ص 102 .

⁴ - باتريك شارودو و دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري و حمادي محمود، دار السيناترا ، تونس، طبعة 2008م ، ص

4 - استراتيجيات الإقناع :

صحيح أن عملية الإقناع تعتمد أساسا على فن الكلام من خلال ما يعرف بالفصاحة أو علم البيان الذي يستخدم اللغة للتأثير على سلوك الآخرين، لكن من أجل ضبط هذه العملية و ضمان فاعليتها لا بد من طريقة علمية تراعي كل الظروف المحيطة بها، وتعمل على الربط بين فكرة الانطلاق وطريقة التعبير عنها و أسلوب نقلها، لذلك عرض الباحثون ثلاث استراتيجيات نظرية للإقناع ، يخاطب كل منها نفس المتغير التابع ، وهو السلوك العلني، وتتمثل هذه الاستراتيجيات فيما يلي :

أ - الاستراتيجية الدينامية النفسية:

تعتمد هذه الاستراتيجية على العامل السيكولوجي لإحداث عملية الإقناع و التأثير في سلوك الفرد بواسطة إثارة الجوانب العاطفية و الانفعالية فيه، وتوظيفها بشكل يؤدي بالفرد إلى تقبل ما يتلقاه أو الأقل يتحارب معه تجاوبا إيجابيا "و يعتمد الواضعون لهذه الاستراتيجية إلى تحديد مجموعة خطية من المفاهيم هي المعبر عنها بالحاجات النفسية و الدوافع والمعتقدات والمصالح ، وأسباب القلق والمخاوف والقيم و الآراء و المواقف، و تعتبر هذه العناصر بواعث أساسية لسلوك الفرد، ومعيار فهم اختبارات السلوك لدى الفرد و تفضيلاته و أولوياته أي : إنها البوابة الرئيسية لفهم أعمق لعملية الإقناع والتأثير"¹. إلا أن تعديل التصرفات و تغيير السلوك يتباين من فرد إلى آخر على حسب تأثير هذه العوامل و البواعث فيه .

فالمسارات التي تخططها هذه الاستراتيجية تسعى الى تقويم سلوك الفرد بإثارة العوامل العاطفية أو العوامل الإدراكية، لأن من المستحيل تعديل عامل بيولوجي كالطول او القصر أو الجنس...² .

و حتى يكون ذلك يتخذ المتكلم طريقة خاصة في تقديم رسالته تكون لها القدرة على تغيير سلوك الفرد عبر نافذة الوظائف السيكولوجية النفسية، بمعنى أن مفتاح الإقناع يمكن في تعليم الفرد معلومات جديدة يقدمها له المتكلم، فتسهم هذه المعلومات في تغيير البناء النفسي مما يؤدي إلى تعديل السلوك، و هذا يعد جوهر الاستراتيجية النفسية³ .

ب - الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية :

¹ - عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي خلفياته النظرية و آلياته الاجتماعية ، ديوان المطبوعات الجامعية الاجتماعية ، الجزائر (د.ط)، 2000م ، ص 51.

² - ينظر: معصم باكر مصطفي، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، (د.ط)، 2003م، ص 38.37.

³ - ينظر دلفليز ملفين، وساندر بروكتيش، نظريات وسائل الاعلام، تر:كمال عبد الرؤوف، الدار البيضاء، المغرب، 2004م، ص 380.

المباني المعرفية التي تقوم عليها هذه الاستراتيجية في تحقيق التأثير و الإقناع في المتلقي هي مبان خارجية، عكس الاستراتيجية النفسية التي تعتمد الجانب العاطفي و الإدراكي الداخلي للفرد في تعديل و تغيير سلوكه ، فثقافة المجتمعية و الأعراف و التقاليد تشكل السلوك البشري، فضلا عن ذلك تتحكم في الأنماط السلوكية الخاصة بالفرد، لأنها تمثل الخلفية المعرفية لذلك السلوك ، فالثقافة انعكاس للسلوك ، و السلوك انعكاس للثقافة¹.

إذًا الآليات التي تشتغل عليها هذه الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية في تحصيل الإقناع هي تغيير ثقافة المتلقي ، لأن الثقافة تشكل قوة عظيمة تسهم بشكل كبير في تعديل سلوك الفرد و تغييره، و هذا ما توصلت اليه الدراسات الاجتماعية.²

ج - استراتيجية إنشاء المعاني :

يتأسس هذا النوع من الاستراتيجيات على مفاهيم (الأثنروبولوجيا) القاضية بأن المعاني ترتبط بشكل مباشر باللغة التي عن طريقها يكشف المتكلم عما يجول في خاطره ، و يقف أمام العالم الخارجي بناءً على ما يحمله من معان، و هذه البنية المعرفية الداخلية للمتكلم تزوده بتعريفات للمواقف التي تواجهه، فالتكلم يحكم على العالم الخارجي و يتبنى سلوكيات خاصة في ضوء المعاني و المعارف الداخلية له.³

فاللغة القاعدة الأساسية في هذه الاستراتيجية لأن تُبنى المعاني الداخلية للمتكلم التي بها يتشكل سلوكه و يواجه العالم الخارجي، فالمنظومة المعرفية الداخلية للمتلقى هي أساس في أي تغيير، و ما السلوك إلا مظهر من مظاهر هذه المعرفة . و عموما يمكن تلخيص هذه الاستراتيجيات في الآتي :

الاستراتيجية النفسية تهدف إلى التعديل أو تمشيط العامل العاطفي للفرد، بينما تهدف الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية إلى صياغة أو تعديل التعريفات لسلوك اجتماعي متفق عليه من قبل الجماعة، أو تعيد تحديد متطلبات ثقافية او قواعد سلوك للجماعة من خلال أدوار محددة أو مراتب أو عقوبات، فيما تهدف استراتيجية إنشاء المعاني إلى خلق معان جديدة، أو تغيير معان راسخة داخل أي مجتمع من المجتمعات .

¹ - ينظر : عامر مصباح، المرجع السابق، ص 52

² - ينظر : دلفير ملفين وساندرا بروكتيش، المرجع السابق، ص 386

³ - ينظر : عامر مصباح ، الإقناع الاجتماعي خلفياته النظرية و آلياته الاجتماعية ، ص 54.

5- أسس الإقناع و ركائزه :

ينبغي لعملية الإقناع أن تستجيب لضوابط واضحة و تتركز على قواعد معينة من جملتها :

- الاقتناع و الأسلوب الحسن :

- على القائم بعملية الإقناع أن ينطلق من اقتناعه هو أولا بالفكرة التي يسعى إلى نشرها، لأن أي تذبذب سيكون كفيلا بأن يحول بينه و بين إيصال الفكرة لغيره.¹

وعليه أن يكون سهل الأسلوب، واضحا في تقديم الحجة و الدليل، بعيدا عن الغموض، فلا يثير أية مصاعب عقلية للفهم و الاستيعاب ، كما عليه أن يتميز بالقدرة على التنوع في الأساليب من أجل معالجة كافة القضايا، " لأن عمليات الإقناع تحتاج الى أسلوب القوة، كما تحتاج الى أسلوب اللين، وقد تحتاج الى أسلوب المواجهة بالخطأ، أو أسلوب المحاكمة العقلية أو أسلوب التعميم و عدم المواجهة".²

و هنا يأتي دور القائم بعملية الإقناع و قدرته على استخدام الأسلوب المناسب في الموقف المناسب و الوقت المناسب، لأن حيز الاختيار بين مختلف الأساليب سيكون متنوعا متعددًا واسعًا.

- القدرة على اختيار الألفاظ الدقيقة :

على القائم بعملية الإقناع أن يحسن انتقاء الكلمة الطيبة ذات المعاني المحصورة و المحددة، وأن لا يعجز عن الرد على تساؤلات المتلقي. يقول الفيلسوف الفرنسي فولتير : " قبل أن أناقش أي شيء معك عليك أن تحدد ألفاظك".³ كما ينبغي حسن توظيف الأدوات المختارة بغرض التأثير و الإفهام كأدوات الربط اللغوية كالتى يوظفها مستخدمو المنطق للاستدلال و البرهنة و الاستنتاج مثل : بما أن، إذًا، و حينما يكون، ومنه... الخ .

فهذه الأدوات و الألفاظ فيها شيء من تحديد الفكرة و حصر المعنى ، و تجنب ما يفضي إلى تأويلات و تعميمات ذات معان واسعة تحتاج الى الوضوح و الدقة .

- تجنب الجدل العقيم و استعمال المنطق السليم المستند إلى البرهان الصحيح :

¹ - ينظر : وفاء محمد مصطفى ، تحكّم في سلوكك الشخصي تُحقّق التميز و النجاح، دار ابن حزم، القاهرة ، ط1، 2006م، ص 185.

² - عابد بوهادي، أنثروبولوجية الحوار و ثقافة الاقتناع، مجلة فصل الخطاب، العدد04، جامعة ابن خلدون، تيارت، جوان 2013م، ص 51 .

³ - ينظر : وفاء محمد مصطفى، تحكّم في سلوكك الشخصي، ص 185 .

إن منزلة المرء مرهونة باهتماماتها الذهنية، فكلمت سمّت هذه الاهتمامات ارتقت منزلته، ولا ترتقي هذا الاهتمامات و تسمو إلا بالاستقلالية في التفكير و التحرر من رقة التقليد و النأي عن الخرافات، لذلك ينبغي أن يقوم الإقناع على المنطق، ويستند إلى البرهان، فهذا من أولى طرق المناقشة و التفاهم و الحوار المفيد و الجدل المحمود . فلا يقحم المرء نفسه في الجدل الذي يجعله يفقد صديقا ، أو يخسر اكتساب آخر، و يفضي به إلى ابتعاد الآخرين عنه و اجتنابهم له خشية النتيجة ذاتها.

من هنا فإن الجدل لا بد أن يكون مصحوبا بالعقل الرزين و المنطق السليم " فالجدل العقلي تصعب ممارسته بمعزل عن حرية العقل، فليس للإنسان أن يجادل إلا فيما لا يقتنع به، و لا أن يسأل إلا عمّا لا يطمئن إليه قلبه ".¹

– حسن التخطيط عند بناء الحوار والتدرج المرحلي أثناء القيام بعملية الإقناع :

إن من حسن التخطيط أن يبنى الحوار بناء محكما فيؤسس على عناصر وظيفية تؤدي عند تثبيتها إلى نتائج مرجوة، كأن يجلل موضوع الحوار إلى عنصريين أساسيين هما :

أ (المقدمات المنطقية :

يقصد بالمقدمات المنطقية تلك البيانات أو الحقائق أو الأسباب العقلية الموضوعية التي تستند إليها النتيجة و تفضي إليها.²

ب (النتيجة : و هي ما تفضي إليه مقدمات الحكم .³

بينما يعد التدرج من أبرز الركائز التي يبنى عليه الإقناع ، حيث يأتي في صدارة الأساليب الفعالة لإقناع المرء، ويتوافق مع طاقته الاستيعابية وقدراته العقلية، ويتفق وطبيعة الخلق. فمن الضروري أن نتبع أسلوب التدرج مع أي إنسان نريد استمالاته و جذبه ثم التأثير فيه و إقناعه، لأن ذلك لا يمكنه أن يتحقق بين لحظة و أخرى ، و من ثم فإنه لا بد من التحضير و التهيئة بذلك منذ البداية مع توخي الحذر في العوامل المؤثرة في مراحل سير عملية التدرج مما يقتضي أن

¹ - عابد بوهادي، أنثروبولوجية الحوار و ثقافة الإقناع ، ص 53 .

² - ينظر: أبو علي بن سينا، الإشارات و التنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، ج 1، مؤسسة النعمان، بيروت، 1413 هـ، 1992 م، ص: 460 .

³ - ينظر: محمد رواس قلعة جي، حامد صادق القنبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت، ط 1، 1405، 1985م، ص: 475 .

نستهل بالأهم ثم المهم، إذ المطالبة بالافتناع دفعة واحدة توجب التنفير " كما أن إلقاء جميع العلوم على المتعلم مرة واحدة يؤدي الى تضييع الكل".¹

فمن الحكمة انتهاج أسلوب التدرج والتحلي بالصبر والأناة وعدم الاستعجال في طلب استجابة الناس، فعن طريق هذا الأسلوب يستقبل الإنسان ما نود إيصاله إليه على جرعات تتوافق مع ملكاته و قدراته .

- التسليم بالحقيقة و الابتعاد عن مضايقة الطرف الآخر :

من الأسباب التي تعزز حسن إدارة الحوار و تدعّمه أن نقر بالحقيقة ونسلم بها حين تتجلى على لسان المتلقي، لأن إنكارنا لها تشعر الطرف الثاني بأننا نبحت عن المرء و الانتصار لأنفسنا، مما قد يدعو الطرف الآخر إلى العناد و التعصب، بل علينا أن نحترمه و نعتز بصواب رأيه ثم بعد ذلك نقدم له الحقائق التي تشعره بمصداقية معلوماتنا وواقعية كلامنا، بالإضافة الى تقديم الحجج المثبتة أو المرجحة لما ندعيه و نصوبه الى إثباته، قال تعالى: ﴿لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ أَن يَدْعُوا بِهِمْ وَيَقُولُوا سُبُّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أُولَئِكَ حَتَّىٰ تَأْمُرُوا بِالْعَدْلِ وَالْأَعْدَاءُ كَالسُّبْحَةِ إِذْ أُولَئِكَ أُقْبِلُوا لِيَوْمَئِذٍ فَأُولَئِكَ آلُكَافِرِينَ﴾²

الزلي: ٤٦.

إن المهرة من المتخصصين في فنّ الحجاج، القادرين على الإقناع " الذين يتحلون بفقهِ الحوار وكفاءته"²، هم من يذرون الباب مفتوحا كي يتمكن الطرف الآخر من العزوف و العدول عن موقفه السابق و الانسحاب مع الحفاظ على ماء الوجه .

- الإنصات للمتلقي و التحدث من خلال شخص ثالث :

إذا كنت صاحب الحوار ومكلفا بعملية الإقناع فلا تقاطع الطرف الآخر، ودعه يعرض قضيته، "فإن للإنصات سحرا مؤثرا، فإنك إن قاطعته أثناء عرضه تقوم بجرحه وصدده، ولن يتحول اليك هو أيضا لكي ينصت إلى أفكارك".³

فكما نتحدث باهتمام أنصت باهتمام، وهذا ما يساعد المتلقي على الكلام و متابعة كلام بدقة و يشعر بتفاعل معه و اهتمامك به وعدم مقاطعته، وحاول أن تتحدث من خلال شخص ثالث ، فإن ذلك له قيمته، لاسيما عندما يظهر خلاف في الرأي وترغب في الطرف الآخر أن يقتفي طريقك و يتبنى رؤيتك، فالناس يشككون عادة فيما تعرضه عندما

¹ - ينظر : عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلم و أساليبه في التعليم، دار البشائر الإسلامية ، بيروت، ط2، 1417 هـ، 1997م ، ص: 77 .

² - منى إبراهيم إسماعيل اللبودي ، تنمية فنيات الحوار وأدابه لدى طلب المرحلة الثانوية ، رسالة الدكتوراة بكلية التربية ، جامعة عين الشمس، القاهرة ، 2000م ، ص: 86 .

³ - ينظر : عابد بوهادي ، أنثروبولوجية الحوار وثقافة الإقناع ، ص 77.

موسى أي غلبه بالحجة [...] والحجة الدليل والبرهان يقال حاججته فأنا محاججٌ وحجيجٌ فعيل بمعنى فاعل ومنه حديث معاوية: فَجَعَلْتُ أَحْجُجٌ خَصْمِي أَي أَعْلَيْتُهُ بِالْحُجَّةِ¹.

أما ابن فارس (1411هـ - 1991م) في كتابه (مقاييس اللغة) فيعرف الحجاج على النحو الآتي: (يقال حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج. والمصدر الحجاج)².

وكذلك تناول الزمخشري (1412هـ - 1992م) كلمة حجاج في كتابه (أساس البلاغة) حيث يقول: (حجج: احتج على خصمه بحجة شهباء وبحجج شهب وحاج خصمه فحججه، وفلان خصمه محجوج وكانت بينهما محاجة وملاجة)³.

يتجلى لنا من خلال هذه التعاريف الثلاثة، أنّ اللغويين العرب القدامى يتفقون على أنّ الحجاج يكون أثناء المخاصمة بين شخصين، حيث اعتبروا الحجة وسيلة يستعملها الباث للتغلب على خصمه وهذا ما ورد في التعريف الأول (الحجة ما دافع به الخصم) وفي التعريف الثاني (ما حاججت فلان فحججته أي غلبته بالحجة...الخصومة) وفي التعريف الثالث (احتج على خصمه بحجة شهباء) ولهذا فالحجاج عند العرب القدامى يحمل طابع الخصومة والمنازعة نظرا لما يحدث بين شخصين من محاورة.

1-2- اصطلاحا:

تذهب معظم التعاريف الاصطلاحية للحجاج إلى أنّ الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين المتكلم والمستمع حول قضية ما، متكلم يدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير والمستمع له حق الاعتراض عليه إن لم يقتنع، ولذلك يعرف طه عبد الرحمن الحجاج على أنه "كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها"⁴. ويتوسّع هذا الكاتب أكثر في مفهوم الحجاج في كتابه (في أصول الحوار وتحديد علم الكلام) وذلك من خلال مقارنته بالبرهان حيث أعطى للحجاج صفتين رئيسيتين (فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية ويهدف إلى الاشتراك

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج، مج2، ص 228.

² - أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، مقاييس اللغة، ج2، ص 30.

³ - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ط1، 1979م، ص 113.

⁴ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوّن العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997، ص 226.

جماعيا في إنشاء معرفة عملية إنشاءً موجهاً بقدر الحاجة¹، فالصفة التداولية للحجاج تمنح الفرصة للجميع للاشتراك فيه دون استثناء ومن أي مستوى على عكس البرهان الذي يتّصف بالقواعد والتمايز في المستويات.

أما الصفة الثانية للحجاج فتتمثل في كونه "جدلياً لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيّقة، كأن تبني الانتقالات فيه لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان بل على هذه الصور مجتمعة على مضامينها أيما اجتماع وأن يطوي في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج².

فمن خلال هذه الصفات نستشف أنّ الحجاج أوسع من البرهان ذلك أنّ البرهان منحصر في قواعد معروفة فهو كآلة تعيد فقط هذه القواعد على خلاف الحجاج الذي يتّسم ببنيات واسعة ويتيح مقدمات كثيرة للحصول على نتائج كثيرة.

إنّ هدف الحجاج هو هدف إقناعي كما قال طه عبد الرحمن سابقاً، ويذهب إلى نفس هذه الفكرة عبد الهادي بن ظافر الشهري حيث عرّف الحجاج بربطه بالإقناع فيقول: "الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللّغة فيها وتتجسّد عبرها إستراتيجية الإقناع"³، فليس هناك مرسل يرسل خطابه هباءً، بل من وراء كلّ خطاب هدف معيّن وهو الاستمالة والتأثير عن طريق الحجج اللّغوية وحتى غير اللّغوية كالإشارات والإيماءات.

أمّا فيليب بروتون (Philippe Breton) فهو بدوره يرى أنّ الحجاج عملية تواصل مع الآخر من أجل التغيير و التأثير، و هذا التأثير ينتج من خلال استعمال وسائل وأدوات مختلفة ومتعددة وذلك في قوله: "الحجاج وسيلة قويّة يهدف إلى تقسيم وجهة النظر مع الغير) والذي يمكن أن تكون من نتائجه التأثير) مستبعداً ممارسة العنف المقنع مستعينا بالإغواء أو البرهنة العلمية"⁴، فالعنف في الإقناع يؤدّي إلى نفور المرسل إليه، على خلاف المراوغة التي تؤدّي به إلى حضور حدث ما خيالياً، أو الاستعانة بالبراهين التي يشاهدها أمامه والتي تؤدّي به إلى التسليم وتغيير وجهة نظره.

1 - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكتاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص65.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص456.

4-Philippe Breton ,L'argumentaion dans la communication,3éd,La découverte,Paris.2003,P6.

نلمح من خلال هذه التعاريف أن الحجج يعتمد أساسا على مرسل ومرسل إليه ، حيث إنّ الدور الكبير في هذه العملية يعود إلى المرسل نظرا لما يبذله من جهود ذهنية للحصول على حجج مقنعة، وعلى المرسل أن يكون بارعا في انتقائه لهذه الحجج نظرا لتفاوتها في درجات الإقناع.

2- أنواع الحجج:

عرض طه عبد الرحمن في كتابه (اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي) ثلاثة أنواع من الحجج: الحجج التجريدي والحجاج التوجيهي والحجاج التقويمي، ويختلف كل نوع عن الآخر وذلك حسب اهتمامات كل واحد من هذه الأنواع سواء في الشكل أو في المضمون أو في ردّة فعل المتلقي.

2-1- الحجج التجريدي:

هذا النوع من الحجج يهتم فقط بالشكل دون المضمون حيث يعنى بالعبارات دون الاهتمام بمضامينها ومقاماتها، وعليه (فالمقصود بالحجاج التجريدي هو الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان، علما أنّ البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها)¹، فالحجاج التجريدي هنا حسب الدكتور طه عبد الرحمن مجرد من صفة التداولية التي ذكرناها سابقا ويذهب مجرى البرهان.

2-2- الحجج التوجيهي:

هذا النوع من الحجج يهتم فقط بالمخاطب وانشغاله بإيصال رسالته إلى المخاطب دون الاهتمام برّد فعل المخاطب ورأيه "فالمقصود بالحجاج التوجيهي هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما أنّ التوجيه هنا هو فعل إيصال المستدل إلى غيره ، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إقائمه، ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها وردّ فعله عليها ، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير

¹ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226.

أن قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلائقي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعاً بحق الاعتراض¹. وعلى عكس هذا النوع من الحجج هناك نوع آخر يهتم بالمخاطب ورأيه هو الحجج التقويمي.

2-3- الحجج التقويمي:

هذا النوع من الحجج لا يتوقف في حدود المخاطب وخطابه فقط بل يهتم أيضاً برّد فعل المخاطب، والمقصود به إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن مجرد من نفسه ذاتاً ثانية ينزّلها منزلة المعارض على دعواه، فهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجّة إلى المخاطب واقفاً عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل المتلقي باعتباره هو نفسه أول متلقٍ لما يلقي (فيبي أدلته أيضاً على مقتضى ما يتعين من المستدل له أن يقوم به مستبقاً استفساراته واعتراضاته ومستحضراً مختلف الأجوبة عليها ومستكشفاً إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها)².

ويبدو أنّ طه عبد الرحمن في هذا النوع من الحجج قد أعاد الاعتبار للمتلقى ودوره الفعّال في العملية الحججية نظراً لما يثيره من اعتراضات على قول المرسل، حيث إنه إذا اكتفى الحجج بأقوال المدعي فقط دون اعتراضات المتلقي لن يكون هناك نزاع بين الطرفين وبالتالي يفقد الحجج قوته.

ومن أجل كل ذلك يمكن أن نقول: إن الحجج التقويمي هو أفضل أنواع الحجج نظراً لما يوفره من شروط في العملية الحججية.

3- سمات النصّ الحجج:

إن الاستعمال الاجتماعي للكلام يبرز للحجاج سمة مميّزة وفذة، فكل حجّة تفترض حجّة معاكسة مضادة ولا وجود البتّة لحجاج دون حجج مضادّة، باعتبار أنّ (الحقيقة) متى انبجحت و تنزّلت في إطار العلاقات الإنسانية والاجتماعية صعب إدراكها واستيعابها من الوهلة الأولى، وأضحّت محلّ نزاع و جدال في غياب الحجج المادية و الموضوعية.

فميدان الحجج إذاً ليس الصادق الضروري- وهو ما يميّزه عن البرهنة - وإمّا الممكن المحتمل؛ لذا يقول جيل

دكلارك (Gilles Declerq) "إنّ الحجج وهو يتّخذ من العلاقات الإنسانية والاجتماعية حقلاً له يبرز كأداة

¹ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوّن العقلي، ص 227.

² - المرجع نفسه، ص 228.

لغوية وفكرية تسمح باتخاذ قرار ميدان يسوده النزاع وتطغى عليه المجادلة.¹
 والواقع أنّ التعريفات التي قدّمت للحجاج تنتهي في أغلب الأحيان إلى الحديث عن النصّ الحجاجي مقارنة
 إيّاه بما باينه من النصوص، علّما تنجح في توضيح هذا المفهوم بشكل علمي دقيق، فتلجأ بذلك إلى طريقة في التعريف
 قديمة ولكنها ناجعة تقوم على بيان نقاط التماثل والاختلاف.

فيعرّف النصّ الحجاجي بما ليس في غيره ويتجلّى للأذهان بما يميّزه ويشكّل خصوصيته، ولذا فإنّه من الممكن
 تقسيم النصوص من حيث خصائصها المميزة إلى الأقسام التالية:²

3-1- **النصّ الخبري: (Informatif texte)**: وهو نص يستجيب إلى هدف أساسي يتمثل في الإعلام
 والإخبار والتنبيه، هذا الصنف من النصوص ينشد عادة هدفا ثانويا هو نشر ضرب من المعارف الأمر الذي لا ينزّهه
 عن اعتماد الشائعات وترديد ما يقال وما يتناقل فيسقط أحيانا كثيرة في ضرب من الهذر والثرثرة .

3-2- **النصّ التحليلي: (texte Analytique)**: هذا الصنف من النصوص يرصد لنفسه هدفا أساسيا
 هو الفهم، فيقوم تبعا لذلك على عمليّتي الشرح والتأويل وما يقتضيه من ترتيب وتبديل.

3-3- **النصّ التوجيهي: (texte Editoial)**: إذا تناول قضية ما فإنّه يعتمد إلى بيان مالها وما عليها
 مؤكّدا محاسن موقف ما ومساوئه مثيرا للمبادئ والقيم مدكّرا بالتاريخ.

3-4- **الدراسة: (essai)**: لما كان الدّارس مفكرا قبل كل شيء كان من الطبيعي أن ينشغل هذا الصنف من
 النصوص بالنظر في قضايا مختلفة وأن يبحث في حلولها بطريقة جادة ومنهج صارم وتفكير بناء.

3-5- **النصّ الرأى: (Texte d'opinion)**: جوهره تقويم لفكرة ما، لهذا يفضل كل النصوص ويحلّه
 القوم قمة الترتيب الشائع لها.

3-6- **النصّ الحجاجي: (Argumentétexte)**: هذا الصنف من النصوص يختلف عمّا سواه من
 جهة هدفه الذي يمكن اعتباره دون ريب برهانيا فإذا كان قصده معلنا واستدلّاه واضحا وأفكاره مترابطة فلأنه يحرص
 كل الحرص على الإقناع: إقناع المتلقي بوجهة نظره أو طريقته في تناول الأشياء، بل قد يحاول حمله على الإذعان دون

¹ - جيل دكلارك (Gilles Declerq)، فن الحجاج: البنى الخطابية والأدبية:

L'art d'argumenter ;structures.rhetoriques et litteraires . المنشورات الجامعية (Editions universitaires) 1992،
 ص 34.

² - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 25.

اقتناع حقيقي فهو نص يلزم صاحبه على نحو صارم بما جاء فيه بل يورّطه بشكل واضح جليّ على هذا النحو يمكن تعريف النص الحجاجي بكونه نصّاً مترابطاً متناغماً "يقوم على وحدة معيّنة لا تكون بالضرورة واضحة جليّة بل قد تأتي على نحو خفي لا نكاد نلمحه وضع لإقناع المتلقي بفكرة ما أو بحقيقة معيّنة عن طريق تقنيات مخصوصة".¹ وقد جمع بنوا رونو سمات النص الحجاجي في النقاط التالية:²

✦ **القصد المعلن:** إنّه البحث عن إحداث أمر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة وهي ما يعبر عنه اللسانيون

بالوظيفة (الإيحائية) (**Conative**) للكلام وقد أدرك رجال الإشهار أهميّة هذا الأمر فنجحوا في استغلال هذا

الشكل الناجح من أشكال التواصل.

✦ **التناغم:** فالنص الحجاجي نص مستدل عليه لذلك يقوم على منطق ما في كل مراحلها ويوظف على نحو دقيق التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلّق الأمر بالفتنة (**L'envoûtement**) أو الانفعال (**L'emotion**) أو إحداث مجرد تقدم (**Progression**) وهو ينمّ من هذا الوجه عن ذكاء صاحبه ويشي بمعرفته الدقيقة بنفسية المتلقي وقدراته وآفاق انتظاره، لذلك نراه يعلن أمراً ويذكر آخر يحتزل فكرة ويسهب في تحليل أخرى يسأل ويجيب بل قد يأتي بالفكرة الواحدة على أنحاء مختلفة، فيتجلّى في نصه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام.

✦ **الاستدلال:** ويعتمد على السياق العقلي، ذلك لأنّ النص الحجاجي نصّ قائم على البرهنة فيكون بناؤه على نظام معيّن تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس، فإذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صورة وجدناها ترتيباً عقلياً للعناصر اللغوية ترتيباً يستجيب لنبيّة الإقناع.

✦ **البرهنة:** إليها تردّ الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مروراً بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولاً إلى أطف فكرة وأنفذها.

وتبيّن الدكتورة سامية الدريدي أنّ هذا التفريغ المتداول للنصوص "يمكنّ فعلاً من حصر سمات النص الحجاجي أو على الأقل يهدينا إلى أبرزها وهي سمات تقودنا ضرورة إلى القول بأنّ هذا الصنف من النصوص لا يمكنه البتّة إرجاعه إلى (قالب) البرهنة المنطقية حتى وإن حاكى إجراءاتها أحياناً كثيرة، وهو ما يحملنا دون شك على تنسيب

¹ - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القلم ، ص 26.

² - المرجع نفسه، ص 17 .

(Relativiser) ما نفهمه عادة من عبارة (الروابط المنطقية) وهو ما أكده أوليفيروبول حين أراد الجواب عن سؤال خطير: هل يمكن أن يوجد حجج غير بلاغي؟ ممّا قاده إلى تحديد ملامح الحجج فجعلها خمسة¹.

يقول (للجواب عن ذلك نعود إلى تحديد مفهوم الحجج لنتبين ما يميّزه عن البرهان).

سأقول مستلهما بحرية (بيرلمان) و(تيتكاه): يتميّز الحجج بخمسة ملامح رئيسية:

- 1- يتوجه إلى مستمع.
- 2- يعبر عنه بلغة طبيعية.
- 3- مسلّماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- 4- لا يفترق تقدّمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- 5- ليست نتائجه ملزمة : بناء عليه أتساءل: أليست هذه الملامح التي تميّز الحجج عن البرهان هي نفسها ما يجعله بلاغيا بالضرورة².

وفي إطار الحديث عن سمات الحجج أو خصائص النص الحججيات أثار العديد من الباحثين سمة أو خاصية أخرى عبّروا عنها بـ (الحوارية) أو (التحاورية) فالنص الحججيات في جوهره (حوار) مع المتلقي، حوار يقوم على علاقة ما بين مؤسس النص ومتلقّيه وهي علاقة تتخذ دون شك أشكالاً عديدة يكشفها الخطاب ذاته باعتباره يراهن أحيانا كثيرة على إقناع أكبر عدد من المتلقّين بما جاء فيه، بل قد يطمح أحيانا إلى إقناع ما يسمّى بـ (المتلقيالكوني) وعموما تبقى الخاصية التحاورية هامة وأساسية في تأكيد حججية النص³.

4- بين البلاغة والحجاج:

ما زالت العلاقة بين البلاغة والحجاج ملتبسة، تثير الاختلاف بين الباحثين حسب المواقع التي يقفون فيها، والجهات التي ينظرون منها؛ فهل الحجج مبحث بلاغيّ، أم إنه مبحث مستقل، أم هو تابع لمبحث آخر غير البلاغة (اللسانيات أو المنطق)؟ أم هناك أنواع متباينة من الحجج: حجج بلاغي وآخر منطقي وثالث لسانيّ؟ يقتضي منا الجواب على هذه الأسئلة وضع الكثير من النقط على الكثير من الحروف وذلك أنّ مفهومي (البلاغة والحجاج) عرفا تطورا كبيرا في الدراسات الحديثة في حوار نقدي مع البلاغة القديمة الخصب، تطورا ظللنا بعيدين بنفس

¹ - سامية الدريدي، المرجع السابق، ص 27.

² - أوليفيروبول، هل يمكن أن يوجد حجج غير بلاغي؟ ترجمة محمد العمري، مجلة علامات في النقد، الجزء الثاني والعشرون، المجلد السادس، ديسمبر، 1996، ص 76-77.

³ - سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي القلم، ص 28.

للمرسل والمتلقي، حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه وأن يراعيه من أحوال المستمعين".¹

إن الاهتمام الواضح للبلاغة بأطراف العملية التواصلية من (متكلم ومتلق ورسالة) إنما يصب في صلب اهتمامات اللسانيات التداولية من خلال ذلك ربط الباحثون بين البلاغة ومفهوم التداولية بوصفها: "العلم الذي يُعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلية".²

أمّا بلاغة الخطاب فهي "جعله مقنعا باتحاد المضمون والشكل، والمقصود بالمضمون المحتوى الإخباري، والبنية المنطقية للخطاب، وبالشكل كل ما ينبع من الوجدان (الإثارة و التهيج)، كما نقصد بالبناء (التنظيم: DISPOSITION) والأسلوب ثم الأداء في آخر المطاف".³

وهكذا نقول إنّ البلاغة لم تحصر نفسها في البعد الجمالي وحده، بل تجاوزته إلى عملية الإقناع التي ترتبط بالمتلقين في مقاماتهم وأحوالهم المتباينة، فأصبحت بطريقة غير مباشرة مرتبطة بالحجاج ارتباطا يفرض علينا عرض آراء القطبين الذين تحدثنا عن أوجه التداخل والتخارج بينهما.

أ- **القطب الأول:** إنّ أول ما لفت انتباهنا فيما يخص العلاقة بين البلاغة والحجاج الرأى الذي يرى ضرورة الارتباط الشديد بينهما وذلك لكون: "علم البلاغة علما عاما يشمل الجانب الذاتي الإبداعي، والجانب التداولي الإقناعي".⁴ من جهة وكذا لأن الخطاب بكل أنماطه يعد مجالا واسعا للحجاج، وهذا ما يجعله مرتبطا بالإشكالات التي تثيرها البلاغة من جهة أخرى.

كما ترى هذه المقاربات الحجاج: "ليس فنا/علما يوازي البلاغة، بل هو ترسانة من الأساليب والأدوات التي يتم اقتراضها من البلاغة "ومن غيرها، كالمنطق واللغة العادية..."⁵ ولذلك فمن اليسر الحديث عن اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب ، ولما كان مجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد والمتوقع، فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوّي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية، والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس؛ ولعلّه من الطريف بمكان الإشارة إلى أن الأساليب البلاغية: "قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية" كما هو مطلوب في سياق البلاغة" بل هي تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية (كما هو مطلوب في الحجاج)،

¹ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية- الخطابة في القرن الأول نموذجاً- أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص 20.

² لخزاري سعد، المرجع السابق، ص 102.

³ لخزاري سعد، نحو حجاج بلاغي فاعل لفهم وتفسير الخطاب، ص 218.

⁴ بلقاسم حمام، البلاغة العربية وآلية الحجة، مجلة الأثر، ع4، الجزائر -ورقلة- ماي 2005، ص 240.

⁵ صابر حباشة، محاولات في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ-2009م، ص 124.

ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجائية وإفادة أبعاد تداولية¹.

ومن الباحثين الغربيين الذين يرفضون الفصل بين البلاغة و الحجاج، (بيرلمان) صاحب البلاغة الجديدة، و(ماير) صاحب نظرية المسألة حيث قام هذا الأخير بتقديم مجموعة من الأسس النظرية ذات البعد الفلسفي والتي تندرج في الإسهامات النظرية المعاصرة لأبعاد اللغة و وظائف الكلام، وهي: "جهود نظرية في مجال البلاغة، تبقى متينة الاتصال بنظرية المعنى المرتبطة بالسؤال أشد الارتباط، وبالسؤال المنفتح على الأجوبة المتعددة التي تتضافر مع المقاصد التداولية (ظروف إنجاز الخطاب) والتأويلية (علاقة السؤال بالجواب) و البلاغية الحجائية أساسا في تحقيقه"².

وهكذا يتبين أنّ المجال المفضل للحجاج هو البلاغة، حيث تؤدي المسألة المتصلة ببنية الأقوال البلاغية دورا تحليليا داخل الحجاج، فتبرز أهدافه وغاياته الإقناعية³.

أما العرب فيعود ارتباط البلاغة والحجاج عندهم لأسباب كثيرة نذكر منها:

✦ اعتبارهم أن الحجاج: "آلية طبيعية موجودة في كل عقل بشري وفي كل قول إنساني قبل أن تكون في القول الصناعي المنطقي، حيث يستعملها الأمي كما يستعملها العالم والفيلسوف، والفرق الوحيد بينهما هو في طبيعة الحجج المستعملة، فللقول الطبيعي نوع من الحجج والبراهين وللقول الخطابي نوع آخر منه"⁴.

✦ ارتباط البلاغة العربية بالنص القرآني: فقلد كان لفكرة الإعجاز الدور الكبير في توجيه وتمييز الثقافة العربية، لأنها دفعت إلى ميدان التأويل وإعمال العقل والتعليل بالحجج؛ وكذا لأن القرآن قبل أن يكون بلاغيا ومعجزا هو كما أسفلت الذكر نص حجائي بامتياز ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فهو كان يقدم حجج وبراهين ويطلب الكفار بأن يعتمدوا على مبدأ تقديم الدليل والحجة.

✦ ازدهار الحجاج في العصر العباسي: وهو عصر انتعشت فيه جوانب مختلفة لحضارة الإسلامية بمشاركة عدة عوامل داخلية وخارجية، وكانت البلاغة من بين العلوم التي حظيت بمجهود كبير من العلماء بمختلف اتجاهاتهم ومما زاد من فائدة البلاغة العربية هو تلك الترجمات التي قام بها المسلمون وخاصة الذين كانت لهم عناية بالجدال والاستدلال والمغالبة، وقد نتج عن هذا التنوع والثراء صراع فكري واسع (الفرق الكلامية) ففرض الجدل وأصبح الحجاج واستعمال الأدلة والبراهين قبلة كل طرف محاور أو مجادل.

¹ - المرجع نفسه، ص 125.

² - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012، ص 202.

³ - المرجع نفسه، ص 203.

⁴ - بلقاسم حمام، البلاغة العربية وآلية الحجة، ص 241.

✦ ارتباط الحجاج وتطوره: على أيدي شخصيات أخذت حظاً وافراً من الفكر الفلسفي والعقلي اليوناني كالجاحظ (ت 255هـ) وقدامة ابن جعفر (ت 337هـ) وابن وهب والروماني (ت 386هـ)...الخ.¹

✦ ارتباط الحجاج بالخطابة خاصة في العصر العباسي كترجمة كتاب فن الخطابة لأرسطو طاليس، حيث قال ابن وهب: "عماد الخطابة البصر بالحجة، والمظهر الحسن، وهذا هو جوهر البلاغة العربية".²

ب- **القطب الثاني:** يرى أصحابه ضرورة الفصل بين البلاغة والحجاج وهو ممثل بتيارين:³

✦ تيار الحجاج في اللغة الذي يرفض الحجاج البلاغي المبني على (اللوغوس) معتبراً إياه علم الدلالة.

✦ تيار نظير للأول في رفض البلاغة متمثل في المنطق غير الصوري في مراحل الأولى، حين نذر نفسه لاختبار العقلانية اللغوية وصدقية الحجج في الإلحاح على العقلانية.

غير أن هذين التيارين أصبحا يتبينان اليوم رأياً أو موقفاً أقل تصلباً و يحاولان إدماج المكوّن البلاغي، ليجعله تابعا للحجاج.⁴

إن الحديث عن علاقة البلاغة بالحجاج يوقع الباحث في نوع من الخلط وذلك لتداخل كلا الطرفين في الآخر، فالعمل الواحد يقدم نفسه على أنه بلاغة وعلى أنه حجاج في الوقت نفسه كما هو حال كتاب (بيرلمان وتيتكاه)، (مصنف في الحجاج البلاغة الجديدة).⁵

وعليه نقول إن البلاغة ما زالت -باعتبارها إرثاً أدبياً غنياً- ولا تزال وستظل محورا أساسيا في دراسة الخطاب بشتى صنوفه (فني، سياسي، ديني، قضائي، إعلامي، شعري...) فهي فن القول الهادف إلى الفهم والإفهام والإقناع والتأثير على المتلقي، ولذلك تسعى إلى تكميل هذا الخطاب وتجميله من مختلف الجوانب.

وبعبارة أوضح نقول إن العلاقة بين البلاغة والحجاج هي علاقة وطيدة، تمّ الجمع فيها بين الجمالي والحجاجي، بل وأصبح كل ما اعتدنا اعتباره بلاغة في خطاب ما يفسر على أنه حالة خاصة من أحوال الحجاج؛ وانطلاقاً من القناعة التي ترى الجمالية في الخطاب طاقة حجاجية، أردت في الفصل الموالي معالجة مشكل العلاقة بين الحجاج والشعر كون هذا الأخير خطاب يتكئ على الجميل ليضمن التفاف المتلقي حوله.

5- بواعث الحجاج:

¹ - المرجع نفسه، ص 243.

² - المرجع نفسه، ص 244.

³ - محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 41-42.

⁴ - محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 42.

⁵ - المرجع نفسه، ص 26.

إنّ الخطاب ممارسة الكلام بين طرفين أو أكثر، لكن قد توجد هذه الممارسة لإقامة علاقة تخاطبية، هذه العلاقة قد تكون لنقل قول، أو الإخبار عن شيء، وقد تنشأ لإقناع الطرف الآخر، ويحمله على ما يتكلم به، وهنا يكون للخطاب عدّة مقاصد " قصد التوجه إلى الآخر وقصد إفهامه مرادا مخصوصا، من غير أن يسعى إلى جلب اعتقاد أو جلب انتقاد، ولا أن يزيد في يقين أو ينقص من شك، وإثما حقيقة الخطاب تكمن في كونه يضيف إلى القصدتين التخاطبيتين المذكورين قصدتين معرفيتين هما (قصد الإدعاء) و(قصد الاعتراض)"¹، نراهما من بواعث ودوافع الحجاج. وقصد الادعاء يقتضي "أنّ المنطوق به لا يكون خطابا حقا، حتّى يحصل من الناطق صريح الاعتقاد، لما يقول من نفسه، وتتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، ذلك لأنّ الخلو عن الاعتقاد يجعل الناطق، إمّا ناقلا لقول غيره، فلا يلزمه اعتقاده، وإمّا كاذبا في قوله، فيكون عابثا باعتقاد غيره، ولأنّ الخلو عن الاستعداد للتدليل يجعل الناطق إمّا متحكما بقوله، فلا يُتوسل إلا بالسلطان، وإمّا مؤمنا بقول غيره، فلا يحتاج إلى برهان"².

ولا شك أنّ هذا الادعاء "يقابل المقدمات بمصطلح آخر التي تدعم بأدلة وحجج ثم النتائج، وأمّا قصد الاعتراض فبمقتضاه أنّ المنطوق به لا يكون خطابا حقا حتى يكون للمنطوق له حق مطالبة الناطق بالدليل على ما يدّعيه، ذلك لأنّ فقد المنطوق له لهذا الحق يجعله، إمّا دائم التسليم بما يدّعيه الناطق، فلا سبيل إلى تمحيص دعاويه، وإمّا عديم المشاركة في مدار الكلام"³.

نشير إلى أنّ المعترض هو المخاطب والمدّعي هو المخاطب، فلفظة معترض تدلّ على كل سامع يطالب بدليل على ما يقوله له المدّعي وهو المتكلم، ومن هنا الادعاء والاعتراض يشاركان في تكوين سبب للحجاج وعليه فلا متكلم من غير وظيفة الادعاء ولا سامع من غير أن تكون له وظيفة المعترض، ونبين أنّ هذا من بواعث الحجاج مما يتعلق بوظيفة طرفي التواصل، أمّا المتكلم فيدّعي أمرا، والسامع يعترض ذلك الادعاء بطلبه الدليل وإقامة الحجة.

رأينا الباعث الأول من حيث قصد المتكلم والسامع، وهناك من بواعث الحجاج - أيضا - التي تعدّ المحرك الأول له، وهو الاختلاف (**Disagreement**)، فالحجاج لا يكون فيما هو يقيني أو إلزامي، فلا نحاجج في أمور حقيقية يقينية راسخة كالحقائق الرياضية مثلا، أو في أمر مأخوذ على أنّه أمر صارم واجب النفاذ "وإنّما يكون الحجاج كما يقول (بيرلمان) فيما هو مرجح (Likley)، وممكن (Possible)، ومحمّتل (Probable)، كما أنّ الأدلة التي تقدمها المحاجة ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة فيما تثبت أو تنفي، بحيث تقرر ماتقرره أو تنفي ما تنفيه

¹ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 225.

² - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 225.

³ - المرجع نفسه، ص 226.

على سبيل الحقيقة المؤكدة الراسخة، التي لا تقبل شكاً، أو لا تقبل احتمال خطأ ما تثبته أو صحة ما تنفيه، إذ ليس لمسألة ما تدور حولها حاجة حقيقية واحدة أو مطلقة، بل لها حقائق متعددة ومتدرجة، وعلى الأدلة أن ترجح إحداها على الأخرى أو أن تصل إلى ما هو أقرب إلى الصواب".¹

يتبين لنا من هذه الأفكار أنّ الاختلاف يكون بين المتكلم والسامع في أمور ومواضيع ممكنة ومرجحة، أي تكون الغلبة لطرف ولا يكون الحجاج قائم على الاختلاف في أمور وحقائق ومعارف متفق عليها ومشروعة في المجتمع على اصطلاحيتها، بالإضافة إلى الحقول التي يكون الحجاج فيها والتي ذكرها (بيرلمان).

"فيرى أنّ مقدمات الحجاج هي التي تؤسس نقاط الانطلاق للحجاج (Points de depart de l'argumentation)، ومن أهم هذه المقدمات الوقائع Les faits، والحقائق (réalités)، والافتراضات (suppositions)، والقيم (valeurs)، وهرمية القيم (Hiérarchies des valeurs)، والمواضع (Lieux)، وكل هذه المقدمات كما يرى (بيرلمان) تتفرع إلى ضربين: أحدهما مداره على الواقع (le réel)، وهو الخاص بالوقائع والحقائق والافتراضات والآخر مداره على المفضل (le préférable)، وهو المتعلق بالقيم ومراتبها بالمواضع".²

فالوقائع تمثل باعثاً حقيقياً للحجاج من زاوية أنّها مشتركة بين عدّة أشخاص أو بين جميع الناس...، والافتراضات تسلم من طرف المعنيين بها ولكنها ليست ثابتة مستقرة، وهي متحركة متغيرة تبعاً للوسط والمقام والمتكلم والسامعين المتلقين، أمّا القيم فاحترامها وتقديرها يمثل فاعلية في نجاح وإكمال الحجاج، و الاختلاف يقع في نقاط وهو يقوم بين متخاطبين بما يسمى بالحجاج، بهذا تكون الممارسات الخطائية حجاجية ومدارها أكبر في هذه البواعث: المقدمات، الاختلاف، الإدعاء، والاعتراض وتكون مختلفة متى اختلفت هذه البواعث.

6- تقنيات ووسائل الحجاج:

أما تقنيات الحجاج فيقسمها (بيرلمان وزميله) إلى فئتين (هذا التقسيم يخص تقنيات الحجاج اللغوية، متمثلة في تقنية طرق الوصل وتقنيات طرق الفصل).

ويقصد بالأولى (تقنيات الوصل) ما يتم فيه فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذا تقوم كل منها بواسطة الأخرى سلباً وإيجاباً.

¹ - جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص 106.

² - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2008، ص111-113.

أما الثانية (تقنيات الفصل) هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كل واحدة أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها.¹

ويمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى:

- **الأدوات اللغوية الصرفية:** مثل ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل النسبي والتركيب الشرطي وكذلك الأفعال اللغوية والحجاج بالتبادل والوصف وتحصيل الحاصل).

- **الآليات البلاغية:** مثل تقسيم الكل إلى أجزائه، والاستعارة، البديع، التمثيل.

- **الآليات شبه المنطقية:** ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، ويندرج ضمنه كثير منها، مثل الروابط

الحجاجية: لكن، حتى، فضلا، عن، ليس، كذا، فحسب، أدوات التوكيد والإحصاءات، وبعض الآليات التي منها

الصيغ الصرفية مثل التعدية بأفعال التفضيل والقياس وصيغ المبالغة).²

أما بالنظر إلى إستراتيجية الحجاج وهي الإقناع التي يعتمد عليها في قيامه، وتكون هدفا لممارسته من قبل المتكلم فإن

الوسائل والتقنيات التي تقع تحت إستراتيجية الإقناع هي:

6-1- الوسائل اللسانية: ونقصد بها أدوات الاتساق والترابط و الانسجام. وقد تستعمل أدوات الاتساق استعمالا

حجاجيا ومن أهمها:

6-1-1- الإحالة:

وتكمن حجاجيتها في " أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتف بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من

العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"³، وهي تنقسم إلى نوعين: إحالة مقامية، وإحالة نصية، وتنقسم الإحالة

النصية إلى قبلية وبعدية.

بهذا تؤخذ الإحالة بنوعها كوسيلة لسانية للحجاج تؤثر على المستمع، لعمله العقلي في إيجاد الشيء المحال له

وأدوات الإحالة ولإيجاد معناها يجب مراعاة ما تسند إليه.

6-1-2- الحذف:

وهو علاقة داخل النص، تكمن حجاجيته في جعل القارئ يملأ هذا الفراغ، بالاعتماد على ما ورد في الجملة الأولى

أو استنادا لما سبق. وسنتعرض إلى البعد الحجاجي والإقناعي له في أول فصل تطبيقي من هذه الدراسة.

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص 477.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - محمد خطايي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991م ص: 16-17.

6-1-3- الوصل:

" هو تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم".¹ ويمكن أن تؤخذ أدوات الربط خدمة لهذا الوصل بكل أنواعه: الوصل الإضافي، العكسي، السببي، الزمني.

6-1-4- التكرار:

يعتبر التكرار أحد أعظم الظواهر البلاغية الأسلوبية التي اتسم بها الأدب العربي قديما وحديثا، وذلك لما ينطوي عليه من جماليات تعبيرية بما تسمو قيمة النص الفنية، وينبلج المعنى ويقوى، فيكتسب دلالات عميقة عبر تراكمات كمية متعددة للكلمة أو للجملة أو للصوت تنبعث منها أبعاد حجاجية ترنو إلى تعميق أثر الفكرة أو الصورة في حجا المتلقي وذهنه.

و هو "شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما".²

ولقد أجمعت كل الدراسات اللغوية والأدبية الدائرة حول الحجاج على أهمية الدور الإقناعي الذي تضطلع به الهندسة التكرارية، وتكمن حجاجية التكرار في إعادة اللفظ أو معناه، فهو بقدر ما يؤكد المعنى تعد له هذه الوظيفة حجاجية، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا على غرار أسلوب الحذف ومختلف الأساليب البلاغية في الفصل الثالث من الجانب التطبيقي لهذه الدراسة.

6-2- الوسائل الأصولية والفلسفية:

6-2-1- القياس:

وقد سماه الدكتور الباحث "طه عبد الرحمن" (بالاستدلال الخطابي) في كتابه المشهور (في أصول الحوار وتحديد علم الكلام)، وهو ما يعرف (بالقياس والمماثلة)، ويعتبر أبرز وسيلة حجاجية وتقنية إقناعية استوحاها الخطاب الحجاجي من العلماء الأصوليين والفلاسفة.

"فالقياس فعالية استدلالية خطابية"³، ونفهم من هذا أن القياس وسيلة حجاجية يعتمد عليها المحاجج بغية شحن و تدعيم الطاقة الحجاجية لخطابه، علما أن هذا القياس أنواع: القياس البياني، القياس العرفاني أو المماثلة، القياس البرهاني.

¹ - المرجع نفسه، ص: 22.

² - المرجع نفسه، ص 24.

³ - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص 98.

6-2-2- التمثيل:

وفيه تعقد " الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج، وبيان حججه"،¹ إذ " يتقاطع القياس مع التشبيه في العناصر، ويظهر هذا في كون القياس "إظهار لوجود شبه بين الشيئين"،² بمعنى أن " القياس أيا كانت صيغته التعبيرية التي يرد بها إما مقارنة أو تشبيها أو استعارة أو غيرهما، فإنه يقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما".³

ويمكن القول: "إن القياس هو البنية الاستدلالية لكل قول طبيعي، حقيقة كان أو مجازا، فإن كان الأول مجازا، فإما أنه استعاري أو غير استعاري، فإن كان الأول فلا منازعة في صفة المشابهة القياسية التي تقوم بها الاستعارة، وإن كان الثاني، فمرده إلى دلالة المفهوم المعبر في القياس، وأما إن كان القول حقيقة فلا مندوحة من التسليم بأن تعقله".⁴

نخلص في الأخير إلى أن القياس آلية منطقية حجاجية، يمكن للمحاجج أن يعتمد عليها في إقناع المعارض عن كلامه وعليه: فإن: " الاستدلال القياسي يحتوي الآليات التي يتوالد بها كل خطاب طبيعي وتتكاثر بها أجزاؤه. وتتماسك فيما بينها".⁵

ومادام القياس يعد وسيلة وآلية حجاجية وجب أن نبين أن فعالية الاستدلال القياسي تبنى على ثلاث مسلمات وأهمها المسلمة الحوارية "ومقتضى هذه المسلمة أنه لا كلام مفيد إلا بين اثنين لكل منهما مقامان، هما مقام المتكلم و مقام المستمع ولكل مقام وظيفتان وهما وظيفة المعتقد ووظيفة المنتقد، بحيث إذ كان المتكلم معتقدا كان المستمع منتقدا، وإذا كان المستمع معتقدا كان المتكلم منتقدا".⁶

ويمكن تلخيص فائدة اعتماد القياس في الخطاب الحجاجي في هذا القول "فالقائس لا يصدر حكما من عنده لا يبتدئه، و إنما يمدد حكم الأصل إلى الفرع إثباتا أو نفيًا اعتمادا على ما يجده هو من شبه بينهما يبرر القياس".⁷ وهذا ما يظهر قوة القياس الحجاجية، لأنه يزيد من القوة الإقناعية لخطاب المتكلم.

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 497.

² - طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 99.

³ - المرجع نفسه، ص 98.

⁴ - المرجع نفسه، ص 115.

⁵ - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 98.

⁶ - المرجع نفسه، ص 99.

⁷ - محمد عبد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط7، 2004، ص 139.

ومن هذا نخلص إلى المكانة العالية التي يحتلها القياس بأنواعه في نجاعة الخطاب الحجاجي، بل يمكن القول إن الخطاب الحجاجي إنما هو حجاجي لأنه يقوم على القياس، كما توصف الفلسفة والفقه والأصول والبلاغة.... بأنها حجاجية (استدلالية) لاعتمادها القياس آلية حجاجية لتثبيت قضاياها. وهكذا فإن القياس تقنية و آلية من الآليات الحجاجية في حقل الخطاب الحجاجي . وللقياس "دور كبير في هذه الصناعة عند من يحدق استعماله، لأن لمقدماته صوراً عديدة، فمنها مثلاً ما هو معلوم علم اليقين، ومنها المظنون، ومنها المحسوس، ولكل منها درجته الحجاجية، بحيث يعتمد المحاجج إلى التركيز على الجزء الذي يخدم بناءه الحجاجي"¹.

ومعنى هذا أن القياس يسهم في صنع الخطاب بصيغة حجاجية و يفيه حقه من الإقناع، فمن الخطاب "يستمد مسلماته وفيه يبنى عملياته، وبه يربط قواعد [...] لذلك اختص بصفات تداولية منطقية متفردة تجعل الآليات القياسية لا ينحصر عملها في قطاع فكري معين، وإنما يشمل كل خطاب طبيعي أيا كانت لغته، وأيا كان مجاله، وأيا كان مستواه"².

3-6- الوسائل البلاغية:

تكمن ميزة الكلام بين اثنين في التخاطب مع وجود نية التأثير بصورة مختلفة "واللغات تتفاضل في حقيقتها و وجودها بالبيان، وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقوى إلى القبول وأدعى إلى التأثير في صورتها وأجلاس كلامها بعذوبة النطق، وسهولة اللفظ والإلقاء، والخفة على السمع وإن للغة العربية من هذه المميزات الميزان الراجح والجواد القارح، يعرف ذلك من أخذها بحق، وجرى فيها على عرق، فكان من مفرداتها على علم، وضرب في أساليبها بسهم"³.

وفحوى هذا الكلام أن الذي يجيد استعمال اللغة بفنونها يبلغ مراده إلى السامع، ونشير هنا إلى من يوظف الحجاج بالجاز أي من يستخدم الصور البيانية، "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورتها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطىها محبة وشغفا"⁴. ويكون التمثيل أو التشبيه أبلغ إذا وفق المتكلم في اختيار صورته وراع طبيعة المقام، فما يصلح ويكون أبلغ في الفخر والتعظيم لا يصلح في الذم والمدح "وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور،

¹ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 197.

² - طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 140.

³ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، المقدمة، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، دط، ص 09.

⁴ - المرجع نفسه، ص 92-93.

وسلطانه أقهر، وبيانه أبحر [...] وإن كان وعظا كان أشفى للصدر، وأدعى للفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بأن يجلي الغيابة، ويبصر الغاية، ويبرئ العليل ويشفي الغليل".¹

نخلص من هذا إلى أن ضروب الكلام متعددة: المدح، الذم، الهجاء، الوعظ، الافتخار، الاعتذار. والكلام على هذه الأغراض ضربان: حقيقة ومجاز، ولكل منهما مقامه وتأثيره، وإذا أخذنا أن الكلام ذا طبيعة حجاجية حقيقية كانت أم مجازا، فإننا نسنده تلك الأغراض إلى الحجاج، لكن عن طريق المجاز.

والحجاج "ينطوي على قدر من الالتباس في الوظيفة الذي لا نجد له نظير في غيره من الاستدلال، ولولا تضمن الحجاج لهذا الالتباس لما تميزت طريقته عن طريق البرهان، فهذا الالتباس هو إذن الفاصل بين الحجاج وبين البرهان، وإذا كان الالتباس لا ينفك عن الحجاج، فإن الأدلة الحجاجية تصير في نهاية المطاف أشبه بالمغالطات التي هي أدلة فاسدة".² وهذا راجع لطبيعة الحجاج أهو بالكلام الحقيقي، أم بالكلام المجازي، وذلك لأن "الأصل في الالتباس الذي يقوم بالحجاج ليس هو تعدد معاني اللفظ الواحد في الدليل بحيث يحمل هذا اللفظ في قضية منه على معنى وفي قضية أخرى على معنى ثان"،³ وتكون العبارة المحاجج بها الموصوفة بالمجازية حاملة لاندواج "بين واقع الدعوى وقيمتها، وما واقع الدعوى إلا ظاهرها أو قُلْ عبارتها، وما قيمتها إلا باطنها وإشارتها بحيث يكون المجاز هو الاستدلال بعبارة الدعوى على إشارتها"⁴. وتعد الاستعارة أفضل ضروب المجاز وأشدّها وقعا على النفس وتأثيرا في العقل في كونها تركيب يتناسى التشبيه، كما تؤخذ أنواع المجاز الأخرى على حد الاستعارة في قوتها إذا كانت في مقامها، فالجهاز يكون أبلغ من مجاز في مواقف ومقامات، فهذا المقام يكون أنسب للكناية من التشبيه والاستعارة، وآخر الاستعارة أنسب منهما، وهذا يتوقف على معرفة المتكلم للمجاز الناجح لمختلف الخطابات، وتكمن حجاجية الاستعارة مثلا في "الخاصية التي تغلب على القول المجازي الاستعاري، هي أن الجنس الذي يدخل فيه (المستعار) أو قل إن شئت (المستعار منه) يكون مباينا للجنس الذي يدخل فيه المستعار له".⁵ والأمر نفسه يؤخذ على التشبيه في كونه وصف بقوة للتأثير في السامع وأيضا الكناية من زاوية بلاغتها إشفاء الغليل من الخصم، وما الحجاج إلا تأثير في الخصم بالمجاز يعمد فيه المتكلم للحجاج بمعناه الباطن المشار إليه، لأن الكلمة في المجاز تنقل من معناها وعن حكم كان بها إلى معنى وحكم ليس بحقيقة فيها. وفضل الحجاج بالمجاز وبكل ضروبه "ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك [...] وليس كان الكلام في

¹ - المرجع نفسه، ص 94-95-96.

² - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 299، 300.

³ - المرجع نفسه، ص 230.

⁴ - المرجع نفسه، ص 231.

⁵ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 297.

غاية البيان، وعلى أبلغ ما يكون من الوضوح، أغناك ذاك عن الفكرة، إذا كان المعنى لطيفا فإن المعاني الشريفة اللطيفة لا بد فيها من ثان على أول، ورد تال على سابق".¹

يأخذ الحجاج شكلا وصبغة معينة تحدد طبيعة المصطلح بالنظر إلى مراتبه وبواعثه هذا من جهة، ومن جهة أخرى يأخذ الحجاج صبغة أخرى إذا ما نظرنا إلى حقل تقنياته ووسائله، فالحجاج إذا ما تتبعنا معناه في البلاغة العربية فهو "يطابق معنى البيان. كما يطابق المقولتين الشهيرتين (لكل مقام مقال) و (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)".²

¹ - المرجع نفسه، ص 122-123.

² - عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، العدد التاسع، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013م، ص 284.

الأدبية

- المبحث الأول: الحجاج في الفكر الغربي القديم والحديث:

1- الحجاج في الفكر الغربي القديم:

يعتبر الحجاج مفهوما قديما قدم الفلسفة والمنطق تنسب بدايات البحث فيه عادة إلى أفلاطون ومن بعده أرسطو، لكن لا شك من أنه كان (للسوفسطائيين) دور هام في بلورته، فهم أول من اتجه إلى تكوين الخطاب وتوجيههم وكانت لهم مشاركة عضوية في تربية الأفراد وإعداد القادة السياسيين والحكام، وهكذا فإن ممارستهم الحجاجية وإثارتهم للعديد من المسائل الإقناعية كانت مدعومة بنشاط تعليمي اضطلعوا به ومارسوه. ولم ينظر السوفسطائيون إلى الخطابة، بوجه عام على أنها جدل أو وسيلة للتأثير فحسب، بل هي على حسب قول جورجياس (485-380 ق.م): "ترتفع إلى مرتبة العلم والفن"¹، كما اعتبروا القول الخطابي يفوق المعارف البشرية، إذ هو سلطة لتحقيق الاعتقاد وبناء المعرفة، وذلك لارتباطه بالإنسان الذي هو مقياس كل شيء أكثر من ارتباطه بالحقيقة النسبية.

نسبية القول هذه أدت بالسوفسطائيين إلى تجريب أقاويل متناقضة (**Antilogies**) كما فعل بروتاغوراس (485-411 ق.م) في خطبه إذ كان يحتج للرأي مرة، ويدافع عن نقيضه مرة أخرى، مفتتا اليقين الحتمي وموسعا لمجال الاحتمال²، ومعلوم أن بلاغة الإقناع تشتغل على الوجوه المتعددة للخطاب، وتنوع غاياته بحسب غايات صاحبه.

ولقد شكل الاستدلال عندهم مكونا ضروريا في نظرتهم للخطاب، إذ به تتحقق الاستمالة ويحصل الإقناع مما جعلهم معلمي جدال ودفاع بامتياز قادرين على أن يبينوا إلى أي مدى يستطيع الإنسان أن يذهب في الكلام³؛ ويمكن أن نلخص نظرة السوفسطائيين للحجاج في:

- قولهم بالتضاد بمعنى أن لكل خطاب خطاب مضاد له ناتج عن الرؤية المخالفة للأشياء.
- إتقانهم للمجادلة وكل صنوف المجاوزات والتلاعب بالألفاظ والمغالطة.
- اعتمادهم الاستدلال كمطلب خطابي لإفحام المتلقي والتأثير عليه.

¹ - حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، ابن الندم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013م، ص47.

² - عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان؛ بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص30.

³ - المرجع نفسه، ص32.

الأدبية

أما (أفلاطون) فقد اشتهر في ممارسته للحجاج بمعاداته ومواجهته القوية للسوفسطائيين وبلاغتهم، وتشكّل محاورتا (جورجياس) و(فايدروس) بسطا لمواقف أفلاطون من بلاغة السوفسطائيين، وبناء لحجاج بديل.

ففي محاوره (جورجياس) رفض أفلاطون البلاغة بسبب اعتمادها على الرأي العام مما جعل الخطيب يقدم نفسه على غيره، هذه الإدانة جعلته يقول: "إنني أصرح بأن الخطباء والطغاة لا يتمتعون في حواضرهم إلا بسلطة تافهة"¹. ويقول أيضا، وهو لا يقلل من أهمية البلاغة لكنه يبين خطورتها في أمور الحياة العمومية أو الشعبية: "إنّ البلاغة ليست في حاجة إلى معرفة ماهية الأشياء التي تتحدث عنها، إنّها بكل بساطة قد اكتشفت أنّها أداة تستخدم للإقناع، والنتيجة هي أنّها أمام جمهور من الرعاع تبدو كأنّها تصرف أكثر مما يعلمه العلماء"².

وإذا كانت محاوره (جورجياس) نقدا لادعا لخطابة السوفسطائيين وبلاغتهم الإقناعية من طرف أفلاطون، فإنه قد كرس محاوره (فايدروس) لتحديد خصائص الحجاج البديل الذي يدعو إليه، وذلك عبر ربط البلاغة بالفلسفة، حيث إنّّه لا يحتكم إلا إلى المعرفة القابلة للتنفيذ في أي لحظة، القائمة على أساس دعامين هما العلم والخير على عكس الحجاج السوفسطائي الذي يعتمد على الضغط الفكري وفرض الإقناع.

ولم يكن غريبا أن يعرف الحجاج النضج داخل النسق المعرفي الأرسطي، باعتباره (المعلم الأول) (322-384 ق.م) للحجاج والذي صب اهتمامه كغيره من العلماء اليونانيين القدامى على فنون الكلام، ولا سيما الخطابة والشعر منه، حيث نظر للفنّين معا فانطلق في تنظيره للخطابة مما خلفته الإسهامات السابقة، وحولها من مجرد أقوال إلى قواعد جامعة ومبادئ منظمة.

وقد تناول أرسطو مفهوم الحجاج في كتابه (الخطابة) بوصفه آلية خطابية تهدف إلى إقناع المستمعين ضمن الأطر البلاغية الكلاسيكية، وفق زاويتين متقابلتين: فنظر إليه من الزاوية البلاغية وربطه بالجوانب المتعلقة بالإقناع؛ وتناوله من الزاوية الجدلية فاعتبره عملية تفكير تتم في بنية حوارية، وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة، والخطابة لدى أرسطو لا تتحدد ببعدها الإمتاع بل بمهمة الإقناع التي تضطلع بها، لذلك عرفها بقوله: "إنّها الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان"³؛ وعليه فإنّ الإقناع مركزيّ في الخطابة، وهو بذلك

¹- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج (أفلاطون و أرسطو و شام بيرلمان)، مجلة عالم الفكر، العدد 2، المجلد 40، الكويت، ديسمبر 2011م، ص 23.

²- المرجع نفسه، ص 23.

³- أرسطو طاليس، فن الخطابة، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986، ص 29.

الأدبية

يحدد ثلاثة أنواع من الخطاب":¹

- 1- **الخطاب الاستشاري:** ويتعلق بالخطاب السياسي ومقامات النصح، وهي حسب أرسطو "إما حضي أو نهي، لأنّ الذين يستشيرون في الخواص أولئك الذين يخطبون في المجمع فيما أن يحضوا أو ينهوا"².
- 2- **الخطاب القضائي أو المشاجري:** ويتعلق بمجال المرافعات القضائية ومقامات العدل والظلم والدفاع... لذلك يقول أرسطو: "أما المشاجري فمنه اتهام ومنه دفاع، لأنّ الذين يتشاجرون، إما أنهم يتهمون أو يدافعون"³.
- 3- **الخطاب القيمي:** ومجاله المحافل الجماهيرية والمناسبات، ويرتبط بالمدح والذم وقيم الجميل والقيح. كما أن إنتاج الاعتقاد في الخطابة يرتكز على ثلاثة أبعاد هي (الخطيب، المستمع، الخطاب) نميز في علاقتها ببعضها ثلاثة مستويات حجاجية:

- أ- **الإيثوس (Ethos):** وهي الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه و يعبر عنها أرسطو بقوله: "إنّ العوامل التي تدعو إلى بعث الثقة في الخطيب ثلاثة: السداد والفضيلة والبر"⁴.
- ب - **الباثوس (Pathos):** وهي مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى مستمعيه، وهي وفق أرسطو الغضب والسكينة، والحب والكراهية، فالتخوف والثقة...⁵
- ج - **اللوجوس (Logos):** تتمثل الحجاج المنطقي الذي يمثّل الجانب العقلاي في السلوك الخطابي، ويرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي⁶، وكمثال على ذلك الاستنباط العلمي حيث نجد: إذا كان

أ = ب وكان ب = ج فإن ج = أ.

- إذاً وبمرجعية فلسفية واهتمامات منطقية، وتجاوز للسوفسطائيين وأفلاطون على حد السواء، تولى أرسطو تععيد نظريته في الحجاج مبيّناً: "أنّ الإقناع الخطابي يختلف عن الإقناع البرهاني والجدلي لأن كليهما يتناول أمور تدخل - على نحو ما- في نطاق معرفة الناس جميعاً، وليس مقصورين على علم خاص بعينه"⁷.

1 - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1426هـ
 -2005م، ص15 .
 2 - أرسطو طاليس، فن الخطابة، ص37.
 3 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
 4 - محمد الولي، مدخل إلى الحجاج (أفلاطون وأرسطو وشام بيرلمان)، ص28.
 5 - المرجع نفسه، ص29.
 6 - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص18.
 7 - أرسطو طاليس، المرجع السابق، ص23.

الأدبية

وعلى هذا الأساس اعتمد أرسطو مراحل في معالجته للقول الخطابي أولها: المصادر التي نأخذ منها الحجج أو الأدلة، وثانيها: ما يختص بأصناف الأقاويل وضروب التعبير عنها، وثالثها: التصنيف والترتيب الذي ينبغي أن نضم فيه أجزاء الأقاويل؛ وبذلك كان أرسطو النموذج المثالي الذي انبنت عليه فيما بعد أهم نتاجات البلاغيين الذين جاءوا بعده والتي نظرت للخطابة خاصة كميدان أمثل لتوفرها على عناصر الحجج ومكونات الخطاب الإقناعي فيها.

2- الحجج في الفكر الغربي الحديث:

2-1- الحجج عند بيرلمان Perlman وتيتكا Tyteca -البلاغة الجديدة-:

من بين أهم الكتب التي اشتهر بها بيرلمان وتيتكا في الحجج، هو كتاب "مصنف في الحجج- الخطابة الجديدة أو **Traite de l'argumentation –la nouvelle rhétorique** والهدف من هذا الكتاب هو إخراج الحجج من سيطرة الخطابة والجدل الذي ظل لفترات طويلة مرادفا للمنطق نفسه"¹، لذلك حاول فيه الباحثان إعادة صياغة مفهوم الحجج عند هذا الأخير مرتبطين بالخطابة والجدل وبصرامة المنطق، ربط الباحثان الحجج بالحوار والحرية والعقل، لذلك "فالحجج عندهما معقولة وحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاوره ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل، ومعنى ذلك كله أن الحجج عكس العنف بكل مظاهره"²، والحجج الذي يمتاز بمناورة السفسطائيين في عهد أرسطو وأفلاطون، تمكن من الاستحواذ على العقول من خلال التملق بالكلام، وبالتالي الوصول إلى السلطة في حين أن الحجج عند بيرلمان يمنح الحرية للمستمع ويفكه من قيد الاستدلال الذي يضعه رهينة الخضوع والاستسلام ليختار بنفسه الحقيقة شريطة أن يستخدم عقله في هذا الاختيار ولا يخرج إلى المعقول.

يحدد بيرلمان **Perlman** وزميله تيتكا **Tyteca** مفهوم الحجج في كتابهما هذا بقولهما إن "موضوع الحجج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد فيدرجه ذلك التسليم"³ وفي موضع آخر من هذا الكتاب، يبين الباحثان الغاية من الحجج حيث إن "غاية كل

¹ -chaimperelman et lucieolbrechts- tyteca ,1992 , Traite de l'argumentation –la nouvelle rhétorique , préface de michelmeyer, 5ème édition, édition de l'université de bruxelles , p6.

² - عبد الله صولة، الحجج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجج- الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكا ضمن كتاب أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبه، تونس، دط، دت، ص298.

³-Perelman et tyteca, traité de l'argoumentation, Op.cit, p5.

الأدبية

حجاج أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فالأبجح ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيين لذلك العمل في اللحظة المناسبة¹، ومن خلال التعريفين يتبين لنا أن الهدف من الحجاج ليس فقط الإقناع الفكري بمعنى تقبل العقل لما يطرح عليه، بل يهدف أيضا إلى الحث على الفعل أو على الأقل الاستعداد لهذا الفعل، ونجد أن بيرلمان² في كتابه (إمبراطورية البلاغة) قد ذكر هذه الوظائف للحجاج التي هي: الإقناع الفكري الخالص الاستعداد لتقبل أطروحة ما، الدفع أو الحث على العمل، وهذا يدل على أن الحجاج يهدف إلى التأثير ثم العمل، حيث إن هذا التأثير ناتج من خلال استخدام العقل والإدراك لما يحيط بالملتقي من حجج، أي تأثير ناتج من إرادته وليس تأثيرا ناتجا من الإكراه أو المناورة كما عند السفسطائيين.

بعد حصر المؤلفين لمفهوم الحجاج في الحرية واستخدام العقل، وغاية الحجاج في التأثير والدفع للعمل، ينتقلان إلى التمييز بين الاستدلال والحجاج، حيث يريان أن الأول عناصره أحادية المعنى وأنه يفهمها الناس جميعا بدون اختلاف، فهو غير موجه إلى مقام مخصوص. كما أن الاستدلال أيضا تستنتج من مقدماته نتائج تفضي إليها تلك المقدمات بالضرورة وبدون أية مشاكل، على عكس الحجاج الذي يتميز بالتعدد والاختلاف في المعنى والارتباط بمقام مخصوص، إلى جانب أن الحقيقة في الحجاج أيضا نسبية وذاتية، بمعنى أن كل متلق له الحرية في فهم تلك الحقيقة وتأويلها³، إلا أن هذه الحرية لدى المستمعين في اختيار تلك الحقيقة وتأويلها تعتمد على العقل، لأن مبادئ الحجاج لدى المؤلفين (حرية الاختيار على أساس عقلي)⁴، وهي الفكرة التي تعرضنا لها سابقا.

يقسم بيرلمان وتيتكاه الحجاج إلى صنفين: إقناعي واقتناعي، يتوجه الإقناع إلى متلق خاص وهو يعتمد على الخيال والعاطفة، أما الإقناع فهو يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل فهو عام يعتمد بالأساس على العقل⁵. ومن خلال هذين النوعين من الحجاج يضع المؤلفان الإقناع أساس الحجاج وهدفه، لأنه يعتمد على الحرية والعقل ولذلك يقول الباحثان: "إن الحجاج غير الملزم وغير الاعتباطي هو وحده الكفيل بأن يحقق الحرية الإنسانية من

¹-ibid, p59 .

²-chaimperelman 2002 L'empire rhétorique : rhétorique et argumentation, 2^{ème} édition, augmenter d'un index, paris, p26.

³-ibid, p161.

⁴-ibid, p682.

⁵-ibid, p36.

الأدبية

حيث هي ممارسة لاختيار عاقل. فإن تكون الحرية تسليماً اضطرارياً إلزامياً بنظام طبيعي معطى سلفاً معناه انعدام كل إمكان للاختيار فإذا لم تكن ممارسة الحرية مبنية على العقل فإن كل اختيار يعدّ ضرباً من الخور ويستحيل إلى حكم اعتباطي يسبح في فراغ".¹

فالحجاج الإقناعي يقوم إذاً على الحرية ويسلم بآراء الآخرين ويتقبلها، لكن هذه الحرية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقل وهو ذو طابع عام لا يميز بين مستوى المتلقين، في حين أن الحجاج الإقناعي يتميز بطابعة الخاص، فهو يتوجه فقط إلى الخاصة أمثال الشعراء والأدباء. ولقد اختار الباحثان الحجاج الإقناعي نظراً لإصرارهما في نظريتهما على الحرية والعقل في العملية الحجاجية وكما نرى الحجاج الإقناعي يتميز بهذه الشروط.

2-1-1-1- مقومات الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه:

بني الحجاج أساساً من مقدمات يضعها المحاجج في خطابه لإقناع الجمهور، وهذه المقدمات هي بمثابة نقطة انطلاق للحجاج عند كل من بيرلمان **Perlman** وتيتكاه **Tyteca**، وهي تتكون من الوقائع، الحقائق، الافتراضات، القيم، التراتيبات، المعاني أو المواضع.

2-1-1-2- الوقائع:

تحيط بالمتكلم مجموعة من الوقائع القارة التي يلجأ إليها أثناء الاستدلال بها عن موضوع ما، وهذه الوقائع "تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس"² وليست خاصة بفرد معين فقط. ويلجأ إليها المتكلم كونها موضع اليقين والثقة، لذلك فالوقائع لا تحمل معها أي موضع للشك فهي نقطة الانطلاق الأولى للحجاج، كما أنها تنقسم إلى وقائع مشاهدة، ووقائع مفترضة، وكل من هذين النوعين هما بمثابة وقائع مطابقة للواقع يسلم بها الجمهور، وهذا التسليم هو بمثابة تجاوب مع هذا الواقع.³ إلا أنه على الرغم من مساهمة كل من النوعين في الإقناع، فإن الوقائع المشاهدة أكثر تأثيراً في النفوس من الوقائع المفترضة، نظراً لشدة حضور الأولى في ذهن المستمع.

2-1-1-2- الحقائق:

يلجأ الخطيب إلى الحقائق ويربطها بالواقع من أجل تكوين بداية حجاجية قوية. والحقائق "هي أنظمة أكثر تعقيداً من الوقائع، ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو أدبية أو دينية"⁴، وتجدد الإشارة هنا إلى

¹ -Perelman et tyteca, traite de l'argoumentation, Op.cit, p682.

² -Perelman et tyteca, traite de l'argoumentation, p 89.

³ -ibid, p 90-92.

⁴ -ibid, p 92.

الأدبية

القول إن الوقائع تحمل طابعا عاما تنتشر بين جميع الناس مهما كانت تخصصاتهم العلمية، فيحين أن الحقائق تحمل طابعا خاصا مقتصر على فئة معينة، فليس جميع الناس على دراية بالمفاهيم الفلسفية والعلمية، بل المختصون بها فقط.

2-1-1-3- الافتراضات:

تعد الافتراضات كذلك من مقدمات الحجاج "فبالإضافة إلى الواقع والحقائق كل المستمعون يقبلون الافتراضات. هذه الأخيرة تحظى بالموافقة العامة لكن الإذعان لها والتسليم بها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويها)".¹ وسبب في ضعف الإذعان والتسليم بالافتراضات أنها محتمل يمكن أن تكون كاذبة ويمكن أن تكون صحيحة، فهي غير ثابتة بل متغيرة على عكس الوقائع. كما يقول سالم محمد أمين الطلبة: "إن الافتراضات ليست ثابتة بل متغيرة تبعا للوسط والمقام والمتكلم والسامعين لأنها تقاس بالعادي (le normal) والعادي مفهوم مجرد يختلف باختلاف القدرات والإمكانات الفردية والجماعية".²

2-1-1-4- القيم:

تؤدي دورا فعالا في الحجاج، حيث تمثل مدار الحجاج بكل أنواعه وهي خالية من الاستدلالات ذات البعد العلمي والعلوم الشكلية. وإنما حضورها الأساسي يكون في مجالات القانون والسياسة والفلسفة، وهي التي يعتمد عليها في تغيير مواقع السامعين ودفعهم إلى الفعل المطلوب.³ وهذه القيم تنقسم إلى نوعين مجردة كالعدل والصدق، محسوسة مثل الوطن.

2-1-1-5- التراتيبات:

تخضع القيم لتراتبيات تسهم في ترتيبها فكل شيء درجات وهذه التراتيبية تشبه السلم الحجاجي الذي تحدث عنه ديكرو حيث يشترك السلم الحجاجي وتراتبية القيم في ترتيب الحجج والقيم حسب قوتها. وتنقسم هذه التراتيبية حسب نوع القيم مجردة كاعتبار العدل أفضل من النافع، ومحسومة كاعتبار الإنسان أعلى درجة من الحيوان.

¹ - Perelman et tyteca, traite de l'argoumentation, p 93-94.

² - سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2008، م، ص21.

³ - voir, Perelman et tyteca, traité de l'argumentation, Op, cit, p 100.

الأدبية

إلى جانب هذا، تعد تراتبية القيم أهم من القيم نفسها لأن هذه الأخيرة تحظى بتسليم جماهير عدة؛ أما درجة التسليم بها تختلف من جمهور لآخر وهذا دليل على وجود درجات مختلفة للقيم، فميزة كل جمهور ليس قيمه التي يسلم بها بل قدرته على ترتيب هذه القيم.¹

2-1-1-6- المعاني والمواضع:

يمكن للخطيب أن يستخدم مقدمات أعم وأشمل من القيم وترابيتها. إنها المواضع وهو مصطلح عرف منذ العهد اليوناني. فمنها اشتقت كلمة (Topiques) وهي عبارة عن المصنفات الخاصة بالاستدلال الجدلي: كما أن المعاني أو المواضع عند اليونانيين القدماء تعبير كمخازن للحجج،² حيث يلجؤون إليها للاستعانة بها من أجل إقناع الغير. وهي بذلك تؤدي دورا كبيرا في الحجاج والدفع إلى الفعل وخلخلة العقبات التصورية التي تكون أحيانا راسخة لدى المحاججين، والتي لا تنسجم مع البناء الحجاجي المقدم.³

تنقسم هذه المواضع إلى مواضع مشتركة ومواضع خاصة، حيث إن "المواضع المشتركة يمكن تطبيقها على حد سواء على أي علم من العلوم وهي لا تأخذ من أي علم. والمواضع الخاصة، وهي خاصة إما بعلم معين؛ أو بنوع خطابي معرف".⁴ وإلى جانب هذه الأقسام تحمل المواضع كذلك نوعين منها: مواضع الكم ومواضع الكيف، إذ إن مواضع الكم هي "المواضع المشتركة التي تثبت أن شيئا ما أفضل من شيء آخر لأسباب كمية"،⁵ كقولنا الأكثر أفضل من الأقل أو الكل أفضل من الجزء. أما مواضع الكيف فهي ضد الكم، تنسم بوحدتها الشكلية فهي ضد الجمع حيث إنها تستمد قيمتها من خلال معارضتها للمشارك بمعنى من خلال وحدانيتها مثل الحقيقة يضمنها الله فهي واحدة في مقابل آراء البشر المختلفة،⁶ هذه الأخيرة التي تعرف أفكارا مختلفة أحيانا متعارضة وأحيانا أخرى متماثلة، في حين أن الحقيقة ثابتة واحدة لا يستطيع أحد زعزعتها على الرغم من وجود أعداء كثير لها.

2-1-1-7- مواضع أخرى:

إلى جانب مواضع الكم والكيف، هناك مواضع أخرى لها كذلك دور كبير في الحجاج، كمواضع الترتيب التي تسمح لنا باعتبار السابق مثل المبادئ والقوانين أفضل من اللاحق وهي الوقائع ومواضع الموجود، التي تسمح لنا

¹-ibid, p 109.

²- ibid,p 112.

³- سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص213.

⁴ - Perelman et tyteca, traité de l'argumentation, Op.cit, p 112.

⁵-ibid, p 115.

⁶- ibid, p 119-121.

الأدبية

باعتبار الموجود والراهن والواقع أفضل من المحتمل والممكن وغير الممكن، وكل من هذين النوعين يمكن أن نسميهما مواضع المفضل أو المؤثر،¹ لأنها تقيم نوعاً من التفضيل بين المفاهيم كالموجود أفضل من المحتمل. إضافة إلى هذه المقدمات المتوفرة للمحاجج، هناك شرط آخر لنجاح العملية الحجاجية أكثر، وهي معرفة المتكلم لكيفية انتقاء الحجج اللازمة لاستمالة جمهوره، إلى جانب استحضار هذه الحجج المنتقاة في ذهن المستمع كون الاستحضار يؤدي دوراً هاماً في الإقناع "وهكذا فإن ما هو حاضر في الذهن يكون أهم وهو ما ينبغي على نظرية الحجج أن تأخذه بعين الاعتبار"،² حيث إن هذا الحضور للحجة في ذهن المتلقي يكون من خلال استعمال المتكلم لآليات أسلوبية وبلاغية مختلفة.

2-1-2- العناصر البلاغية والأسلوبية كآليات عرض حجاجية عند بيرلمان:

قبل الشروع في عرض تقنيات الحجج لدى بيرلمان وتيتكاه والتي تقوم على الوصل والفصل بين المفاهيم، لا بأس أن نشير إلى نقطة أثارت اهتمام الباحثين وهي مساهمة كل من بعض العناصر البلاغية والأسلوبية في العملية الحجاجية كالنفي والتوكيد والإطناب والالتفات، حيث تقوم هذه العناصر بمهمتها الحجاجية إذا أحدثت تغييراً في وجهة نظر المتلقي وجعلته يقتنع بالموضوع المراد إيصاله له.

2-1-2-1- الإطناب:

اهتم بيرلمان³ بالإطناب كطريقة عرض حجاجية وذلك من خلال الدور الهام الذي يلعبه في الإقناع، حيث يرى أن بعض العناصر في موضوع ما تحتاج إلى التردد والتطويل حول دلالتها وأهميتها، وذلك من أجل الزيادة في حضور هذه العناصر في ذهن السامعين للإقناع أكثر، على عكس الإيجاز الذي يكتفي فقط بذكرها، إذ إنه إذا كان الأسلوب السريع (الإيجاز) يصلح في الاستدلال، فإن الأسلوب البطيء (الإطناب) ينشأ في الانفعال والتأثير، وذلك كما قال عبد الله صولة: "إن الأسلوب العجل يدعم توجه الخطاب الاستدلالي والأسلوب البطيء يحدث لدى سامعيه الانفعال ويجرك عواطفهم"،⁴ وقد استند بيرلمان وتيتكاه في رأيهما المتمثل في نجاعة الإطناب في

¹- ibid, p 125-127.

²- ibid,p125-156.

³-Perelman et tyteca, traité de l'argumentation, Op.cit, p 194.

⁴- عبد الله صولة، الحجج أطره ومنطقاته، ص 318.

الأدبية

الإقناع، و فشل الإيجاز في ذلك على رأي فيكو القائل بأن " الحب منشأة العادة. ومن كان من الخطباء القائم كلامهم على الإيجاز والقصر لا يهزون القلوب إلا هزا خفيفا ولا يؤثرون إلا قليلا".¹

2-2-1-2- التكرار:

إلى جانب الإطناب يؤدي التكرار دورا هاما في الخطاب الحجاجي، وذلك من خلال التردد الذي يحدثه المتكلم أمام المستمع لإبراز شدة حضور الفكرة التي يريد إيصالها، ومن أجل ذلك يقول بيرلمان: "يكون التكرار التقنية الأكثر بساطة لإنشاء هذا الحضور"²، فالتكلم لما يكرر الكلمة مرات عدة، فإنه ينشئ في ذهن السامع نوعا من الحضور أو بالأحرى التخيل والتصوير لذلك الموضوع كأنه يعيشه في الواقع وبالتالي يحصل التأثير و التصديق والإذعان.

و إلى جانب إبراز شدة حضور الفكرة في ذهن المتلقي، فإن للتكرار دورا آخر " فمن خلال التكرار يظهر الملفوظ

الثاني للكلمة محمل القيمة".³

وهذا يعني أن القيمة أو الوظيفة الحجاجية للتكرار تظهر من خلال الملفوظ الثاني الذي يهز النفوس عوض الملفوظ الأول وحده الذي يظهر كتعبير عاد.

2-2-1-3- اللفظ الحسي:

يختلف اللفظ الحسي عن اللفظ المجرد من خلال الأثر الذي يتركه في نفسية المتلقي، إذ إنه كلما كان اللفظ عاما (مجردا) كانت الصورة أضعف، وعلى هذا الأساس فإن اللفظ الحسي عند بيرلمان يسهم بشكل فعال في التأثير على الإحساس وذلك عن طريق حضور الصورة في الذهن وهذا كله يؤدي إلى التسليم والإذعان،⁴ ومثال ذلك وصف مقتل شخص بالرصاص بقولنا: واخترت الرصاصة صدر الرجل عوض القول قتل الرجل فلفظة اخترت تصف المشهد وصفا حيا، وكأن المتلقي الذي نقل له الخبر قد عاش هذا المشهد.

2-2-1-4- انتقاء اللفظ:

¹ - ibid, p 194.

² - ibid, p 194.

³ - Perelman et tyteca, traité de l'argumentation, Op.cit, p 237.

⁴ - ibid.,p 198.

الأدبية

إن انتقاء اللفظ ذو قيمة حجاجية، حيث إن هذه الظاهرة في النصوص الأخرى غير الحجاجية تؤدي بالأساس دورا كبيرا في بناء شكل النص وإحداث التنعيم والإيقاع، بينما انتقاء اللفظ في النص الحجاجي هو غير ذلك، إذ إنّ النص الحجاجي مرتبط ارتباطا وثيقا بالمقام، فاستخدم الكلمة دون مرادفها يكون حسب المقام،¹ لذلك يجب على المتكلم أن يجتهد في انتقاء الألفاظ التي تحدم ذلك السياق (المقام) الذي ورد فيه الخطاب، لأنه إذا خرج عن حدود ذلك الموضوع أو السياق، فإنه لن يشد انتباه المتلقي لأنه يتحدث عن موضوع بألفاظ لا تناسبه.

2-1-2-5- النفي:

النفي هو ردة فعل على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير، كما أن برغسون يشرح الدور الحجاجي للنفي من خلال تعبيره، بأن الفكر السالب لا يكون إلا إذا كانت هناك مواجهة الغير، بمعنى لما يكون الأمر متعلق بالحوار الحجاجي،² فالنفي إذاً ينتج جدالا بين شخصين، الأول يثبت أمرا ما والآخر يقوم بنفي هذا الأمر، وذلك عن طريق الاستدلال بالحجج المختلف ومثال ذلك جدال المحامين في المحكمة حول قضية قتل أو سرقة مثلا الأول يثبت ارتكاب الثاني لتلك الجريمة، وهذا الثاني ينفي تلك الجريمة عن موكله وكل ذلك باستخدام الأدلة والبراهين، حيث ينتهي هذا الجدال في الأخير وتصدر المحكمة قرارها من خلال دراسة الحجج المستخدمة من الطرفين واختيار التي هي أكثر إقناعا ووضوحا.

2-1-2-6- الروابط الحجاجية:

هناك أدوات حجاجية أخرى كأدوات الربط بين القضايا في الخطاب، مثل الواو، لكن، إذن، إلى جانب عبارات أخرى مثل: رغم إن، إن كذا. كلها آليات تسهم في الحجاج وتساعد الخطيب على جلب السامعين إليه. فمثلا أدوات الربط هذه تدل على علاقة منطقية بين القضايا،³ والمستمع لما يلاحظ هذه العلاقة المنطقية بين القضايا يخضع ويسلم لها، وستتطرق لهذه الظاهرة الحجاجية أكثر في نظرية ديكرولا حقا.

2-1-2-7- الالتفات في الأزمنة:

¹-ibid, p 200-201.

²- ibid, p 208-209.

³-voir,Perelman et tyteca, traité de l'argumentation,Op.cit, p 210.

الأدبية

يشير بيرلمان¹ إلى تأثير استخدام الأزمنة في الخطاب على المسامع وذلك حسب اللغات المختلفة، ففي الفرنسية مثلاً يرى أن زمن الحاضر له دور فعال في الإحساس بالحضور بمعنى حضور الفكرة في ذهن المتلقي، ذلك أن زمن الحاضر هو الزمن الذي يعبر عن العام والعادي والقانون، زمن الحكمة والقول المأثور، هو زمن حالي دائم الوجود، كما أن زمن الحاضر له دوران: فهو الذي يعبر عن العادي في مساره نحو المبادئ والأحكام، ومعنى ذلك أن هذه الأحكام والمبادئ التي يقتنع بها الناس، كانت وليدة الحاضر فبعدها كانت مجرد أفكار عادية في الحاضر أصبحت مبادئ وأحكام. كما أن الحاضر موضع الثقة واليقين عند السامعين، ذلك أنه كما قلنا هو زمن العادي وزمن القانون، هذان الأخيران اللذان لا يجملان أي شك في صحتها.

2-1-2-8- التلميح:

لا يفهم التلميح إلا من خلال السياق، فبنيتة ليست لا نحوية ولا سيميائية إلا أن له علاقة مع شيء ليس هو الموضوع الفوري للخطاب، بمعنى له علاقة غير مباشرة بالموضوع. والتلميح له دائماً دور حجاجي حسب بيرلمان، لأنه عنصر الربط والاتحاد بين المخاطب والجمهور.² وعلى هذا الأساس فإن التلميح يعتمد على فطنة المتلقي وذكائه من أجل الربط بين قضايا الموضوع وبالتالي استنتاج قصد المتكلم، هذا القصد الذي هو قصد غير مباشر.

2-1-2-9- التفسير:

يعد التفسير من بين أهم الصور البلاغية ذات الدور الفعال في الميدان الحجاجي، و يمكن لهذا الدور أيضاً أن يعرج إلى الميدان الأسلوبي، و في هذا يقول بيرلمان: "التفسير القوي هو كأمر معطى يمكن أن يعتبر كصورة حجاجية أو كصورة أسلوبية، وذلك حسب الأثر المنتج على المتلقي"³، فإذا كان المتلقي متأثراً بهذا التفسير ومقتنعاً به فهي صورة حجاجية، أما إذا كان هذا التفسير مهتماً بالجانب التزييني للخطاب فهي صورة أسلوبية. والتفسير عند بيرلمان هو "توضيح عدد من الجمل لعدد آخر"⁴.

وبهذا يسهم هذا التوضيح في نزع كل الإبهامات والتساؤلات التي تتبادر إلى ذهن المتلقي، وبالتالي إقناعه إقناعاً قوياً.

2-1-2-10- التعريف الخطابي:

¹ - Ibid, p 216.

² -Ibid, p229.

³ - Perelman et tyteca, traité de l'argumentation, Op.cit, p 233.

⁴ - Ibid, p 238.

الأدبية

التعريف الخطابي صورة بلاغية حجاجية، تلجأ إلى استخدام التعريف من أجل إقناع السامع. واستخدام هذا التعريف ليس من أجل إعطاء مفهوم خاص للمفردات، إنما من أجل تذكير المستمع ببعض مظاهر الحقيقة التي يمكن أن يتناساها أو يغفل عنها، كما قال عبد الله صولة: "التعريف الخطابي صورة تستخدم لا على سبيل شرح معنى الكلمة، إنما لتبرز بعض المظاهر الحافة بواقعة ما، مما من شأنه أن يعزب عن ذهن السامع"¹، ولربما يشترك كل من التعريف الخطابي والتفسير في الدور، إذ إن كلاهما يعطي تفاصيل عن الظاهرة ويشرحها أكثر، مما يؤدي إلى جلب القارئ واستمالاته. وبالتالي فإن للتعريف الخطابي والتفسير دورا مهما في الحجاج.

2-1-2-11- التورية:

ذكر بيرلمان مجموعة من الصور البلاغية ذات الدور الحجاجي، كالتورية والمجاز المرسل والكناية، فالتورية مثلا تؤدي نفس الدور الذي يقوم به التفسير الخطابي، إذ هي تعويض كلمة بمجموعة من الكلمات، أو بعبارة أخرى التعبير بمجموعة من الكلمات عوض كلمة واحدة. فإذا أردنا أن نعبر عن كلمة ما وتعتبر بلاغيا كتورية، فإننا لن نعطي تعريفا فقط لتلك الكلمة، وإنما نعوضها بمجموعة من الكلمات التي لها نفس المفهوم الذي تحمله تلك الكلمة. ويمكن للتورية أن تأتي على شكل صور بلاغية أخرى كالمجاز المرسل (synecdoque) والصورة البيانية المسماة بالكناية (Métonymie)، وإذا ما أردنا أن نعطي مثلا حول التورية للتوضيح أكثر، فإننا نستطيع أن نعوض مثلا كلمة (الأم) بعبارة: الشخص الذي يزرع العطف والحنان ويث الدفء والاطمئنان.

2-1-2-12- الترادف:

يعرف بيرلمان الترادف على أنه "الذي يوصف كتكرار لنفس الفكرة باستعمال ألفاظ مختلفة يستخدم من أجل إعطاء الحضور"¹، بمعنى حضور الفكرة في ذهن المستمع وبالتالي الإقناع بها، حيث يظهر الدور الإقناعي لهذا الترادف، في التأكيد الذي يتجلى من خلال تكرار نفس الفكرة بألفاظ مختلفة، ومثال ذلك تأكيدنا للتلميذ على ضرورة المراجعة من أجل النجاح بقولنا: ادرس، راجع، احفظ، ثابر من أجل النجاح.

2-1-2-13- الاستشهاد:

يعد الاستشهاد صورة من صورة التكامل والاتحاد بين المخاطب والمستمع، مثل الأمثال والحكم التي توصل ثقافة معينة وترسخها²، ويتجلى ذلك بكل وضوح حتى في كلامنا اليومي إذ يلجأ المتكلم دائما إلى الاستشهاد

¹ - عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته، ص 323.

¹ - Perelman et tyteca, traité de l'argumentation, Op.cit, p 238

² - Ibid, P 240.

الأدبية

بأمثال وحكم مختلفة للتأكيد على صحة كلامه وإقناع السامع به، حيث يقارن هذا الأخير بين كلام المتكلم وبين المثل أو الحكمة التي أوتي بها ولما يجد ما بينها من تطابق وانسجام يخضع ويسلم لكلام هذا المتكلم.

2-1-2-14- الالفات في الضمائر:

إلى جانب الالفات في الأزمنة، نجد الالفات في الضمائر والذي له أيضا دورا فعالا في الحجاج، مثل تغيير الضمير أنت، من أجل وضع المستمع في وسط الأحداث والتفاعل معها، كذلك تغيير الضمير المفرد بضمير الجمع، مثل تغيير الضمير أنا أو أنت بالضمير نحن.³

وبهذا يظهر لنا أن للالفات في الأزمنة والضمائر تأثيرا على المتلقي، فالانتقال من ضمير لآخر، ومن زمن لآخر يجعل المستمع يعيش الحدث الحقيقي وبالتالي ينحذب إلى الموضوع ويقتنع به، أما إذا كان الضمير واحدا فإنه ينفر من كلام المخاطب ويملّ منه.

2-1-3- تقنيات الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه:

يقسم بيرلمان تقنيات الحجاج إلى نوعين من الطرائق⁴، طرائق الوصل ونعني بها الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة، وتتيح إقامة ضرب من التضامن والاتحاد بينها، وذلك من أجل وضعها في بنية واضحة وشكل موحد.

أما طرائق الفصل فهي تعمد إلى إحداث قطيعة بين عناصر موحدة، وإفساد الترابط الموجود بينها حيث يظهر هذا الفصل عادة من خلال انعدام الانسجام بين هذه العناصر.

2-1-3-1- طرائق الوصل:

أ- الحجج شبه المنطقية:

تعتبر من تقنيات الحجاج التي ذكرها شام بيرلمان، و إذا تأملنا في هذا النوع من طرائق الوصل لألفينا أن هذه الحجج شبه المنطقية تشبه الطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنها هي تماما بل هي

³ - Ibid, P241.

⁴ -ibid, p 255-256.

الأدبية

مجرد تشابه فقط،¹ والحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية تنقسم إلى التناقض، التماثل التام أو الجزئي، قانون التعدية، أما الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية فهي تنقسم بدورها إلى علاقة الجزء بالكل علاقة الأصغر بالأكبر، علاقة التواتر.

ب- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية:

وتتفرع من هذه الحجج كما سبق أن قلنا حجج التناقض وعدم الاتفاق، حيث يكون هناك تناقض إذا كان هناك قضيتان في نطاق مشكلتين، إحداهما نفي للأخرى ونقض لها. أما عدم الاتفاق فيكون لما نضع ملفوظين أمام الظروف أو المقام من أجل اختيار إحدى القضيتين وإقصاء الأخرى،² ومن هنا نستنتج أن التناقض يحدث بين قضيتين تنتميان إلى نظام واحد، أما عدم الاتفاق فيحصل بين ملفوظين أمام الظروف أو المقام.

أما فيما يخص التماثل التام فمداره على التعريف، حيث يقوم على التماثل بين مصطلحين المعرف والمعرف، إلا أن المعرف مثل الرجل رجل، الأب يبقى دائما أبا. فمن خلال تحصيل الحاصل لا يكون فيه معنى المعرف رجلا أو أبا نفس معنى المعرف الرجل أو الأب، فإن هذه القضية ركنها الأول قائم على الحقيقة، والركن الثاني قائم على المجاز.³ ومن بين الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية كذلك، نجد الحجج القائمة على العلاقات التبادلية وعلى قاعدة العدل، حيث إن الحجج القائمة على العلاقات التبادلية تقوم على معالجة واحدة لوضعيتين، إحداهما سبيل من الأخرى وهذا ما يدل على أن هاتين الوضعيتين متماثلتين، حيث إن هذا التماثل ضروري ولازم لتطبيق قاعدة العدل.⁴

ومن هنا يظهر لنا أن قاعدة العدل مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعلاقات التبادلية، وقد عرف بيرلمان قاعدة العدل قائلا: "قاعدة العدل تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلية في مقولة واحدة".⁵ ومن أجل توضيح هذه الحجج القائمة على العلاقات التبادلية وعلى قاعدة العدل نذكر المثال الآتي: أحلال عليكم، حرام علينا. في مثل هذا المثال هناك علاقات تبادلية وعكسية لوضعيتين: حلال عليكم، حرام علينا. ونحن هنا نطلب بتطبيق قاعدة العدل على الجميع، حيث يكون إما حراما على الجميع أو حلالا على الجميع.

¹ - Perelman et tyteca, traité de l'argumentation, p 259.

² - ibid, p 270.

³ - ibid, p 292.

⁴ - ibid, p 297

⁵ - Perelman et tyteca, traité de l'argumentation, p 294.

الأدبية

أما حجج التعددية فيعرفها بيرلمان قائلًا: "إن التعددية خاصية شكلية تتصف بها ضروب من العلاقات التي تتيح لنا أن نمر من إثبات أن العلاقة الموجودة بين (أ) و(ب) من ناحية و(ب) و(ج) من ناحية أخرى، هي علاقة واحدة إلى استنتاج أن العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين (أ) و(ج). وضروب العلاقات التي تقوم على خاصية التعددية هي خاصية التفوق والتضمن"¹ ومعنى هذه العلاقة الأخيرة، هي أن قضية ما تتضمن قضية أخرى "وهي قائمة على أهم معايير القياس الأرسطي (مقدمة صغرى وكبرى ونتيجة)".² وقد ضرب بيرلمان مثالا حول حجج التعددية بقوله: "عدو عدوي صديقي، حيث يدعم الطابع شبه المنطقي في هذه الحكمة ما يمكن أن يستنتج منها وهو صديق عدوي عدوي".³

ج- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:

أول هذه الحجج هي إدماج الجزء في الكل حيث وضع بيرلمان نظاما للحجاج في هذه الحالة وهو (ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء)،⁴ فكما هو معروف الكل دائما يحوي الجزء فلا كل بدون الجزء، ولذلك كل ما يمس الكل يمس بالضرورة الجزء.

ومن بين الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية كذلك، تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، حيث يجد المحاجج من خلال هذه الحجج السبيل إلى الإقناع عن طريق استخدامه لتلك الأجزاء. والميزة الأساسية لهذه الحجج هو أن يكون تعداد تلك الأجزاء شاملا، وقد استشهد بيرلمان على ذلك بمقولة كنتيليان التي تقول "إن نسقط عند تعدادنا الأجزاء فرضية واحدة، فهو بناؤنا الحجاجي كله ونصبح أضحوكة للجميع".⁵

د- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

نظرا للبعد العقلاني الذي تحمله الحجج شبه المنطقية من خلال علاقتها بالصيغ المنطقية والرياضية، فإن الحجج المؤسسة على بنية الواقع تعتمد على هذه الحجج شبه المنطقية من أجل مساعدتها للربط بين الأحكام المسلم بها، والأحكام التي يسعى الخطاب إلى جعلها مقبولة مسلما بها،⁶ ومن أجل دور هذه الحجج المؤسسة على بنية الواقع

¹ - ibid, p 305.

² - سالم محمد الأمين الطلبة، الحجج في البلاغة المعاصرة، ص 129.

³ - ibid, p 308.

⁴ - ibid, p 312.

⁵ - ibid,p316.

⁶ - Perelman et tyteca, traité de l'argumentation,p 351.

الأدبية

في الربط أو الوصل بين هذه الأحكام، صنفت ضمن الحجج المؤسسة على بنية الواقع في الربط أو الوصل بين هذه الأحكام، صنفت ضمن الحجج المنتمية إلى طرائق الوصل الحجاجية.

يقسم بيرلمان¹ الحجج المؤسسة على بنية الواقع إلى وجوه الاتصال التتابعي، الذي يكون بين ظاهرة ما وبين نتائجهما وأسبابها، ووجوه الاتصال التواجمي الذي يكون بين الشخص وبين أعماله، ووجوه الاتصال الرمزي الذي يقوم على الانتقال من الرمز إلى ما يرمز إليه الرمزي مثلما ينتقل من العلم إلى الوطن.

✦ الاتصال المؤسس لبنية الواقع: ينقسم الاتصال المؤسس لبنية الواقع إلى مستويين:

- المستوى الأول: تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة مثل:

أ- المثل:

يؤدي المثل دورا فعلا في الحجج، فبواسطته يتم التأكيد والإقناع على قضية ما، كما أن استخدم المثل يستلزم وجود خلاف في إحدى الفرضيات، الحجاجية لأنه كما يقول بيرلمان² "الحاجة بواسطة المثل تقتضي وجود بعض الخلافات في شأن القاعدة الخاصة التي جيء بالمثل لتأسيسها"²، وهذا ما نلاحظه في حياتنا اليومية، لما يكون هناك خلاف بين شخصين حول مسألة معينة، يأتي أحدهما للآخر بمثل يخدم تلك المسألة لإقناعه، وهكذا فإن المثل يسهم في تأسيس وتدعيم القاعدة الخاصة التي تم الخلاف حولها لتصبح قاعدة عامة وتشكل قانونا.

ب- الاستشهاد:

هناك اختلاف بين المثل والاستشهاد، فالمثل يؤتي به لتأسيس القاعدة أما الاستشهاد فيؤتي به من أجل تقوية درجة التصديق بقاعدة معروفة، وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول العام وتقوي حضور هذا القول في الذهن. كما أن المثل يكون بعد القاعدة بينما الاستشهاد يكون قبل القاعدة.³ بالإضافة إلى هذا يمكن أن نقول إن الميزة الأساسية للاستشهاد هي اعتباره صورة تدعم القاعدة وتوضحها على حد قول بيرلمان³ "لما كان الاستشهاد يهدف إلى تقوية حضور الحجة، يجعل القاعدة المجردة ملموسة بواسطة حالة خاصة، فقد نظر إلى هذا الاستشهاد على أنه صورة"⁴، والمقصود بالصورة هنا ليس الصورة البلاغية وما شابه ذلك، إنما المقصود بالصورة هو (image)، بمعنى أن الاستشهاد يشبه الصورة الحية التي تجعل القاعدة المجردة ملموسة.

¹ - ibid, p 353.

² - ibid, p 471.

³ - ibid, p 481.

⁴ - Perelmanettyteca, traité de l'argumentation, p 484.

الأدبية

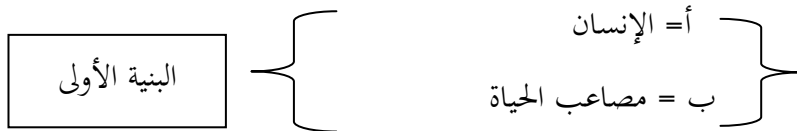
ج- النموذج:

يرتبط النموذج ارتباطاً وثيقاً بالسلوك، فالشخص الذي يملك سلوكاً متميزاً يصبح أنموذجاً يقتدى به ويسهم في تأسيس القاعدة العامة كما يقول بيرلمان " عندما يتعلق الأمر بالسلوك لا يصلح السلوك الخاص لتأسيس قاعدة عامة أو دعمها فحسب، وإنما يصلح كذلك للحض على عمل ما اقتداءً به، ومحاكاة له، ونسجاً على منواله"¹، لذلك يجب على الشخص الممتلك للسلوك المتميز أن يحافظ على سلوكه، ويحاول أن يجعله متميزاً أكثر وذلك كما قال عبد الله صولة: "إن انحرافاً واحداً منه قد يستخدم تبريراً لعشرات الانحرافات من قبل غيره"².

- المستوى الثاني: الاستدلال بواسطة:

أ- التمثيل:

يؤدي التمثيل دوراً هاماً في الحجاج، وقد اهتم به بيرلمان اهتماماً شديداً حيث يقول إن "التمثيل في الحجاج ينبغي أن تكون له مكانته، باعتباره أداة برهنة فهو ذو قيمة حجاجية، وتظهر قيمته الحجاجية هذه حين ننظر إليه على أنه تماثل قائم بين البنى، وصيغة هذا التماثل العامة هي: إن العنصر (أ) يمثل بالنسبة إلى عنصر (ب) ما يمثله العنصر (ج) بالنسبة إلى العنصر (د)"³، فأطراف التمثيل هنا بالنسبة إلى بيرلمان هي علاقة (أ) ب (ب) التي تمثل المشبه، وعلاقة (ج) ب (د) التي تمثل المشبه به، حيث إن العلاقة بين البنيتين أو طرفين ليست علاقة المشابهة التي اعتدنا عليها، لأن "ما يؤسس أصالة التمثيل وما يميزه من التماثل الجزئي أي ما يميزه من مفهوم المشابهة المتبدل على نحو ما، أنه ليس علاقة مشابهة وإنما هو تشابه علاقته"⁴، بمعنى أن علاقة (أ) ب (ب) تشبه علاقة (ج) ب (د) لذلك سمي تشابه علاقة. ومن خلال هذا كله نستطيع أن نقول إن "خاصية التمثيل تكمن في المواجهة بين بنى متشابهة وإن كانت من مجالات مختلفة"⁵، ومثال ذلك قولنا: وصبر الإنسان على مصاعب الحياة كمثل صبر الجمل على مصاعب الصحراء. حيث إن:



¹- ibid, p 488.

²- عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته، ص338.

³-ibid, p 500.

⁴- ibid, P 501.

⁵ibid, p 527.

الأدبية



فعلاقة الإنسان بمصاعب الحياة تشبه علاقة الجمل بمصاعب الصحراء، وبالتالي فإن التمثيل القائم على التشبيه بين بنيتين أكثر إقناعاً من علاقة المشابهة بين عنصرين.

ب- الاستعارة:

إلى جانب التمثيل اهتم بيرلمان كذلك بالاستعارة ودورها الفعال في الحجج ، حيث وصف الاستعارة من ناحية الحجج أي الاستعارة الحجاجية على أنها "تمثيل تكثف ناتج من الانصهار والاندماج الحاصل بين أحد عناصر الحامل ، وأحد عناصر الموضوع"¹ ، وهذا يعني أن الاستعارة تنحدر من التمثيل ، وهي ناتجة من التفاعل والاندماج بين أطراف الموضوع والحامل ، أي كما قلنا سابقاً بين البنيتين (أ،ب) ، (ج،د) اللتين تمثلان أطراف التمثيل.

2-1-3-2- طرائق الفصل:

لقد تطرقنا فيما سبق إلى ثلاثة مظاهر للاتصال الحجاجي ، وهي الحجج شبه المنطقية الحجج المؤسسة على بنية الواقع ، والحجج المؤسسة لبنية الواقع، وفيما يلي عرض لأهم مظاهر الانفصال الحجاجي .
إن الميزة الأساسية للطرائق الانفصالية، هي الفصل بين المفاهيم الموحدة والمتحمة فيما بينها، حيث إن الفصل يكون على مستوى المفاهيم² مردها إلى زوج الظاهر/الحقيقي، حيث إن الظاهر هو الحد الأول والحقيقي هو الحد الثاني. ويضيف بيرلمان أن الظاهر الذي يمثل الحد الأول، هو ما يخطر بالذهن ويدركه الفكر منذ الوهلة الأولى، فهو المعطى الراهن المباشر، بينما الحد الثاني الذي لا يمكن تمييزه إلا من خلال علاقته بالحد الأول، فإنه لا يمكن أن يكون إلا نتيجة فصل نحدته داخل الحد الأول نفسه، وذلك من أجل القضاء على ما يمكن لمحه في مظاهر الحد الأول. ويزودنا الحد الثاني في هذه العملية بالمقياس أو القاعدة التي تسمح لنا بالتمييز داخل مظاهر الحد الأول بين ما له قيمة وما ليس له قيمة. أما فيما يخص الفصل في الأقوال والخطابات،³ فإن ذلك يكمن في التمييز بين ما هو ظاهر/حقيقي، كذلك استعمال بعض الطرق مثل شبه علمي أو شبه منطقي، إلى جانب استعمال بعض العبارات مثل لا كذا، غير كذا، كقولنا لا فلسفي، غير فلسفي.

¹-Perelman et tyteca, traitéde l'argumentation, Op.cit, p 535.

² - Ibid, P 557.

³-Ibid, P 527.

الأدبية

- وضع بعض الأقوال بين قوسين أو مزدوجين.
- استعمال بعض الأفعال مثل يتوهم، يتخيل التي تسهم حسب بيرلمان في وضع حاجز أمام معرفة الحقيقة.
- استعمال بعض الجمل الاعتراضية كقولنا هذا الرجل شجاع إن صح أنه شجاع.

2-2- الحجج عند ستيفن تولمين (Stephen Edelston Toulmin):*

إلى جانب (بيرلمان وتيتيكاه) عُني (س.تولمين) بدراسة الحجج في مؤلفه (استخدامات الحجّة) ترجمة للمصطلح الإنجليزي "the uses of argument"؛ وهو مؤلف رمى من خلاله إلى تبيين مرتكزات ودعامات الخطاب الحججائي مخالفاً بذلك الدراسات التي سايرت الوضعية المنطقية آنذاك وعليها بُنيت مفاهيم الحجج بلبنات المنطق التقليدي المسيطر فيقول: "تناولت الحجج صراحة، على الرغم من أنه كان بإمكانها أن تكون مكاناً طبيعياً للتّظهير ولتطوير مفاهيم الحجج، فقد نجد مفاهيم الحجج والحجّة في استخدامات هؤلاء، لكن ذلك لتعلّقها فقط ببعض سمات وتصنيفات المنطق التقليدي (...). ما أمكننا القول بأنّها لم تهتمّ نهائياً بالحجج"¹، ليكون الحجج عنده توسيعاً وتجيّداً للمنطق إذ انتقل به من علم صوريّ إلى ممارسة حياتية واستخدامات يومية. هذا ما لمخناه من خلال رسوماته الحججية وقد قسّمها إلى ثلاثة أركان ترجمها الباحث التونسيّ عبد الله صولة بالمعطى (م) والنتيجة (ن) والضّمان (ض). وذلك من خلال شرحه وترجمته للرّسومات التي أثبت فيها تولمين طبيعة الحجج في الخطاب ككلّ وهي -عنده- أنواع ثلاثة²:

الأوّل: حجج ذو ثلاثة أركان أساسية: المعطى، النتيجة، الضّمان وتمثيله بهذا الشكل:

زيد تونسي (م) ليس شيعياً (ن) نظراً إلى أنّ أغلب التونسيين ليسوا شيعة (ض).

الثاني: وهو حجج يمتح من سابقه إضافة إلى عنصرين آخرين قد يتضمّنهما الخطاب في بعض أحيانته ومثاله:

*- عالم لغويّ إنجليزي ولد في لندن سنة 1922م، من كتبه استخدامات الحجّة، أخذت ترجمة هذا العلم وغيره من الأعلام المذكورين في هذا الفصل عن أحمد تركي الحجج وأثره القرآني على النص الشعري، بحث في جدلية التلقي وآليات التأويل، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه-علوم، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2015-2016م، ص وما يليها 32.

¹- فيليب برتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، السعودية، ط1؛ 1432هـ، 2011م ص59.

²- عبد الله صولة، الحجج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت. لبنان، ط2؛ 2007، ص22-23-24.

الأدبية

زيد تونسي (م) (موجه ج) من شبه المؤكد+ (ن) ليس شيعياً (ض) نظراً إلى أنّ أغلب التونسيين ليسوا شيعة (الاستثناء س) اللهم إلا إذا تشييع أثناء دراسته في إيران.

الثالث: وهو حجاج من نوع آخر، وهو واضح ودقيق بإضافة عنصر الأساس (fondement) الذي يقوم عليه الضمان نحو:

زيد تونسي (م) (ج) من شبه المؤكد+ (ن) ليس شيعياً (ض) نظراً إلى أنّ أغلب التونسيين ليسوا شيعة بحكم أنّ نسبة

الشيعة لا تكاد تذكر في تونس (س) اللهم إلا إذا تشييع أثناء دراسته في إيران¹

2-3- الحجاج عند ديكرو (Ducrot Oswald) و أنسكومبر (anscombe):

يعد ديكرو و أنسكومبر من جملة الباحثين اللسانيين -أو التداوليين بتعبير أدق- الذين اهتموا برصد بواعث الحجاج في اللغة وتتبع آلياته الخطابية، هذا ما وُجد في مؤلفهما المشترك "L'argumentation dans la langage" ترجمة لعنوان الحجاج في اللغة، وفيه قدّما مفهوماً خاصاً عن الحجاج حيث عدّاه اتجاهات من اتجاهات اللسانيات التداولية المعنية بدراسة الاستعمال اللغوي فيما يخصّ الباث والمستقبل.

في ظلّ هذا الاتجاه يظهر مفهوم الحجاج مقرونا بنظرية التواصل ومستلزمات الخطاب الحاصلة بين المخاطب والمخاطب، وعليهما يقوم كلّ خطاب، وما يفهم من ذلك كلّهُ أنّ الحجاج نظرية وفعلٌ موجودان في اللغة وفي أيّ خطاب، وهذا ما رآه "ديكرو" معللاً إيّاه بقوله: "تحمّل اللغة بصفة ذاتية وجوهريّة وظيفية حجاجة (..) وتنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة؛ أي القواعد الداخليّة للخطاب والمتحكّمة فيتسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدرجي، وبعبارة أخرى فإنّ الحجاج يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب"².

أي، إنّهُ المكوّن المحوريّ الذي يقوم عليه الخطاب، وذلك منذ زمن بعيد زمن التأثير بالكلام والتحكّم في آليات

¹-عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص24-25.

²- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الأحمديّة، ط1، 1426 هـ، 2006م، ص08.

الأدبية

التأثير، وقد وعى بلاغيو ذلك العصر هذه اللبنة التي تُنجح الخطاب وتعزز من طبيعة العلاقة بين المخاطب والمخاطب بطريقة جميلة يبدأ الكلام منها على شكل درجات (مجموعة من الحجج) وصولاً إلى نتيجة تُحسّم كلّ الحجج فيقتنع القارئ بماهية الرسالة وفحواها، وهو ما أطلق عليه (ديكرو) في دراسته للتداولية المندمجة أو المنسجمة بالحجاج الفتي وهو "صنف من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون مُدرجة (Scolaire) أو قابلة للقياس بالدرجات؛ أي أن تكون واصلةً بين سلام¹".

إنّ ممّا يلاحظ على قول (أوزوالد ديكرو) أنّه درس الحجاج في الخطاب اللفظي الذي تُعنى بتتبُّعه التداولية "Pragmatique"، وما ينتج عليه من تأثير وتفاعل؛ أي أنّ لكلّ لفظ لساني وظيفة مدرجة تداولياً، إذ يكون له في الأولى وظيفة تلفظية إخبارية توصيلية، وفي الثانية (الضمنية) يؤدي وظيفته المفهوماتيّة الإقناعية ولذلك نجده في كتابه "Les mots du dis cours" يلح ويؤكّر كثيراً على بعض الملفوظات في "توجيه وتحديد مسار الخطاب الحجاجي وصولاً إلى نتيجة معينة مثل لكن، حتماً، أجد أن...، فبتلفظنا لهذه الجملة نحن مُحاجج في صالح استنتاج معين"².

4-2- الحجاج عند كريستيان بلانتان (Plantene Cristianne)*

عكف الباحث الفرنسي "كريستيان بلانتان" على قراءات السابقين للنظرية الحجاجية، وانطلق منها مجدداً ومكتشفاً أنّها لاقت اختلافات وتبايناً من ناحيتين اثنتين:

الأولى: أنّ هذه النظرية وفي طابعها العامّ خدمةٌ للدعاية والأحداث السياسية التي شهدتها العالم في ظلّ انفجار الحروب وبروز الأنظمة المتعدّدة التي تؤمن بالحجّة والدليل.

¹ - صابر محمود حباشة، الحجاج في التداولية مدخل إلى الخطاب البلاغي، مجلة ثقافات. البحرين، ع(24)؛ 2011، ص 203.

² - ينظر: جونس رفوني، اللسانيات والتداولية، ترجمة: هو الحاج ذهبية، مجلة التبيين تصدر عن الجاهظية، الجزائر، ع(19)، ص 76.

*- كريستيان بلانتان مدير البحث في المركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي CNRS وعضو في فرقة بحث حول التفاعلات التواصلية interactions communicatives بجامعة ليون-2 و مسؤول عن مجموعة "الحاجة و علوم اللغة" Argumentation et sciences de langage التي تصدرها دار Kimé للنشر، حيث صدر له كتاب: Essais sur l'argumentation (إعادة صياغة)، نقلاً عن محمد تركي، الحجاج وأثره القرائي على النص الشعري، ص 32.

الأدبية

الثانية: تُعنى هذه النظرية الحجاجية بدراسة طرق و سنن القول المتأخّرة والمعمول بها في ميدان الخطابات القضائية التي يمنح أصحابها إلى البحث في " الفكر الحجاجي عن وسيلة وأداة لتأسيس عقلانية خصوصية متوقّرة في الأمور البشرية"¹. فهذا الحجاج أو ما سمّاه بالحوارية الجديدة الموجودة في كتابات ودراسات "شام بيرلمان" و"تولمين" المختلفة من جهة والمتفقّة في جهات أخرى**

هي ما مكّنت أصحاب السياسة والقضاء من التفاوض والآخرين في إطار فكريّ واعٍ بمجريات الخطاب والتواصل، وطرق تصريفه للغير بطريقة تعتمد الإقناع والبرهنة عن كلّ السلوكات والقضايا المطروحة.

انطلق (بلانتان) في كتابه الحجاج (**l'argumentation**) من التّموذج الكلاسيكيّ للمصطلحات البارزة

الممثّلة للخطاب منذ مرحلة التّفكير إلى مرحلة التوصيل والإبلاغ، وهي مصطلحات كانت مدارّ دراسة وانشغال قبله؛ كالمنطق الذي اعتبره فناً للتفكير بدقّة، والبلاغة فناً للتحدّث بشكل جيد، والجدل فن الحوار الجيّد². فأبى خطاب يعتمد الحجّة لا يخلو مما ذكر "بلانتان" وذلك منذ أرسطو إلى الآن، فكان لا بدّ لدارس هذا النوع من الخطابات فهم هذه الأساسيات ليتوغّل إلى قراءة الحجاج و مفهومه، ما جعلنا نعتقد أنّ (بلانتان) درس المصطلح بوعيّ نقديّ جمع فيه بين ما توصل إليه صاحبنا "مصنف في الحجاج"، والآخر صاحب كتاب "استعمالات الحجّة". ولذلك تنوّعت تعريفات الحجاج-عنده- وتعدّدت أنواعه فهو:

- ممارسة فكرية: يشير "بلانتان" في دراسته حول الحجاج بأنّه عمليّة فكرية نابعة من ذات تسعى لإخراج هذا الفكر وتوصيله للآخر عبر مواهب فنيّة وتقنيّة هدفها إحداث التغيّر وإخضاع الآخر (خصم، صديق...)، بحجج وبراهين قاطعة، وهذا ما عبّر عنه حرفياً بقوله:

"Argumentation a d'abord été pensée comme composant des systèmes logiques, rhétorique et dialectique,

¹ - VOIR: Christian Plantin. L'ARGUMENTATION, SEUIL, Paris, 1996,p 08 Comme en voir oussi Traduction AekAlMuhairi, p 21.

**- يتكلم عبد الرزاق بنور عن هذه القضية في كتابه جدل الخطابة والحجاج، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008م ص77.

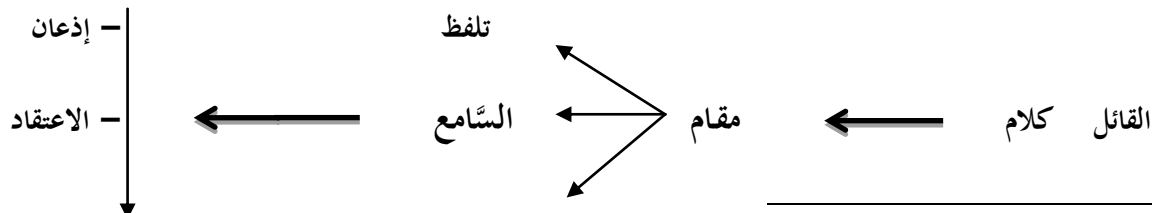
²-voir:Logique = « art de penser correctement », rhétorique = « art de bien parler », dialectique = « art de bien dialoguer », Christian Plantin,L'ARGUMENTATION,SEUIL,Paris,1996,p04.

الأدبية

ensemble disciplinaire dont la destruction a été parachevée à la fin du XIX^e siècle¹.

- **الحجاج نشاط لغوي** : فالفكري لا يكون إلا إذا مرَّ على مضمار اللُّغة أيّ الفكرة المنبثقة واللُّغة التي تُبلَّغ بها هذه الأخيرة، ولولا اللُّغة لما قام الحجاج، فهو لغوي لأنَّ صاحبه يمارس تعبيراً بلغة ما سواءً كانت شفوية أو مكتوبة، وعليه أن يترك بصمته في هذا الخطاب لا ليقل كَتَب، وإنما برهن وعلَّل بمهارة، فالإقبال على درس الحجاج مجازفة إن لم يكن للباحث باع في علوم اللُّغة، وقد يتجاوزها إلى الفلسفة فينظر لهد الخطاب الحجاجي من زاوية المنطق (الصُّوري أو غير الصُّوري) والعلوم العرفانية².

- **الحجاج خطاب لساني**: في هذه القضية نجد "بلانتان" يعود للدرس السويسري، ويمتدح من ثنائياته (لغة وكلام، اللسان واللُّغة، اللسان والكلام...)، إذ البحث عن الحجاج ينتمي إلى لسانيّة اللسان بالمعنى السويسري للفظ. إذا اعتبرنا الحجاج خلافاً لهذا ظاهرة خطائيّة تنتمي إلى ممارسة اللُّغة في مقام أمكن الاختيار بين أمرين: [أولهما] كلّ كلام حجاجي حتماً، فهو نتيجة ملموسة للتلفظ في مقام؛ وكلّ ملفوظ يرمي إلى التأثير في المرسل إليه، في الآخر، وتبديل نسق فكره. وكلّ ملفوظ يجبر أو يحمل الآخر على الاعتقاد وعلى النظر وعلى الفعل بطريقة غير طريقتيه. ودراسة الحجاج هي دراسة نفسية لسانيّة أو اجتماعية لسانيّة. [وأخرهما] بعض الخطابات فقط حجاجية، وينبغي البحث عن الحجاجية في طريقة تنظيم الخطابات³. فمن كلام كريستيان المترجم نلمح تعريفاً آخر للحجاج إذ هو حمل المستمع على قبول ملفوظ في سلطة كلامية صحيحة ومقام توجيهي مدعم بحجج لا نقول حقيقية وإنما مقبولة لدى الطرف الآخر، وهذا الموقف هو موقف النظريات الكلاسيكية للحجاج البلاغي". كما هي مبيّنة في الخطأطة:



¹ - Christian Plantin, L'ARGUMENTATION

² - ينظر: كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري ومراجعة: عبد الله صولة، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، سلسلة مقالات اللغويين، تونس؛ 2010م، ص33.

³ - جمال مقابلة، المحاضرة الخامسة في تحليل الخطاب - البلاغة - الحجاج ما العلاقة بين هذه المباحث وما مدى تأثير كل منهما في الآخر، الجامعة الهاشمية؛ 2013م، ص161.

الأدبية

- تغيير وجهة نظر

حجج

الخطاب اللساني في بنيته العامة خطاب حجاجي

فكلام (بلانتان) الأول صحيح إذا ما تتبعنا حركية هذا الخطاب من أول ولادة له (ملفوظ) إلى وصوله (طرق التلفظ) للسامع الذي يطبق عليه إجراء المخاطبة للتسليم أو الرّفْض، وبلانتان في كلامه هذا يحمل فكرة فرديناند دي سوسير (F.de-Saussure) لكلّ دالٍ مدلولٍ يعبر عنه، إلا أننا نجد في الرأى الثاني تناقضا يتنافى مع الأول، فإن نجح الفعل الكلامي بين الطرفين، ينبغي أن يكون كلّ كلام حجاجي بدوره ودون استثناء، لتكون دراسة الحجاج لسانية اجتماعية مهتمة بالآثر النفسي الذي يتركه المخاطب في مخاطبه¹، لكنّ السؤال الذي نطرحه على "بلانتان" وإن لم يحظّ الخطاب بالقبول لدى السامع فهل يكون هذا الخطاب حجاجياً؟ وكيف تُحدّد حجاجية الخطاب؟

• حجاجية اللسان أم حجاجية الكلام:

مازالت قضية اللسان والكلام مهيمنة على الساحة اللغوية، ومع احتدام الأوضاع وتمايز الأشكال اللغوية، ونماء خطابات مختلفة مفعمة بالمساومات والمفاوضات الكلامية أصبح الرجوع إلى دراسة هذه القضية من باب أولى وأحرى، وهي قضية ترعرعت في كنف المشروع اللغوي السويسري كما هو معلوم، وامتدت إلى أنصار البلاغة المعاصرة وبالتحديد عند (بلانتان) الذي كشف عن دوري اللسان والكلام في إخراج الخطاب الحجاجي²، باعتبار أنّ اللسان هو نظام مجرد به يكون التواصل اللغوي بين الأفراد، فهو ضروري إذا ما رعيينا مسألة فهم القول الذي يدخل الحجاج في صناعته³، والمتكلم يسعى جاهدا لتوظيف كلّ الأساليب والتعبير المستقاة من لغته؛ إذ يحاول فيها هزّ كيان متلقيه، من خلال نشاطه الفردي اللغوي وإن اختلفت طرق القول.

¹ - كريستيان بلانتان، الحجاج، كريستيان، تر: عبد القادر المهيري ومراجعة: عبد الله صولة، ص34. كما ينظر: جمال مقابلة، المحاضرة الخامسة في تحليل

الخطاب - البلاغة - الحجاج ما العلاقة بين هذه المباحث وما مدى تأثير كل منهما في الآخر، ص161.

² - المرجع نفسه، ص 34-35.

³ - عبد الله صولة، كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري ومراجعة، ص34-35.

الأدبية

هنا نجد "أنَّ القدرةَ الحِجاجيةَ فعلٌ في اللسان، أمَّا الإجراء الحِجاجي فهو في الكلام"¹، وبمعنى آخر إنَّ المخاطبَ يُخاطب سامعه بلغته المتداولة بينهم، بشكلها وقواعدها المعهودة، أمَّا طريقة التأثير فتكون في مدى تحكُّم المخاطب في تراكيبه اللغوية المؤدِّية إلى إبلاغ الرِّسالة، وما يجب أن يكون عليه الدَّال أو الملفوظ وفقا للسياق المطروح فيه.

● الحِجاج قاسم مشترك في كلِّ الخطابات المعتمدة على الحوار بنوعيه سواء ما تعلَّق بالذَّات (monologues) أو بالجماعة في عملية التَّواصل، فدراسة الحِجاج لا تقتصر على أقوال المخاطب فحسب بل تركِّز على دراسة المقام أو الصِّغ المتداولة أثناء المحادثة. هنا يتقاطع كريستيان وباختين* إذ اهتمَّ كلُّ منهما بالحواريَّة (dialogism) أو بما يمكن أن يؤديه الحوار من وظيفة في الخطاب والنَّص معاً، وعلى هذا التفاوض الكلامي، والتفاعل التَّخاطبي تتوطَّد العلاقة بين المتحدِّثين وتقوى شرارة الخطاب وينفتح على التَّأويل الذي يزيد من امتداد المعاني وتوسيع الدَّلالات. ومن هذا التَّداول الثنائي تتحدَّد درجة الحِجاج وقوته.

● دراسة الحِجاج غير معيارية و معيارية (كلام من كلام):

يرى "بلانتان" أنَّ للمقارنة المعيارية فائدةً كبيرةً، وهي مقارنة تستند على المفارقة والتَّمييز بين أنواع الحِجاجات في طابعها العام وهي عنده نوعان²:

- (Argumentative de bonne)

- (Argumentative de mauvaises)

ولكلِّ واحد منها معايير، إذ المطلوب فيها الفعالية (l'efficacité) التي تبدو صورتها بعد الإجراء التَّلفظي (énoncé procédure)المجسَّد على خريطة الواقع، فحمل المتلقِّي على فعل شيء حسن من أولى أولويات هذا المعيار " سواء تعلَّق الأمر بالحمل على حسن التَّصويت أو حسن التَّفضيل أو الاشتراء على صواب. ولنشر أنَّ

¹- ينظر: أحمد تركي، الحجاج وأثره القرائي على النص الشعري، ص36.

*- ميخائيل باختين فيلسوف ولغوي روسي من مواليد (1895 - 1975م)، له مجموعة من المؤلفات نكتفي بذكر الأهم منها: شعرية دستوففسكي، الماركسية وفلسفة اللُّغة/ Marxism and the Philosophy of Language (1929م)، ينظر: أحمد تركي، الحجاج والأثر القرائي على النص الشعري، المرجع السابق، ص36.

²-voir :Christian Plantin,L'ARGUMENTATION,p19.

كما ينظر: الحجاج. كريستيان بلانتان. تر: عبد القادر المهيري ومراجعة: عبد الله صولة. ص 34-35.

الأدبية

الأمر يتعلّق بالحمل على الفعل لا بالحمل على الاعتقاد، فمقولات العمل على الإقناع أو الصّدق أو الاعتقاد أو الإقناع هي هنا خاضعة لإشكاليات الفعل¹.

فكلُّ هذه اللّبنات التكوينية التي ذكرها "بلانتان" هي سبب في ضمان معيار الفعلية أو النّجوع لأيّ خطاب حجاجي سليم مستند على مرجعيات فكرية صائبة، إذ هدفها واحد هي الوصول بالمتلقّي إلى الإذعان والتّسليم للقضيّة محلّ النقاش، وهو ما نلاحظه في الخطابات السّياسية، وفي عروض البيع، والتّرويج للسلع والمبيعات.

إلّا أن هذا المعيار يتواشج مع معيار آخر هو معيار الصّدق (La vérité)، الذي يضمن حقيقة الأشياء، وإن

كانت الحقيقة بعيدة في الخطاب الحجاجي لأنّه خطابٌ مبنيٌّ أساساً على قضيّتي الاحتمال والتّقريب والنّسبية²، ونتائجه معقولة أو احتمالية أو متوقعة لكنها تبقى نسبيّة، وفي هذا الخطاب لا نجرؤ على تكذيب واحد من المتناحرين، هنا نخالف (بلانتان) في قوله حسب ما ترجمه عبد القادر المهيري: " يضمن الحجاج المحافظة على الصّادق واكتشافه. وهذا هو الميدان الواسع للحجاج في العلوم. يمكن أن يعتبر المرء معيار الصّدق معياراً مطلقاً ويحاول أن يُخضع له كلُّ الحجاجات المشتركة"³، فإذا نظرنا إلى الملفوظ الذي يراد به الحجّة نجد أنّه لا يتعدّى أن يكون فعلاً إنجازياً على وجه الإلزام، وإذا أخذنا شريطة الصّدق كمعيار، وجب علينا أن نعيد النّظر في معياريّ الحقّ والخير الذين كانا يعوّل عليهما في بناء الحجاج.

➤ الحجاج إجماع حول اختلاف:

يدخل الحجاج ضمن التّقنيات الأساسيّة في التّواصل اللّغويّ، ولذلك يتّسم بمظهرين أساسيين أولهما الإجماع (Consensus)⁴؛ هنا يتّفق كلُّ من المحاجّ و المحجوج (السّامع) على صواب قضية وقد وصلا إلى التّسليم بصحتها ففهم كلّ منهما الآخر، وتواصلت سيرورة الخطاب بينهما، تماماً مثلما يحدث في المحاكم إذ ينجح القضاة عادة إلى توسيع حلقة التّفاهم عن طريق الكلام بالرّد والقبول، فيكون الحجاج أداة لتسوية النزاعات الحاصلة حول قضية ما.

¹ - كريستان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري ومراجعة: عبد الله صولة، ص35.

² - كريستان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري ومراجعة: عبد الله صولة، ص35.

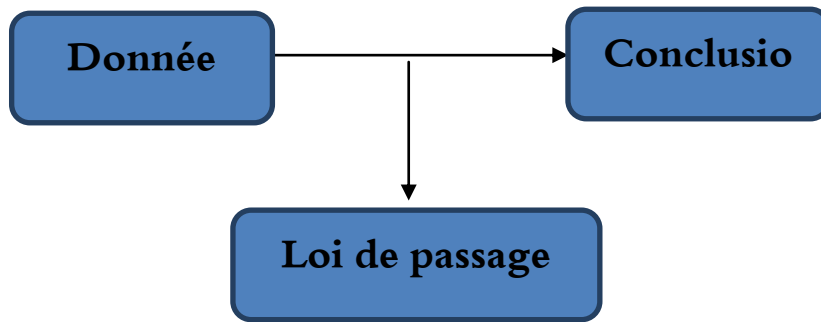
³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأدبية

وللعلمة وجه آخر يأخذ مظهر العكسيّة المتمثّلة في الاختلاف (**Dissensus**) فقد يُبنى الخطّاب مثلاً على قضيّة تعارضت حولها الآراء وأدلى كلّ واحد فيها بدلوه، وهذا الاختلاف لا ينقص من قيمة الخطّاب إذ الخطّاب الذي تكثّر سبيل الاعتراض حوله هو خطّاب مفعم بمحمولات حجّاجية هي مدار دراسة الحجّاج الذي يُفعلّ الخلافات ويعمّقها، ليبقى الاختلاف و"التّنافر شرط لتجديد الفكر"¹، ولولاهما ما كان الحجّاج، وعليه يتسنى القول: "لا حجّاج من دون اختلاف ولا اختلاف من دون حجّاج" لكن أيّ خلاف نقصد؟ هو الخِلاف الإيجابي المدعّم بالدليل الذي يطلبه كلا المتحاورين للوصول إلى غاية.

يقوى الخطّاب المتنازع حوله بهذه الحجج والبراهين المتنوّعة بين القبول والرّفص، ليسعى كلّ واحد منهم إلى تبرير الرّأي ومقارعة الخصم به، إذ لا ينكفي هذا الخطّاب على عنصري الإفهام والتبليغ كما كان متداولاً في التّراث ومجسّداً في فن البلاغة مثلاً، بل يضيف لهما عنصريّن آخرين هما: العرض (العارض) والاعتراض (المعترض)² وما يجري بينهما من مساومات كلاميّة (**Question**)، هذا الثّالوث الحجّاجيّ الذي ركّز عليه "بلانتان" وهو يرصد العمليّة التّخاطبيّة من نشأتها الأولى كملفوظ (**énoncé**) إلى بلوغها كفعل (**acte**) معتبراً أنّ لكلّ مُعطى (**donnée**) قانون عبور (**Loi de passage**) ونتيجة (**Conclusion**)، فطبيعة هذا الكلام منطقيّة ومقبولة ما لم ينقصها طرف من هذه الأطراف وكلّ فيها أساسي لا يمكننا الاستغناء عنه. إنّنا الآن أمام خُطّاطة حجّاجيّة (**Schéma argumentatif**)³ متواصلة هي كالآتي:



¹ - المرجع نفسه ، ص36.

² - كريستان بلانتان، الحجّاج، تر: عبد القادر المهيري ومراجعة : عبد الله صولة، ص48.

³ - voir: Christian Plantin, L'argumentation, p23.

2-5- الحجاج عند فيليب بروتون (Philippe Breton)*:

كان للباحث الفرنسي "فيليب بروتون" رأي في مسألة الحجاج، إذ هو ميدان دراسته وبخثه وله فيه بعض أعمال عديدة نذكر منها تمثيلاً لا حصراً:

(L'argumentation dans la communication)، (l'explosion de la

communication)، وقد حظيت هذه الأعمال بترجمات عربية؛ فهو - في مؤلفاته - كما نرى لم يأت بجدد على الصّعيد التّنظيري، وإنّما أعاد صياغة ما وجدته بطريقة مسايرة و روح العصر الذي نشأ فيه، عصر المباريات والسجلات الكلامية أو عصر الحجاج الذي كثّر الكلام حوله، بدءاً من أرسطو إلى الآن، وأي تعريف للحجاج ضيق لأنّه من الإجراءات الإنسانيّة التي تساعد الإنسان في عمليّة الإقناع و إبلاغ الرّسالة للجمهور كما سمّاه بروتون¹، أو تبني سلوك ما أو تغيير وجهة نظر.

ووسط هذا التّواشج بين الأخذ والردّ في الكلام يتبين لنا أنّ الحجاج يُثري النّص ويكسبه قوّة من جهتين اثنتين: تتمثّل أولاهما في الإقناع الذي يُخلّق الخطاب من أجله، ومن أخرى تحقيق الإمتاع وتشويق الجمهور خصوصاً إذا تعلّق الأمر بقضيّة أدبيّة زاخرة بالجماليّة والإبداع².

منح فيليب (بروتون) الإقناع (Convaincre) أهمية كبيرة، إذ هو شرط أساسي يُعوّل عليه في عملية الاتصال بين البشر، ولذلك تتعدّد صورته وتختلف حسب طبيعة كلّ باث، إذ تدخل بعض المعايير القيميّة التي تجعلنا نراعي خصوصيات هذا المخاطب في عمليّة الإقناع و"كيفية تنفيذ المنطق في عمليته التّواصلية بحجج مُدعمة"³. ولغاية الإقناع درس (بروتون) قضية الحجاج الكبرى معتبراً إيّاها قضيةً موهلةً في البلاغة القديمة بلاغة أرسطو، والفلاسفة ككلّ كما عدّها قضية العصر مادام أنّنا نعيش مع التّواصل الآني والدّائم، لذلك وجب علينا التّماشي ومتطلبات هذا العلم "بكلّ آليّاته خصوصاً ما تعلّق بالمثلث التّواصلية الذي نمثله بالخطاطة التّاليّة:

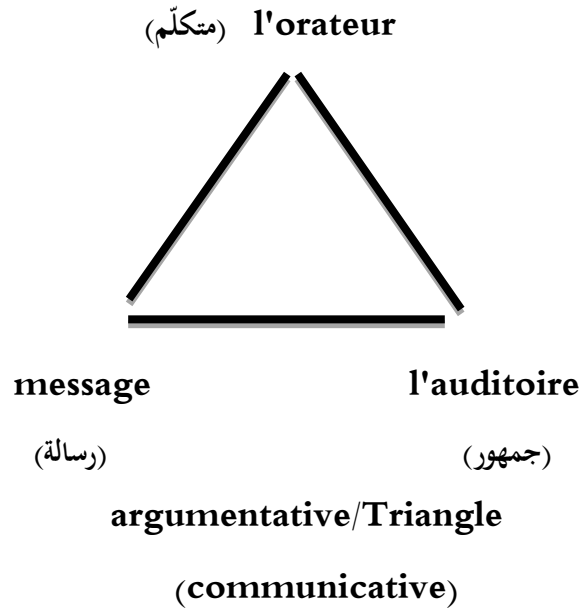
*- باحث أكاديمي فرنسي يشتغل على حقول المعلومات والاتصالات، ويبحث في علم الاجتماع بمختبر للثقافة الأوروبية (CNRC). للاستزادة ينظر: أحمد تركي، الحجاج وأثره القرآني على النص الشعري، ص40.

¹- voir: Philippe Breton, L'argumentation dans la communication, La Découverte, coll « epères », Pans, 1996, p 04.

²- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم الفكر، الكويت، 1992م، ص144.

³- voir: Philippe Breton, L'argumentation dans la communication, p05.

الأدبية



ينطلق بروتون في تتبعه لماهية الحجج والحجة من أعلام اشتغلت على هذه القضية ك: "شليم بيرلمان"¹، ولذلك نجده يقرُّ بأنَّ البلاغة كموضوع للتعبير الأدبيّ غاب مفهومه في القرن التاسع عشر، ولم تصبح خطاباً للطبقة الراقية مثلما كان مفهومها مع اليونان بتحفظ شديد، ووسيلة من وسائل تنميق الكلام، وإنما أصبحت لها وظيفة أخرى تكمن في التّواصل والإبلاغ ومدى تأثير الكلمة في المتلقّي، ولذلك نفى أن تكون البلاغة في عهد ركودها مسخرة للإقناع والتأثير وهذا ما عبّر عنه حرفياً بقوله²:

La rhétorique n'est plus qu'une « couleur », un « ornement » et non un instrument de raisonnement pour convaincre.

ومع تقدّم الزمن وحتى قبيل فترة الستينيات، ومع انتشار الإعلام الذي غزا الساحة الثقافيّة، تبلور مفهوم الخطاب الجديد الذي يهتم بأقطاب التّواصل، وعلى هذا كانت أوّل مرحلة نبوغ في البحث البلاغيّ المعاصر مع رولان بارت (rolandbarthes)* و أوليفي ريبول (Olivier reboul)** إلا أنّهم سلطوا جلّ

¹-Breton Dit :«On doit à Perelman un véritable renouveau de l'intérêt pour , l'argumentation » , L'argumentation dans la communication,p11.

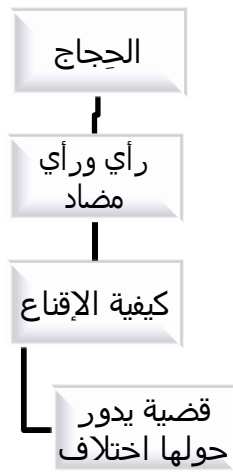
²- ibid,p 10.

*-فيلسوف وناقد أدبي ومنظر اجتماعي فرنسي الأصل ولد سنة 1915م، له جهود جمة في تطوير المناهج والتيارات التقديّة كالبنيويّة وما بعدها والوجودية، من كتبه لذة النّص، والكتابة في درجة الصفر، نقد وحقيقة و س/ز و مبادئ في علم الأدلة.

الأدبية

أبحاثهم على العلامة دون تعديها، وهو حقل من حقول إحياء معنى البلاغة لكن في مجالها الصَّيق، إلا أن (بيرلمان) ركَّز على البلاغة كفعل للإقناع من جانبٍ إبلاغيٍّ مؤثَّت بالجمالية. وتأسيسًا على هذه الأطر شرع بروتون في معالجته لقضية الحجاج، بدءًا بالسؤال منذ متى يملك الإنسان معرفة بالحجاج؟¹.

إنَّ الحجاج أو الحجَّة لا يمكن لأيِّ باحث لساني حصرها وتحديدتها في فترة زمنية دون أخرى، فهو موجود ما وُجد التَّواصل، إلا أنَّ لكلِّ منا حجَّته في تدعيم آرائه وأقواله، لكنَّ الأصل الذي نَتَفَقُّ عليه ولا نجادل هو الحجاج وقد حدَّد (فيليب بروتون) مفهومه في شكل مبسَّط:



يَتَّخِذُ الباحث في عملياته التبليغية صيغا كثيرة-حسب ما يراه بروتون- فالملقِّع لن يُؤثر في سامعه ما لم يُسلِّك بعض الأساليب الممكنة من الوصول إلى أعماقٍ صاحبه وانقياده له بطريقة لطيفة، ومن أجل ذلك حصر (برتون) الحجاج باعتباره وسيلة للإقناع في العناصر التالية:

➤ **الاستمالة:** يستعمل هذا الأسلوب عادة في الإقناع ويجري على الألسن في مختلف التَّعاملات الواقعة بين البشر، كالصَّنْفقات وعروض البيع، فيجئ البائع لتوظيف صيغ التَّلَاعب والتَّأثير في المشتري بطرق تدفعه إلى الخضوع سواء على المستوى العقلي² القائم أساسًا على إثبات الحجج واختيارها لمسايرة الموقف الذي تريد الخوض فيه،

**-مفكَّر وفيلسوف فرنسي (1925 - 17 ديسمبر 1992)، مهتم بالبلاغة وتحليل الخطاب له العديد من المؤلفات في الفلسفة والبلاغة واللُّغة وعلم التَّربية: نذكر منها على سبيل التَّمثيل:

Langage Qu'est-ce qu'apprendre . - Langage et idéologie- Introduction à la rhétorique- (Le del'éducation)، ينظر: أحمد تركي ، الحجاج وأثره القرائي على النص الشعري، ص 42.

¹-voir: Philippe Breton, L'argumentation dans la communication,p15.

² -Philippe Breton, L'argumentation dans la communication,p 05

الأدبية

وهذه مرحلة أساسية تجعل السامع يتحسس ما سيلقى عليه، ويبدأ في عملية التفاوض وكسر كل القيود النفسانية التي تقف عائقاً أمام وصول الرسالة، ولذلك نبذه يستخدم كل الإجراءات اللغوية التي تثبت صحة كلامه في إطاره المعقول.

إلا أن المعقول وحده لا يفي لإبلاغ الفكرة، فيلجأ إلى مناشدة العواطف والأحاسيس لله يجد في الكيان الداخلي الشعوري شيئاً منه يصل إلى المتلقي، وكثيراً ما يلجأ إلى سرد القصص وتتبع الأحجية القديمة لتدعيم فكرته، فكل هذه الطرق اقتراحات ترمي إلى التسليم والإذعان، و النفس للقص أقرب وأهدأ و أجذب، لأن القص لا يخرج عن محورين هما :

الاستمالة بمفهومها العميق، والاستمتاع المجتبى بعد هوة فاصلة بين حدث و حدث آخر يكتشفه القارئ، حتى يصل إلى الحقيقة¹.

➤ الإغراء: يرى بروتون أن الإغراء من أطف الوسائل المؤدية إلى إقناع الطرف الآخر، فهو أسلوب جذاب هادف إلى تغيير الآراء وعكس المواقف من الأسوأ إلى الأحسن والعكس، إذ يبقى الأمر لحكمة المخاطب وفذلكته التعبيرية في صياغة الحجج والبراهين، ويبرز هذا النوع في الخطابات السياسية، والمرافعات القضائية منذ أرسطو ولايزال سائداً إلى الآن، وهو ما أطلق عليه بالإقناع الخفي²، وهو إقناع محقق مسبقاً في قرارات المخاطب كأن يطلب من صديق له تركيته أمام الجمهور، إذ يحكم الجمهور على كلام هذا الأخير ويحملونه حمل الجد فلا يكذب وتعتمد حجته ويعد عن التضليل.

2-5-1- ضرور الحجاج في تصور فيليب بروتون:

في هذه النقطة تفرّد بروتون عن غيره وحصر الحجج في أربع أقسام هي كالتالي:

➤ حجج السلطة (Les arguments d'outorité) :

يتعلق هذا النوع من الحجج ويرتبط بالمتكلم، سواء كان واحداً (الله) أو جماعة من ذوي الآراء الصائبة والمشهود لهم من طرف الجمهور بالسندادة وترجيح العقل، إذ عند بثها تصل إلى القلب وتصبح محلّ جدل ، هنا يكون الكلام مع احترام وهيمنة الطرف الثاني؛ فنحن مثلاً لا نخطيء عالماً برّ عن قضية كانت محلّ تساؤل، كما لا نردّ

¹ - ينظر: محمد مشبال، البلاغة والسرد (جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب؛ 2010م، ص71-72.

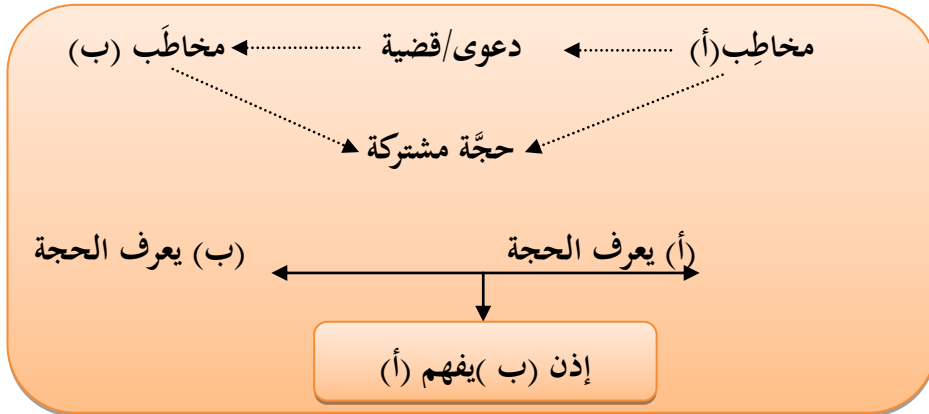
² - voir: Philippe Breton, L'argumentation dans la communication p 05.

الأدبية

خطاب زعيمٍ سياسيٍّ من زعماء العرب شهد له بالحنكة السياسيّة وحسن التدبير، ومن المتكلمين من يلجأ إلى شخصيّة قويّة كان لها الأثر البالغ عند الجماعة المُخاطبة في تبرير رأيه والوصول إلى النتيجة المطلوبة، إذ هي عنده حجج صدرت عن سلطة يحترمها السامعون وكثيراً ما يحصل هذا في ثقافتنا العربيّة. وبالتالي " تكون هذه الحجّة موثوقة وثابتة مسبقاً"¹، هذا أول شرط-الثقة (confiance)- اقترحه (فيليب بروتون) في سلامة هذه الحجج إضافة إلى الكفاءة (La compétence)، والتجربة (L'expérience)، والشهادة (témoinage).

➤ حجج الاشتراك أو المواضعة (Les arguments de communauté)²:

توظّف هذه الحجج بكثرة في الخطابات لتمكين وتوطيد قيمة الشّيء المحاج حوله في المستمع، وقد تكون عرفاً تواضع عليه البشر أو قيما المشتركة بينهما؛ وهي حجج افتراضية شائعة تدخل في أنثروبولوجيا anthropology المجتمعات، وطريقة أنظمتها المتعارف عليها من قبلهم، فجميعنا متفق مع حقيقة القضية التي نحن بصدد التحدّث عنها. وعلى هذه الرّتبة الكلاميّة يأخذ الخطاب هذه الصبغة:



➤ حجج التّأطير (Les arguments de cadrage):

يستعين الملقّي بحجّة التّأطير في عرضه لقضية من زاوية معيّنة دون أخرى أيّ يعظّم بعض المظاهر والأحداث و الوقائع يرى الحاجُّ أنّها ضرورية فيركّز عليها ويغض الطرف عن أخرى ويقزّمها، كما يحصل حجج التّأطير عبر الجمع بين مجموعة من الأشياء لخلق واقع جديد، واقع يُنسج من أحداث كانت موجودة؛ إذ يعتمد الحاجُّ إلى توليف

¹ - Ibid,p,p61-62.

²-Ibid,p 69.

الأدبية

عناصرها بصيغة جديدة، مدعماً بحجج شبه منطقية مفتوحة على الاحتمالات، وأكثر ما نرى هذا النوع من الحجج في الخطابات الجماهيرية¹.

وبهذا الجهد الفكري تظهر قدرة المحجج في توجيه خطابه للجمهور، مركزاً على الشكل الذي ستظهر الحجّة فيه على السّامع، تماماً مثل ما يفعل الرّسام في تشكيل إطار صورته حتى تحقّق القبول لدى النّاطرين، ويعتمد هذا النوع من الحجج على القصديّة والتّركيز والتّرتيب للوصول إلى الإقناع².

➤ حُجج التّماتل / المماثلة (Les arguments d'analogie):

يقوم الوسط الحجاجي على هذا النوع من الحجج المبنية على آليّة من آليات علم البيان (تشبيه، استعارة، كناية)، إذ يوطّد المحجج رأيه وبينه على علاقة تشابهية ربطت مع أمر آخر، وبهذا المزاجية يستطيع المحجج إثبات حقيقة الشيء الذي يحاول تبريره، ويتعلّق هذا النوع من الحجج بالشّعور خاصّة باعتباره مرتعاً للتّخييل وإعادة خلق الواقع³. وقد لا يكون إذا ما نظرنا إلى الملموس فليس كلُّ مماثلة حجّة نترقّب من ورائها دحض أو قبول رأي يذهب بروتون، فتركيبية الكلام جميلة إلا أنّها لا تخدم رأياً معيّنًا، فجملة "الشّيخوخة في الحياة هو مساء اليوم"، مجاز من ناحية التّعبير، ونحن نعلم مسبقاً أنّ الشّيخوخة هي نهاية العمر للإنسان، فلا يمكننا اعتبار ذلك حجّة. لكننا إذا قلنا: "فلان حمار" فهذه حجّة لأنّ سلوكه تشابه مع سلوك هذا الحيوان العنيد⁴، وعليه يتراءى لنا أنّ (فيليب بروتون) أميل إلى لغة التّواصل والتّعامل اليوميّ، لذلك نجد أنّ غالبية حديثه عن الحجج يدور حول اللّغة وطريقة تداولها بين النّاس في مجتمع يجي بالتّواصل ولولاه لما كانت الحياة.

6-2- نظرية الحجج الخطابية عند روث أموسي (Ruth Amossy):*

¹-Philippe Breton.L'argumentation dans la communication.p05.

²- لتعميق الفهم أكثر ينظر: فيليب بروتون. الحجج في التّواصل، ص82-83.

³-ينظر: المرجع نفسه، ص85.

⁴-Philippe Breton ,L'argumentation dans la communication ,p100.

*-باحثة فرنسية مختصّة في تحليل الخطاب من مؤلفاتها نذكر: (Les idées reçues.Sémiologie du stéréotype)

(Argumentation dans le discours.

الأدبية

تنطلق الباحثة في كتابها من عنوانه "الحجاج في الخطاب (الخطاب السياسي)"، وقد طرحت فيه مجموعة من القضايا المتعلقة بالخطاب واستراتيجيات تحقيق المنفعة في الكلام، معتمدة في ذلك على الإرث الأرسطي الممثل في ثنايا كتابه الخطابية، والحاصل الجديد الجلي في دراسات الباحثين¹، إلا أنها أعادت قراءة كل ما جاء به أرسطو حول الخطابية (الريطوريقا) معتبرة إيّاه فنّ القول الناجع، كما أنها فنّ الحمل على الإقناع تماما مثل ما عناها أرسطو² شرط مراعاة كل ما يتعلّق بالتلفظ والوسط التواصلي (من يتكلّم، لمن؟...) حتى يضمن الفهم أولاً، فتتحقّق الاستجابة لهذا النوع من الخطاب المبني أساساً على الاحتمال والفرضيات دون الحقيقة، ولذلك لا يجد الباحث خلاصاً إلاّ الكلام فيسعى إلى صنعه وإتقانه حتى يجاور ويقدر على إذعان خصمه. وعلى هذه الدينامية التي سادت الخطابية في عهدها الأرسطي، لخصّت (روث أموسي) قواعد الريطوريقا في أربعة أشياء هي³:

- ✓ هي خطاب لا يمكن أن يوجد خارج مقام التلفظ، حيث يويّ الباحث من يتوجه إليه بالكلام مكانة ذات أهمية، فإن نتكلّم، أو نكتب هو أن نتواصل.
- ✓ إنّها فعالية خطاب يرمي إلى التأثير في العقول، فهي فعالية لفظية بأتم معنى الكلمة، فالمقول في سياق هذا التصوّر هو الفعل.
- ✓ إنّها فعالية خطابية تستند إلى العقل، فاللّوغوس يعني العقل والكلام في الآن نفسه.

¹ - تتحدّث "روث أموسي" عن الدّراسات السّابقة لها في مجال نظرية الحجاج بدءاً من أرسطو الأب الشرعي لها ثم أعمال شام بيرلمان مؤسس ما أصبح يسمّى بالبلاغة الجديدة لكن هذا في إطار نظري بحث كما اعتمدت على دراسات تجاوز فيها أصحابها التعريف الواضح للحجاج وإنما أصحاب تحليل هذا النوع من الخطابات ك: أوزوالد ديكر (O. Ducrot)، وج. أنسكومبر (J.-C. Anscombre)، وجون بليز غريز (Jean-Blaise Grize)، وكريستيان بلانتان (Christian Plantin)، ودومينيك مانغينو (Dominique Maingueneau). نقلاً عن: أحمد تركي، الحجاج وأثره القرائي على النص الشعري، ص46.

voir: Ruth Amossy, L'argumentation dans le discours (discours politique), Littérature d'idées, fiction Nathan, paris, 2000, p07-08.

² - "la rhétorique. Chez les Anciens, elle était une théorie de la parole efficace doublée d'un apprentissage au cours duquel les hommes de la cité s'initiaient à l'art de persuader" Ruth mossy. L'argumentation dans le discours, p15. 46. ينظر: أحمد تركي، الحجاج وأثره القرائي على النص الشعري، ص46.

³ - علي الشعبان، الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري)، دار مسيلكاني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2008م، ص15.

الأدبية

✓ خطاب منجز يتوسّل بتقنيّات واستراتيجيّات، لكي يدرك حاصل غاياته، فإن نتكلّم هو أن نحركّ منابع اللّفظ الثّأوية داخل نظامٍ مهَيّئ سلفاً وموجّه مبدأ.

2-6-1- من الريطوريقا إلى الحجاج الخطابي عند روث أموسي:

لا يمكن لأيّ باحث متابعة بحثه في حقول الحجاج والتّداولية والتّواصل بشكل عامّ، ما لم يقف عند خطابة أرسطو أو فنّ الشّعْر، ليعلم سرّ بناء القول وتقديمه للغير، فكلاهما يقتضي اجتماع أقطاب التّواصل الثّلاثة بما فيها المقام أو الحالة التي استدعت الكلام، وكلاهما يحاول الهيمنة على جمهوره بإشراكه في الخطاب ومنحه حصته في التّفكير والتّصوّف¹، وإن كان الحجاج رأساً في الخطابة إلّا أنّه تفرّد بنظرية خاصّة في علوم اللّغة، وكيفية تحليل أنواع الخطابات القائمة على السّلطة في إقناع الجمهور لفظياً وهذا ما يفتح المجال أمام تحديد فعالية اللّفظة بمقاربتها في السّيّاق²، وعندما يتعلّق الأمر بمسألة الفعالية يبرز السّؤال الذي انطلقت منه الباحثة روث أموسي "للكشف عن حقيقة هذه "التّقنية الخطابية التي تمكّن مستعمليها من إثارة الاعتقاد أو ترسيخه في العقول من خلال أطروحات مقدّمة وأقوال معروضة"³ فكيف يمكن للمتكلّم التأثير في جمهوره؟ ماهي الوسائل اللّفظيّة التي تضمن له سرّ هذه القوة والفعالية في الكلام؟.

درست روث أموسي الحجاج في الخطاب السّيّاسي، وتعدّدت مفاهيمها لهذا المثير، معرفة إيّاه بقولها: "هو موضوع يبحث في الآليات التّلفظيّة لجماعة متكلّمة اتّفقت على الحديث في موضوع جدليّ اختلفت حوله الآراء وتباينت، إذ المطلوب في ذلك الوصول إلى اتفاق عقلاي مقبول بعد المناقشة ليحلّ هذا النزاع وتّضح الحقيقة"⁴. فكلام الباحثة دال على أنّ الحجاج يكون للاتفاق حول شيء معقول بلغة طبيعية متداولة، إضافة إلى جوّ ثقافي تفتح فيه ورشات النّقاش.

وبعد هذا التعريف يتأتّى لنا أن نقول: ليس كلُّ شرر كلاميّ حجاجاً؛ وإنّما الكلام القائم على المقبوليّة، والعقلانية والأخلاق أثناء المبادلات الكلاميّة والمشادّات التّلفظيّة هو ما يمكن أن نطلق عليه لفظة الحجاج. وبمقاربة

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص28-29.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص21.

³ - المرجع نفسه، ص: 15.

⁴ - Ruth Amossy, L'argumentation dans le discours, p62.

الأدبية

أخرى للقبض على مفهوم الحجاج ترى روث أن الحجاج وسيلة "استكشافٍ لفكر ومنطق الآخرين في الحياة اليومية، غاية تقييم حجة منطقية، أو كشف مغالطة"¹.

يتعلق المفهوم الأساسي لنظرية الحجاج عند "روث" بتفاعل كل الأطراف في العملية التواصلية، وعلى كل المستويات الاجتماعية والفكرية والنفسية، ومع تضافر كل الحقل المعنوية بقراءة هذا التفاعل (المؤثرات اللفظية، والدلالية، القرائن اللغوية، الحوار...) ²، تتقاطع المعارف وتتسع رقعة هذا الخطاب المؤسس، هذا مانادي به ميخائيل باختين (Michael Bakhtine) إذ جعل من التفاعل اللفظي (l'interaction verbale) محور كل نظرية في اللغة ولاسيما نظرية الحجاج، ووفقا لهذا المبدأ بنت "روث أموسي" تصوراتها في عملية تحليل الخطابات ذات الصبغة الحجاجية. وإن كان التفاعل الكلامي ظاهرة متجذرة في اللغة فإن الحجاج هو الذي يحقق هذا التفاعل ولذلك قد لا نجد مفارقة بين الحجاج والتفاعل لأن الحجاج موجود في ذات التفاعل ولا يمكننا تصوّر كلام بلا تفاعل.

وهكذا، يصبح لنا نظرية تكاملية جامعة مانعة لكل ما يضمن تحقيق القول الناجح في الخطابات بأصنافها المتنوعة (إعلامي، صحفي، قضائي، سياسي، اجتماعي، أدبي...)، وعلى مفاهيمها أتفق جلّ الدارسين والباحثين الغرب والعرب إلا أن الاختلاف يكمن في طريقة التحليل لهذه الخطابات باعتباره مبدأ أساسياً في فهم الخطاب وعليه تتحدّد درجة الحجاجية فيه.

هذا ما تفرّدت به الباحثة (روث أموسي) مقدّمة تصوّرات منهجية يجب على الباحث الأخذ في مقارنته التحليلية الممكنة؛ وهي كالآتي³:

¹-ibid, p 15.

²- ينظر: علي الشّعبان، الحجاج بين المنوال والمثال (نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطّبري)، ص 18-19.
* - فيلسوف ولغوي ومفكر ومنظر أدبيروسي (1895 . 1975م)، من أعماله الأدبية المترجمة نذكر: شعرية ديستوفسكي، والملحمة والرّواية. وقد استندت روث أموسي في حديثها عن الحجاج كنظرية للتفاعل الكلامي ناتج بين الباط والجمهور.

³-analyse argumentative a pour principe de base une « approchelangagière »,

« communicationnelle », « dialogique », « interactionnelle », « générique », « stylistique »
et « textuelle », Ruth Amossy, L'argumentation dans le discours, p24.

الأدبية

1. المقاربة اللغوية: langagière
2. المقاربة التخاطبية: communicationnelle
3. المقاربة التحوارية-التفاعلية: Dialogique ، interactionnelle
4. المقاربة الأنواعية: générique
5. المقاربة الأسلوبية: stylistique
6. المقاربة النصائية: textuelle

تبرز المقاربة اللغوية في الخطاب من حيث نظام ترتيب الكلمات لتأدية وظيفة معينة ضمن نسق لغويّ معين، في حين نهتم في مقارباتنا التخاطبية بمقاصد المتخاطبين وأحوالهم الكلامية إضافة إلى عنصر الحوار الفعّال واستراتيجيات المحاور التي يتقصّد المحاور من خلالها تبرير شيء وردّ آخر¹، ولكي يتميّز خطاب عن خطاب نلجأ للمقاربة الأسلوبية لناعي الفئيات القولية التي نسج بها المخاطب كلامه ونستجلي مواطن الجمال والأدبية فيها. هذه الأخيرة لن تكون إلاّ بانضمام مقارنة أخرى هي المقاربة النصائية التي ندرس فيها كلّ المستويات (الصوّتي، التركيبي، التداولي) من الجملة إلى النصّ ككلّ.

إنّ الهدف الأساسي والغاية المنشودة من نظرية الحجاج عند "روث أموسي" كامرّ في مجالين اثنين نكاد نحصرهما في²:

- علاقة الباث بالمتلقّي، وهي علاقة تفاعلية هادفة إلى التأثير في النفس، وترجمة هذا التأثير بأفعال مجسّدة واقعية في السلوك وردّة الفعل فبعد أن يعي الجمهور طبيعة هذه الرّسالة، يلبي لما دعّي له أو يعارض، وهذه قِمة الحجاج التّاجح، من غير الولوج في حلقة مفرغة.
- بلاغة المتلقّي أو الجمهور المستمع (**l'auditoire**) وهي ردة الفعل أو الاستجابة التي يصنعها هذا المستقبل أو السّامع على وجه الدّقة والتّحديد جراء عمليّة التّلقّي، وبذلك يتّسع مفهوم الجمهور عند الباحثة أموسي إذ يأخذ صنفين هما:

¹ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، ص180.

² - علي الشّعبان، الحجاج بين المنوال والمثال(نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطّبري)، ص16.

*- تكلمت الباحثة في دراساتها عن السّامع وما يتعلّق به، وما ذلك إلا تأكيد منها على أنّ الأداء الصوّتيّ أقدم من الكتابي، و الأذن تقبل لما يسمع ويلقى عليها، كما قد يتمكّن السّامع بمهاراته توجيه بناء أيّ خطاب.

الأدبية

● الجمهور الحاضر حضوراً مباشراً.

● الجمهور الافتراضي.

وبهذا الرّغم المطروح تُثير الباحثة قضية لا سيما أتعبت حلّ الباحثين والتّقاد وهي قضية النّص المقيّد بالكتابة والكتابة تستدعي سامعاً افتراضياً (مسكوتاً عنه) يوجّه له الخطاب باعتباره ملفوظاً كلامياً يستدعي حضور مخاطبه لحظة تلقّظه. كما يكون لكلّ صنف حجّاج خاصّ " فالأوّل يُنتج ما يمكن تسميته بالحجّاج الحواري (Dialogal) والثّاني يصنع ما يمكن تسميته بالحجّاج التّحاوريّ (Dialogique)، والفرق بين الأوّل والثّاني كامن في أنّ الأوّل يكون فيه الحوار بين الأطراف حقيقيّاً، في حين الثّاني يكون فيه السّامع سلبياً أو محايداً أو افتراضياً" ¹. وإذا سلمنا بهذا الكلام نجد أنّ للحجّاج التّحاوريّ شبكة تقييم يجتازها المخاطب حتّى يضمن المقبوليّة لخطابه، وعليه يكون هذا النّوع من الحجّاج صانعاً لسامعه، لا العكس. و هو ما يتجلى في السّلوكات والطّباع التي يقوم بها -السّامع- كردّ فعل تُثبت وجوده وهيمنته داخل هذه الحلقة التّلفظيّة.

2-7- حجّاجيّة الخطاب عند مارينا تيتيسكو (Mariana TUTESCU) من خلال كتابها "الحجّاج مدخل لدراسة الخطاب" ²:

جاء كتاب "الحجّاج مدخل لدراسة الخطاب" في عدّة فصول لا يفترق بعضها إلّا ويلتف ببعضه الآخر في قراءة الخطابات واستخلاص القاسم المشترك بينها الممثل في الحجّاج الذي تعلق أستاذ كلّ خطاب مهما كان نوعه، ولذلك حظي باهتمام من قبل اتجاهات عديدة كالمنطق والفكر والفلسفة والبلاغة منذ الأزل؛ إذ نما وترعرع في كنف اليونانيين من الفلاسفة والخطباء والقضاة والسّياسيين، الذين شكّلت الحجّة سلطةً على خطاباتهم المبنية على الصّراع بين المتكلّم والسّامع، وفرصة كلّ منهما في تبرير موقفه وإقناع خصمه، وهذا ما يعتمد على تخمين العقل وفقاً لما يتصوّر المنطق أولاً و توظيف جماليّات الأسلوب لتحريك العواطف وإثارة الشّعور الكامن ثانياً ³. وعلى هذين العنصرين الفعّالين و بغيرهما من القضايا قامت فكرة هذا المؤلّف.

Voir: Ruth Amossy, La présentation de soi, Ethos et identité verbale, Paris, PUF, 2010, p233.

كما ينظر: رشيد بجاوي، شعريّة النّوع الأدبيّ في قراءة النّقد العربيّ، إفريقيا الشّرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1؛ 1994م، ص 133.

¹- علي شعبان، الحجّاج بين المنوال والمثال، ص 28.

²- باحثة رومانية بجامعة بوخارست تشتغل على حقول اللغويات و السيميائيات وتحليل الخطاب .

³- للاطلاع أكثر في حيثيات هذه الفكرة ينظر:

الأدبية

سلطنا الضوء في قراءتنا لهذا الكتاب على الجوانب المتعلقة بالخطاب لإبراز مواطن الجِدَّة فيه تفادياً منا للتكرار الذي سبقها فيه رواد هذه النظرية، وإن جاءت مقدماته طويلة إلا أننا أشرنا إلى فكرتها العامة في فقرتنا السابقة؛ ومن بين القضايا الكبرى المتعلقة بعنوان الكتاب نجد:

- استراتيجيات الحجج
- بنية الخطاب الحجج: المكون التوضيحي والمكون المغربي.
- القوة والتوجه (L'acte argumentatives) في الحجج.
- الطبقة الحجج، التدرج على نطاق حجج، مبادئ الخطابة.
- المكونات الثلاثة للجهاز الحجج تسمى الموضوعية والمنطق والموسوعية.
- تصنيف الحجج.

2-7-1- مفهوم الحجج عند ماريانا تيتيسكو:

الحجج عند الباحثة وسيلة لرؤية العالم والتعبير عن قضاياها لغوياً في إطار منطق بناء يفسر الظواهر والأشياء بمنظور عقلي، إذ يستند على فعل الكلام الساعي في مراميه إلى الإقناع وإذعان الخصم على الاعتقاد¹، إذ ينتج بعد هذا التبادل المشترك استنتاجاً يؤيد صحة الدعوى (هنا قضية ثابتة يراد الدفاع عن قبولها) أو رفضها (يراد تفنيد دحضها وإبطالها) من قبل شركاء العقد الكلامي، فتحدث منفعة خطاب عن آخر، كما لا يرتبط موضوع الحجج بالقضايا والأطروحات ذات البعد الكلامي فحسب (محلّ خلاف)، فقد تتجاوزها إلى تغيير السلوكات، والتصرفات الداخلية للفرد².

وبعد هذه النظرة التحليلية لمفهوم المصطلح لجأت الباحثة تيتيسكو إلى تحديد طريقي العملية الحجج مقسمة تسمية للمشاركين في العملية بدءاً بالمحجج (ARGUMENTEUR) ووصولاً إلى المحجوج (Argumentaire) (علماً أنّ كلّ خطاب لا يخلو منهما إضافة إلى الموضوع المحجج حوله، أو الرسالة (le sujet argumentant)

Mariana Tutescu, L'argumentation , introduction à l'étude du discours, Universitateadinbucuresti .2003,p08.

¹- VOIR:Mariana Tutescu, L'argumentation , introduction à l'étude du discours,P322.

²"Mariana Tutescu - Une argumentation est un « type de discours qui vise à modifier les dispositions intérieures de ceux à qui il s'adresse (les argumentés) "..P322.

الأدبية

القائمة على مكونات أساسية لا بد من وجودها في كل خطاب ذي الصبغة الحجاجية (مقدمة، حجة، خاتمة/استنتاج) فتأخذ هذه الحركة الممثلة¹.

ارتكزت الباحثة في دراستها لحجاجية الخطاب على مقولات القيم وأثرها في بناء الفكر وتدعيم المواقف والآراء للوصول إلى استنتاجات عامة، وقيمة نجاعة أي قول تتأسس وفق ما ينتجه من أفعال إنسانية تلقى قبولاً حسناً لدى السامع، لنتقل بهذا الحديث من العمل على تغيير سلوك إلى العمل على بناء قيم في خطاباتنا، وبذلك قامت الخطابة في عهدها الأثيني على القيم بأنواعها الثلاثة الحق، والخير والجمال²، وأصبح ينظر إلى الخطاب من جانب البحث في علاقة هذه القيم ومع ما توحى إليه من تأثير في الأشخاص فتأثيرها أعظم من فرض قانون أو عقوبات أجه خطاً ما، وبمعنى آخر الاستنتاج العام للأطروحة هو الكفيل على إثبات نجاح نص أو خطاب عن آخر*. وعليه لا تتأتى قيمة الإنسان بشكل عام إلا إذا أحسن التفكير وعليه يكون ويسيطر.

هذا إلى جانب قضية أخرى لا تقل أهمية عن القضية المطروحة وهي السياق الاجتماعي الذي يُحدّد مقصدات القول بين المتحاورين إذ هو ما يوضح الحجج المدعمة لإثبات قضية ما. ولما كان للسياق هيمنة على الخطاب جعلته الباحثة لبننة من لبنات البناء للحدث الكلامي³.

فالكلام لا يُقدّم فائدة لقارئه ما لم يكن مبنياً على سياق يتمشى و فهم هذا القارئ الحاضر فمنه يبدأ عملية التفسير والتأويل، وعليه يقع التفاهم بين المتكلمين في رؤيتهم للأشياء في إطار جماعي أو وسط كلامي واحد كان قد صنعه هذا السياق، لنتقل بالدراسة من مسألة إقناع المخاطب إلى معرفة دواخله ونفسيته، وهو ما يستدعي حضور المقام التخاطبي بين باث ومتلق (هياة الباث لحظة تلفظه، صورة المتلقي.....)⁴.

¹-Mariana Tutescu,L'argumentation , introduction à l'étude du discours,p:322.

²- ينظر: مجاهد عبد المنعم، علم الجمال في الفلسفة المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، ط3؛ 1986م، ص74.

* أشارت الباحثة المجرية ماريانا تيبيسكو إلى وجود الحجج في النص والخطاب؛ إذ هما على الصعيد التواصلية واحد بغض النظر عن بعض مميزاتهما. ينظر:

Mariana Tutescu,L'argumentation , introduction à l'étude du discours,P323.

³-Mariana Tutescu. L'argumentation , introduction à l'étude du discours P312.

⁴-Ibid.P323.

الأدبية

يَتَّضِحُ لنا من خلال تَبُّعنا لكلام "تيتيسكو" أنَّها تعالج مسألة الحِجَاج في التَّواصل، مثل "فيليب بروتون"، فهي تحاول قراءة الخطاب من منظور تحاوري لا يمكن فيه إلغاء واحد من ركائز العملية التواصلية، ولذلك حدَّدت بعض الاستراتيجيات ذات الميزة المنطقية التي يجب توفُّرها في هذا الخطاب الحجاجي وهي كالآتي¹:

● التَّعاون (Coopération):

تستند الباحثة في معالجتها لقضية التعاون التواصلي على أقوال اللغويين والفلاسفة أمثال: بول غرايس (H b. Grice)*، وإيمانويل كانط (Kant)** التي تشاطرها الرأي حول قضية التعاون بين المتشاركين في الخطاب الواحد" إذ هو مبدأ تأسيس أيّ مشادة كلامية²، كما أنه مبدأ تفاعلي يقوم على الحوار الذي يجعل الخطاب مفتوحاً وثريراً من خلال المزاوجات التلطفية التي يفرضها الموقف التخاطبي، ولا يمكن أن نتصوّر نشوء خطابٍ من غير هذا المبدأ الذي تصنعه أشياء أربعة لا بدّ من حضورها فيه وهي: "الكمّ، والكيف، والمناسبة والطريقة"³، هذا ما جاء به المشتغلون على حقلَي التداولية والتواصل لضمان التّواصل للمتشاركين في الخطاب.

● السُّؤال / الاستفهام (L'INTERROGATION):

يلجأ المخاطب في خطابه إلى طرح بعض الأسئلة المتعلقة بماهية الأطروحة، وهذه الأسئلة تتطلّب أجوبة من لدن السّامع بنعم أو لا، وهي تقنيّات يستعملها هذا المخاطب الخدق في حسن نبض الفهم والتّركيز ولذلك أوجدت الباحثة بعض الخصائص المندسّة في طيّات الخطاب منها⁴:

✓ التأكيد المسبق لماهية البيان باعتباره موضوعاً للمحاورة (التحدّث في قضية ما دون سواها).

✓ تعبير المتحدّث عن قضية محلّ شكّ تستدعي تبادل الأفكار والمواقف.

¹- Mariana Tutescu. L'argumentation , introduction à l'étude du discours.P323 .

*- فيلسوف ولغوي بريطاني توفي سنة 1988م، من كتبه: "دراسات في الكلمات" (Studies in the Way of Words) في عام 1989.

**- فيلسوف ألماني عاش في القرن الثامن عشر (1724-1804)، ولع بالبحث في نظريات المعرفة الكلاسيكية، من كتبه: نقد العقل الخالص ، نقد

العقل العلمي. ينظر: تركي أحمد: الحجاج وأثره القرائي على النص الشعري، ص:54.

²-Mariana Tutescu. L'argumentation , introduction à l'étude du discours.P323.

³-Le principe de la coopération est structuré en quatre règles ou maximes, nommées, en écho à KANT, la quantité, la qualité, la relation ou la pertinence et la manière ,Ibid.P 208.

⁴- Ibid,P86.

الأدبية

✓ تبرير المحاور لفكرته بعقل وتفسيرات تكون إجابات للقضية المطروحة.

ينتج عن هذه الأسئلة المقدمة استجابات فعلية تُغيّر السلوكات أو تعدّل بعض الفرضيات التي كانت محلّ شكّ، فبعد أن ألقى المحاور كلّ حججه يتدرّج من وظيفة إلى أخرى في خطابه إذ يركّز على الجانب الوظيفي أو ما بات يُعرف بالوظيفة التّنبهية (la fonction phatique) للغة حسب ما قدّمه مخطّط جاكسون¹.

✓ النفي الجدلي:

وهو تابع للسؤال إذ كلاهما من أساسيات الفكر والمنطق وعليهما يقوم وبهما يكون تأكيد الحجج. فمثلا نأخذ قولنا:

خالد ليس ذكيا مثل محمّد، إنّما محمّد أذكى منه بكثير

إذا تأملنا هذا الكلام نجد له مفهومين كلاهما قائم على النفي: فإخبارنا عن خالد بأنّه ليس ذكياً نكون قد نفينا صفة الذكاء عنه، وهذا ما يسمّى بالنفي السّلبى بمعنى أنّنا نؤكد على هذا المستوى السّلبى للسّامع لا غير، في حين قولنا: محمّد أذكى منه بكثير فنحن نفنّد ونؤكّد قولاً إيجابياً كان قد نُسي أو تغافل عنه فلم يدرج في الخطاب، فالمتكلّم كان يعني خالداً لكنّه يريد التّأسيس لمحتوى إيجابي عكسي يقنع به المستقبل².

✓ التّفنيد/التّفنض (LA RÉFUTATION)³:

بعد الاستماع إلى حجج المتحدث يُترجم السّامع ما سمعه فعلا وذلك بنقض حجّة مزعومة لإثبات رأي ما، بمعنى آخر يدخل التّفنيد في دائرة الانتقاد؛ إذ هو نقد السّامع لقائله حول أطروحة اختلفت وجهات النّظر حولها فليس كلُّ ما يقال ينفّد، ويُفنّد، فقد تكون نتيجته الكبرى الرّفص خصوصا إذا تعارض مع مقاربات العقل.

¹ -roman jakobson ,essais de linguistique général,ed-minvit-paris,1963,p220.

²-voir: Mariana Tutescu.L'argumentation , introduction à l'étude du discours.P239.

³-Ibid ,P 255-256.

الأدبية

وبهذه الاستراتيجية المقترحة بين المتخاصمين يُضعف القائل حججه للسامع الذي لا يرفض الحجج اعتباراً؛ وإنما عليه التبرير وتقديم حجج تُدحض الأولى¹، لبناء موقف والخروج بنتيجة يؤسسها أنصار الموقف المعارض، ومهما يكن فالتفنيد ليس وسيلة للهدم بل وسيلة للبناء الذي يخدم القضية ومتى تعددت وجهات النظر فيها، تعددت الأفكار واختلفت وتنوعت الآراء وأثريت، فتكون النتيجة لا محالة صحيحة صائبة سديدة، والعكس صحيح²، وبانعدامه نصح أمام مجموعة من الأحداث التي تخدم موقفاً معيناً، ولن يتجلى فيها غير رأي القائل.

✓ الاستعارة (La métaphore)³:

إلى جانب الاستراتيجيات الحجاجية التي يقوم عليها الخطاب الاستعارة، وهي فعل لغوي غير مباشر يكشف عن البعد الإيحائي في اللغة⁴ حيث تقوم على المقارنة بين عنصرين تشابهاً واشتركا في صفة واحدة، ليكون التعبير عنها مجازاً بطريقة جميلة تلفت الانتباه وتتجاوز كل الأطر التعبيرية التي بُني عليها القول من قبل، فلا يُكتفى بالفهم السطحي لإشاراتها؛ بل بالبحث في الأعماق عن معناها وصولاً إلى الدلالة المعنوية أو المراوغة، فكل الخطابات تقوم على هذا النوع من المجاز لا لجماليتها في تقديم الحجة بشكل تعبيرى جميل، -هذا ما عُرف بالجانب الجمالي أو الشعري-؛ وإنما لقدرته الفعلية على الإقناع الذي يكون بعد التفاعل اللفظي في الخطاب التواصلي.

هذه النظرة التي أثارها جون سيرل (John R. Searle)^{*} أولاً ونَبّه عليها في تتبعه لدراسة البعد التداولي للاستعارة مركزاً على المعنى الحرفي المتعلق بالمعنى النحوي، والمعنى التداولي البين في السياق، والمثبت لقصدية المتكلم في الخطاب، محاولاً الإجابة عن إشكالية حصرها في السؤال التالي: كيف تقول شيئاً وتعني شيئاً آخر؟⁵.

ففي هذا الكلام يقف سيرل أمام مشكلين عويصين لا يزالان محلّ دراسة أولهما يتعلّق بقصدية المرسل والثاني بمعنى الجملة، إلا أنه يرى أنّ دراسة الاستعارة في بعدها التداولي / التواصلي متشعبة أساساً بالمتكلم صانع الخطاب

¹ -Ibid,P258.

² -Mariana Tutescu.L'argumentation , introduction à l'étude du discours ,P259.

³ - Ibid ,P269.

⁴-Ibid,P 270.

^{*} فيلسوف أمريكي معاصر من مواليد 1959م، من مؤلفاته: أفعال اللغة وكتاب العقل واللغة والمجتمع وكتاب القصدية بحث في فلسفة العقل.

⁵ -Mariana Tutescu, L'argumentation , introduction à l'étude du discours,P 270.

الأدبية

ومنتجه؛ فهو من يبتكر الملفوظات الاستعارية وفقاً لسياقٍ معيّن، وما لجوء المتكلم إلى توظيف هذا اللون من المجاز إلاّ إشارة على خاصيّة أساسيّة تعلّقت والمعنى الحرفي، هنا تكتسب الاستعارة جمالاً في استخراج المعنى المضمر

للملفوظ¹ والذي تعلّق بملفوظ آخر قصده المتكلم قصداً فيأخذ الكلام شكله التّالي:

كلام كلام استعاري دلالة

بعد هذا الكلام تتنازل قضية أخرى كانت قد ولّدتها القضية الأمّ وهي مسألة تأويل هذه الاستعارات القائم على المحاجة بين مؤوّل النصّ والنصّ نفسه، فمرات يكون الملفوظ الاستعاريّ "غير محدّد فيتّسع مجال المعاني التي يحتملها المنطوق الاستعاري، فلا يتحدّد المضمر كلمة واحدة؛ بل يتشعّب بين عدّة مجالات مجازيّة يحتملها البعد المجازي الاستعاري"².

إنّ نظرة كلّ من الباحثين (تيتيسكو وسيرل) في بحوثهما عن الاستعارة في بعديها التّأويلي المتربّب عن التّخریجات المندسّة وراء هذا الموجّه القرائي، والتّفاعليّ المتاح بين المتكلم والسّامع، منصبّة حول الشّعور أكثر من باقي الأجناس الأدبيّة باعتباره تخيلاً و لمحّة دلالة وإشارةً خاطفةً، تُتعب طالبيها في تفسير مفهومه و تجسيده على مرايا الواقع، معتمداً في ذلك على تجرّبه الجماليّة وحسّه الذوقي الرفيع إلى جانب موسوعيته، هنا تتجاوز الاستعارة كلّ الأطر الجماليّة فتصبح وسيلةً لبناء الفكر، وتبرير الحجج. هذا ما لجأ إليه جمع من الدّارسين الغرب في تأويلهم للاستعارات وإخراج المعنى من السّياق التّلفظي.

✓ المفارقة (Irony):

تؤدي المفارقة دوراً بالغاً في الخطاب الحجاجي، إذ هي كما تعرفها الباحثة (M. Tutescu) "وسيلة حجاجة تصويريّة للكشف عن جوهر الحقيقة في اللّغة الطّبيعيّة"³، وكيف يمكن للسّامع التّعريف على المعنى من خلال مجاورته لهذا التّناقض والتّفاعل المتواجدين في السّياق التّواصلية، وهو نفس التّعريف الذي تبناه "فونتانيه" (Pierre. FONTANIER)* في تصوّره لتعريف عامّ للمفارقة وقد عدّها من بين الحيل اللّغوية التي يتمّ

¹ -ibid, p271.

² - عيد بلبع، "الرؤية التّداوليّة للاستعارة"، مجلة علامات، السعوديّة، العدد(29)؛ 1994م، ص 99-100.

³ -Mariana Tutescu, L'argumentation, introduction à l'étude du discours, P272.

* لغويّ وناقد فرنسي من كتبه نذكر: (Les figures du discours).

الأدبية

من خلالها جلب الأفكار والكلمات، إذ من قبيل الضد تفهم المعاني التي لا يتوصّل لها أي مستقبل، وبهذا الوصف الدقيق يترأى لنا أنّ الباحثين يطرحان مسألة أخرى هي مسألة المتلقّي النوعي للحِطاب، إذ يُخصّص هذا النوع للنُخبَة فقط¹. هذا ما جعل الباحثة (M. Tutescu) تنفي مسألة فهم الحجّة للعامّ والاختصار على فهم خاص الخاص ممن يتحكّمون في عمليّة توليد الدلالة لا بالنظر في رقعة الحِطاب؛ وإنما في ضوء ما يدركه العقل ويرجّحه. تقوم المفارقة أساسًا على عنصر الحوار لبناء تواصل متبادل، يعتمد على الموضوعيّة واحترام الآراء هذا هو طابعها العامّ، وقد تتحوّل إلى سجال بغية تفنيد رأي على آخر دون الإعتماد على الشّعور والإحساس، فالكلام هنا قائم على لغة العقل وعمل الفكر. هنا تجدر بنا الإشارة إلى التّفريق بين المفارقة الأدبيّة الموجودة في الشّعور وباقي الأجناس وهي التي تُنشئ ما بات يعرف بالهوّة أو مسافة التّوتر على حدّ قول "كمال أبو ديب" وهي منبع الشّعريّة²، والمفارقة المنطقيّة الموجودة في الفلسفة؛ وفيها يطرح المحاور فكرةً ظاهرةً ممثّلة في القضية (أ) يراها صحيحة في حين يراها الخضم خاطئة، تتعارض كليًا مع الفكرة. فلو درسنا الشّعور بمنظار العقل لأقصينا نصف ما يحمله من إبداع وفنّ وجمال وشعريّة.

تدخل المفارقة وما يتبعها من احتمالات في شتى الحِطابات وعليها تُبنى صنوف القول والكلام، فدائمًا يقدم القائل رأيًا أو وجهة نظرٍ معيّنة ليكون قد توالد معه رأيًا منافيًا له، وعلى هذه الازدواجيّة بين الاختلاف والتخالف المدعوم بالحجج ينمو الجانب الحجاجي في الحِطاب و يظلُّ أفقًا رحبًا لا يشمل المتحاورين فقط؛ وإنما يتجاوزهما إلى الجمهور الذي يتولّى عمليّة التّفسير وقد يصل إلى رأي ثالث له قوة حجاجيّة عالية توافق دلالة هذا الملفوظ المشار إليه³، هكذا تحرك المفارقة عناصر الحِطاب كاشفة عن فعاليّة صانعيه في عمليّتي الدحض والتّسليم، وبمعنى آخر تترتّب عن المفارقة نتيجة خدمتها في خطاب معيّن دون الدخول في باب التّضليل والزّيف والمغالطات التي قد يلجأ إليها بعض المتكلّمين في تغطيّة حدث شائع، دون الوصول إلى نتيجة معيّنة.

2-8- الحجاج عند ميشال ميار Michel Meyer - نظرية المساءلة -

¹-Ibid,P 270.

²-ينظر: كمال أبو ديب، في الشّعريّة، مؤسّسة الأبحاث العربيّة، بيروت، ط1؛ 1987م، ص136.

³-Mariana Tutescu ,L'argumentation , introduction à l'étude du discours, P275.

الأدبية

يرى الفيلسوف البلجيكي ميشال ميار أن طبيعة الكلام المبنية على السؤال والجواب هي المنتجة للحجاج ، ولأجل هذا، يعطي ميار أهمية قصوى لنظريته التساؤلية لما لها من آثار حجائية، لأنه بالنسبة إليه كل كلامنا قائم على التساؤل، الذي ينتهي في الأخير بعملية الاستنتاج، كما يقول محمد علي القارصي: "إن الحجاج متعلق لدى ميار بنظرية المساءلة وهو يشتغل باعتباره ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف، نحمل الغير على اتخاذ إزاء مشكل مطروح، في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج السؤال/ الجواب"¹. تجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن ميار قد وظف مفهومين، قد سبق أن تطرقنا إليهما في نظرية ديكر و هما المصريح به والضمني، "فالمصرح به هو ظاهر السؤال أما ما هو ضمني فتلك الإمكانيات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد"²، والمقصود هنا أن الكلام المصرح به هو السؤال المطروح، أما الضمني فهو الإجابة المنتظرة. ومن خلال هذين المفهومين استطاع ميار أن يستنتج مفهوم الحجاج في كتابة المنطق، واللغة، والحجاج حيث هو دراسة العلاقة بين الكلام الظاهر والضمني³ بمعنى دراسة العلاقة القائمة بين السؤال والجواب، وهذا ما ذكرناه سابقا في بداية هذه النظرية، وهو أن السؤال والجواب يكوّنان النقاش والجدال المرادفين للحجاج.

2-8-1- الحجاج والمجاز:

بالإضافة إلى اهتمام ميار بنظرية المساءلة، فإنه يتفق أيضا مع أستاذه بيرلمان حول أهمية الصور البلاغية في الحجاج، وهي النقطة التي تمنا أكثر في هذه الدراسة، إذ إن ميار يعترف بالدور الفعال الذي تؤديه البلاغة في الحجاج وخاصة المجاز، إلى درجة أنه يعتبر كل بلاغة حجاجا والعكس صحيح، أي إنه- بعبارة أخرى- يطابق بين المفهومين إذ هما (الحجاج والبلاغة) يهدفان في نظره إلى تضيق شقة الخلاف بين المحاورين والمتخاطبين أو إلغائها⁴ بالنسبة إلى ميار، يعتبر المجاز مكونا أساسيا في إقناع المتلقي، وبالتالي تقريب المسافة بينه وبين المتكلم والاتفاق مع هذا الأخير حول وجهة نظره؛ وهذا ما عبر عنه (ميار) أثناء تعريفه للمجاز ودوره في الحجاج حيث

¹ - محمد علي القاصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس كلية الآداب، منوبة، 1988م، ص394.

² - ينظر: محمد علي القاصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ص 394-395.

³ - Michel Meyer, 1982, Logique, Langage et argumentation, Hachette, Paris, p 112.

⁴ - سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص136.

الأدبية

قال إنه -أي المجاز- ينشئ المعنى ويصدم كل من لا يشارك المتكلم وجهة نظره. و هو بذلك وسيلة للتعبير عن الأهواء والانفعالات والأحاسيس التي تمثل صوراً من الإنسان، مثلما يمثل المجاز صورة من الأسلوب¹. وإذا ما بحثنا في الأعمال العربية حول الحجاج، فإننا نجد من يتفق مع ميار حول دور المجاز في الحجاج أمثال طه عبد الرحمن، الذي عبر عن هذه الفكرة في كتابه اللسان والميزان أو التكوثر العقلي بقوله: "فلا حجاج بغير مجاز"²، أو الدكتور عبد السلام عشير الذي يقول: "وأما المجاز فيؤدي إلى الافتراض، والافتراض يؤول إلى الجدل والنقاش، وإلى التعارض الخصب الذي يترجمه الحجاج"³. وبهذا فإننا نجد أن المجاز هو أساس الحجاج وهو ذو وظائف متعددة سواء من ناحية إقناع القارئ أو من ناحية تعبير المتكلم عن أحاسيسه ومشاعره، أو من ناحية تزيين الخطاب بالصورة المؤثرة.

إلى جانب أهمية الصور البلاغية في الحجاج يرى ميار أن هذه الأخيرة تخضع بدورها لنظريته في المساءلة، ذلك لأن الصور البلاغية إذا ما طرحت في الخطاب فذلك يعني أن سؤالاً طرح فيه، والسؤال يستدعي بالضرورة جواباً (بروميلياتولوجيا : إشكالا) يستفهم السامع ويدعوه إلى الإجابة عن السؤال المطروح وتأتي الإجابة بتجاوز ظاهر اللفظ الحامل، فالجواب سؤال في حد ذاته لأنه يحدد وجهها واحداً من الجواب وتبقى بقية الوجوه متعلقة بأسئلة جديدة تطرح⁴ ولعل هذه الأسئلة التي تطرح في كل مرة في الصور البلاغية سببها راجع إلى العلاقة غير الطبيعية التي تجمع بين أطراف هذه الصور، فالصورة البلاغية في مظهرها الأول تظهر غامضة وغريبة لكن بعد أن يتساءل المستمع عن العلاقة القائمة بين طرفي الصورة، فإنه سيجد الجواب المقنع.

ومثال ذلك، هذا السياق المجازي الذي أورده محمد علي القاصي⁵: محمد أسد. فمن خلال هذا المثال، يظهر لنا أن ظاهر اللفظ في هذه الجملة لا يفيد الحقيقة، وعندها يتساءل المخاطب عن العلاقة بين محمد و الأسد. فالاختلاف بين محمد والأسد، أي بين المسند والمسند إليه هو أصل التساؤل ومصدره، ولا يكون الحل إلا في الجواب المفسر للعلاقة بين الطرفين، يرى ميار في هذه الحالة أن هنالك ثلاث مستويات: مستوى الإنسان الذي

¹ - Michel Meyer, 1993, Questions de rhétorique, Paris, p 98.

² - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص232.

³ - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006م، ص209.

⁴ - محمد علي القاصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ص396.

⁵ - المرجع نفسه، ص396-397.

الأدبية

يراد وصفه (محمد)، ومستوى الحيوان (الأسد)، والمستوى المشترك (الشجاعة)، إلا أن هذا المستوى المشترك الذي هو الشجاعة لم يذكر في هذا المثال، لذلك ينهض السؤال للبحث عن عوامل التشابه والاختلاف بين الطرفين (محمد) و(الأسد).

ومن خلال هذا المثال، نجد أن تطبيق مشال ميار لنظرية المساءلة على الصور البلاغية قد وصل إلى نتائج إيجابية من ناحية إقناع القارئ، فلولا تساؤلنا عن العلاقة بين محمد والأسد لما توصلنا إلى المعنى الحقيقي الذي تهدف إليه هذه الصورة وهو أن محمد يشبه الأسد في الشجاعة. ومن هنا يظهر لنا أن تحليل ميار لظاهرة المساءلة ببنية الوجوه البلاغية يتخلله تأكيد على ما تؤديه من دور حجاجي¹، وهو بهذه الفكرة يؤيد أستاذه بيرلمان في حجاجية الصور البلاغية.

المبحث الثاني: الحجاج في المنجر العربي القديم والحديث:

1- الحجاج في المنجر العربي القديم:

أولى العرب قديما . ولاسيما بلا غيوهم . الكلام والتخاطب عناية كبيرة، فعمدوا إلى تقسيم وجوه الكلام ونسبته وصفته تناسباً مع متلقيه أيا كان، ومهما كانت طبقتهم، "فإذا كان موضوع الكلام على الإفهام [...] فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة والبدوي بكلام البدو [...]، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب"². وصنف كل هذا ضمن البلاغة أو بلاغة الخطاب التي تضم الشعر والنثر معا.

وقد ورد الحجاج . بمعناه الحديث . قديما بتسميات اختلفت باختلاف مطلقها وتوجهاتهم، فنجده عند (الجاحظ) وهو من أكثر علماء العرب اهتماما ببلاغة الكلام والمخاطبات باسم: (البيان) الذي يلخصه في قوله: "مدار الأمر

¹ - المرجع نفسه، ص397.

² - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: محمد الجاوي، وأبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986، ص39.

الأدبية

والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"¹. فما خرج بقوله عن معنيين اثنين للبيان هما: الإفهام والإقناع. أما الإفهام فإيضاح المعنى القائم في النفس حتى يدركه الآخر، والإقناع ناتج عن مجموع مؤهلات وصفات انتقاها (محمد العمري) من كتاب (الجاحظ)(البيان والتبيين)وصنفها في هذا الجدول:

مؤهلات وصفات الإقناع عند الجاحظ:¹

الغرض	صفات البيان وموضوعه		المؤهلات و العوائق	
	الموضوع	الصفات	العوائق	المؤهلات
التأثير				

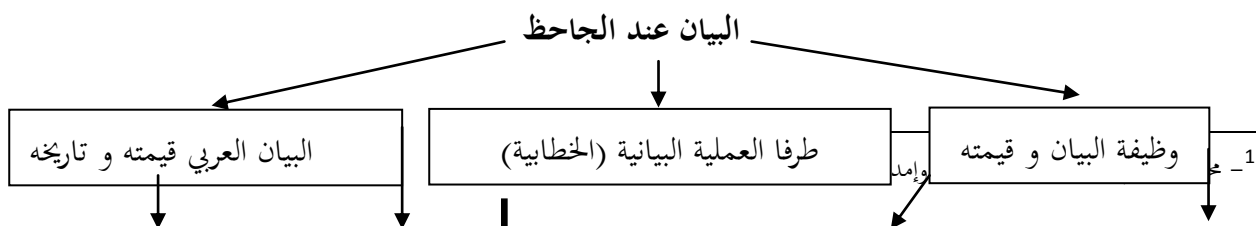
¹ - أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: وشرح عبد السلام محمد هارون، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د ت) ص75.

¹ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وإمداداتها، ص198-199.

الأدبية

استمالة القلوب	الدعوة إلى مقالة	الإبلاغ	العي	المنطق
ثني الإقناع	الدفاع عن نحلة	الإبانة	الحصر	الأحلام
التصديق	إبلاغ الرسالة	الإفصاح	ضيق الصدر	العقول
ميل الأعناق	الحجة	الفصاحة	توقف اللسان	الدهاء
فهم العقول	الحاجة	الوضوح	اللتغ	المكر
إسراع النفوس	المنازعة	الصحة		الألسنة
الاستمالة		البيان		النكراء
الاضطرار		حسن التفصيل		التمييز
التحريك		الإيضاح		السياسة
حل الحيرة		وضوح الدلالة		لباس التقوى
		الإفهام		طابع النبوة
		الفهم		
		الاحتجاج		

ثم اختصر البيان بمعنييه الإفهام والإقناع في هذا المخطط:¹



الأدبية

<p>التأريخ للبيان العربي 1. أخبار الخطباء. 2. المتن الخطابي العربي، أو ثقافة الخطيب. توفير المعاني والحجج.</p>	<p>الدفاع عن البيان العربي وتقاليد في مواجهة قدح الشعوية. 2. تبريء البيان من قيم المتزمتين.</p>	<p>قيمة البيان هذا هو الموضوع الذي بدأ به المؤلف متناولا مساويء العي، وذلك قبل أن يعرف البيان، ويبين أنواع الدلالات على المعاني. يضاف إلى ذلك الدفاع عن الخطبة وكل ما يتصل بها من وسائل إشارية كما في باب العصا</p>	<p>طبيعة البيان من خلال تعريفه (الفهم والإفهام والتأثير) يمكن عزل مثال للتأثير بالرجوع إلى وظيفة الرموز والإشارات (الأزياء مثلا) في كتاب العصا (في الجزء الثالث من البيان).</p>
--	---	---	---

أنواع الأدلة على المعاني مقام الخطابي (أحوال المخاطبين)

اللغة: النص والمشافهة	الإشارة (الإشارة القصصية)	النسبة (أو الاعتبار) (الإشارة غير القصصية)	الخط	العقد
-----------------------	---------------------------	--	------	-------

الإشارة الملتبسة (الإشارة البشرية غير صريحة القصد)

أما (ابن وهب) فيجعله نوعا من أنواع النثر ويصطلح عليه مرة بـ (الاحتجاج) قائلا: "فأما المنثور فليس يخلو أن يكون خطابة أو ترسلا أو احتجاجا أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه"،² وموضع الاحتجاج عنده في: "الاحتجاج على من زاغ من أهل الأطراف"¹، ثم يضعه تحت اسم (الجدل) ويوظفه ضمن تعريفه إياه: "وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه من اعتقاد المتجادلين،

² - أبو الحسن إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، عابدين، مصر، د ط، د ت، ص 150.

¹ - أبو الحسن إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص 150.

الأدبية

ويستعمل في المذاهب، والديانات، وفي الحقوق، والخصومات، والتسول في الاعتذارات، ويدخل في الشعر وفي النثر².

ثم يشرع في تصنيفه وتقسيمه أخلاقيا -على غرار تقسيمات (أرسطو) الخطابية- إلى جدل محمود وآخر مذموم، فيقول: "فأما المحمود فهو الذي يقصد به الحق ويستعمل فيه الصدق، وأما المذموم فما أريد به الممازاة والغلبة وطلب به الرياء والسمعة"³.

وأضاف إلى هذا بيان قيمة الاحتجاج و منزلة إقامة الحجة عند ذوي الرأي السديد والعقل الراجح و العلماء الربانيين، فقال: "وقد أجمع العلماء وذوو العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجته وبين عن حقه، واستنقاص من عجز عن إيضاح حقه وقصر عن القيام بحجته"⁴. وهذا لا يختلف كثيرا عن معنى البيان الذي قصده (الجاحظ).

ولا يختلف الأمر كثيرا عند العالم الفذ (ابن خلدون)، الذي كان دقيقا في تعريفه للجدل وتوضيح ماهيته، بل لقد عرفه تعريفا وظيفيا محكما، وجعل الاحتجاج وجها من وجوهه (الجدل) في قوله: "وأما الجدل فهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداب وأحكام يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب"⁵.

فعدّه القاعدة الأساسية التي تتضمن أصول المناظرة وآدابها و أحوال المتناظرين و الظروف المحيطة بهم والأحكام التي يجب أن يراعوها في احتجاجا تم و سجالاتهم العلمية وأخذهم وردهم، وصاغ له تعريفا دقيقا محكما آخرا يقول فيه: "و لذلك قيل إنه معرفة بالقواعد من الحدود و الآداب، في الاستدلال، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه

²- المرجع نفسه، ص176.

³- المرجع نفسه، ص177.

⁴- ابن خلدون، المقدمة، عبد السلام الشدادى، ج3، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون و العلوم، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2005، ص21.

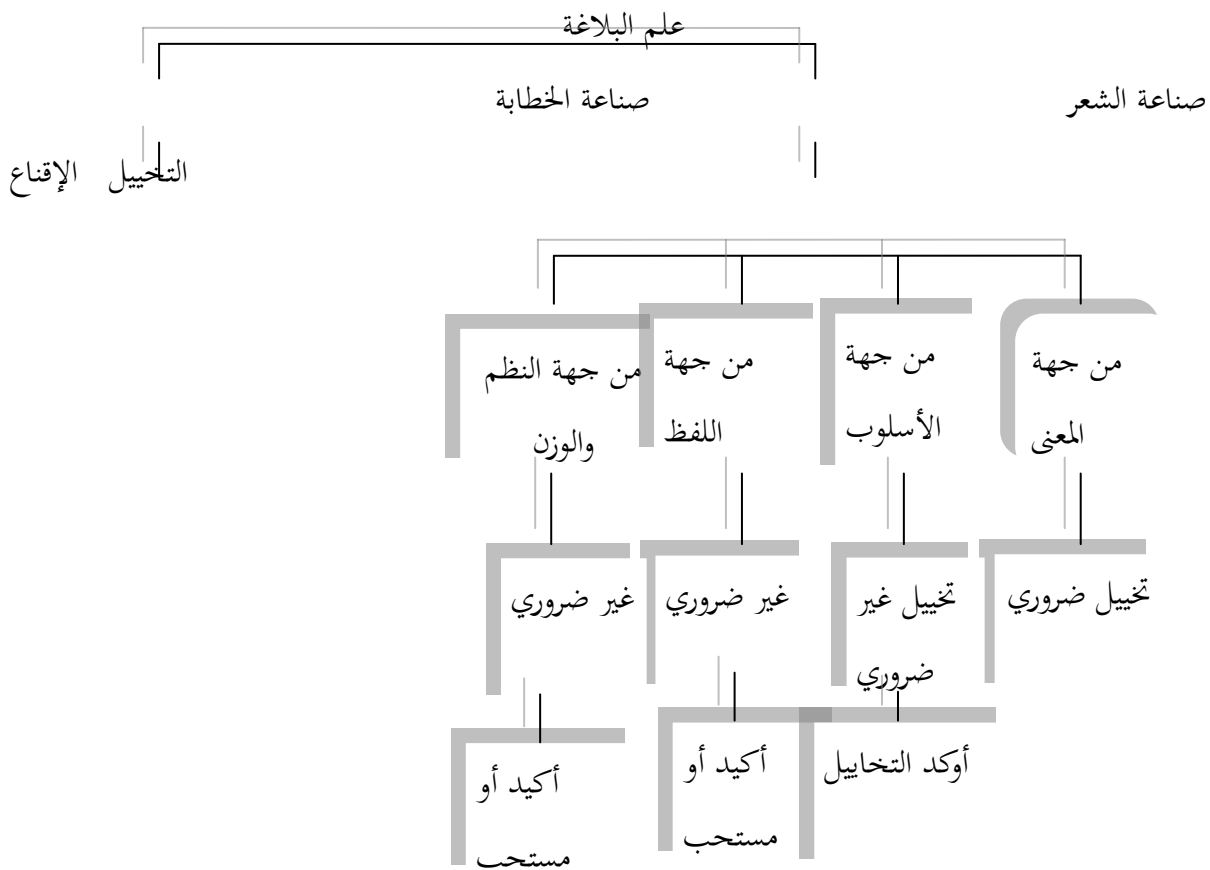
⁵- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأدبية

كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره"¹.

كما جعل الحجاج كذلك في تقنيات علم الكلام "وهو يتضمن الحجاج من العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية"². نجد من خلال ما سبق أن كلا من (ابن وهب) و(ابن خلدون) يجعلان الحجاج آلة من آلات الجدل، وجزءا منه، لكن آراءهم ليست بعيدة في دلالاتها عمن أوردوا الحجاج كوجه من أوجه الكلام وأجناسه، كما يذهب إلى ذلك (حازم القرطاجي) في قوله: " لما كان كل كلام يحتمل الصدق أو الكذب إما أن يرد على جهة الإخبار أو الاقتناص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال..."³. ومفردتا (الاحتجاج) و(الاستدلال) تتساويان كمفردة (الإقناع).

و(الإقناع) في مناهج الدراسة الأدبية عند (حازم القرطاجي) ركيزة للخطابة في مقابل التخيل في الشعر، ويبين ذلك الشكل التالي:⁴



¹ - ابن خلدون، المقدمة، ص: 820، 821.

² - المرجع نفسه، ص 821.

³ - حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 62.

⁴ - عمر أوكان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2001م، ص 118.

الأدبية

ويصنفه (أبو هلال العسكري) ضمن الأجناس الكلامية كذلك وفي هذا يقول: "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين [...]"، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكد معنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته"¹.

فالحجاج في الفكر العربي الإسلامي القديم انحصر في لونين خطابين، هما: "خطابة الجدل والمناظرة فيما بين زعماء الملل والنحل، وفيما بين النحاة والمناطق، وفيما بين الفلاسفة والمتكلمين. والخطابة التعليمية متمثلة في الدروس التي كان يلقيها العلماء في مختلف العلوم آنذاك"².

وتجسدت فاعليته عموماً في التأثير والإقناع، وعلى النصين (الخطبة والقصيدة)، وقبل ذلك كله "وردت لفظة الحجج في القرآن الكريم بمعان مختلفة (الجدال والبرهان)، فقد كان القرآن الكريم دائماً يخاطب الناس في كثير من الآيات على استعمال العقل وتفعله وتوجيهه لقضايا علمية إعجازية كشف عنها العلم الحديث وذلك في قوله تعالى: **لِجَلِّدِ الْكٰفِرِ الْكَبِيرا بِرَأْسِهِ يَوْمَ يُنْفَخُ الْكُفْرُ كَبَابًا** وقوله: **لَا تَتَّبِعُوا الْاَسْوَاقَ الْاَلْبَابَ وَمَا كَفَرُا بِرَبِّهِمْ فَسَخَّرْنَا قُلُوبَهُمْ سَمْعًا لَا يَسْمَعُونَ اَبْصَارًا لَا تَبْصُرُونَ اَنْفُسَهُمْ يَسْعٰوْنَ** فقد سلك القرآن الكريم في محاجة الكافرين وأهل الكتاب سبيل العقل والوجدان (...)، متخذاً المشاهد الكونية والشواهد التاريخية والوقائع المألوفة براهين متنوعة، تقنع وتستميل، وتأخذ عليهم باب العناد والمكابرة (...). ومن ثم صاغ هذه البراهين في أساليب إخبارية وإنشائية، وتقريرية وتصويرية، فحاور وقطع بالرأي، وأوحى وجاهر بالحق، و وعد وتوعد، وربط بين الماضي البعيد والمستقبل البعيد، وجعل الزمن كله حاضراً (...). الفطرة حجة، والتقليد حجة، المادة دليل والروح دليل، (...). النفس في سموها وانحطاطها برهان، والعالم في سره وعلنه كتاب مفتوح ينطق بوحداية الخالق سبحانه"⁴.

وزاد (الشاطبي) في كتابه: (الموافقات) على ما سبق بأن تناول بعض الظواهر العامة لأسلوب القرآن في الاحتجاج، منها: احتجاجه على الكفار بالعموميات العقلية والعموميات المتفق عليها، كقوله تعالى: **اَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ شَرَكًا** فاحتج عليهم بإقرارهم بأن ذلك على العموم، وجعلهم - إذا أقرروا بالربوبية لله في الكل، ثم دعواهم لخصوص مسحورين، لا عقلاء، (...). وقوله تعالى: **اَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ شَرَكًا** فاحتج بهم بتقديسهم إلههم، وأشباه ذلك مما ألزموا أنفسهم فيه بالإقرار بعمومه، وجعل خلاف ظاهره على خلاف المعقول.

¹ - أبو هلال العسكري، كتاب الصنائع، ص470.

² - جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص126.

³ - ينظر: زوبر بوزاغو، التلويحات الحجاجية في مقالات البشير الإبراهيمي، مقارنة لغوية تداولية، أطروحة التخرج لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2017-2018م، ص23-24.

⁴ - ينظر: كامل علي سفيان، المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 1918، ص357.

الأدبية

وأن أسلوب القرآن في الحجج كذلك، ما إذا أجرى الخصم المحتج نفسه مجرى السائل المستفيد حتى ينقطع الخصم بأقرب الطرق، كما جاء في شأن محاجة إبراهيم عليه السلام قومه بالكوكب والقمر والشمس، فإنه فرض نفسه بحضرتهم مسترشداً، حتى يبين لهم من نفسه البرهان، أنها ليست بأهله، وكذلك قوله في الآية الأخرى:

أَأَنْتُمْ مَعْبُودُونَ ﴿١٧﴾ نبي ير الشعراء: ١٧ - ٠٧

فلما سأل عن المعبود سأل عن المعنى الخاص بالمعبود، بقوله أَأَنْتُمْ مَعْبُودُونَ ﴿١٧﴾

﴿٢٧﴾ مج الشعراء: ٢٧ - ٣٧. فحادوا عن الجواب إلى الإقرار بمجرد الاتباع للآباء،....¹

ومما تجدر الإشارة إليه أن قولنا: (البلاغة)، أو (الخطابة)، هو ترجمة لمصطلح: (Rhétorique)، وقد امتد الاختلاف في ترجمته إلى أحد المصطلحين إلى الدراسات الحديثة، (وهذا الانشطار في الترجمة ناتج عن الدلالة المزدوجة لمصطلح الـ (Rhétorique)؛ إذ هي فن القول ودلالة التعبير من جهة، كما أنها الكلام الهادف إلى الإقناع من جهة أخرى)². ومرد ترجمة هذا المصطلح بالخطابة، هو اهتمامه بإيجاد الحجج، وهي الوظيفة نفسها التي حددها (أرسطو) لهذا المصطلح؛ حيث عرف الخطابة بأنها: "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضع كان"³.

وهذا التحديد أدى بالدارسين العرب القدامى إلى تبني مصطلح (الخطابة) كترجمة لـ: (Rhétorique)، وتبني الإقناع كجانب تداولي فيها: عند (الشريف الجرجاني): (الخطابة قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة، من شخص متقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم)، ويقول (ابن البناء المراكشي): "الخطاب بأقوال مقبولة يحصل عنها الإقناع"، وعند (كمال الدين البحراني): (صناعة يتكلف فيها الإقناع للجمهور فيما يراد أن يصدقوا به)، ويسوق (التهاوي) المعنى ذاته في قوله: الإقناعي يطلق على الخطابي، وهو الدليل المركب من المشهورات والمنظومات، ويعرف (المناهي) فن الخطابة بقوله أنها: " قياس مركب من مقدمات

مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم معاشاً ومعاداً"¹.

كل الجهود العربية القديمة في حقل الدراسات البلاغية التي تدور حول قطب واحد وهو القول أو الكلام بتنوع أحواله ومقاماته و أداءاته، كلها اجتمعت على أن الحجج كمصطلح قديم حديث، هو الجدل وهو البرهان والإقناع

¹ - كامل علي سفيان، المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، ص358.

² - عمر أوكان، اللغة والخطاب، ص10.

³ - أرسطاليس، كتاب الخطابة، ص74.

¹ - عمر أوكان، اللغة والخطاب، ص100-101.

الأدبية

والتصديق، ... وما إلى ذلك من مصطلحات متعددة. وهو الأمر نفسه الذي سنتطرق منه نظرية البلاغة الجديدة مع (بيرلمان Perlman) وغيره.

2- الحجاج في الفكر العربي الحديث:

توزّع درس الحجاج عند الدارسين العرب على عدة مجالات تماماً مثل ما حدث مع الغربيين (الحجاج عند اللسانين و التداولين، الحجاج عند البلاغيين...)، فكان الحجاج عند النقاد، والحجاج عند البلاغيين والحجاج عند اللغويين والتحويين، والحجاج عند الفلاسفة والمفكرين العرب، وقد شهد ثورة كبرى خصوصاً عندما استثمر الدارسون آليات البلاغة العربية القديمة، وقد أعادوا قراءتها وتشكيلها وفقاً للنظريات اللسانية الحديثة، لمنح التصوص والخطابات دقّة في القراءة والتأويل. من هنا كان الحجاج همزة وصلٍ ونقطة تقاطع بين البلاغتين بلاغة الإمتاع وبلاغة الإقناع لنخرج بما سمي في عصرنا وعلى حدّ تعبير محمد العمريّ بالبلاغة المعمّمة .

وعليه أعيد طرحه وقراءته من قبل البلاغيين والنقاد كمحمد العمري وصلاح فضل و محمد سالم الأمين ولد الطلبة وطه عبد الرحمن وغيرهم.

2-1- الحجاج عند (طه عبد الرحمن):

تتماز نظرتة للحجاج بطابعها الفلسفي، كونه أستاذا للمنطق وفلسفة اللغة من جهة ولائكائه على أصول تعتمد الفلسفة والمنطق كالمؤلفات العربية القديمة، والغربية القديمة والحديثة من جهة أخرى، ولأن هذا النوع من الخطابات لا بد وأن يكون فلسفياً قبل كل شيء مادام يتعلق بالكلام والخطاب عموماً.

في كتابه المشهور (اللسان والميزان أو التكوثر* العقلي)، يضع الباحث المفكر(طه عبد الرحمن) نظرية مرجعية لماهية الحجاج انطلاقاً من كونه صفة للخطابة يقول فيها: "إن الأصل في تكوثر الخطابة هو صفتة الحجاجية بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج"¹، ومن هنا ينطلق في تعريف الخطاب تعريفاً خاصاً يبنى على قصدتين معرفيتين هما: (قصد الادعاء) و(قصد الاعتراض). أما قصد الادعاء فهو: "الاعتقاد الصريح للخطاب لما يقول من نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، إذا فالمدعي هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب الاستدلال

*- التكوثر: يتصف متعلق الكثرة في التكوثر بثلاث صفات جوهرية، أولها أن التكوثر فعل عقلي، أي لا يتكوثر إلا العقل، و ثانياً أنه فعل قصدي، فلا يتكوثر إلا الفعل القاصد، وثالثاً أنه فعل نفعي، فلا يتكوثر إلا الفعل النافع، ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1998م، ص21-22.

¹- عمر أوكان، اللغة والخطاب، ص213.

الأدبية

على قوله². وقصد الاعتراض من المخاطب أو المنطوق له، "وهو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدعي"³. ويسميه كذلك العلاقة الاستدلالية البانية لحقيقة الخطاب.

ثم يصنف الحجاج إلى:

2-1-1- الحجاج التجريدي:

و هو الإتيان بالدليل على الدعوة على طريقة أهل البرهان، علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يبني على اعتبار الصورة وإلغاء المضمون والمقام، وهو من المراتب الدنيا للحجاج.

2-1-2- الحجاج التوجيهي:

و يفوق النوع الأول رتبة، وهو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، والتوجيه هنا هو إيصال المستدل حجته إلى غيره، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤها و لا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها و رد فعله عليها، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده و أفعال المصاحبة لأقواله الخاصة، وهذا النوع الحجاجي تدعمه النظرية اللسانية المعروفة باسم (نظرية أفعال الكلام)، والتي ترد الأفعال إلى القصد والفعل، وهما عماد التوجيه.

2-1-3- الحجاج التقويمي:

و هو أعلى النوعين السابقين، و يقصد به إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن مجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، فهاهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب واقفا عند حدود ما يجب عليه من ضوابط و ما يقتضيه من شرائط بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدلته أيضا على مقتضي ما يتعين على المستدل أن يقوم به، مستبقا استفساراته و تساؤلاته و اعتراضاته، و مستحضرا مختلف الأجوبة عليها، و مستكشفا إمكانات تقبلها و اقتناع المخاطب بها، و هذا ما يسمى بالتشخيص (في النظرية اللسانية)؛ أي أنه يبني أصلا على اعتبار فعل الإلقاء وفعل التلقي معا على سبيل الجمع والاستلزام.¹

² - المرجع نفسه، ص255.

³ - المرجع نفسه، ص226.

¹ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص227-228.

الأدبية

ويُفرق (طه عبد الرحمن) بين الحجج والبرهان، بقوله إن البرهان ينبني على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق والعمل بالمقاصد؛ أي أن الحجج يقوم على اعتبارين (اعتبار الواقع) أو طلب معرفة الواقع، و(اعتبار القيمة) أو معرفة الواقع وطلب الاشتغال بقيمته.

إضافة إلى تصنيفات الحجج المتعددة والمفصلة، ومراتب الحجج بناء عليها. كما لم يغفل في كتابه الآخر (في أصول الحوار وتحديد علم الكلام) خصيصة من أهم خصائص الحجج وهي (الحوارية) أو تحديدا (المحاورة)، على اعتبار نقاط فاصلة بين هذا المصطلح ومصطلحات أخرى من الجذر والحقل الدلالي نفسه خاضعة لمناهج استدلالية أخرى، وهو ما يوضحه الجدول:²

	المنهج الاستدلالي	الآلية الخطابية	البنية المعرفية	النموذج النظري	
الحوار	البرهان	العرض	النظر	نموذج البلاغ نموذج الصدق	الحوار الحقيقي (العلمي) الحوار الشبهي (الفلسفي)
المحاورة	الحجاج	الاعتراض	المناظرة	نموذج الإبلاغ نموذج القصد	المحاورة القريبة (المناظرة) المحاورة البعيدة (التناص)
التحاور	التحاج	التعارض	التناظر	نموذج التبليغ نموذج التفاعل	التناظر الرأسي التناظر الأفقي

2-2- الحجج عند "محمد العمري":

يسميه (الخطاب الإقناعي)، في كتابه: (في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية). في هذه الدراسة محاولة لتتبع الخطاب الإقناعي (الحجاج) في المتن الخطابي العربي في القرن الهجري الأول، ويعتمد كل الاعتماد على الأسس الأرسطية لبلاغة الخطاب، أو الخطاب عموماً، ولاسيما الحجج والبراهين الخطابية. إلا أنه ركز على عنصرين اثنين من عناصر الإقناع في البلاغة العربية القديمة: وهما المقام، وصور الحجج: (القياس، المثل، الشاهد)، إضافة إلى عنصر الأسلوب.

2-2-1- تصنف المقامات إلى أنواع:

² - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص 57.

الأدبية

1. مقامات الخطابة السياسية:

تصنيف حسب الخليفة ومحاوره، والحوار هنا قسمان: إمّا بين الأنداد، وإمّا بين الراعي والرعية. وتقل فيها الحجج، وتسود فيها المواعظ، الوعد، الوعيد.

2. مقامات الخطابة الاجتماعية:

تتمثل إمّا في: التنظيم الاجتماعي، ويضم خطب الإملاك، والصلح والمخاصمات القضائية، ويعتمد الحجة المقنعة والتأثير الأسلوبي.

وإمّا الوجدانية، فالاعتماد على الاستمالة أكثر من الحجّة غالباً.

وجعل الحجج في صور ثلاث:¹

أ- القياس أو القياس الخطابي:

وهو القياس المضمّر القائم على الاحتمالات التي تكفي في المعالجة الأمور، ومنها: التعارض، والتضاد، والمستقصي.

ب- المثل:

هو استقراء بلاغي أو حجّة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتهما، ويرد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها، ويعتبر دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحققه من إقناع وتأثير.

ج- الشاهد:

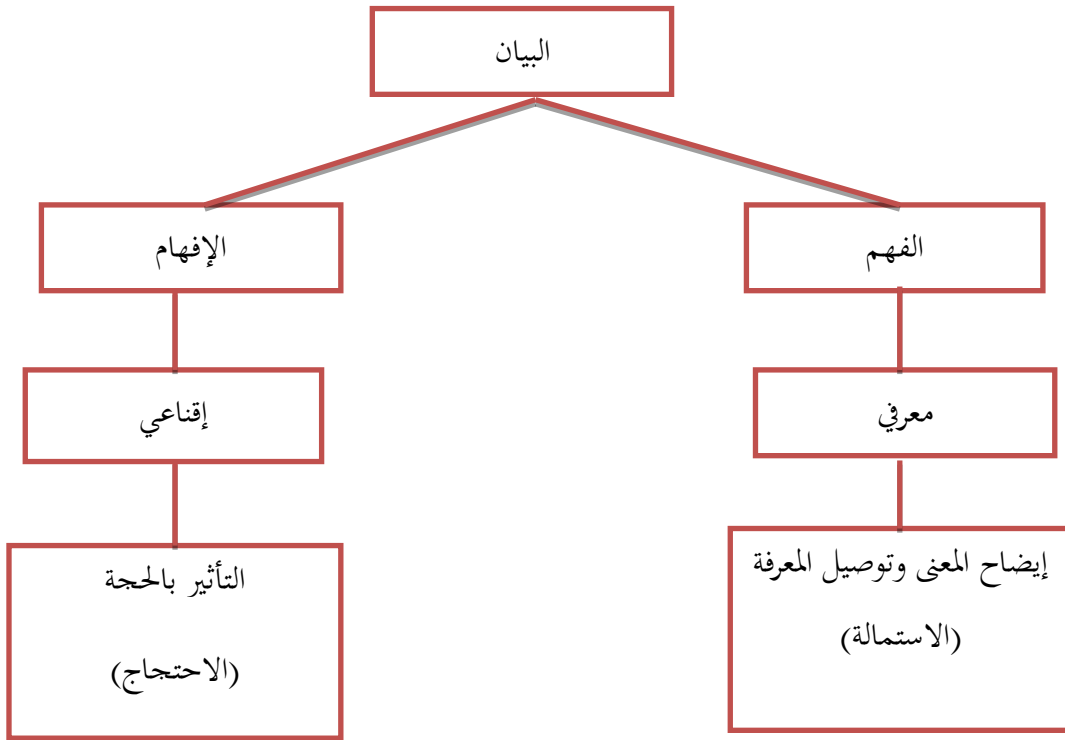
وهو من الحجج الجاهزة أو غير الصنّاعية كما يسميها (أرسطو)، ويجمع: الأمثال والآيات الشعرية والآيات القرآنية التي استعملت في الخطابة العربية للاحتجاج لقضية مختلف فيها، أو تمثيل حالة مشابهة لها، أو الاستئناس أو خلق الجو الديني في الخطبة؛ لتحقيق الإثارة وحسن الموقع في النفس.²

وإذا كانت نظرتة للحجاج أو الخطاب الإقناعي في هذا الكتاب من منظور أرسطي، فإنه في كتابه: (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها) يعمد إلى تسمية المصطلحات الحجاجية. إن سلم القول. نسبة إلى أصولها. البلاغية العربية، ولاسيما في قراءته لمفهوم البيان عند "الجاحظ" (الجدول السابق). وللفهم والإفهام ببعديهما المعرفي و الإقناعي:

¹ - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، المغرب، لبنان، ط2، 2002م، ص134.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأدبية



ثم يحصر البيان بمفهومه في المصطلح (الاعتدال) بين ما سمّاه (الجاحظ) بالعمي (القصور في النطق)، والخطل (التكلف).¹ وهذه الاستقلالية منحتة تنوعاً على صعيد الأنواع المعرفية، وعلى صعيد الخصائص التي تنقسم عن هذه الأنواع، وفي هذا تجلية لنظرية الحجاج عند (الجاحظ) بمنظور حديث، وإعادة صياغة للمصطلحات وفق تناسبها مع المعاني المتضمنة في النظريات اللسانية المستحدثة، لنجد أن الفرق الوحيد بين القديم والحديث كامن في قطبين اثنين هما: العام والخاص؛ فالحجاج بمنظور قديم عبارة عن تقنية أو آلية مميزة في الخطابة خاصة، وهو بالتالي عبارة عن خاص ضمن عام، أمّا بالمنظور الحديث فهو في طور صياغته كموضوع عام مستقل تدور حوله الخطابات، ذو خصائص وميزات يقوم عليها، تتوسطها أنواع الخطابات الأخرى انطلاقاً من موضوعاتها الخاصة بما كخطابات خاصة كذلك، وصار بهذا عبارة عن عام مستقل يحوي خصوصيات الخطابات.

2-3- الحجاج عند (أبو بكر العزاوي) :

كان من بين اللّسانيين العرب المهتمين بدراسة الجانبِ الحجاجيِّ في اللُّغة اللّساني واللغوي المغربي "أبو بكر العزاوي" الذي أثرى السّاحة اللّسانية بمؤلفاته والتي نخصُّ بذكر أهمها ككتاب: (اللُّغة والحجاج)، وكتاب: (

¹ - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 193-204.

الأدبية

الخطاب والحجاج)، وكتاب آخر معنون ب: (حوار حول الحجاج). وهي مؤلفات يرى من خلالها أنّ الحجاج نظرية تندرج ضمن تيارٍ حديثٍ في الدراسات اللسانية الحديثة يدخل في إطار ما يُسمى بمنطق اللّغة حيث يستبعد أن تكون للغة وظيفة تواصلية إجبارية فحسب، بل إنّها على عكس ذلك فهي لغة غنيّة بمكوناتها التعبيرية (القوانين الداخلية المتحكّمة في الخطاب) التي تسعى هذه النظرية إلى دراستها، وتبيينها¹.

فبناءً على هذا، يرى "أبو بكر العزاوي" أنّ للغة وظيفة حجائية لا تخلو منها ولا يصلح التّواصل من غيرها، ولذلك جعل التّواصل مقروناً بالحجاج لصيقاً به فلا "تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل"². من هنا يكون الحجاج عَضُدَ العملية التّواصلية وذلك فيما يقدّمه طرفا العملية التّخاطبية وعليه عرّف (أبو بكر العزاوي) الحجاج بقوله: "هو تقديم مجموعة من الحجج والأدلة التي تُؤدّي إلى نتيجة معيّنة، والتي يكون القصدُ منها التأثير في الآخر أو إقناعه بفكرة أو تغيير آرائه ومواقفه بخصوص موضوع ما"³، وهذا موجود في كلّ خطاب وبأي لغة، ولعلّ تعريفه هذا يكون خلاصة لما توصل إليه أستاذه "أوزفالد ديكر" وخاتمة لأعمال "جان بليز غريز" (Jean-Blaise Grize) * الذي نظر إلى الحجاج على أنّه "نشاط منطقيّ خطابيّ، إنّهُ نشاط خطابيّ لأنّ الأمر يتعلّق بتفكيرٍ كلاميّ؛ أي أنّ الوسيلة المستعملة للتّواصل هي اللّغة، وهو نشاطٌ منطقيّ؛ لأنّه يتمثّل في مجموعة من العمليّات الدّهنيّة، ولأنّه ينتمي إلى ما يعرف بالمنطق الطّبيعيّ"⁴.

وعليه يكون الحجاج من منظور "جان بليز غريز" استراتيجية خطابية منطقيّة يُنجزها متكلم ما، بغية التأثير في مستمع ما وإقناعه بحجج معيّنة انطلاقاً من مفهوم الخطاطة التي هي أهم منه، فليس هناك إنتاج خطابيّ لا يؤدّي إلى إنتاج خطاطات وتمثيلات عن العالم الآخر، ولكن ليست كلّ غاية خطابية حجائية بالضرورة"⁵.

بالرّغم من كلّ هذه الدّراسات لم تتضح الصّيغة الأساسيّة للمصطلح، وبقي دارسوه يبحثون عن فعاليته، ولتفادي هذا الانغلاق الذي لا يقدّم جديداً للمصطلح نفسه قارب الباحث "أبو بكر العزاوي" مصطلح الحجاج

¹ - ينظر: أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، ص 08-09.

² - أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرّحا الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 106.

³ - حافظ اسماعيل علوي، من المنطق إلى الحجاج، حوار مع الأستاذ أبو بكر العزاوي، مجلة نقد وفكر، ع: (61)، 2004م، ص 86.

* - عالم سويسري توفي سنة 2013م كان أستاذاً للمنطق الطّبيعيّ ونظرية المعرفة والحجاج بجامعة بروكسل له عدّة مؤلفات منها: محاولات في المنطق الطّبيعيّ، الفكر الطّبيعي والمنطق واللّغة، سيميولوجيا المنطق. ينظر: أحمد تركي، الحجاج وأثره القرآني على النصّ الشعريّ، ص 72.

⁴ - حافظ اسماعيل علوي، المرجع السابق، ص 88.

⁵ - المرجع نفسه، ص 90.

الأدبية

بالنظر إلى ما يضاويه من المصطلحات المنتمية إليه دلاليًا كالاستدلال (**Raisonnement**) و البرهان (**Démonstration**) " فالخطاب الطبيعي ليس خطابًا برهانيًا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يُقدّم براهين وأدلةً منطقيّة، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقيّ. فلفظة "الحجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطّابع الصّحيح (**Valide**) لاستدلال ما من وجهة نظر منطقيّة ويمكن التّمثيل لكلّ من البرهنة والحجاج بالمثالين التّاليين:¹

- كلُّ اللّغويين علماء
- زيد لغويّ
- إذن زيد عالم
- انخفض ميزان الحرارة
- إذن سينزل المطر

نقول عن المثال الأوّل أنّه استدلالٌ أو برهانٌ ليقينيّة القضية التي يقصدها المخاطب، إذ إنّ كلامه عقليّ، بديهيّ، عقليّ غير قابل للنقاش يبدأ من مقدمة كبرى (كلُّ اللّغويين علماء) ومقدمة صغرى (زيد لغويّ) واستنتاج (إذن زيد لغويّ)، جاء به المتكلّم لخلاصة معيّنة تماما مثل ما يكون في الرّياضيات والعلوم القائمة عليها، فما صوّبه العقل كان صوابا، وما خطّأه كان خطأً، في حين أنّ الحجاج من منظور أبي بكر العزاوي احتماليّ يقوم على تقنيّات هدفها إقناع الآخر بطرق تجعله يتقبّل قضية وله الحقّ في الدّحض²، وهو ما مثله في قوله الثّاني "فاستنتاج احتمال نزول المطر يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى الشّطر الأدل من الجملة، وهو استنتاج احتماليّ"³، كما أنّ فاعليته لا تموت في بدايته (صواب، خطأ)، وإنّما في ديناميّته نحو التّبرير ومحاولات إقناع الطّرف المستقبل ليتقبّل عرضا ما.

¹ - أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، ص14-15.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

³ - المرجع نفسه، ص15.

المبحث الأول: القوة الإقناعية للأسلوب البلاغي في مقالات الشيخ الطيب العقبى

مهاد:

صحيح أن دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها كان من أهم اهتمامات الدراسات اللسانية ، لكن بعد الثورة العلمية التي عرفتتها هذه الأخيرة والتي تجلت في ظهور الدراسات اللسانية التداولية ، اتضح أن عزل اللغة عن الواقع لم يعد له اليوم ضرورة علمية، فانتقل الاهتمام من الوصف إلى مقامات الاستعمال وأساليبه، وتوصل الباحثون إلى معرفة وظيفة أخرى تقوم بها اللغة عند التواصل والتبليغ هي الوظيفة الحجاجية ، هذه الوظيفة التي تقوم على دراسة آليات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى الإذعان والتسليم بما يعرض عليه من أفكار وآراء، وتندري إلى الكشف عن علاقة التفاعل القائمة بين الباث والمتلقي والتي تتحقق عن طريق مجموعة من الانزياحات والأساليب التي يعمد إليها المتكلم لإقناع المتلقي وحمله على القبول، وبين أيدينا مقالات قائمة على وشائج تفاعلية وتلازمية بين كاتبها الشيخ الطيب العقبى والمتلقي وليست نصوصا معزولة، وإذا كان الأمر كذلك فالواجب التنقيب عن البنيات الملحوظة في هذه المقالات وهذا ما يتسق وينسجم مع الدراسات الأسلوبية وما تحمله من أبعاد إقناعية، وفيما يلي توضيح لهذه الأساليب والبنيات وكيفية اشتغالها .

1 - البعد الحجاجي لأسلوب الاستفهام:

أسلوب الاستفهام من الأساليب اللغوية الإنشائية الضرورية في توجيه الخطاب، وذلك لكونه آلية حجاجية يصير بها المتلقي عنصرا شريكا في إنتاج الخطاب وصناعته عن طريق تفتيشه عن الجواب المحتمل، و"يعد الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا"¹، لأن طلب الحجة يكون فيه مباشرا، بحيث يكون صلب الخطاب ومضمون الرسالة من لب السؤال وجوهره، ويذهب أكثر البلاغيين إلى أن الاستفهام هو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل"²، فالسائل من وراء هذا السؤال يستفسر ويتساءل عن الإجابة التي سيتكفل بها المتلقي ، ومنه يتضح أن الغرض الأصلي من الاستفهام هو الاستفسار والتساؤل ، لكن قد يخرج عن معناه الحقيقي للدلالة عن معان أخرى ، فتعدد أغراضه البلاغية حسب السياق والمقام، فالسؤال أو الاستفهام متى طرح دعا المتلقي إلى اتخاذ قرار، وهنا تكمن قيمة المساءلة وأهميتها من حيث الوظيفة الحجاجية، فهي " وسيلة من وسائل الإثارة ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح"³.

¹- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:456.

²- رايح بوحوش، اللسانيات وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2007م، ص:227.

³- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص:25.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

ومتى نظرنا إلى مقالات الشيخ الطيب العقبي في جريدة المنتقد - قيد التحليل - يتبدى لنا أهمية هذا المظهر البلاغي داخل الخطاب الإقناعي الموجه إلى كل الجزائريين إبان الفترة الاستعمارية، فقد حفلت المدونة بهذا الرافد الحجاجي، ومن ذلك ما جاء في فاتحة مقال العدد الخامس من الجريدة حيث قال: "المنتقد وما أدراك ما المنتقد؟"¹.

لقد جاء الاستفهام في هذه الجملة مركبا من: ما الاستفهامية وفعل الدراية المعدى بالهمزة (أدراك)، ثم ما الاستفهامية الثانية. والاستفهام الأول مستعمل عن تعظيم أمر جريدة المنتقد، بحيث يسأل المتكلم من يسمعه عن الشيء الذي يحصل له الدراية بكنه تلك الجريدة.

"وقد ورد هذا النوع من الاستفهام في مواطن متعددة من النظم القرآني منها ما أفاد التهويل ومنها ما أفاد التعظيم"²، وهذا يدل على أثر القرآن الكريم في كتابات الشيخ الطيب العقبي، فالشيخ استطاع بفضل حفظه للقرآن الكريم أن يوشي أسلوب نشره به، ومن الأمثلة على هذا النوع من الاستفهام قوله تعالى:

1- أأتم تهثم □ جمَّ الحاققة: ٣

2- أأ□□□□□ المدثر: ٧٢

3- أأ□□□□□ سم□□□□□ ٤١

4- أأ□□□□□ ني□□□□□ ير□□□□□ ٧١

5- أأ□□□□□ الهطف بن: ٨

6- أأ□□□□□ الطارق: ٢

فالغرض من الاستفهام في هذه المواضع التهويل والتعظيم، فالفعل أدري في هذه الآيات الكريمة متعدد إلى ثلاثة مفاعيل، والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، والجملة الواقعة بعد (أدراك) سدت مسد المفعولين.

نستخلص مما سبق أن الكاتب أتى بهذا النوع من الاستفهام ليبرز للمتلقي المكانة العظيمة لهذه الجريدة ومنزلتها

¹ - الطيب العقبي، جريدة المنتقد في نظر الكاتب، المنتقد، اعتنى بها الأستاذ الهادي قطش، العدد 05، السنة الأولى، الخميس 11 محرم 1334 هـ / 30 جويلت 1925، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2009م، ص 81.

² - فواتيح عبد الرحيم، من بلاغة الاستفهام في الخطاب القرآني، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، المجلد الثاني، العدد 07، سبتمبر 2014م، ص 145.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

الجسيمة الراقية، فبمجرد أن يقرع هذا الأسلوب سمعه تعظم في نفسه هذه المجلة فيندفع لكسر حاجز الرتبة والعزوف ، ويلج النشاط إلى ذهنه فيجعله يفكر ويسهم في القراءة .

والمأمل في هذا التركيب، يدرك بعد قراءته مدى أحقيته في تعزيز بنية الخطاب الحجاجي ومدى إسهامه في تحقيق خاصية التفاعل بين المتكلم والمخاطب، والتي تعتبر من أعظم مرامي البلاغة الجديدة، فالكاتب لما وظف لفظ (ما أدراك) عقب بعده بتعريف لتلك الجريدة كان بمثابة الجواب لذلك الاستفهام فقال: "المنتقد والحق يقال هي أول جريدة عربية يصدق عليها اسم جريدة رأيتها في القطر الجزائري حتى اليوم...¹".¹ وتزداد فعالية وقوة تأثير هذا النوع من السؤال والاستفهام في تصدره للمقال وافتتاح الكاتب نصه به، فالشيخ الطيب العقبي استهل نظمه بأسلوب ذي طاقة حجاجية هامة لما فيه من إثارة واضحة ، إذ به يستجلب أسماع المتلقين ليعرض سلعة غالية تنطوي على أجل معاني الوطنية ومظاهر الرقي الفكري والتقدم الأدبي.

وبذلك يكون الكاتب قد أتقن تحرير المقال وأجاد بناء مطلع، ومنحه قوة إقناعية، زرع بها همة طلبه واقتنائه، وضمن حسن متابعتة ودقة الإنصات إليه، وكسب ود أعين القراء للاطلاع على ما يعتلج في حنايا هذه الجريدة من قيم علمية ودينية واجتماعية وثقافية.

كما يصطنع الكاتب في المقال نفسه استفهاما آخر يحاول من خلاله التأثير في متلقيه وذلك باستعمال الاستفهام غير الحقيقي الذي لا ينتظر من ورائه جوابا فيقول: "ينادي ولكنه لا يسمع الموتى، ويصرخ وأين يذهب صراخه؟"².

إن الكاتب في هذه العبارة لا يريد الاستفسار والتساؤل، وإنما يود أن ينقل للقارئ الحالة المأساوية التي يعيشها كل أديب مفكر وعالم نابغ في هذه البلاد التي قل العلماء فيها وكثر الجاهلون بها، فهو يصور بهذه الصيغة الاستفهامية الحالة التي كان عليها رجال الجزائر قبل بزوغ فجر هذه المجلة وكذا مدى معاناة هؤلاء الجهادة الأفاضل الذين ما ألفوا فضاء أدبيا يفجرون فيه قريحتهم العلمية ، فالعالم بأسره سمع أناتهم وزفراهم المتصاعدة وشعر بمدى تحسرتهم على ما نزل بقطرهم البائس اليائس وشعبهم المستكين، ولكن لا استجابة لمطالبهم ولا التفاتة لندائهم وصراخهم ، بل حاصرهم الإهمال من كل الزوايا إلى أن أطلت عليهم هذه الجريدة الغراء التي أعادت لهم أملهم المفقود واسترجعت حقهم المسلوب.

¹ - الطيب العقبي، جريدة المنتقد في نظر الكاتب، المنتقد، ص 81.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

وبهذا يتجلى لنا أن الشاعر يتأسف على ما عاشه شبابنا من إجحاف وجور وهضم لمستحقاتهم العلمية في زمن فقدت فيه الروابط وبعدت الشقة وقل فيه المعين وعز فيه النصير، أما اليوم فيبشرهم و ييزف لهم خبرا سارا ألا وهو صدور هذه الجريدة التي هب معها نسيم العلم الغض فأنعش الأرواح وشحد المهمم، فلا عذر للمتقاعس المقصر، والواجب على كل الشباب الإقبال على هذه الدرة الثمينة التي تسمح لهم بنشر الفضيلة وقتل الرذيلة و وإسعاد العباد وإصلاح البلاد، والدليل على كل هذه الأغراض البلاغية التي لمسناها في أسلوبه واستنبطناها من استفهامه هذا ما جاء في مقاله مباشرة بعد هذا التركيب الاستفهامي حيث قال: " هلم إلى جريدة أبرزتها لكم (خير أمة أخرجت لكم) تعالوا بنا نتعارف بميدانها، ونلتقي على بساط إكرامها"¹.

نستشف من كل ما ذكرناه آنفا، أن الكاتب من خلاله أسلوبه هذا حقق وظيفة تنبئية تواصلية شكلت مكونا رئيسا لهذا الاستفهام، تمثلت هذه الوظيفة في تحذير المتلقين من مغبة الإعراض عن هذه الجريدة و حثهم على التثبث بأصول هذا الصرح العلمي الوطني الباذخ، مذكروهم في الآن ذاته بسوء الوضع الذي كانوا عليه قبل ولادة هذه المجلة ، وبهذا عرف الكاتب كيف يجعل السامع أو القارئ يدعن إلى كلامه ، كما استطاع أن يبعث فيه روح التغيير .

كما نقف في هذه الجريدة على شكل آخر من الاستفهام في قوله: " هل إذا انتقد "المنتقد" على من زعم أن في الهيئة البشرية رجالا من غير الأنبياء يوحى إليهم بوحى لا كوحىهم وهومن كلام الله؟ و ربما قيل عنه أنه تلاوته مرة واحدة أفضل بكذا مرة من تلاوة القرآن...هل المنتقد لمثل هذا والذي لم يقبل عقله ولادينه كلاما مثل هذا يلام على هذا الانتقاد..."².

نلاحظ في هذه الجملة توظيف الكاتب لأداة أخرى من أدوات الاستفهام هي (هل)، وقبل أن نخوض في الجانب الحجاجي لهذا الوجه الأسلوبي، لا بأس أن نعرف الجانب النحوي والبلاغي لمعاني هذه الأداة، يعرف ابن هشام الأنصاري في كتابه مغني اللبيب (هل) بأنها "حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي، دون التصور، ودون التصديق السلبي، فيمتنع نحو : " هل زيدا ضربت " لأن تقديم الاسم يشعر بحصول التصديق بنفس النسبة"³.

¹ - الطيب العقي، جريدة المنتقد في نظر الكاتب،المنتقد، ص 82.

² - الطيب العقي، رد يصادف محله، جريدة المنتقد، العدد 12، الخميس 28 صفر، 1344هـ / 11 سبتمبر 1925م، ص 215.

³ - جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق وتعليق: الدكتور مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، طبعة 2007م، ص 333.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

من خلال التعريف، يتضح المعنى الأصلي لأداة الاستفهام (هل) حيث تعتبر من حروف الاستفهام الطلبي، وتكون للتصديق فقط أي معرفة وقوع الشيء أو عدم وقوعه لا غير، لكن كغيرها من الأدوات تتعدد أغراضها

البلاغية حسب السياق وبذلك تحتمل معان عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مايلي:¹

1- بمعنى " قد "، كقوله تعالى: **أَمْ نَحْمَدُكُمْ سَمًّا إِلَّا نَسَانًا:**

2- بمعنى " السؤال " كقوله تعالى: **لَمَّا جَعَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا**.

3- بمعنى " الأمر " كقوله تعالى: **الْمَاءُ: ١٩**

4- بمعنى " ما " كقوله تعالى: **أَلَمْ نَقْرَأَكَ الْإِنشَانَ: ٢٠١**

وبالعودة إلى مقال الشيخ الطيب العقي وبالضبط إلى التركيب الاستفهامي السابق الذي وردت فيه (هل) نجد أن الصيغة التي قدم بها هذا التساؤل جاءت استنكارية ولم يكن الغرض منها انتظار الجواب. فقوله: " هل المنتقد لمثل هذا يلام " نستشعر أن الغرض منه كان استنكاريا توبيخيا متى تدبرناه في ضوء العلاقة بين الكاتب وصاحب المقال الذي صدر في العدد (45) من جريدة " التقدم " التي تصدر بمدينة الجزائر بعنوان " دعوى الإصلاح وكيف يجيب أربابها " حاول فيها كاتبها بما خطه الحكم على كل الصحف العربية أو أكثرها شرقا وغربا بالخيبة وعدم حاجة الأمة إليها.

فالكاتب أراد من خلال هذا الأسلوب التأثير في الطرف الآخر بوضعه في صورة الجائر الذي ينبغي عليه تعديل سلوكه وتغيير نظرته اتجاه هذه المجالات العربية بما في ذلك جريدة المنتقد، وبين له أن حكمه على رجال الصحافة العربية بالخيبة هو حكم قاس مردود على صاحبه، لأن ما جاء به هؤلاء الرجال الأحرار هو خدمة الدين وإصلاح المجتمع وتطهيره من البدع والشركيات وكل ما يחדش عقيدة المرء ويميل بها عن الفطرة السليمة فكيف لك أن تنتقد هؤلاء الأعمدة وتطعن في نياتهم رغم أن ماجادت به أقلامهم في هذه المقالات والأعداد من مسائل بسيطة يسلم بها كل قارئ مهما كان مستواه؟

هذا من جهة أولى. أما من جانب ثان، فالكاتب يصبو من وراء استفهامه هذا إلى دحر أي ريب قد يتسلل إلى نفس كل قارئ بعد اطلاعه على هذا المقال المشؤوم الذي ينتقد فيه صاحبه الصحف العربية، كما يرمي إلى دحض افتراءات هذا الرجل الظالم، وتبصير كل قارئ ببطلان دعواه القائمة على الظنون السيئة المستقاة من

¹ - ينظر : فواتح عبد الرحيم، من بلاغة الاستفهام في الخطاب القرآني، ص 137.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

مشربه العكر الذي يمثله أهل الزيغ والأهواء، لذلك نراه يقول رادا على هذا الغر المفترى: " إن العالم شرقا و غربا و

طولا وعرضا يخالف هذا الكاتب في رأيه ولو كان ما زعمه وحاول إثباته حقا لما رأينا صحيفة واحدة من الصحافة العربية النافعة والواقع يشهد بنقيض هذا.¹

بالتالي نقول إن الشيخ الطيب العقبي استطاع بفضل هذا المكون الاستفهامي الحجاجي استمالة مخاطبه وإقناعه بما يقوله وإغلاق مداخل الشك التي بثها هذا الرجل المفترى في حق رجال الجزائر، كما نجح في الذود عن حياض الصحافة وتوجيه كل الشباب إليها.

ومن الاستفهامات الحاضرة أيضا في هذه المدونة التي بين أيدينا قول الكاتب: " ونمدح الأولياء ونحبهم ونسأل الله أن يحشرنا في زمريهم ولكننا لا نظريهم كما أننا لا نظري محمدا الذي نمانا عن الاطراء لنفسه فكيف به إذا كان لغيره؟ "²

هنا الكاتب اعتمد في خطابه الحجاجي على أداة أخرى أيضا في مقال آخر بعنوان " حول القصيدة العاشورية " هذه الأداة هي (كيف)، وهي من أسماء الاستفهام المتداولة كثيرا، ويستفسر بها عن الحال، والاستفهام بـ (كيف) إما أن يكون " حقيقيا نحو: " كيف زيد؟ " أو غيره نحو: " أأ□□م□□ فإنه أخرج مخرج التعجب "³

فإذا تأملنا في هذا الأسلوب الإنشائي وغرضه البلاغي، لألفينا أنه استفهام استنكاري جيء به على صيغة تقريرية إنشائية من حيث اللفظ الظاهر، لكنه خبر من حيث المعنى المضمرة، أي أنهم يجوبون أولياء الله الصالحين ويحترمونهم ويمدحونهم بما أذن الله فيه من المدح الجائز بلا غلو ولا إطراء ولا خروج عن دائرة الصدق والحق إلى هاوية الإطراء والإفك المحرم شرعا، وهذا ما يقودنا إلى استنتاج حقيقة مفادها أن الطاقة الإقناعية للسؤال المبنية على المعنى الضمني لا المصرح الظاهر هي التي تجعل من الاستفهام أسلوبا حجاجيا، فالكاتب لجأ إلى هذا النوع من الصيغ الاستفهامية للرد على قصيدة طويلة الذيل عريضة القفا، أبياتها مائة وخمسة وستون بيتا، موسومة باسم " قوة العين في مدح الغوثين "، نصحهم فيها بأسلوب مقنع صاعد فيه بقولة الحق، هدفه من وراء ذلك حملهم

¹ - الطيب العقبي، رد يصادف محله، المنتقد، ص: 214.

² - الطيب العقبي، حول القصيدة العاشورية، المنتقد، العدد 18، الخميس 10 ربيع الآخر 1344هـ/ 29 أكتوبر 1925م، ص: 328.

³ - ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ص: 203.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

على الالتزام بالعقيدة الصحيحة القائمة على التوحيد الخالص، والابتعاد عن الشرك، ومحذرهم من الوقوع في هوة الكفر بعد قيام حجته عليهم.

حاصل النظر فيما مضى أن أسلوب الاستفهام وسائر ما ماينبجس منه من أغراض بلاغية هو السبيل الأنجع

الذي امتطاه الشيخ الطيب العقبى لإقرار ما ليس يتقرر بمجرد الإثبات المباشر، فلم يغفل هذا العالم المحاججالنحرير عن جعل الأشكال البلاغية الاستفسارية بمختلف أدواتها وشتى مراميها من أهم الآليات الإقناعية والروافد الحجاجية التي يعتمد عليها في نظمه بغية تمرير رسالته وتبليغ فكرته وتنوير قرائه، وذلك لكونها من أدق مباحث الإنشاء وأجملها، ومن أغرز قوال المعنى وألطفها، تجمع بين سلاسة المبنى واستعلاء الطلب، تحظى بخصائص أسلوبية دلالية توصل المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، ويؤثر على وجدانه فينفع.

2- أسلوب النفي ودوره الاستدلالي:

من الأساليب الحاضرة بقوة في مقالات الطيب العقبى والتي يظهر بعدها الحجاجي أسلوب النفي الذي وظفه الكاتب بقوة في هذه الجريدة للإسهام خطايا في إنشاء أغراض متعددة كرد افتراءات أهل الزيف والأهواء، وتعداد مناقب رجالات الصحافة العربية لاسيما أعضاء جريدة المنتقد، والدعوة إلى الله على بصيرة وغيرها من الأهداف الدينية والوطنية والاجتماعية التي سعت إلى تحقيقها مجلة "المنتقد" باعتبارها جريدة سياسية تهذيبية انتقادية .

والنفي في معناه العام هو "الإخبار بالسلب والانتفاء والترك والجحد، ويرتبط بأدوات معينة خاصة به مثل (لا، لم، لن، إن، ما، لما) وكل أداة لها دلالة خاصة بها، ومنها ما تشترك في الدلالة نفسها".¹ وينقسم النفي في النحو إلى قسمين هما النفي الصريح والنفي الضمني، وسنقتصر في تحليلنا لهذا الأسلوب على القسم الأول أي النفي الصريح لأنه يتم بأدوات النفي وهي:²

*- لا النافية : لنفي الماضي والمضارع .

*- لم : لنفي المضارع وقلبه إلى الماضي .

*- ما : لنفي الماضي والمضارع .

¹ - ينظر : محمد عبد الله عوض الخباص، النفي بين النظرية والتطبيق، رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف الأستاذ الدكتور إسماعيل عمارة، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، 2007، ص07.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

*- لن : لنفي المضارع والمستقبل .

*- لما : لنفي المضارع .

*- إن : لنفي الحال.

*- ليس : دالة على نفي الحال، وتنفي غيره بالقرينة.¹

*- لات : حصت بنفي الأحيان.²

انطلاقاً من هذه المفاهيم النظرية الموجزة، سنتناول بالتحليل بعض خصائص أسلوب النفي الحجاجية التي وظفها الشيخ الطيب العقي في " المنتقد " ومن ذلك قوله³ :

كُلَّ شَيْءٍ بَلَّ هُمْ مِثْلَ الْعِبَادِ	لَا أَرَى الْأَشْيَاحَ فِي قَبْضَتِهِمْ
لَا وَلَا أَلْقِي إِلَيْهِمْ بِالْقِيَادِ	أَمَّا لَا أَسَلِّمْ نَفْسِي لَهُمْ
عَجَزُوا عَن طَرْدِ بَقٍّ أَوْ قَرَادِ	لَسْتُ أَدْعُوهُمْ كَمَا قُلْتُمْ وَقَدْ
عَكَّفُوا يَدْعُونَهَا فِي كُلِّ نَادِ	لَسْتُ مِنْ قَوْمٍ عَلَى أَصْنَامِهِمْ
بِظَنِّي الْبَيْضِ وَلَا السُّمْرِ الصَّعَادِ	لَسْتُ مُنْقَادًا إِلَى طَاعُوتِكُمْ
أَرْتَجِي مَا كَانَ مِنْ نَوْعِ الْجَمَادِ	لَمْ أَطْفُ قَطُّ بِقَبْرِ لَا وَلَا
نُحِرَتْ أَعْظَمُهُ مِنْ عَهْدِ عَادِ	لَسْتُ أَكْسُو بِحَرِيرٍ جَدًّا
فُرْبَةً تَنْفَعُنِي يَوْمَ التَّنَادِ	لَا أَشُدُّ الرَّحْلَ أَبْغِي حَجَّةً
(وَرَدَّةً) يَدْعُونَهَا أَهْلَ الْبِلَادِ	لَا أَسُوقُ الْهَدْيَ قُرْبَانًا لَهُ

¹ - ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ص 284.

² - المرجع نفسه، ص 249.

³ - الطيب العقي، إلى الدين الخالص، المنتقد، العدد 08، الخميس 03 المحرم، 1344 هـ / 20 أوت 1925 م، ص 136، 137 .

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

لقد ازاد العدد الثامن من جريدة " المنتقد " بمقال بديع للعلامة المرشد الطيب العقبي، عنوانه " إلى الدين الخالص"، وجاء تحت هذا العنوان هذه الأبيات الشعرية التي تعتلج في حناياها منظومة إصلاحية يتحدى بها المنتقد كل ذي علم تحدُّه نفسه بمعارضتها إلى معارضتها بصحيح الأدلة من الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، موظفا في دحضه ومعارضته هذه أدوات النفي (ليس) و (لم) و (لا) .

فهو (الطيب العقبي) إذ ينفي عن نفسه هذه الصفات والاعتقادات المائعة يثبتها ضمينا لغيره، فغاية الكاتب

الحجاجية إنما هي إقناع المتلقي بسمو الذات ورفعتها، فهي ذات صافية طاهرة لا يشوبها شرك ولا كفر، وهي ذات أبعد ما تكون عن دعوة غير الله وعدم التضرع إليه والاستعانة به، وهي أبعد ما تكون عن ضعف العقيدة واهتزازها، لا تعرف الضلال ولا الزيغ والانحراف، وهي أسمى من أن ترنو إلى عبادة الأصنام أو التبرك بالقبور، وهي إلى ذلك كله لا ترضى بتسوية المخلوق بالخالق مهما كانت رتبته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح .

وهكذا مكّن أسلوب النفي من بناء حجتيين متعارضتين : أما الحجّة الأولى، فيثبت الكاتب عن طريقها استقامته وتوحيده الخالص وسلامة عقيدته، تلك الصفات التي جاء بها القرآن الكرم وأقرّها السنة النبوية ومثلت الدين الصحيح الخالص إذ بها تقبل أعمال كل مسلم مكلف، أما الحجّة الثانية، فهي الصفات المثبتة لغيره، وغيره ليس إلا أولئك الذين ارتضوا مع الله آلهة أخرى، واختاروا العيش تحت لواء الشرك والظلم والابتداع في الدين.

ويسهم النفي أيضا في تشكيل بنية النص الحجاجية من حيث المستوى الجملي اللساني، الذي يفحص الواسمات الأصواتية بوصفها مركبا من مركبات الجملة، ويمثل هذا النمط من الدراسة في حقل الدراسات اللسانية التداولية نموذج التحليل الذي يقترحه أ. ديكر (A.Décrot) ضمن نظريته المعروفة بالنظرية التداولية المندجة، التي " تمتاز عن غيرها من النظريات التداولية بالنظر إلى ظاهرة التعدد الصوتي كظاهرة لسانية يمكن دراستها وفحصها على مستوى البنية اللغوية للملفوظات، من خلال مكونات لغوية متعددة ومتنوعة تنطوي دلاليا على تعليمات تحيل إلى عملية التلفظ."¹

وقبل الانطلاق في تحليل هذا النوع من النفي من خلال مقالات الشيخ الطيب العقبي، ارتأينا أنه من اللازم تقديم مفاهيم نظرية موجزة حول النفي من حيث وصفه واسما صوتيا كي يسهل على القارئ الوقوف على طريقة عمله في ملفوظات حقيقية، ونستهل هذه المفاهيم النظرية بإبراز النموذج التحليلي الذي يقترحه أ. ديكر والذي يقوم " على التمييز بين المتكلم (الناطق بالملفوظ أو منتجه) والمتلفظين، ومادام كل ملفوظ ينطوي على عدة أقوال (

¹ - ينظر: دردار بشير، واسمات التعدد الصوتي اللسانية ودورها الحجاجي، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، العدد 05، جانفي 2014، ص114.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

وجهات نظر)، يسند كل قول إلى متلفظ، ثم ينظر إلى موقع المتكلم من هؤلاء المتلفظين عبر فحص روابط المسؤولية الثلاثة (التماهي، الدحض، الحياد)¹

من خلال هذا النموذج التحليل المقترح من طرف أ.ديكرو يتبين لنا أن ردة فعل المتكلم أو موقفه من متلفظ ما تنحصر بين ثلاث مسؤوليات هي :

(أ- الرفض، -ب- التماهي، -ج- الحيادية)، وتتحدد هذه المسؤولية بحسب الواسم الصوتي، والمقام الذي يرد فيه

الملفوظ، " فبعض الواسمات تستنفر الأصوات وتسند إليها أقوالا صريحة في الملفوظ، مثل روابط السببية والتعليل: " بما أن " و " مادام " و " لما كان "، وبعضها يستنفر أصواتا تسند إليها أقوال تكون مضمرة في بنية الملفوظ، نستنتجها بواسطة الافتراضات المسبقة والتضمينات، مثل النفي والاستفهام"².

وقد وقع اختيارنا في هذا المقال على واحد من أكثر الواسمات الصوتية اللسانية استخداما، مما تتركز عليها الدراسات التداولية التطبيقية، ونقصد بذلك: ألفاظ النفي التي عاجلنا جزءا منها في مستهل تحليلنا لهذا الأسلوب بصفة عامة.

ومما سلف ذكره، نخلص إلى أن النفي من أهم واسمات التعدد الصوتي³، لهذا لا تخلو دراسة تداولية تُعنى بتحليل التعدد الصوتي من إثارة مسألة النفي ودلالاتها، والنفي الذي يهمننا في هذه الدراسة هو ما يعرف بالنفي الجدلي الذي ينصب في دائرة استراتيجيات الإقناع الحجاجية، فيؤدي مهام الاعتراض مقترنا بظاهرة تعدد الأصوات الخطابية، وليس النوع الثاني من النفي المسمى بالنفي الوصفي والذي لا يقصد به معارضة وجهة نظر في الملفوظ، وإنما يصف حالة الشيء فقط وهذا الصنف لا يخدم بحثنا هذا.

¹-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

²-ردار بشير، واسمات التعدد الصوتي اللسانية ودورها الحجاجي، ص114.

³- ينبغي الإشارة إلى أن كتاب (هورن) يقدم أهم دراسة معاصرة لظاهرة النفي، ينظر : المخوت شكري : إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، مركز النشر الجامعي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، د ط، 2006، ص 19 - 20.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

وفي هذا السياق يلزم أن نستوعب بنية النفي الجدلي التي تكون في غالب الأحيان ثنائية، مكونة من " ملفوظ منفي يتضمن رفض إثبات سابق، تكون متبوعة بتصويب يقترن أحيانا بـ " لكن " الدالة على الرفض، وهذه الأداة هي التي تحول النفي الجدلي الخالي من دلالة الرد إلى نفي حجاجي يحمل دلالة الجدل والرد"¹.

من خلال هذا القول تظهر لنا جليا تشكيلة النفي الجدلي القائم على تعدد الأصوات، حيث ينطوي هذا الأسلوب على ملفوظ معارض منفي متبوع برابط لغوي دال على الجدل، و إثبات مضمّر غير ظاهر، يتم تحديده من فحص الواسم الصوتي المتمثل في حروف النفي.

ولتأويل هذا النفي جدليا يضع الباحثون المختصون² ثلاثة معايير، وهي:

- **حيز النفي:** يخضع الحيز للقواعد التركيبية الدلالية، فالنفي قد يستغرق جملة كاملة، فيكون حيزه واسعا ويسمى عندئذ نفي الجملة، وقد ينحصر النفي في مركب واحد من مركبات الجملة فقط، كأن يكون ذلك المركب (كثيرا)، فيكون حيزه محدودا، ويسمى في هذا الحال نفي مركب .

- **الطبيعة الدلالية للمكون أو للجملة المنفية:** تهمنا دلالة الجهة المنفية، أو دلالة المركب، بقدر ما تهمنا البنية التركيبية لهما في تأويل وظيفة النفي، إذ إن هناك ظاهرتين تؤثران على أصواتية الملفوظ المنفي، وهما: الألفاظ والعبارات التدرجية*

- **السياق التفاعلي:** يتكون السياق المعني هنا من العلاقات الجمالية القائمة بين الملفوظ المنفي (المكون من و ج ن 1، و و ج ن 2)، ومحيطه اللغوي، فهذه العلاقة بين وجهتي نظر النفي، وبين سياقه هي التي ينطلق منها التأويل الأصواتي، ومن ثم يدخل في مسمى السياق هنا السياق الأصغر (العناصر اللغوية التي تسبق مباشرة الجملة أو تعقبها)، والسياق الأكبر (المحيط النصي)³.

¹ - ينظر: دردار بشير، المرجع السابق، ص 117.

² - الباحثون المعنيون هم: ديكرو 1984، موشلار 1982، موللر 1991، فولكا، 1993 . ينظر: دردار بشير، واسمات التعدد الصوتي ودورها الحجاجي، ص 117.

* العبارات التدرجية هي عجيّمات تتموضع على سلم يمثل أسفله و أعلاه كلمتان متضادتان، مثل قديم /جديد، ينظر: دردار بشير، واسمات التعدد الصوتي ودورها الحجاجي، ص 125.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 117 - 118 - 119 .

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

بهذا نكون قد قدمنا جوانب نظرية متصلة بالنفي بوصفه واسما صوتيا ، وبعد استعراضنا لهذه المفاهيم، ولأجل الوقوف على كيفية اشتغال هذا الأسلوب المعارض الحجاجي في ملفوظات حقيقية، نقدم فيما يلي تحليلا لنماذج من حالات النفي اقتطفناها من بعض مقالات الشيخ الطيب العقبي في جريدة " المنتقد " .

- النموذج الأول :

قوله : " والدینالذی ألف بین قلوب الناس ماكان ولن يكون أبدا سببا للانحطاط والرجوع بمعتنقيه إلى الوراء بعد ذلك التقدم السريع ."¹

يحتوي هذا الملفوظ المنفي على فعلين كلاميين هما :

1 - فعل إثبات المتلفظ م 1 ل ق :

(كان سببا للانحطاط والرجوع بمعتنقيه للوراء...) موجه للمرسل إليه مر 1 (وهو المتكلم / المتلفظ بالنفي، على اعتبار أن هذا الأخير في مقام مناظرة ومراء، ويرد على الإثبات، أي يدحضه) . نلاحظ هنا أن الإثبات قول مضمّر، يتم تحديده انطلاقا من فحص الواسمين الصوتيين المتمثلين في حرفي النفي " ما " و " لن " ، الذين يستتفران ظاهرة تعدد الأصوات في هذا الملفوظ .

2 - فعل دحض الإثبات المسند إلى المتلفظ م 2، بواسطة النفي:

(ماكان ولن يكون أبدا سببا للانحطاط والتراجع بمعتنقيه...)، وهو موجه - حسب قراءتنا وتحليلنا للوضعية التلغظية - إلى مر 2، وهو هنا المتلفظ م 1 منجز فعل الإثبات (المستمع / الشريك في التلفظ)، لأن نمط الخطاب الذي بين أيدينا، وهو الجدال والمناظرة يقوم على الحوارية الثنائية المزدوجة غالبا، لذلك تظهر في الملفوظ قرائن ومؤشرات دالة على توتر تواصلية، إن لم نقل خصومة رأي، ونقصد بذلك تحديدا العطف المقترن بالنفي " ولن يكون... "، " وإرداف النفي بتصويبات تشكل الحجاج المضاد بصورة تدمج النفي في استراتيجية أكثر فعالية هي استراتيجية الدحض."²

¹ - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، المنتقد، العدد 06، الخميس 16 المحرم، 1344هـ / 06 جويلية 1925م، ص 101 .

² - ينظر: شارودو. ب و د . مانغونو، معجم مصطلحات تحليل الخطاب، ترجمة: صمادي حمود و عبد القادر المهيري، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة ، تونس، د ط، 2008، ص 479 .

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

- النموذج الثاني :

قوله : " لا تثبت في دين الله عقيدة من العقائد أو حكم من الأحكام بطريق الكشف أو برؤيا منامية لأن هذا يؤدي إلى الطعن في السلف الصالح بل في صاحب الشريعة نفسه صلى الله عليه وسلم." ¹

نلاحظ أن النفي هنا كلي يسلط على الجملة بأكملها، أي على محتواها القضوي كله، بواسطة حرف النفي "لا"، وبالتمعن في السياق النصي، يتضح لنا أن هذا النفي جدي، لأن الملفوظ يحمل وجهتي نظر متضادتين متعارضتين، أحدهما صريحة (و ج ن 1) والثانية مضمرة (و ج ن 2) نتوصل إليها عن طريق إعمال قانون الافتراض المسبق :

- و ج ن 1 : لا يجوز إثبات حكم شرعي بكشف أو برؤيا منامية .

- و ج ن 2 : يجوز إثبات حكم شرعي بكشف أو برؤيا منامية .

تسند (و ج ن 1) إلى المتكلم الذي يعين نفسه في الملفوظ بضمير الغائب (هو) الذي يعود على لفظ (عالم)، بواسطة رابط الموافقة على رأي قد ينسب إلى صوت جماعي، هو هنا صوت جماعة أهل السنة والجماعة، كما أن بإمكاننا القول إن (و ج ن 1) يسند إلى صوت جماعي يتماهى مع المتكلم، ويتبناه ويعلن كفالاته للتلفظ به.

و تسند (و ج ن 2) إلى متلفظ ثان، وهو غير معين في الملفوظ بواسطة أي ضمير من ضمائر الخطاب، غير أنه

مفترض الوجود كمتلفظ شريك يتلقى الملفوظ، ويتفاعل معه، ويتبنى الرأي المخالف المشار إليه بواسطة " بكشف أو برؤيا منامية"، ووجهة النظر هذه ثابوية في الملفوظ، استنفرها النفي (لا) بواسطة الافتراض المسبق، لأجل أن يقوم المتكلم متماهيا مع المتلفظ 1 بدحضها .

- النموذج الثالث : قوله :

"لَيْسَ يَرْضَى اللَّهُ مِنْ ذِي بُدْعَةٍ عَمَلًا إِلَّا إِذَا تَابَ وَهَادَ" ²

نجد في هذا المثال لفظ نفي آخر هو (ليس)، حيث يسلط النفي على الجملة كلها، وباستقراء عناصر السياق النصي، نستنتج أن النفي هنا هو نفي جدي، ومن ثم يقبل التحليل الصوتي، فالمثال مأخوذ من أبيات شعرية

¹ - الطيب العقي، رسائل الوطن، بسكرة، المنتقد، العدد 15، الخميس 19 ربيع الأول 1344 هـ / 8 أكتوبر 1925 م، ص 281 .

² - الطيب العقي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 136 .

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

جدلية يرد فيها الشيخ الطيب العقبي على أصحاب العقائد الفاسدة من قبوريين و طريقين ومن على شاكرتهم ممن يخالطون برائن الشرك ودرنه، وعليه يحضر في هذا الملفوظ على الأقل صوتان يتبنى كل منهما وجهة نظر :

- و ج ن 1 : اعتبار البدع عمل يرضي الله .

- و ج ن 2 : رفض اعتبار البدع عمل يرضي الله .

تسند (و ج ن 1) إلى متلفظ 1 يتماهى مع المتكلم الذي لا يعين نفسه في الملفوظ بواسطة ضمير المتكلم، اعتمادا على رابط الموافقة على رأي قد ينسب إلى صوت جماعي، هو هنا صوت أهل البدع، وهي وجهة النظر المعبر عليها بصراحة في الملفوظ، والتي يحملها الملفوظ المنفي .

و تسند (و ج ن 2) إلى متلفظ ثان، وهو غير معين في الملفوظ بواسطة أي ضمير من ضمائر الخطاب، غير أنه مفترض الوجود كمتلفظ شريك يتلقى الملفوظ، ويتفاعل معه، ويتبنى الرأي المعارض، ووجهة النظر هذه ثابوية في الملفوظ، استنفرها النفي (ليس) بواسطة الافتراض المسبق، لأجل أن يقوم المتكلم متماهيا مع المتلفظ 1 بدحرها ودحضها وإثبات نقيضها .

هذه أمثلة عن النفي وددنا أن نقف على كيفية عمل أدواته وحروفه أصواتيا على المستوى اللساني من خلال مقالات الشيخ الطيب العقبي، خاصة وأن النفي من المنظور التداولي والحجاجي يعد الواسم الأهم للتعدد الصوتي لسانيا ونصيا، كما يسهم خطاياها في إنشاء ظواهر متعددة كالاعتراض والدحض، لهذا استعان بها الشيخ العقبي لإقناع مخالفيه ودعوتهم إلى المنهج الحق والسبيل الناجع لنيل نصره الله ثم من بعدها الظفر بالسيادة الوطنية، وبهذا الاتكاء على أسلوب النفي ، نجح في بناء شبكة حجاجية قوية، و مترابطة، قوامها الإقناع والإمتاع .

3 - أسلوب التوكيد و أثره في الاستعمال اللغوي :

لاجرم أن أسلوب التوكيد من أكثر الأساليب التي وظفها الشيخ الطيب العقبي في جريدة " المنتقد " وذلك لما له من دور فعال يسهم في تقوية المعنى وتأكيد وإيضاحه وتقريره في ذهن السامع، ولذلك نرى أن هذا المحاج المبدع يعتمد إليه في كل كتاباته و بشكل واسب من أجل تمرير رسائله وتواصله مع القراء تواصلًا إيجابيًا يحملهم على الإذعان لأفكاره وقبولها قبولًا حسنًا يدفعهم إلى العمل بها والدعوة إليه، ومما ينبغي الإشارة إليه قبل التعرض إلى أهم مظهرات هذا الأسلوب في مقالات الطيب العقبي، أنه يعنى به في اللغة الإحكام والتثبيت، وهو " تابع لما قبله يقويه ويزيل عنه ما قد يتوهمه المتلقي سامعًا كان أو قارئًا من احتمالات أو تردد أو تشكيك في قبوله، فالكلام

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

يؤكد لإزالة الشك أو الحتمال أو التردد عن المتلقي. "،¹ من خلال هذا التعريف، يتضح أن التوكيد يقصد به إيراد الكلام على صيغة ينتفي بها الريب والشك، وينقسم التوكيد إلى نوعين :

أ - التوكيد اللفظي : وهو إعادة الكلمة ذاتها بلفظها أو بمرادفها سواء كانت اسما أو فعلا أو حرفا او جملة ويأتي:²

- ليلفت الانتباه إلى الكلمة بلفظها حتى تثبت في الذهن .

- للتلذذ بالمكرر كما يأتي للتهديد .

ب - التوكيد المعنوي : ويعني تكرار اللفظ بمعناه لا بلفظه، ويأتي على نوعين :³

- توكيد تخصيص أي تخصيص المؤكد ويتم بلفظين مضافين دائما إلى ضمير يعود على المؤكد وهما: (نفسو عين).

- توكيد عموم أو شمول ويتم ب (كل، جميع، عامة، قاطبة، كافة، كلا، كلتا) .

وهذه الألفاظ جميعا تتبع المؤكد في إعرابها .

وللتوكيد أدوات يستخدمها البليغ حسب ما يقتضيهما المقام، لأن مواقف الناس تتشعب وتختلف عند سماع نيا أو خبر من الأخبار، وهذا يقتضي من المتكلم أو الباحث لخطاب استخدام الأسلوب المناسب لكل مقام، فقد يلجأ في بعض الحالات إلى توظيف أساليب التوكيد لتمكين المعاني في النفوس وإزالة ما يعتريها من ريب أو شك لاسيما إذا كان المخاطب عالما بالخبر لكنه يردده ولا يقبله، ففي هذه الحالة لا بد للمخاطب من استخدام أدوات ووسائل التوكيد المختلفة وذلك على قدر الاعتراض والإنكار، حتى يتحقق التأثير والإقناع، وهذه المؤكدات الأداتية يطلق عليها أحمد المتوكل مصطلح (استراتيجية التقوية)،⁴ وهذه المؤكدات الأداتية في أي نشاط لغوي تسمو بالوظيفة الإقناعية وترتقي بها، وتضيف طاقة حجاجية وقوة برهانية إلى القول، " يلجأ إليها المتكلم حيث

¹ - محسن علي عطية، الأساليب النحوية عرض وتطبيق، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م، ص 148.

² - ابراهيم فلاحي، قصة الإعراب، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2009، ص 106 .

³ - محسن علي عطية، المرجع السابق، ص 252 .

⁴ - ينظر : أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1431 هـ / 2010 م، ص 159.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

يكون قصده دعم خطاب أو أحد مكونات خطابه بما يكفل دفع شك المخاطب أو ترده أو إنكاره "،¹ ولهذا قسم البلاغيون الخبر إلى ثلاثة أضرب، ابتدائي خال من التأكيد، وطلبي يحوي مؤكدا واحدا، وإنكاري يحوي أكثر من مؤكد، تبعا لأحوال المتلقين وظروف الخطاب. ومن أشهر أدوات التوكيد، " (إن، وأن، ولام الابتداء، وأحرف التنبيه، والقسم، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة، والتكرار، وقد وأما الشرطية، وإنما، واسمية الجملة، وضمير الفصل وتقدم الفاعل المعنوي). "²

ومقالات الشيخ الطيب العقبي التي ازدانت بها جريدة " المنتقد " تحفل بالأخبار المؤكدة نذكر منها التالي :

أ - الأخبار المؤكدة بأداة واحدة :

إن المتفحص لنصوص الطيب العقبي التي حفلت بهم جريدة " المنتقد " يدرك أنها تعج بالأخبار المؤكدة بأداة واحدة فقط، ومن ذلك قوله : " وقد ذكرت الدين وما له من تأثير في تهذيب الأخلاق. "³

لقد وظف الكاتب في هذا القول خبرا طلبيا احتوى على أداة توكيدية واحدة هي (قد)، جاء به للتأكيد على مدأهمية موضوع الدين وأحكامه الشرعية في هذه المجلة الغراء، حيث اختارته المنهج القويم والأوحد التي بنت عليه كل أعدادها ودعت كل الكتاب إلى العمل على إصلاح ما طرأ على الأمة من الضعف في دينها بسبب ما ابتدعه المبتدعون .

وقال في مقال آخر أيضا : " حسبي الله وحسبي قربه "،⁴

تضمنت هذه العبارة خبرا طلبيا آخر لكن بأداة توكيدية أخرى هي تكرار لفظة (حسبي)، وقد عاود الكاتب هذه الكلمة لما لأسلوب المعادة أو التكرار من دور في تأكيد الفكرة وترسيخها في ذهن المتلقي، والكاتب في هذا المقام بصدد الكشف عن عقيدته للرد على كل من شكك في سلامة معتقده ونقاء سريره وصفاء توحيده هادفا في الوقت نفسه إلى إقناع من جرفته سيول البدع والشركيات بالعدول عن هذا الجرم العظيم والإقبال على توحيد الباري جل في علاه .

¹ - ينظر : بوزادة الحبيب، استراتيجية الحجاج عند البشير الإبراهيمي (خطبة مسجد كتشاوةأمودجا)، مجلة فصل الخطاب، العدد 05، جامعة ابن خلدون، تيارت، جانفي 2014، ص 80 .

² - ينظر : أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 2009م، ص 42 .

³ - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص 99 .

⁴ - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 136 .

ومن الأخبار الطلبية أيضا قوله:¹

أَيُّهَا الْأَقْوَامُ إِنَّ تَبَعُوا الْهُدَى مَالِكُمْ وَاللَّهُ غَيْرُ الْعِلْمِ هَادٍ

هنا وظف الكاتب أداة توكيدية واحدة أيضا، لكن مغايرة تماما للأدوات التي ذكرناها آنفا، هذا النوع من الأدوات هو القسم، والذي يظهر في كلمة (والله)، فتوظيف الشيخ العقبي للقسم في هذا البيت الشعري لم يكن أمرا اعتباطيا، وإنما الحاجة في نفس الكاتب يصبو من ورائها إلى التأثير في أصحاب الاعتقادات الباطلة القائمة على الشبه، وإقناعهم وكل من انضم إلى حزيمهم بأن نجاتهم وهداهم في إتباع العلم الصحيح البعيد عن الضلالات والبدع القائم على الكتاب والسنة.

ولم يكتف الكاتب بتوظيف هذه المؤكدات الأدائية الدالة على الخبر الطلبي، وإنما استرسل في توظيف أنواع أخرى من هذه الأساليب الموحية بطلبية الخبر ومنها قوله تعالى: "إِنَّ الْعَالَمَ شَرْقًا وَغَرْبًا وَطَوَلًا وَعَرْضًا يَخَالِفُ هَذَا الْكَاتِبُ فِي رَأْيِهِ"²، استعمل الكاتب في هذه الجملة الأداة (إِنَّ)، وهي أحد أكثر الأدوات هيمنة على أسلوب التوكيد وأعظمهم اضطلاعا بوظيفة التمكين والتثبيت، وهي حرف مشبه بالفعل³ استخدمها الكاتب لتوكيد الجملة الاسمية وتقوية الحكم الذي أطلقه على صاحب المقال الطاعن في جريدة " المنتقد "، والكاتب بهذا المؤكد الأدائي، يقود القارئ إلى حقيقة صارخة ألا و هي بطلان رأي هذا الرجل الذي حاول تقزيم دور هذه الجريدة الغراء، كما يود من خلال هذا الأسلوب أن لا يذر أي شك يتسلل إلى مهجة القارئ حول منزلة و مصداقية جريدة "المنتقد"، ففضلها بائن منبلج ليس فيه هبو من الريب ولا ذرو من الظن كما زعم ذيك المفتري.

ب - الأخبار المؤكدة بأكثر من أداة :

ليتمكن الشيخ الطيب العقبي من بيان حججه وتعزيز أقواله، لم يقف عند استخدام أداة توكيدية واحدة، وإنما راح ليتمكن الشيخ الطيب العقبي من بيان حججه وتعزيز أقواله، لم يقف عند استخدام أداة توكيدية واحدة، وإنما راح يوظف شكلا آخر من الأخبار يعرف بالإنكاري، وهو الذي ينطوي على أكثر من مؤكد، وذلك لتيسير الفهم

¹ - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 135 .

² - الطيب العقبي، رد يصادف محله، المنتقد، ص 214 .

³ - ينظر : محسن علي عطية، الأساليب النحوية عرض و تطبيق، ص 253، 254 .

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

على المتلقين وإزالة اللبس عنهم، وقد ورد هذا النوع بكثافة في جريدة "المنتقد"، ومنها قوله: "... الأعمال إنما هي نتائج العقائد، تصلح بصلاحتها وتفسد بفسادها..."¹

جاء التوكيد هنا بأداتين هما (إنما و ضمير الشأن "هي")، وهو خبر إنكاري أراد به الكاتب أن يرشد الشباب إلى الطريق الأنجح والأبجع لمعرفة عقيدة المرء، والمتمثل حسبه في النظر إلى أعماله، لأن هذه الاخيرة محك حقيقي لمعرفة اعتقادات البشر وترجمة مثالية لما يعتلج جناحهم من أفكار، فأفعالهم وأقوالهم وأعمالهم إنما في حصاد لما زرعوه في قلوبهم، وصلاحتها تابع لصلاح سرائرهم وفسادها تابع لطلاح أفئدتهم.

ومن الشواهد الحاضرة في هذه المدونة والدالة على الخبر الإنكاري أيضا قوله: "هذه الجمل الذهبية التي ذكرت في فاتحة العدد الأول من هذه الجريدة هي التي جعلتني أباهي بها وأرى من واجبي الوقوف على منبرها العالي خطيبا مفصحا داعيا إلى الله بإذنه العلماء ورثة الأنبياء..."²

نلاحظ في هذه الجملة، بروز أكثر من أداة توكيدية على غرار المثال السابق الذي سقناه لإيضاح مدى حجاجية أسلوب التوكيد، والخبر فيها أيضا إنكاري لانطوائه على مؤكدين اثنين هما (اسمية الجملة + ضمير الشأن "هي")، وبتزايد هذه المؤكدات الأداتية تضاعفت قيمة مجلة "المنتقد" وسمت منزلتها عند القارئ، ولعل أعظم ما يبرر ذلك، هي تلك الجمل الزبرجدية التي ذكرت في فاتحة العدد الأول والتي استحضرها الكاتب للترويج لهذا المعلم العلمي الصارخ ودفع القراء للاطلاع عليه.

وأكثر من ذلك العدد في المؤكدات الأداتية ظهر في قول الكاتب المصلح: "أفترضى حكومة فرنسا الحرة ذات النخوة و الشهامة بالتنازل له وهو السارق المعتدي عن تنفيذ حكم صدر من محكمتها عليه وترهب قوة هذا اللص العاتي؟؟.. هذال عمر كم المحال بـ عينه..."³

إن أساليب التوكيد الحاضرة في هذا القول تؤكد حقيقة استراتيجية الإقناع الحجاجية التي رافقت الكاتب في كل مقالاته، تجسدها دلالة هذه الأدوات التوكيدية الثلاثة (حرف التنبيه "الهاء" + لام الابتداء + زيادة حرف

¹ - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص 103.

² - المرجع نفسه، ص 100.

³ - الطيب العقبي، قضية جريدة "المنتقد" والصحف العربية، المنتقد، العدد 13، الخميس 5 ربيع الأول 1344 هـ / 24 سبتمبر 1925 م، ص

"الجرم الباء"، فهذه المؤكدات جاءت ليفندبها الكاتب إشاعة عدم تنفيذ فرنسا عقوبتها على مدرس بلدية " سيدي عقبة " السارق بسبب تخوفها من رد فعل أهل هذه القرية وشدة تعصبهم له، كما وضع الكاتب بهذا التلوينات التوكيدية حدا للغط واللغو والتشويش الذين أصابوا الشباب الجزائري جراء هذه الحادثة، مرجعا الأمر كله إلى مناصرة أعوانه القدماء له الذين شاركوه في جريمته، وبذلك فتأ لبيب ارتباكهم، وأزال قلقهم، وطمأنهم بالزامية تنفيذ فرنسا قوانينها وأحكامها على هذا السارق الجائر .

من خلال الأمثلة التي تناولناها بالدراسة والتحليل من مقالات الشيخ الطيب العقبي، نستنتج أن أسلوب التوكيد يفعم بالقوة الحجاجية والطاقة الإقناعية، وهذا ما ألّب الكاتب على الاتكاء على مختلف المؤكدات الأدائية لحمل المتلقي على الإذعان لأفكاره الفذة ودعوته المباركة، وكذا إهداء القارئ لوحة فنية متميزة فنيا وأسلوبيا، مقنعة خطايا وحجاجيا .

4 - القيمة الحجاجية لأسلوب التكرار :

يعتبر التكرار أحد أعظم الظواهر البلاغية الأسلوبية التي اتسم بها الأدب العربي قديما وحديثا، وذلك لما يتضمنه من جماليات تعبيرية بما ترتفع قيمة النص الفنية، ويعنى المعنى ويتسع، فيكتسب دلالات عميقة عبر تراكمات كمية متعددة للكلمة أو للجملة أو للصوت تنبجس منها أبعاد حجاجية تهدف إلى تعميق أثر الفكرة أو الصورة في ذهن المتلقي، ولقد أدرك النقاد والبلاغيون هذه القيمة للتكرار و هذه الأهمية له في الأدب عموما، فكل الدراسات الأدبية الدائرة حول مجال مصطلح الحجاج تجمع على منزلة و أهمية الدور الإقناعي الذي تضطلع به الهندسة التكرارية.

وقبل الشروع في بيان حجاجية التكرار في مقالات الطيب العقبي، ارتأينا أنه من لوازم البحث واكتمال صورته أن نقدم له دراسة مقتضبة نعرض فيها ماهية التكرار لغة واصطلاحا .

4. 1- أسلوب التكرار الماهية والمفهوم :

- التكرار لغة : هو مصدر الفعل كرر وكرر الشيء وكرره أعاده مرة بعد أخرى، والكرة : المرة، والجمع الكرات، ويقال كررت عليه الحديث وكررته إذا رددته عليه. وكررته عن كذا ككرة إذا رددته، والكر الرجوع على الشيء ومنه التكرار.¹

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 5، (مادة كزر)، ص 135 .

أما من حيث الاصطلاح، فقد عرفه القاضي الجرجاني في كتابه التعريفات بقوله : " عبارة عن الإثبات بشيء مرة بعد أخرى " ¹.

من خلال هذا التعريف نجد أن التكرار قد ولج دائرة الإثبات والتأكيد والحفاظ على المعلومات.

2.4-تمظهر أسلوب التكرار في مقالات الشيخ العلامة الطيب العقبى :

لا نستطيع أن نغفل النتائج الثري الذي تركه الكتاب الشهداء الجزائريون، لأنه يعكس جوانب موضوعية تناولوها آنذاك للتعبير عن تجربتهم الفنية الأدبية، ونقل التاريخ لأجيال الغد، ولأنهم عاشوا واقع الثورة التحريرية، كما يعكس هذا النشر مدى ضبط هؤلاء الكتاب للآليات التعبيرية والأسلوبية، وشحن مقالاتهم بشتى الجماليات التي ترقى بكتاباتهم وتسمو بنظمهم وتجعله قابلا للعديد من القراءات النقدية، وتبين مدى انتقاء الكتاب للتعبير الهادفة المشحونة بروافد الإقناع والإمتاع، وتخبرهم لحسن العبارة وبديع اللفظ، رغم الظروف القاسية التي مروا بها، من نشاط ثوري وسياسي وإصلاحي، واعتقالات ومعاناة ودعايات مغرضة، جميع هذه الزفريات كان النشر يدونها ويلونها ويترجمها في أنات المقالات وتوجع الخطابات.

وعلى هذا الأساس تستمد هذه الدراسة شرعيتها في محاولة إبراز حجاجية مظهر من المظاهر الأسلوبية التي اتسمت بها مقالات الشيخ الطيب العقبى ألا وهو التكرار، مسلطين الضوء على الشواهد النثرية التي تضمنت الظاهرة للتأكيد على حس الإقناع الذي يمتلكه الكاتب ومدى حنكته في تمرير أفكاره والاهتمام بتعميق الدلالة والتركيز على بؤر المعاني.

اعتمد الشيخ الطيب العقبى على التكرار الاستهلاكي الذي يقصد به تكرار كلمة أو عبارة في أول كل بيت في القصيدة ، بغرض التنبيه والتأكيد وجلب ذهن المتلقي، وجعله يتعايش مع النص الشعري بكل حواسه، فقد أسهم هذا التكرار الاستهلاكي في الكشف " عن فاعلية قادرة على منح النص بنية منسقة، إذ إن كل تكرار من هذا النوع قادر على تجسيد الإحساس بالتسلسل والتتابع، وهذا التتابع الشكلي يعين في إثارة التوقع لدى السامع، وهذا التوقع من شأنه أن يجعل السامع أكثر تحفزا لسماع الشاعر والانتباه إليه. " ² ويظهر ذلك في قول الشيخ الطيب العقبى :

¹ - القاضي الجرجاني، التعريفات، تحقيق نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصوير، القاهرة، ط 1، 2007، ص 113 .

² - محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحدائة- التكوين البديعي-، دار الفكر، بيروت، 1988م، ص 390 .

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

أَيُّهَا الْأَقْوَامُ إِنْ تَبَعُوا الْهُدَى مَالِكُمْ وَاللَّهِ غَيْرُ الْعِلْمِ هَادٍ.

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مُعْتَقَدِي يَبْتَغِي مِنِّي مَا يَحْوِي الْفُؤَادُ¹

نلاحظ أن الشيخ الطيب العقبي قد كرر التركيب المكون من المنادى وهاء التنبيه (أيها) في رده على معارضيه في بداية الأبيات، إذ ينبههم إلى السبيل الصحيح الموصل إلى الهدى ألا وهو العلم، فهو يكرر المعنى بلفظه بغرض الإيحاء للمتلقي عن المفعول والمسلك الذي يفتح له باب الهداية، ويهدف لفت انتباهه إلى معتقده البعيد عن معتقد أهل الأهواء والبدع والمخالف لهم.

فالشيخ العالم الكاتب الشاعر اعتمد على بنية التكرار هذه لتعميق فكرته وتحسيس متلقيه بما يمكنه لهؤلاء المبتدعين وقيمهم الباطلة الضائعة المائعة، وهذا يجزنا إلى ألا ننظر إلى التكرار في نظمه على أنه مجرد تقنية وأداة ذات فائدة بلاغية أو لغوية، بل يجب أن ننظر إليه على أنه آلية حجاجية ورافد إقناعي يحتاج إلى تأمل عميق يضمن مراقبة حركيته وتحليله.

ولعل اتهام الشيخ الطيب العقبي بالابتداع في الدين وملازمة الشرك جرح مشاعره، كيف لا وهو الذي نشأ في بيت التوحيد وترى على منهاج سيد المرسلين صلوات ربي وسلامه عليه، وذاد على جناب التوحيد وحارب الشرك بأنواعه، لذا راح ينفي عن نفسه هذه الدعايات الباطلة والظنون الفاسدة القائمة على البهتان والزور بأسلوب تكريري استهلالي يقول فيه²:

لَسْتُ مِنْهُمْ لَا وَلَا مِنِّي هُمْ وَيَلَهُمْ يَا وَيَلَهُمْ يَوْمَ الْمِعَادِ

لَسْتُ أَدْعُوهُمْ كَمَا قُلْتُمْ وَقَدْ عَجَزُوا عَنِ طَرْدِ بَقٍّ أَوْ قَرَادِ

لَسْتُ مِنْ قَوْمٍ عَلَى أَصْنَامِهِمْ عَكَّفُوا يَدْعُونَهَا فِي كُلِّ نَادِ

لَسْتُ أَدْعُو غَيْرَ رَبِّي أَحَدًا وَهُوَ سُؤْلِي وَمَلَاذِي وَ الْعِمَادِ

لَسْتُ مُنْقَادًا إِلَى طَاغُوتِكُمْ بِظَبِّي الْبَيْضِ وَلَا السُّمْرِ الصَّعَادِ

¹ - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 135 - 136.

² - المرجع نفسه، ص 135 - 136 - 137.

لَسْتُ أَكْسُو بِحَرِيرٍ جَدًّا نُخْرَتُ أَعْظُمُهُ مِنْ عَهْدِ عَادٍ

إن هذه الصيغة التي واظب عليها الشيخ الطيب العقبي في معظم أبياته و التي جاءت في مقاله (إلى الدين الخالص) مؤشر بياني على فاعلية نصوصه، لأنها تدخل في تكوين شعوره للتعبير عن بواطنه و كوامنه الداخلية، فما هذا الحضور الطاعني للناسخ (ليس) واسمه (الضمير) - والذي تكرر ست مرات -، إلا نتيجة فعل انعكاسي يتداعى تلقائيا ينفي من خلاله قذف الجبناء الكاذبين، ويرسخ به عقيدة التوحيد عقيدة أهل السنة والجماعة.

من خلال ما سبق، نلمح البعد الحجاجي للتكرار الاستهلاكي، والمتمثل في شحن الأبيات الشعرية بسيل إيقاعي مستمر يسهم بشكل فعال في تقوية النبوة الخطابية التي بدورها تهدف إلى توجيه المتلقي، ومن ثم الدفع به إلى التغيير.

وغير بعيد عن هذه الأبيات الشعرية، نلاحظ توظيف الشيخ الطيب العقبي لنوع آخر من التكرار ألا وهو تكرر الأصوات، اعتمد فيه هذا الأخير على إعادة وحدات صوتية معينة تجعل الأبيات الشعرية تحفل بالإيقاعات المنوعة التي تغني الجانب الإيحائي والتصويري فيها، ومما يلاحظ على هذه الأبيات التي قالها الشيخ الطيب العقبي استخدامه لحروف معينة بكثافة تتجاوز حروفا أخرى لأسباب إقناعية معينة.

ومن هنا فإن التكرار الصوتي الذي نوليه اهتماما في هذه الدراسة هو - في تقديرنا - أسلوب يصور الانفعالات النفسية لارتباطه الوثيق بالوجدان، لأن المبدع الحاذق المتمكن لا يكرر إلا ما يثير اهتمامه، ولا يعيد إلا ما يهدف نقله إلى مخاطبيه، وانظر إلى التكرار في قوله: ¹

قَالَ قَوْمٌ سَلَّمَ الْأَمْرَ لَهُمْ تَكُنِ السَّابِقَ فِي يَوْمِ الطَّرَادِ

تَنَلِ الْمَقْصُودَ تَحْطَى بِالْمُنَى وَتَرَى خَيْلَكَ فِي الْخَيْلِ الْجِيَادِ

قُلْتُ إِنِّي مُسَلِّمٌ يَا وَبِحُكْمِ لَيْسَ لِي إِلَّا الشَّرْعُ انْقِيَادُ

قَوْلُكُمْ هَذَا هَرَاءٌ أَصْلُهُ مَا رَوَتْ هِنْدٌ وَمَا قَالَتْ سَعَادُ

ألا تحس أن الوحدة الصوتية المكررة (القاف) في هذه الأبيات قد صورت انفعالات الخطاب الشعري وكونت حوارا قويا يحمل في ثناياه روح التحدي والتصدي، فالشيخ العقبي عندما ينتفض وينبهي للرد على الطرف المناوئ

¹ - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص : 136.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

يميل إلى الحروف القوية الصاخبة، فتلقاه يختار صفات فونولوجية تلائم هذا المعنى وذلك لما لها من شدة و جهورة، هذه الصفات اجتمعت في حرف (القاف) وكرره صاحب هذه الأبيات لأنه يضيفي على الجملة قوة وصرامة. بهذا تتجلى لنا القيمة الحجاجية التي تضمنتها ظاهرة تكرار الأصوات البلاغية، فالطيب العقبي وظف هذا النوع من التكرير والمعاودة للوحدات الصوتية لكونها ذات دلالة مبررة، وفكرة الدلالة الصوتية المبررة في الخطاب الشعري هي " وسيلة نقدية يلجأ الشاعر الفحل إليها لإثارة الإنصاف، وعقد اللقاء المتين بينه وبين المخاطب "¹ ومثال ذلك قوله ² :

كَلَّمَا أَنْشَدَ شَادٍ فِيهِمْ قَوْلَ شَرِكٍ ذَهَبُوا فِي كُلِّ وَادٍ
كَمْ بَنَوْا قَبْرًا وَشَادُوا هَيْكَلًا وَصُرُوحُ الْغَيِّ بِالْجَهْلِ تُشَادُ

إن تكرار صوت (الشين) (خمس مرات) في (أنشد، شاد، شرك، شادوا، تشاد) قد أبرز فساد القبورين وسوع عملهم بما يُمكن المتلقي من تأمل ممارساتهم الشركية وحتى أحيانا استحضار المشهد، وبالتالي يحصل التأثير والتصديق.

ويقوى حجاج أسلوب التكرار، وتشتد قدرته على الاستدلال والبرهنة والإقناع، بتحكيم الشيخ الطيب العقبي لنوع آخر منه يعرف بالتكرار اللفظي، الذي يقتصر على تكرار اللفظة أو الكلمة، وهو من أبسط ألوان التكرار وأكثرها شيوعا بين أشكاله المختلفة، ولعل القاعدة الأولية لمثل هذا التكرار " أن يكون اللفظ المكرر وثيق الصلة بالمعنى العام للسياق الذي يرد فيه ، وإلا كان لفظية متكلفة لافائدة منها ولا سبيل إلى قبولها."³

وتعتبر هذه الظاهرة بارزة في مقالات الشيخ الطيب العقبي، حيث يقوم تكرار اللفظة بإحداث ضربات إيقاعية تأكيدية تشبثية يكون لها وقع في القلوب وأثر بليغ في الأسماع والأذهان مما يجعلها رافدا مهما للحجاج، والأمثلة على ذلك كثيرة وعديدة اخترنا منها لفظة (المنتقد) لسبيين هادفين:

- أولهما لوزنها الثقيل في مدونتنا هذه، حيث مثلت هذه اللفظة عنوانها وشكلت كيانها ووجودها.

¹ - رايح بوحوش، اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2007، ص : 184.

² - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، ص 137.

³ - فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط 1، 2004، ص 60.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

- أما السبب الثاني فلما تحمله هذه الكلمة من دلالة حجاجية قائمة على النقد البناء والنصيحة الخيرة الموشحة بالحجج الدامغة المقنعة الممتعة، وبعد تتبعنا لمسار لفظة (المنتقد) طوال المقالات العقبية، وبقراءة حسابية إحصائية ألفينا أنها تكررت حوالي تسع عشرة (19) مرة، مما يوحي بمدى قيمة هذا اللفظ عند الكاتب، ومن أمثلة ذلك ماورد في مستهل العدد الخامس من المجلة، حيث قال : " المنتقد وما أدراك ما المنتقد؟ المنتقد والحق يقال..."¹

من خلال هذه العبارة، نلاحظ أن الكاتب يكرر لفظة (المنتقد) ثلاث مرات، وهي تكرارات توحى بأهمية المتكرر والتأكيد على ما يحمله من رمزية .

والكاتب لم يتوقف عند هذا الحد من تكرار للألفاظ، بل تعداه إلى تكرار الجمل وذلك بغية إعطاء الجملة مدلولها من خلال ترديدها وتدويرها لتعينه على توليد المعنى وإنتاج الدلالة، وأكبر مثال على ذلك تكرار البيت الشعري الآتي:²

أَيُّهَا الْأَقْوَامُ إِنْ تَبَغُّوا الْهُدَى مَالَكُمْ وَاللَّهِ غَيْرُ الْعِلْمِ هَادٍ.

المطالع للعدد الخامس من جريدة المنتقد، يلمح أن الشيخ الطيب العقبي استهل قصيدته (إلى الدين الخالص) بهذا البيت الشعري، وأعادته بشكل حرفي في البيت الثالث عشر فقط، وبالرغم من عدم ترده طوال القصيدة الشعرية إلا أنه ظهر بمثابة اللازمة الثابتة التي تأتي في بداية كل مقطع أو نهايته، شكل بها الشيخ العقبي نسقا منظما مرتبطا ارتباطا متجددا بالفكرة المركزية التي تدور حولها هذه الأبيات الشعرية، والمتمثلة في الدعوة إلى تحكيم العلم الصحيح النافع لا الخرافات والتراهمات والخزعבלات الشيطانية .

بهذا نستطيع القول إن التكرار في نظم الشيخ الطيب العقبي يحمل دلالة وبعدا حجاجيا من خلال عمق تفكيره وجميل قصده ساعده في التعبير عن موضوعاته المتعلقة بالإشادة بجريدة " المنتقد"، والتغني بقوافل الكتاب الأحرار، وإبداء الإعجاب بالجزائر شعبا ووطنا، وفضح الطرقيين وجرائمهم، مما أكسب مقالاته طاقة إقناعية أسهمت في خلق أجواء التواصل مع المتلقي، والتأثير فيه، وجعله يسهم بمختلف السبل في إبداع العمل الأدبي.

¹ - الطيب العقبي، جريدة "المنتقد" في نظر الكاتب، المنتقد، ص 81.

² - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 135.

5 - أسلوب الالتفات وفاعليته الإقناعية :

الالتفات ظاهرة أسلوبية وآلية من الآليات البلاغية التي استغلها الأدباء لتحقيق مقاصد فنية تعبيرية و دلالية وغيرها، وهو شكل من أشكال الانزياحات التركيبية،¹ حظي باهتمام أساطين البلاغة والبيان وكبار النقاد وعدوه أمانة على اقتدار الأديب وقوة قريحته وملكته، وذلك لما يحدثه من أثر فني يجسد شعور منتج الكلام ومبدعه قبل أن يلقي ظلالة الفنية على فكر متلقٍ يتأمل هذا الأسلوب الفني ذا القيمة الإقناعية الإمتاعية.

إن تحديد تعريف دقيق للالتفات سيجعلنا نتخبط بين العديد من التعاريف المبتوثة في كتب البلاغة، قديمها وحديثها، كما يزيد من صعوبة هذه التحديدات تباين المصطلحات والتسميات التي أطلقت عليه (الانزياح، الالتفات، العدول، وغيرها...)، لكن هذا لا يشغلنا في عرضنا هذا بقدر ما أن الهاجس الأكبر هو إبراز قيمته البلاغية الحجاجية (الإقناعية) داخل المقالات العقبية. فمن أعم التحديدات التي قدمت له هو " نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب"²، أي العدول من صيغة إلى صيغة، كالانتقال من صيغة الغيبة إلى الخطاب، أو التكلم، أو العكس، والمقالات التي بين أيدينا تزخر بتنوع في هذا الأسلوب وبأشكال مختلفة وفيما يلي أمثلة عن هذا الأسلوب مع بيان للغرض منها:

أ - الالتفات بين الضمائر :

قال الشيخ الطيب العقبي في قصيدته (إلى الدين الخالص)³:

قُلْتُ إِنِّي مُسْلِمٌ يَا وَيْحَكُمُ لَيْسَ لِي إِلَّا الشَّرْعُ انْقِيَادُ

قَوْلُكُمْ هَذَا هُرَاءَ أَصْلُهُ مَا رَوْتُ هِنْدُ وَمَا قَالَتْ سَعَادُ

يحاجج الشيخ العقبي هنا معارضييه الذين اتهموه بالابتداع في الدين والتبرك بقبور الموتى، فيفصح لهم عن إسلامه ويظهر انتمائه إلى الدين الحنيف وتمسكه بتعاليمه وأحكامه الشرعية، ثم ينكر عليهم ما هم في من افتراء وكذب وزور، مبينا أن دعواهم هذه مجرد هذيان وهراء لا تمت للحق بأي وشيحة أو رابطة أو صلة، فانتقال الخطيب هنا

¹ - ينظر : خليل ابراهيم، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1997م، ص 96.

² - بن عيسى بالطاهر، البلاغة العربية (مقدمات وتطبيقات)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، (د ط)، يناير، 2008م، ص 90.

³ - الطيب العقبي إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 136.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

من ضمير المتكلم المفرد إلى المخاطب الجمع لم يكن مجرد حيلة لغوية، بل إنه يمثل صورة بلاغية تفيد تشكيل المعنى عند المتلقي، وذلك باستحضار السياق الملائم لذلك ألا وهو التوبيخ، وذلك باعتباره أثرا دلاليا حاول الشيخ العقبي من خلاله التأثير على المتلقي (أهل البدع) لخدفعهم ونبزههم له والتأمر عليه. فالتعبير بصيغة المخاطب يسمح للمتكلم المنتج لهذه الأبيات الشعرية أن يواجه المخاطب (أهل البدع) بنوع من المكاشفة والمصارحة والتتان في هذا المقام والسياق أبلغ في الدلالة على افتراء أهل الزيغ والأهواء والبدع، ولم تكن عودته إلى صيغة المتكلم المفرد إلا تأكيدا على صدقه وانتصاره عليهم، فالتركيز على الذات هنا في مقابل الجماعة، افتخار لها وإظهار لصدقها وصراحتها ورباطة جأشها.

وبالتالي يمكننا أسلوب الالتفات في هذه الحالة من استشعار غرض الشيخ الطيب العقبي في التأثير على نفسية

أهل البدع القبوريين من أجل تغيير سلوكهم الشركي والانصياع لدعوته والإذعان لها والسير على نهج من سلف.

ومن الأمثلة والشواهد الدالة على التفات صيغ الضمائر قوله في مقال آخر : " وقد أراد فيما يظهر أن ينتقد بعض الصحف التي جاءت مخالفة لمشربه ورآها لأول مرة تحاول القضاء على فريق من شيعته ومذهبه ولكنه ما اهتدى إلى وجه الصواب في نقده... كان من الأجدر بك أيها الكاتب المتعجب أن تنقد على من يحشر نفسه في زمرة أرباب الصحافة وهو ليس من أهلها..."¹

يبدأ الكاتب بتفنيد رأي هذا الرجل الطاعن في الصحف العربية معتبرا إياه ناقدا جائرا مارقا بحكمه هذا عن خطة الإنصاف وقصد العدل، مبرزا أن الدافع الحقيقي من وراء نقده هذا هو صفاء المورد ونقاء المشرب الذي تنهل منه هذه الصحف وفي مقدمتها جريدة " المنتقد " على خلاف مشربه العكر المنغص بضلالات أهل الزيغ والأهواء.

وبعد مجموعة من العبارات تحدث فيها عن مقاصد هذا الرجل الناقد بصيغة الغائب انعطف إلى صيغة المخاطب داعيا إياه إلى أن يذر النقد لأصحابه، وأن لا يخوض فيما لا يجيده، ناصحا إياه بضرورة الاشفاق على رأسه أثناء مناطحته للجبال، ولعل السر في الالتفات الرغبة في تحقير المخاطب والتقليل من شأنه بتوجيه الكلام إليه مباشرة وعدم الاكتفاء بصيغة الغائب.

ب - الالتفات بين صيغ الأفعال :

¹ - الطيب العقبي، رد يصادف محله، المنتقد، ص 214.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

يحتج الكاتب الشيخ الطيب العقي بهذا النوع من الالتفات بغية استحضار الأحداث والمشاهد القديمة أمام القارئ، بحيث يبسط له من خلال هذا الشكل صورة ترسم بدورها منظرا حقيقيا للأمر الذي يود إقناعه به، وبذلك يكون أسلوب الالتفات بين أزمنة الأفعال عند المحاجج مثل عدسة الكاميرا في يد مصور دقيق الملاحظة شديد الانتباه تلتقط مناظر من جوانب مختلفة.

ويتمثل الالتفات بين صيغ الأفعال في "الإخبار عن صيغة الماضي بالمضارع"،¹ ومثال ذلك قوله: "تنتقد الصحافة وتحاول إسقاطها شرقا و غربا..."².

حاول الكاتب أن يصور نقد هذا الرجل للصحف العربية واستمراره عليه عن طريق الاحتفاظ بصيغة المضارع من أجل الحديث عن أحداث وقعت في الماضي. والمقال الذي ورد فيه هذا المثال، معظمه يقوم على هذا النوع من الالتفات (خروج عن مقتضى الحال) والذي سعى من خلاله تصوير التوتر والصراع الذي يعيشه مع الرجل الطاعن العيَاب.

ج - التفتات العدد :

ويتمثل هذا النوع من الالتفات في تحول الخطاب وانزياحه من صيغة المفرد إلى المثني أو إلى الجمع، ولا يكون هذا العدول والانعطاف عفويا ولا اعتباطيا، وإنما يوظفه الكاتب من أجل غايات وأهداف بلاغية، ومن الأمثلة التي توضحه قول الشيخ الطيب العقي : " فأنا إذا لا أفارقك حتى أخدمك بنشر جمل من مقالات ثانيا للقراء الذين لعلهم لم يطالعوا على رأيكم هذا أولا لنشره بجريدة " التقدم " التي هي فرنسوية أكثر منها عربية".³

مما هو ملاحظ في هذه العبارة أن الكاتب استخدم في مستهل رده على هذا الرجل الناقد صيغة المفرد (أفارقك، أخدمك، مقالك)، ثم التفت مستخدما ضمير الجمع (رأيكم)، ولعل السر في ذلك قصده إشراك غيره معه في الحكم، ممن هو من شيعته وحزبه ونحلته، فأهل البدع والأهواء وأعداء السنة جميعهم ذلك دأبهم في معركة النقد الباطل و الافتراء والبهتان، لاشك أنهم منهزمون خائبون.

¹ - محمد مشبال، مقولات بلاغية في تحليل الشعر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط 1، 1993، ص 64.

² - الطيب العقي، رد يصادف محله، المنتقد، ص 216.

³ - الطيب العقي، رد يصادف محله، المنتقد، ص 217.

وبعد استعراضنا لعينات من أسلوب الالتفات، تبين لنا أن الشيخ العالم الكاتب الطيب العقبي قد انتبه إلى جمالية هذا الأسلوب وقدرته على التفنن في التعبير عن المعاني المتعددة، فاستثمر طاقاته الحجاجية لينقل لنا جملة من الواقع السياسي بصراعاته المختلفة عن طريق أسلوب خاص يصور الدافع الحقيقي من وراء هجوم النقاد على الصحف العربية وفي مقدمتها جريدة "المنتقد" الغراء.

المبحث الثاني : الاستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت والبنى الإفرادية

1- الاستراتيجية الحجاجية لأسلوب الحذف :

يعد الحذف من أعظم الروافد والأفانين الإقناعية التي اعتمد عليها الأدباء العرب في دراساتهم البلاغية الحجاجية، وذلك لما يوفره من طاقة تأويلية مهداة إلى المتلقي لإتمام المعنى الكلي للخطاب، ولهذا وقع اختيارنا على هذه الآلية الحجاجية التي تتناول " بلاغة الصمت " ممثلة في أسلوب الحذف وما يكتنفه من شروط ومزايا، نظرا لما نشأ حوله من تجاذبات للحقول المعرفية قصد تطهيرها (نحويا، بيانيا، بلاغيا، وفي الأخير حجاجيا)، مما يفرض مشروعية السؤال في هذا التحليل على أرضية حقل الدرس الحجاجي خصوصا. كيف يمكن للحذف باعتباره مجال الدراسة أن يحقق التواصل النظري والتطبيقي على السواء في الإنتاج الفني الأدبي للشيخ الطيب العقبي ؟

لا تنحصر خاصية " بلاغة الصمت " في الحذف فحسب، بل تشمل ظواهر أسلوبية أخرى تتمثل في الإيجاز والإضمار، لكن استوقفنا البحث في الحذف دون غيره من الظواهر، نظرا لما يمثله عند أهل البيان، " فهوباب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك تربه ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ماتكون إذا لم تنطق، وأتمّ ماتكون بيانا إذا لم تُبّن"¹. فالصمت هنا مفتعل ينجزه المتكلم بوعي غير مرتبط بالجهاز الصوتي، ولا إعاقاة في التفكير، ولا فقر في القاموس اللغوي، وإنما هو بديل عن الكلام متخلل له، إذ يكون في الكلام ذاته دليل عليه، وعندئذ يكون الصمت² كآتمّ ما يكون البيان.

1.1- خصائص الحذف ومقوماته الجمالية :

¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 5، 2004م، ص 146.
² - وهو المصطلح الذي يطلقه بعض النقاد المعاصرين على الحذف، ينظر : عبد الله البهلول، في بلاغة الخطاب الأدبي، بحث في سياسة القول، مطبعة التفسير الفني، صفاقس، تونس، ط 1، 2007م، ص 37.

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

إذا كان الحذف أبلغ من الذكر، نظراً لما يملكه من قدرة لا تنكر في خلق تعددية للمعنى، وهو ما لا يتحقق في الحالة الثانية - أي الذكر - ، فإن للحذف كذلك قدرات وفوائد أخرى - لا تقل عن الأولى في القوة - على التأثير في المتلقي يمكن تلخيصها فيما يأتي :

أ - الاختصار وإيجاز الكلام، يقول جعفر بن يحيى البرمكي حاثاً كتابه على الإيجاز " إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقعات فافعلوا"¹.

ب- الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر²، ففي الإخفاء بلاغة في المعنى والضبط بفعل السياق على عكس الظاهر الصريح الذي لا يستر دونه³، إذ إن المستتر غير الظاهر ينطوي على طاقة إيجابية تقوم مقام الأداة الإجرائية التي تقوي المعنى وتثريه.

ج- تنبيه المخاطب ودعوته إلى التمعن في الخطاب لاستنباط الجزء المحذوف، ومن ثم فهم المعنى، وعندئذ تكون " زيادة اللذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ به أشد وأحسن"⁴.

د - تحقيق الكثير من المقاصد المعنوية في نفسية المخاطب، ترغيب، إعظام، تفخيم، إبهام ف "رُبَّ صمت أفضح من الكلام، ورمز ألم من لدغ الحسام"⁵، نظراً لما في الإبهام والإيهام من التفخيم والإعظام، فالنفس مع الكلام المحذوف " تتسع في المعاني والصور المحتملة التي يمكن حمل الكلام عليها، أو يوحي بها، في حين لا تجد النفس ذلك فيما لو زال الإبهام والإجمال"⁶.

وقد يضاف إلى هذه المزايا فوائد أخرى، "كالتخفيف بالحذف لكثرة ورود المحذوف في الكلام مثل حذف حرف النداء، أو التنبيه على ضيق الوقت كما في التحذير والإغراء، أو غير ذلك مما لا يمكن حصره في هذا المقام"⁷،

¹ - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح : محمد الجاوي، وأبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 76.

² - ينظر: أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000م، ص 265.

³ - ينظر : أحمد بن طباطبا، عيار الشعر، تح : زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 3، 1984م، ص 55.

⁴ - ينظر: زروقي عبد القادر، الاستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، المجلد الثاني، العدد 07، سبتمبر، 2014م، ص 12.

⁵ - ينظر : زروقي عبد القادر، الاستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت، ص 12.

⁶ - مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984م، ص 129.

⁷ - زروقي عبد القادر، المرجع السابق، ص 13.

وإن كان ما يميز هذه المزايا كلها هو تحقيق تلك الغاية التواصلية بفعل الحذف بين المخاطب والمخاطب على أساس التفاعل الذي يفضي إلى إعمال الفكر والتدبر والتأويل، وهو المسلك الدقيق الذي يجعل الباث في أمس الحاجة إلى معرفة المواطن التي يجوز فيها الحذف من المواطن التي لا يجوز.

2.1- الحذف في مقالات الشيخ الطيب العقبي :

قبل البدء في تحليل مقالات الشيخ الطيب العقبي باستخراج أسلوب الحذف منها وتعيين مواطنه، لابد الإشارة إلى أن ممّا انتهى إليه الدرس في باب الحذف، أن هذا الأخير يقع في اللغة على الحرف والكلمة والجملة، فيكون حذفاً صريحاً في الحالتين الأولى والثانية فيما يكون مضمراً قائماً على التضمنين في الحالة الأخير، أي حذف الجملة.

3.1- حذف المبتدأ :

حذف الشيخ الطيب العقبي المبتدأ في مواطن كثيرة نذكر منها قوله :¹

عَالِمُونَ طُرُقَ الْعَجْزِ وَمَا مِنْهُمْ مَنْ لِسَوَى الشَّرِّ أَفَادَ

سياق هذا البيت الشعري سياق ذم وتجريح، والحذف وقع في صدر البيت وتقديره " هم عالمون " وعدم الغرض من الإتيان بالمبتدأ هو لإثارة الانتباه وإعمال ذهن وفكر المتلقي، الذي يجد نفسه ملزماً ومجبوراً بمعرفة المحذوف وموضعه لفهم الهدف (قصدية المتكلم) من جهة وكذا قوة انفعال الشاعر كمحارب لأهل الشرك وعباد القبور من جهة أخرى، فالشيخ العقبي ينبري في هذا البيت إلى كشف أخطاء هؤلاء المبتدعين وإظهارها لكل الناس كي تنبلج لهم صورتهم الحقيقية فيقتنعوا بانحرافهم العقدي وبطلان ما ينسبونه من قدرة لمشايعهم، لذلك راح يصفهم بالعجز وعدم النفع أو الضر.

4.1- حذف الخبر :

ويحذف الخبر فيقول :²

وَفَرَارِي كَلَّمَا أَفْضَعَنِي حَادِثٌ يَلْبِسُنِي ثَوْبَ الْحِدَادِ

¹ - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، ص 137.

² - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 137.

البيت الشعري بدأ بمبتدأ خبره محذوف وتقدير الكلام " فراري لله " ، فالشيخ الطيب العقبي يريد أن يرسخ عقيدته في ذهن المتلقي، ثم بعد ذلك يزوده بأخبار لتكتمل العقيدة وتثبت عنده، وكأن الشاعر يود من المتلقي أن يشاركه أفكاره ومن ثم قبولها واعتقادها .

5.1 حذف المفعول به : نحو قوله :¹

وَإِذَا زُرْتُ أَزْرُ مُعْتَبِرًا بِقُبُورِ مَاتَ مَنْ فِيهَا وَبَادَ

إن موقف الشيخ المعتد بنفسه المعروف بعقائده السليمة ساقه إلى شعور راسخ بأن حرمة التبرك بالقبور هو شيء ثابت في مهجته وجنانه، لذلك جاءت اللفظة (معتبرا) التي جاءت بعد المفعول به المحذوف (قبرا) - تقدير الكلام (وإذا زرت قبرا) - لتكشف عن اعتقاده ببدعية من يتبرك بالأضرحة والأجداث وشرك من يدعو أصحابها، وأنه إن زار هذه القبور زارها من أجل الاعتاظ والاعتبار، وتذكر اليوم الآخر والاستعداد للقاء رب السموات قبل أن يدركه هادم اللذات، وفي كل هذا إحياء لعقيدة صحيحة قادرة على الجذب والتأثير والنأي عن الشرك ومظاهره .

6.1 - حذف الفعل :

لقد ورد حذف الفعل عند الكاتب ليتخذ وسيلة لتبليغ الدلالات التي يريد بثها في ذهن المتلقي، كم قد يرد

حذف الفعل عنده لضرورة الاشتراك فيه نحو قول الكاتب : " صار عالمنا (ويا للأسف) لصا، ومدرسنا (ويا للبلية) سارقا "². فلم يقل (صار عالمنا ...لصا، وصار مدرسنا...سارقا) وحذف الفعل صار فقال (صار عالمنا لصا ومدرسنا سارقا) فكأنه لا فاصل بين مدرسهم العالم والرجل السارق، فكلاهما يشتركان في الخيانة والغدر، وفي هذا الاشتراك إشراك المتلقي شعور الكاتب وموقفه حين الإصغاء إليه .

ومن الأمثلة عن حذف الفعل أيضا قول الكاتب : " فتراها لهذه الغاية تسارع إلى نشر أسماء كل من ولد أو مات أو نكح أو توظف أو حلَّ أو ارتحل أو . أو . أو . . كيفما كان أو في أي مكان وجد . "³

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - الطيب العقبي، يسترهبون الدولة ويخوفونها ولكن لا تخشاهم، المنتقد، ص 326 .

³ - الطيب العقبي، جريدة " المنتقد " في نظر الكاتب، المنتقد، ص 85 .

ورد في هذه العبارة حذف لعدة أفعال تغاضى الكاتب عن ذكرها لعلم السامع بها، لأن الشاعر قد أورد جملة من الحوادث التي تمر على كل إنسان في هذا الحياة حتى المتلقي نفسه، وبالتالي فإن ذكرها لا يحقق أي فائدة أو مزية، بل ربما سيضفي طولاً ورتابة على النص، وهذا يوجس في نفس المتلقي شيئاً من الملل والضجر، وبالتالي الإخلال بالعملية التواصلية .

7.1 - حذف الحرف : نحو قوله :

" أصحاب " المنتقد " الكرام سلام و احترام. "¹

كتب الشيخ " الطيب العقي " مقالا يوضح فيه صدق ما كتبه المراسل الخاص لجمعية العلماء المسلمين في شأن قضية " المنتقد "، و مضمون هذا المقال هو حجز العدد الثامن من " المنتقد "، وكان مطلع هذه العبارة التي اجتزأناها منه، حيث بدأت بمحذوف والمتمثل في حرف النداء وتقدير الكلام " يا أصحاب "، فهذا الحذف يعبر عن الإحساس بالقرب النفسي وأرحبية نفس الشاعر لأصحاب هذه الجريدة الغراء.

8.1 - حذف الجملة : نحو قوله :²

دَاعِيَا رَبِّي لَهُمْ مُسْتَغْفِرًا رَاجِيًا لِلْكَلِّ فِي الْخَيْرِ اِزْدِيَاد

إن الموقف الذي يمر به الشاعر يسقط أنواءه عليه، ويبدو أن عاطفة الشاعر قد ألفت بظلالها على النصوص الموحية بالهجر والرد المفحم، الأمر الذي يجعل من ألفاظه غير تامة الأجزاء وكأنها أنفاس متقطعة موجهة إلى فرق مختلفة كلها تنهل من مشرب واحد هو مشرب البدع والضلالات، وهذا البيت الشعري يرد فيه الشيخ على القبوريين الذين يتبركون بالأضرحة ويدعون الموتى ، وقد حذف فيه جملة كاملة هي (وإن زرت أزر) وتقديرها (وإن زرت أزر معتبرا داعيا ربي لهم)، وفي هذا دحض ودحر لافتراءات أهل الزيغ هؤلاء، ولم يحذف الشيخ " الطيب العقي " تلك الجملة لعدم أهميتها، بل لغاية حجاجية يهدف من ورائها إلى ضرورة التفات المخاطب إلى المحذوف من قبل .

من خلال هذه الجوله البلاغية الحجاجية، اتضح لنا أن أسلوب الحذف اعتمده الكاتب العلامة الفهامة الشيخ " الطيب العقي " ليحقق هدفا مقصودا يتمثل في حمل المتلقي على أعمال فكرة ودفعه إلى تمعن الكلام واستنباط

¹ - الطيب العقي، قضية جريدة " المنتقد " والصحف العربية، المنتقد، ص 238 .

² - الطيب العقي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 138 .

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

المحذوف ، وهذا يجدد نشاطه حين يبحث عن المحذوف ويقدره، كما يعينه على فك شفرات النص والتعمق في فضاءاته، وربط سابق الكلام بلحقه، وبالتالي يسهم المتلقي في تشكيل المنتج الأدبي ويتفاعل معه تفاعلا إيجابيا يجعله يملأ الفراغات المقصودة، ومن ثم تستقر معاني تلك المحذوفات في ذهنه وقلبه .

2 - حجاجية البنى الإفرادية :

تكتسب بعض الصيغ الصرفية قوة معنوية تؤهلها للتعبير عن المعنى بفاعلية أكبر، فتضيف ظلالا وإيحاءات للقول، مثلما نلمس ذلك في صيغة المبالغة واسم التفضيل، اللذين ينطويان على معان واضحة قوية، وهو ما يمنح للبنى الإفرادية وظيفتها الحجاجية، فتفرض سلطتها على المتلقي، وضعه في مواجهة المعنى الوحيد، كما نلمس بعض ذلك في جمع الكثرة، عندما يتحول المعيار العددي إلى وسيلة حجاجية لها دور في التأثير على المتلقي، مثلما نلاحظ ذلك في الصيغ التالية :

أ - اسم التفضيل :

ويدل على المشاركة في معنى والزيادة فيه على وزن (أفعل) نحو : أفضل، أعلم، أكثر...¹ ، وحجاجيته تظهر في دفع المتلقي إلى الانحياز ل(أ) على حساب (ب)، عبر إغوائه بإظهار تفوق (أ) على (ب) في الصفة التي يشتركان فيها، مثاله قول الشيخ الطيب الإبراهيمي في رده على القصيدة العاشورية التي كانت بخرافاتها وما احتوت عليه من شركيات تهدم في يوم واحد ما بناه المصلحون منذ أعوام : " بل كان كل معبود لهم من (أفضل (أفضل أولياء الله و (أخص) عباده عليهم ضدا، وكفروا بشركهم وكانوا لهم أعداء "².

فالشيخ الطيب العقبي يبين في هذه العبارة الكفر الصريح الذي صدر من أصحاب القصيدة العاشورية الذين عبدوا المخلوق، وأعظموا الفرية على الخالق، بحيث جعلوا شريكا معه في ملكه من عباده إلى غير ذلك من كل ما تضمنته تلك القصيدة المنسوبة إلى كليب الهامل، فهو يدحض دعواهم الباطلة باسمي تفضيل هما (أفضل) و (أخص)، وذلك بالوقوف على ضدية كل معبود لهم من أفضل أولياء الله وأخص عباده، وعدوا نيتهم لهم، وإنكار لما يقومون به من عبادة ودعاء، وبذلك تضاعفت حسرة هؤلاء المشركين وقامت لله عليهم الحجة دنيا وأخرى.

¹ - عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2007م، ص 132.

² - الطيب العقبي، حول القصيدة العاشورية، المنتقد، ص 328 .

ب - صيغة المبالغة :

وهي أوزان مخصوصة موضوعة لإفادة المبالغة في اتصاف الذات بالحدث وتسمى كذلك (أمثلة المبالغة) ، قال سيوييه (ت 180 هـ) : " وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل لأنه يريد ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة، فما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى : فَعُولٌ وَفَعَّالٌ وَمِفْعَالٌ وَفَعِلٌ وَقَدْ جَاءَ فَعِيلٌ كَرَحِيمٍ وَعَلِيمٌ وَقَدِيرٌ وَسَمِيعٌ وَبَصِيرٌ...¹" ، وقد وردت ثلاثة أوزان من الأوزان الخمسة التي ذكرها سيوييه في مقالات الشيخ الطيب العقبى وهي :

1 - زنة فعول :

نحو قوله :

قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا أَدْعُو سَوَى خَالِقِ (رُؤُوفٍ) بِالْعِبَادِ²

2 - زنة فَعَّالٌ :

نحو قوله :

" وأما الضالون المضلون والدجالون (الأفاكون) فهم بمعزل عن فهم مثل هذا...³"

3 - زنة فَعِيلٌ :

نحو قوله :

" لا أريد أيها الكاتب أن أمر بكلامك مر (لئيم) لا ينتصر للحق والحقيقة "⁴.

ج - جمع الكثرة :

¹ - أبو بش عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، (كتاب سيوييه)، ت : عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1408هـ، 1988م، ص 110 .

² - الطيب العقبى، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 138 .

³ - الطيب العقبى، الدين والاجتماع، المنتقد، ص 101، 102.

⁴ - الطيب العقبى، رد يصادف محله، المنتقد، ص 217 .

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

ل (جمع التكسير) سبع وعشرون (27) صيغة، أربع منها للقللة، والباقي للكثرة، فالقللة من ثلاثة إلى عشرة، أما الكثرة فإلى ما لانهاية، واختلفوا في مبدئها، فقيل يبدأ جمع الكثرة من ثلاثة، وقيل من أحد عشر.

وجمع القلة لا يعتبر إلا في النكرات، أما معارفها فصالحة للقللة والكثرة بحسب ضوابط ذكرها علماء التصريف.¹ ويعتبر جمع الكثرة أسلوباً من أساليب الحجاج الكمي الذي يعتمد على الغلبة العددية، ما يؤدي في المقابل إلى ترجيح ذهني لدى المتلقي، تحصل بموجبه عملية تأثير وتوجيه غير مباشرة لوعي الجمهور ومزاجه الخاص، وهذه طائفة من الأمثلة التي تعكس هذا الطرح :

جمع الكثرة	زنته
- فصار ما انتحلوا ودعوا الناس إليه في نظر البسطاء (السدج) هو الدين	فُعَل
- بزة حسنة تسر الناظرين وتكمد (قلوب) الحاسدين - تتولد منها (شمس) الحقائق - أن يؤثروا على (عقول) مثلك - يوحد ذوو العلو (صفوفهم)	فُعُول
- تقف في وجه ذوي (العقائد) الفاسدة	فَعَائِل
- إلى (رجال) فرنسا	فِعَال
- و تدحض (حجج) الدجالين	فُعَل
- تتقوى بها (روابط) العلم	فَوَاعِل

من خلال ما سبق، نستنتج أن اللغة تقوم في مستواها المحايد على ضوابط وقواعد معيارية ثابتة تضبط بنية الجملة، غير أن الاستعمال الأسلوبية يتيح خيارات أخرى لاتتوافق بالضرورة مع النظام المعياري القواعدي بسبب ما يقدمه من البدائل غير النمطية، وفق حالات المتكلم، ومقامات التخاطب، وهو ما يوفر طاقات دلالية إضافية، تصبو

¹ - ينظر : الحماوي، شذا العرف في فن الصرف، شرح الدكتور عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998م، ص 131 وما بعدها .

الفصل الثالث الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية و البنى التركيبية في جريدة

المنتقد

إلى مباحثة القارئ، وشده نحو قيمة ما، وهذا ما حققته تلك الوجوه الأسلوبية التي استنبطناها من مقالات الشيخ الطيب العقي، والتي أشرنا إليها على سبيل الانتقاء فقط لا غير.

المبحث الأول: الروابط الحجاجية ودورها في ترتيب الحجج:

كل خطاب يعتلي عرش البلاغة ويكون هدفه الحجاج والإقناع، هو ما أجاد فيه صاحبه توظيف الروابط الحجاجية في نصه، لأن الخطاب يقوم على أنظمة لغوية تربط بين دلالاته وتراكيبه، والسياق هو الذي يعين ويحدد توظيف رابط دون آخر، وفي هذا الدراسة نود أن نقف على تلك الشحنات الحجاجية وفحصها داخل السياق، و قبل ذلك سنقف أولاً على تحديد مفهوم الرابط الحجاجي .

1 - مفهوم الروابط الحجاجية :

ذهبت معاجم اللغة العربية إلى أن معنى جذر "ربط" هو الشد، والثبات والتوثيق والملازمة،¹ أما في الاصطلاح لعل أقربها وأدقها ما جاء في " معاجم المصطلحات النحوية والصرفية "، بأنه " العلاقة التي تصل شيئين ببعضهما البعض وتعين كون اللاحق منهما متعلقاً بسابقه "² وهناك من قال بأنه هو الذي يربط بين اسم أو جملة واسم متقدم ليكتمل معنى الجملة³.

يتجلى بهذا التحديد للمصطلح الأهمية البالغة التي يحتويها الربط في تماسك النص وقوته لكونه يمثل الجمع بين الجمل بطريقة تخدم المعنى لأنه لكل رابط دلالة ووظيفة يحددها السياق المقامي للتخاطب، وهذا ما وضحه ودعا إليه عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) قديماً قائلاً " فليس الفصل للعلم بأن الواو للجمع والفاء للتعقيب بغير تراخ، وثم بشرط التراخي، وإن لكذا، وإذا لكذا ولكن لأن يتأتى لك ذلك إذا نظمت شعراً وألفت رسالة، أن تحسن التخيير وأن تعرف لكل من ذلك موضعه "⁴.

من خلال قول الجرجاني ، يتضح لنا أن الاستعمال اللغوي للربط داخل النص هو الذي يحدد قوة الخطاب وشدة تماسكه وتمازج جاهزته للتواصل والإقناع، فإذا استعمل بطريقة مستقيمة حسنة صائبة، حصلت بذلك فائدة الخطاب، أما إذا وظف بطريقة سيئة غير مستقيمة، بمعنى لم يتخير الربط الصحيح في المكان اللائق، ترى في النص حالة من عدم الانسجام والاهتراء والهزلة .

وهناك نوعان من الأدوات الحجاجية: الروابط الحجاجية و العوامل الحجاجية (ليزويغاتور). أما الأولى " فتربط بين قولين أو حجيتين على الأصح أو أكثر، وتساعد لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط الحجاجية بالأدوات التالية : لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن... "⁵.

¹ - ينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس كركيا ، مقاييس اللغة، مادة "ربط"، ج 2، ص 478.

² - محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1985، ص 90 .

³ - ينظر: محمد التونجي، المعجم المفصل في علوم اللغة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1993، ص 318 .

⁴ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 250 .

⁵ - أبو بكر العزاوي، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 134، مطبعة النجاح

الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2006، ص 64 .

والثانية هي التي " لا تربط بين متغيرات حجاجية ، أي بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل : ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما إلا وجل أدوات القصر"¹، فالروابط الحجاجية هي أدوات ووحدات ذات دلالات نحوية تربط بين معان عديدة محققة بذلك اتساق النصوانسجامه، فتظهر فاعلية الخطاب وقوته التأثيرية في المتلقي إن كان في سياق الحجاج .

2 - مقارنة لأهم الروابط في مقالات الشيخ العقبي :

لكن :

هي رابط حجاجي يربط بين قضيتين وتفيد الاستدراك الذي هو "تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام، التي ترد على الذهن بسببه، وهو يقتضي أن يكون ما بعد أداة الاستدراك مخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي"² فتوظيف لكن الاستدراكية يكون بسبب إزالة الوهم واللبس واحتنا به ف " كأنك لما أحررت عن الأول بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره إن سلبا أو إيجابيا ولا بد أن يكون خبر الثاني مخالفا لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك"³، وبما أن لكن تستدرك الخبر فيكون ناقضا للحكم الأول فلا بد أن يكون ما بعدها أعلى في درجات السلم الحجاجي. ومن أمثلة هذا ما جاء في مقال الشيخ الطيب العقبي (رد يصادف محله) حيث يقول : "وقد أراد فيما يظهر أن ينتقد بعض الصحف التي جات مخالفة لمشره ورآها لأول مرة تحاول القضاء على فريق من شيعته ومذهبه و(لكنه) ما اهتدى إلى وجه الصواب في نقده ولا عرف كيف ينتقد فكبا به جواد الغرض في ساحة النقد على وجهه وسقط في جانب الطريق الأيسر على منخره"⁴ .

يدافع الشيخ العقبي في هذا المقال عن جريدة " المنتقد " ويرد فيها عمن طعن فيها فلا بد له أن يتوكأ على ترسانة من أفانين ووسائل الإقناع والتي من بينها (لكن) التي جاء بها في هذا المثال .

يقرر الشيخ العقبي أن صاحب مقال (دعوى الإصلاح وكيف يجيب أربابها) حاول انتقاد كل الصحف العربية ، وهذا الفعل تظهر فيه منذ الوهلة الأولى معاني القضاء على هذه الصحف وانتقادها وإثبات خيبتها وعدم الإتيان من وجودها للأمة بفائدة، إلا أن الكاتب الشيخ العقبي يستدرك على الحكم الأول بالربط الحجاجي لكن " لكنه ما اهتدى إلى وجه

¹ - أبو بكر العزاوي، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، ص 64 .

² - عباس حسن، النحو الوافي، ج3، دار المعارف، مصر، ط 1975،4، ص 616 .

³ - موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، شرح المفصل، ج8، إدارة الطباعة المنبرية، مصر، ص 80 .

⁴ - الطيب العقبي، رد يصادف محله ، المنتقد، ص 214 .

الصواب في نقده ولا عرف كيف ينتقد " وكان جزاؤه في ذلك مناقضا لقصده، بحيث كبا به فرس النقد وأسقطه في جانب الطريق الغلط غير الصائب على منخره .

وسنمثل للقوة الحجاجية الكامنة في هذا الرابط الحجاجي بهذا الشكل :

ن : الصحف العربية خائبة وغير مجدية	ن : ضلال الناقد ومجانبه للصواب
ح1: انتقاد الصحف العربية	ح1: ما اهتدى إلى وجه الصواب في نقده
ح2: حاول القضاء على الصحف العربية	ح2: كبا به جواد النقد وأسقطه على منخره

يمثل هذا المخطط القدرة الحجاجية للرابط " لكن " بحيث تمكن من نسخ النتيجة الأولى في ذهن المتلقي وأثبت النتيجة الثانية بأن صاحب المقال كان يهدف من نقده إلى إسقاط جريدة " المنتقد " وغيرها من الصحف العربية، وأنه خرج في نقده الباطل ذاك عن قصد العدل وخطة الإنصاف، وذلك شأن المتسرع في أمره والمحكم لهوى نفسه .

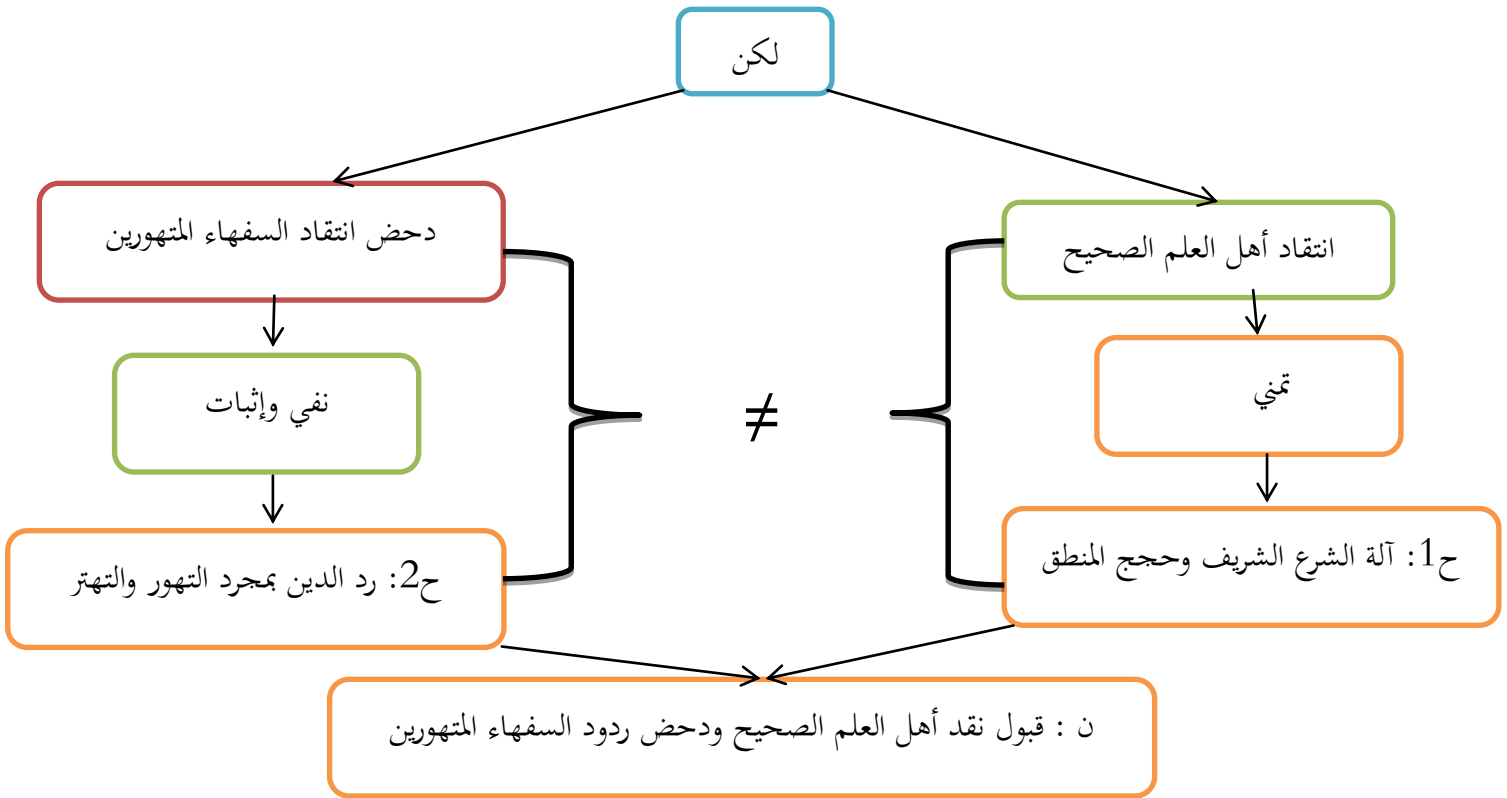
ومما يصل إليه القارئ عن طريق الاستلزام الحواري أن صاحب المقال الذي انتقد الجرائد العربية من أهل الصحافة، ويمكنه أن ينشر المقالات وينتقد بعدل وبصيرة، لكنه كان عكس ذلك، فطغى في حكمه وظلم وجرار، وبهذا يصل القارئ إلى حتمية مفادها أن جريدة المنتقد هي الأفضل للقارئ والأحق بالافتناء والمطالعة والقراءة .

ونجد مثالا آخر في مقال بعنوان (متمنياي اليوم) يقول فيه : " ويسرني انتقاد أهل العلم الصحيح وردهم على بضاعتي المزجاة بألة الشرع الشريف وحجج المنطق المقبولة عقلا، و (لكن) يسوؤني جدا أن يكون في الأمة من يحاول رد الدين الخالص والحسن من القبول بمجرد التهتر والتهوّر"¹ . جاءت " لكن " في كلام الشيخ العقبي لتفيد شيئين، الأول إثبات لانتقاد أهل العلم الصحيح الثابت في الكتاب والسنة لمقالات وبضاعة الشيخ العقبي ، والثاني هو دحض ودحر لانتقاد أهل الزيف والأهواء له .

استطاع الشيخ العقبي ببراعة في هذا المثال أن يثبت حكما وينسخ حكما آخر بواسطة الرابط الحجاجي " لكن "، بحيث تظهر العلاقة الموجودة بين الجملتين التي تتوسطهما (لكن)، فأثبتت تحقق أمنية الانتقاد من جهة أهل العلم الصحيح ونسخته من جهة من لا يمتون للعلم بأي صلة، ومن يمارسون النقد لأهداف مغرضة وبأسلوب ينم على التهوّر والسفاهة ويمكن التمثيل لها بهذا المخطط التوضيحي² :

¹ - الطيب العقبي، متمنياي اليوم، المنتقد، العدد 15، الخميس 19 ربيع الأول 1344هـ / 8 أكتوبر 1925م، ص 283 .

² - أخذت هذه المخططات التوضيحية عن زوبير بوزاغو، التلويحات الحجاجية في مقالات البشير الإبراهيمي، ص 170.171.172.173.174.175.



يصل المتلقي عن طريق الاستدراك ب (لكن) إلى هاته النتيجة لأن الجملة بعدها تعد أقوى حججيا من أختها وبالتعارض الحجاجي الذي وقع بين القولين اللذين تتوسطهما (لكن)، فإن المتلقي سيتوجه نحو القول والحجة بعد (لكن)، لأن المخاطب قد عدل عن الحجة الأولى إلى الثانية وعارضها، ولأنها هي التي تحمل النتيجة المتضمنة في الخطاب والتي يصل إليها المتلقي عن طريق الاستلزام الحوارية، لأن في هذا المثال كلام مصرح به متمثل في قبول نقد العلماء قبل دحض ردود السفهاء، فينشأ عن هذا التصريح علاقات استدلالية تصل إلى الضمني من الخطاب وهو لا يمكن تحقق الأمنية إلا عن طريق النقد العلمي الصحيح الثابت والمؤصل .

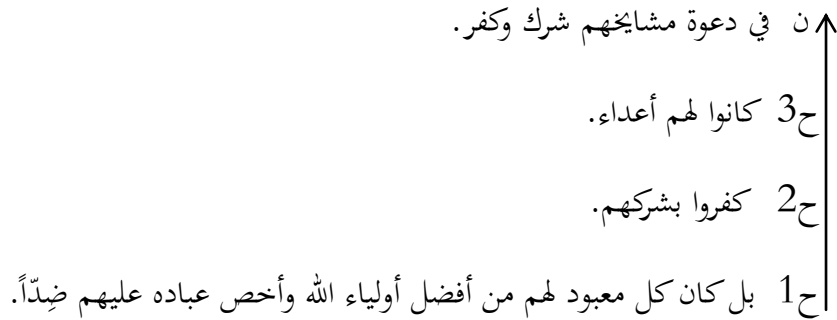
المنتقد

- بل : وهي أداة ربط بين قولين ومعناها " الإضراب عن الأول والإثبات للثاني " ¹، وتكمن حجاجيتها في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم، بما يمكن تسميته بالحجج المتعكسة²، لأن بعضها منفي وبعضها مثبت، فيكون القول بعد (بل) حجة أقوى في درجة السلم الحجاجي من القول قبلها .

ومن أمثلة ذلك ما جاء في مقال للشيخ العقبي عنوانه " حول القصيدة العاشورية "، حيث يقول : " ولم تجدهم في ذلك دعوى حبه نفعاً ولا انتفعوا بهم ولا بمعدرة قدموها في عبادته بدعوى محبتهم (بل) كان كل معبود لهم من أفضل أولياء الله وأخص عباده عليهم ضداً، وكفروا بشركهم وكانوا لهم أعداء...³ .

يأتي الكاتب بهذا الرابط (بل) في هذا السياق فيخالف بما نظرة القبوريين المبتدعة في عبادة مشايخهم ودعوتهم فيكون الكلام مثبتاً وفي درجة عليا والكلام قبلها في درجة دنيا من الحجاج .

وسنمثل لها بالسلم الحجاجي على النحو الآتي :



يظهر هذا السلم الخاصة الحجاجية التي يمتلكها الرابط (بل) لكونه يرفع مستويات الإقناع في الخطاب الحجاجي، لأن الشيخ العقبي قد ذكر حجتين متعاكستين فدعوة المبتدعة القبوريين لمشايخهم ليست من الدين الخالص، إلا أن الكاتب وجه المتلقي إلى مسار حجاجي بواسطة (بل) متمكناً من إقناعه بأن هذا العمل لا يرضي المشايخ ويجعلهم يقفون ضدهم ويكفرون بشركهم ويعادونهم، وبالتالي ينجح المخاطب في الإضراب عن المعنى الأول والانتصار للمعنى الثاني، وهذا الإضراب " يقتضي نفي الحكم السابق في الكلام قبل " بل "، والقطع بأنه غير واقع، ومدعيه كاذب والانصراف عنه واجب إلى حكم

¹ - المبرد أبو العباس، المقتضب، تح محمد عبد الخالق عظيمة، ج1، عالم الكتب، بيروت، د ت، ص 12 .

² - ينظر: زوير بوزاغو، التلويحات الحجاجية في مقالات البشيرالإبراهيمي -مقاربة لغوية تداولية-، أطروحة التخرج لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث والمعاصر، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة الجليلي البابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2017/2018، ص 172 .

³ - الطيب العقبي، حول القصيدة العاشورية، المنتقد، ص 328 .

آخر يجيء بعده "1، فأبطل حجة انتفاع القبوريين بدعوة مشايخهم، وسار بالحجاج نحو دليل آخر هو كفر المشايخ بدعوتهم تلك ووقوفهم ضدا لهم ومعاداتهم لهم .

- حتى :

ومن الأدوات الحجاجية الأداة (حتى) فهي تستعمل للغاية والعطف ولها دور فعال في ترتيب منزلة العناصر، وتراتبية الحجج، لأن هذا " الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية"2، بمعنى أن كل الحجج المذكورة تدعم نتيجة محددة تكون الحجة الأقوى فيها هي الواقعة بعد (حتى)، كما أن هذه الأداة تستخدم كرابط حجاجي تأييدي يصل بين علاقات دلالية لها سباق ولها لحاق.

ومن النماذج الدالة على حجاجية هذا الرابط (حتى) ما ذكره الشيخ الطيب العقبي في مقال ذكرناه آنفا عنوانه " متمنياتي اليوم" حيث قال : " أتمنى أن لو يوحد ذوو العلم الصحيح صفوفهم ويجمعوا شتاتهم (حتى) يكونوا من مجموعهم جبهة دفاع قوية تقف في وجه ذوي العقائد الزائفة لترد إفاك الأفاكين وتدحض حجج الدجالين المضلين"3.

نلمح في هذا القول تسلسلا منطقيا يسلكه الشيخ العقبي ليصل إلى النتيجة التي يسعى إلى تحقيقها، فأمله هو توحيد ذوي العلم الصحيح صفوفهم، وجمع شتاتهم لمحاربة العلماء الأقحاح أصحاب العقائد الفاسدة الزائفة المائعة في جميع مظاهرهم، الأفاكين والدجالين و المضلين، متدرجا بهذا إلى أن يصل إلى الهدف الذي يود للمتلقي الوصول إليه وهو النتيجة الظاهرة المعلنة وهي " غلبة أصحاب العلم الصحيح " .

ومن خلال تلك النتيجة المعلنة، تنبلج النتيجة المضمره وهي " جهود ذوي العلم الصحيح تجاه الأمة "، فكل حجة في هذه الفقرة تؤول إلى نتيجة تؤول بدورها إلى قضية أخرى تتولد عنها نتيجة أخرى، فمحاربة عقيدة أهل الزيغ والأهواء تقتضي نتيجة هي محاربة مظاهرها وهي الإفك والدجل والمراوغة والإضلال، وكل هذا قهره اجتماع ذوي العلم الصحيح، وقد أضفى هذا الترابط الوشيج بين الأحداث نوعا من التماسك النصي أو ما يسمى بالحبك أو التماسك المنطقي، فالحبك أو التماسك المنطقي يعني بالاستمرارية المتحققة داخل النصوص عبر علاقات دلالية تعين على الربط بين المفاهيم4، وتظهر هنا

1- عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 623 .

2- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 33 .

3- الطيب العقبي، متمنياتي اليوم، المنتقد، ص 283 .

4- ينظر: سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج10، ع01، يوليو1991م،

مقصدية الحجاج التي تستدعي الانتباه والتركيز، لأن الأقوال قبل " حتى " في هذا المقطع لا يحسن السكوت عليها، إلا إذا ذكرت النتيجة التي جاءت بها، فينتظر المتلقي النتيجة ويتشوف لها، وحينئذ يتحقق الإقناع والإدعان، وسنوضح هذا عبر هذا السلم الحجاجي :

1ح - جهود ذوي العلم الصحيح في الإصلاح (نتيجة مضمرة) .

2ح - غلبة ذوي العلم الصحيح دعاة الإفك الدجالين الضالين (نتيجة ظاهرة) .

3ح - حتى نكونوا جبهة دفاع قوية تقف في وجه ذوي العقائد الزائفة .

4ح - يجمعوا شتاتهم .

5ح - يوحد ذوو العلم الصحيح صفوفهم .

- أسلوب القصر ب (لا - إلا) :

القصر تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويكون بأربعة أمور منها النفي والاستثناء ويكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء.¹

وعن طريق هذا الاختصاص تتحقق فاعلية الحجاج عن طريق النفي والإثبات، وفي هذا المعنى يقول الشيخ الطيب العقبى : فإن القائمين بها مهما كانت مقاصدهم خيرية لا تقوى عزائمهم إلا بمساعدة الأمة وهو وحدهم لا يمكنهم السير بها إلى حيث يأملون² .

يأتي هذا النص في سياق " جريدة المنتقد في نظر الكاتب " ليؤكد الشيخ العقبى للمتلقي أن عزيمته وإرادة القائمين على صحيفة " المنتقد " تقوى وتشتد بمؤازرة ومساندة الأمة فقط، فيقوم هذا الخطاب على نتيجتين إحداها ظاهرة والأخرى مضمرة، فالظاهرة هي : (لا تقوى عزائمهم إلا بمساعدة الأمة)، والمضمرة في كون (أفراد الأمة داخلون في ما يسمى القائمين بها) .

وبهذا يتبين لنا أن الشيخ العقبى قد وضع المتلقي في موضع ضيق، بحيث ضيق عليه دائرة الاحتمالات والتأويلات إلا التأويلات التي يريدتها المتكلم بفضل دخول أسلوب الحصر على الجملة، فوجهه وجهة تخدم نتيجة معينة متمثلة في " جهود

¹ - ينظر : علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، دار المعارف، د ط، د ت، ص 217 .

² - الطيب العقبى، جريدة " المنتقد " في نظر الكاتب، المنتقد، ص 86 .

القائمين على جريدة المنتقد"، وبنية هذا الحصر موجودة في (لا ، إلا)، بيد أنه بإمكاننا حذف (لا...إلا) ونحصل على نفس النتيجة الأولى فتصبح العبارة كالآتي: " فإن القائمين بها تقوى عزائمهم بمساعدة الأمة ".

يلاحظ من خلال حذفنا لأسلوب القصر بقاء المحتوى القضوي على حاله من دون أي تغيير في الدلالة والمعنى، لكن ما تفيده أدوات القصر هو نفي جميع المؤازرات والمساعدات وإبطالها مع إثبات مساعدة الأمة وحدها .

ومن خلال ما سبق، يتأكد لنا أنّ الروابط اللغوية قد أسهمت في تيسير تلقي الخطاب وفهمه والاقتران به، فقد ساعدت الروابط على الوصل بين الحجج والنتائج وتعاقبها وبيان ترتيبها، كما شاركت في تدعيم الحجج ومساندتها وتقوية النتيجة وتوجيه القول ومن ثمّ التقريب بين المعاني وتحقيق هدف التأثير والإقناع، وذلك بالإسهام في تشكيل البنية العامة للخطاب وترابطه وحبكه وانسجام معانيه مما يذلل الطريق أمام المتلقي لاستقبال هذا الخطاب واستيعابه.

المبحث الثاني : الاستلزام الحواري ووظائفه الحجاجية :

لو تأملنا في أسرار اللغات الطبيعية عموماً واللغة العربية خصوصاً لألفينا أنه اتفق أهل العلم على أن اللغة العربية في بعض مقاماتها الاستعمالية وسياقاتها اللغوية تنطوي على عدة عبارات و جمل تؤدي معنى ضمناً غير الذي يؤديه معناها الصريح

الظاهر من العبارة¹، فتصنف المعاني إلى صنفين، صنف أول يشمل المعاني الصريحة، وصنف آخر يشمل المعاني "الضمنية" التي يستنتجها المتلقي من سياق الخطاب، وعليه يتم الانتقال من دلالة الجملة الصريحة على الدلالة الضمنية، والتي يعبر عنها في الخطاب التداولي الحديث " بالاستلزام الحواري " .

1 - تحديد المفهوم :

لقد ظهر مفهوم الاستلزام الحواري مع " غرايس " (grice) الذي حاول أن يؤسس نحواً قائماً على أسس تداولية الخطاب، تأخذ بعين الاعتبار الأطراف المؤسسة لعلمية التخاطب .

ويؤكد أن التأويل التداولي للجملة متعذر إذا توقفنا عند ظاهرها، وعليه يقترح ما يأتي:²

أ - معنى الجملة المتلفظ بها من قبل متكلم في علاقته بما يسمع .

ب - المقام الذي تنجز فيه الجملة .

ج - مبدأ التعاون .

¹ - ينظر : زوبر بوزاغو، التلونيات الحجاجية في مقالات إبراهيمي، ص 176 .

² - ينظر : العياشي أودراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2011، ص 17- 18 .

وعليه يعرف الاستلزام الحوارى بأنه المقصود الذي " يرمى إليه المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر " ¹ .

ولتفسير وشرح ظاهرة الاستلزام الحوارى اقترح " غرايس " مقترحا يُمكن المتلقي من الوصول إلى مقاصد المتكلمين، يسمى بـ " مبدأ التعاون "، ويحرص هذا المبدأ على مشاركة كل أطراف الحوار وتعاونهم فيما بينهم لتحقيق الغاية من الخطاب، وعمد " غرايس " إلى تفرغ هذا المبدأ إلى مجموعة من القواعد الحوارية حددها فيما يأتي ²:

- 1 (قاعدة الكم) : وهي إخبار المتكلم المتلقي قدرًا كافيًا من المعلومات لا تزيد ولا تنقص أثناء العملية التخاطبية
- 2 (قاعدة الكيف (الصدق)) : لا بد من المتكلم أن يورد معلومات يستطيع البرهنة على صحتها .
- 3 (قاعدة الملاءمة) : وهي أن تناسب معلومات المتكلم المقام الخطابي .
- 4 (قاعدة الكيفية أو الطريقة) : ترتبط هذه القاعدة بما يراد قوله، و الأسلوب أو الطريقة التي يجب أن يقال بها مبتعدًا عن الغموض والاضطراب .

إن هذه القواعد التي وضعها " غرايس " قوانين ضابطة " لمبدأ التعاون " من شأنها أن تسير بالعملية التخاطبية الحوارية إلى بر الأمان، بحيث يفهم المتلقي من المتكلم مقاصده بطريقة مباشرة أو بالرجوع إلى التأويل .

وتنشأ عملية الاستلزام الحوارى عند تجاوز المتكلم أحد هذه القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون وعدم احترامه لها، وذلك بطريقة تفاعلية بين المرسل والمتلقي، بحيث يفسح له مجالات شاغرة تأخذه في رحلة للبحث عن المعنى الخفي المستلزم من العبارة، والذي يقتضيه ذلك المقام .

وينشأ داخل الخطاب دائما بؤر صريحة لا تتطلب جهدا كبيرا من قبل المتلقي للكشف عن معانيها ومراميها، وبؤر أخرى تجهد المتلقي ليصل إلى دلالتها العميقة، فلوصول إلى هذه المعاني ينطلق المتلقي من تلك الوشائج والروابط الموجودة فيما بينها كالتسياق والمقام والقرائن اللغوية، لأن الاستلزام الحوارى هو القضية المضمرة التي تسبقها قضية أخرى صريحة .

2 - الاستلزام الحوارى في مقالات الشيخ الطيب العقبى :

ومثال الاستلزام الحوارى قول الشيخ العقبى : " زناه وحده " ³ .

¹ - المرجع نفسه، ص 18 .

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 99 - 100 .

³ - الطيب العقبى، رد يصادف محله، المنتقد، ص 218 .

فالقول الصريح في هذه العبارة هو هذا المثل الفقهي الذي ضربه الشيخ العقي، باعتبار أن صاحب المقال الطاعن في جريدة "المنتقد" افتزى على الجريدة كذبا ونسب لها كلاما ما حررته أنامل رجالها، ويظهر ذلك في قوله "وقد حد التهور الغروري بأكثرهم إلى دعوى انتقاد كل شيء ومعرفة الصالح والفساد من كل شيء فكأنهم أحاطوا بعلم خلق كل شيء"¹ وبعد هذا الكلام الذي كتبه يمينه، راح ينتقد رجال الجريدة ويشكك في مصداقية صحيفتهم الغراء، وبالتالي أمره بالزنا وأقام عليه الحد .

والمعنى الضمني المستلزم حواريا هو نسبة ما كتبه يمينه من سوء إلى جريدة "المنتقد" ثم انتقادها لها .

ومما يستلزم حواريا غلبة الكذب في ذياتك الناقد الطاعن .

ومما يستلزم حواريا أيضا أن ذاك الصحافي الناقد يكتب يمينه كلاما سيئا وينسبه لجريدة "المنتقد"، ثم ينتقدها عليه وذلك لتجذر الكذب والافتراء في أصل طباعه .

يصل المتلقي إلى الغرض المقصود من العبارة لكون هذا الصحافي لا ينتمي لجريدة "المنتقد" ولا لبلد قرائها، كما له طبائع خسيصة وغايات غير نبيلة تنم على الحسد والرغبة في إسقاط رجال الإصلاح .

وفي نص آخر للشيخ العقي يقول فيه :

وَأَعْتَقَادِي سَلْفِي ذُو سَدَادٍ

مَذْهَبِي شَرْعُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى

فِي شُؤُونِ الْكَوْنِ بَحْثٌ وَاجْتِهَادٌ²

حُطَّتِي عِلْمٌ، وَفِكْرٌ، نَظْرٌ

إن الخطاب المصرح به في هذين البيتين الشعريين هو تزكية مذهب أهل السنة والجماعة والاعتزاز بالانتماء إليه، والمعنى المستلزم حواريا من هذا الكلام هو وجود كلام حول منهج أهل السنة والجماعة يتمثل في إنكار أهل البدع لما جاء به رجال الإصلاح وجمعية العلماء المسلمين .

ومما يستلزم حواريا أيضا بناءً على هذا التصريح عدم القضاء على منهج رجال السلف الصالح بما فيهم رجال الإصلاح والجمعية وعلى رأسهم صاحب هذا القول، وعدم القضاء على سنة الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام لأنها عماد الدين الإسلامي .

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - الطيب العقي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 136 .

ويستلزم حواريا أن أهل البدع والضلالات لا يحاربون السنة إلا عن طريق محاربتهم لمظاهرها المتمثلة فيما جاء به رجال الإصلاح من دعوة إلى اتباع من سلف واجتتاب ابتداء من خلف .

فجلُّ هذه الاستلزمات التي وصل إليها المتلقي برهان ساطع ودليل قاطع على انصياعه وإذعانه وقبوله، لأن الاستلزام الحوارية خطة حجاجية يلجأ إليها المتخاطبان، فيمر المعنى دون وعي من المتلقي الذي ينتقل مباشرة إلى المعنى المستلزم، وهذا الأخير " يعطل فعل الاعتراض من خلال اعتماد تقنية الإخفاء، كما يؤشر في كل مرة على جس النبض بخصوصية استمرارية التوافق بين المتعاملين في المحادثة " ¹ .

وفي نص آخر للشيخ العقبي يقول فيه : " وحيث إن المنتقد هو الأقرب والأحق بالشفعة، ناسب أن أنشر هذه المقالة على صفحاته البيضاء " ² .

يستفاد من هذه العبارة أن الشيخ العقبي يلبس لباس الناصح الأمين للكتّاب ويحسّسهم بمنزلة جريدة " المنتقد "، لكن الشيخ العقبي يترك قرينة لفظية تؤدي دلالة إيجابية يصل بها المتلقي إلى معنى عميق وهذه الكلمة هي " الأحقّ " التي يستلزم حواريا منها، أنّ في الجزائر جرائد لا تعنى بدعوى الإصلاح ولا تساند القضية الجزائرية، فحقيق بالأدباء أن لا ينشروا على صفحاتها مقالاتهم . وعلى هذا يمكن القول، إنّ المتكلم قد خرق قاعدة من القواعد الذي وضعها " غرايس " لمفهوم مبدأ التعاون، فكل قائم على صحيفة جزائرية يقتضي منه أن يكون داعيا للإصلاح ومساندا للقضية الجزائرية، فما الذي دفع بالشيخ العقبي إلى إضافة كلمة " الأحقّ " داخل عملية التحوار .

أراد الشيخ العقبي تنبيه الكتّاب بأن فيه جرائد مندسة تعمل لصالح فرنسا، فينبغي عليهم أن يكتشفوها ويحذروا منها ولا ينشروا مقالاتهم على صفحاتها، فيكون بهذا قد لمح للصحافيين عن أمر في بالغ الأهمية يجب عليهم أن يتفطنوا له .

فالقاعدة التي خرقها المتكلم في القاعدة الأولى المتمثلة في قاعدة " الكم "، لأنه تجاوز الحد المطلوب من مقدار الفائدة، فكان يكفيه أن يقول : " وحيث إنّ المنتقد صحيفة جزائرية " فلا يكون للمتلقي في هذه الحالة أي مسار استدلالي أو تأويل لهذه العبارة لأنها واضحة الدلالة في تأدية القصد، لكن بإضافته لكل " الأحقّ " تجاوز الحد المطلوب فاستغز بذلك المتلقي بحثا عما خلف هذه الكلمة وما الهدف من إضافتها.

ويقول في مثال آخر:

¹ - محمد بريم، الاقتضاء في سورة البقرة ووظائفه الحجاجية ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف أحمد قادم، سعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط 1، 2016، ص 100 .

² - الطيب العقبي، المرجع السابق، ص 221 .

المنتقد

"إن العالم شرقا وغربا وطولا وعرضا يخالف هذا الكاتب في رأيه، ولو كان ما زعمه وحاول إثباته حقا لما رأينا صحيفة واحدة من الصحافة العربية النافعة والواقع يشهد بنقيض هذا"¹.

وردت هذه العبارة في سياق رد الكاتب على من حكم على الصحف العربية بالخيبة وعدم النفع، ولقد وظف فيها الرابط الحجاجي (لو) الذي يفيد " انتفاء الشيء لانتفاء غيره"²،

فيتنفي قول إن الصحف العربية خائبة وغير مجدية لانتفاء زوال واحدة من الصحافة العربية النافعة، وإعراض العالم العربي عنها، فهذا الاستلزام الناشئ عن البنية الشرطية بالأداة (لو) يوجه الخطاب وجهة حجاجية تتمثل في أنه بالرغم من وجود العوامل التي تدفع بزوال الصحف العربية وإعراض القراء العرب عنها والتي منها هذا الصحفي الطاعن الذي يجلب معاني القذف والافتراء والحكم الجائر ، إلا أنها ثابتة باقية دائمة الإصدار، ومن شأن هذا المستلزم حواريا أن يدفع الطرف المناوئ للتراجع عن حكمه الجائر والتعامل بإنصاف مع الصحف العربية عامة .

وفي نص آخر للشيخ العقي يقول فيه : " إن الصحابة والتابعين وسائر أولياء اله الصالحين والعلماء العاملين كلهم و العلماء

العاملين كلهم ممن يجب علينا محبتهم واحترامهم وتعظيمهم بما أمر الله أن نعظم به حرمانه وأنّ المسلم يؤجر على حبهم كما أن يؤجر ويثاب على مدحهم بما أذن الله فيه من المدح الجائر بلا غلو ولا إطرأ"³.

في هذه المقولة جملة من الاستلزمات الحوارية التي يمكن للمتلقي الوقوف عليها، ونستهلها بقوله " أولياء الله " فيقتضي من هذا المعنى الظاهري معنى آخر هو وجود " أولياء الشيطان "، وفي قوله " بما أذن الله فيه من المدح الجائر بلا غلو ولا إطرأ "

استلزام حوارى في كون أصحاب القصيدة العاشورية بالغوا في مدح مشايخهم وغلو فيهم لدرجة أنهم صرفوا العبادة لهم، وتركوا خالقهم وخالق مشايخهم وأوليائهم .

وهذه الاستلزمات الحوارية المستخلصة من هذه المقولة يراد من ورائها إقرار عقيدة أهل السنة والجماعة، والرد على بعض المتطوعين الباذلين نفوسهم وأموالهم في سبيل المشايخ المتقربين بهم إلى الله زلفى والقائلين عنهم أنهم هم شفعاؤهم عند الله.

نلخص من خلال هذا التحليل كله أن الاستلزام الحوارى من أهم الجوانب في الدرس التداولى الحجاجى، إذ به يتم إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد

¹ - الطيب العقي، رد يصادف محله، المنتقد، ص 214.

² - الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1981، ص 88.

³ - الطيب العقي، حول القصيدة العاشورية، المنتقد، ص 305.

المتكلم إبلاغ السامع به على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على الوصول إلى مراد المخاطب بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، وحالتئذ يقتنع برسالته الخطابية ويعمل بها.

المبحث الأول : الأشكال والبنى الحجاجية في جريدة " المنتقد " .

سنسلط الضوء في هذا الفصل على أهم الوسائل الإقناعية التي اعتمد عليها الشيخ الطيب العقبي في مقالاته المتمثلة في البناء والشكل العام لطريقة المحاججة عنده، ومعرفة الشواهد والأدلة الموظفة المناسبة لموقف حجاجي محدّد، ثم الوقوف على آليات ووسائل الإقناع شبه المنطقية المتمثلة في القياس ودوره في إنشاء قناة حوارية تفاعلية بين المخاطب والمخاطب عن طريق الاستدلال، وبعد ذلك التعرف على هرمية الحجج وترتيبها من طرف الشيخ العقبي، وقبل الشروع في تحليل مقالات الشيخ الطيب العقبي ورصد الأشكال والبنى الحجاجية في نصوص المدونة، لزاما علينا أن نعرف أولا ميزات وخصائص أسلوب الشيخ العقبي في كتاباته، ومعرفة المواضيع التي شكلت محور اهتمامه في جريدة : المنتقد ."

1- سمات المقال عند الشيخ الطيب العقبي :

إن الأسلوب إنما هو طريقة الكاتب في استعماله اللغوية التي قد يكون وظيفتها إعلامية أو تعبيرية أو إقناعية.¹ ويختلف الأسلوب من كاتب إلى كاتب تبعا لنظرة كل واحد إلى الامور وكذا رؤيته وتناوله لها.

والمتتبع لأسلوب كتاب أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين، يجد أنه أسلوب فصيح منتقى متخير، وهذا راجع إلى ثقافتهم الدينية والأدبية الواسعة، وسعة اطلاعهم على أساليب الكتابة العربية قديما وحديثا في الأدب والصحافة، فكانت ألفاظهم جليّة واضحة لا غموض فيها ولا إبهام، لا يجد القارئ أي عناء في دينها، ولا يحتاج وهو يتعامل مع نصوصهم إلى التردد على المعاجم والقواميس كي يتمكن من الوقوف على غاياتهم ومقاصدهم، فهو من سبيل السهل الممتنع، القرب المنال، الدقيق الدلالة، الحامل للمعاني بقدر الألفاظ، لأنهم كانوا يبدون حقيقة ماثلة أمامهم، ويقدمون أفكارا، ويحللون واقعا، ويقترحون حلولا، ولم يكونوا من وراء كتاباتهم يسعون لأكثر من تقديم وتوصيل المعنى، ومن ثمّ كانت لغتهم سهلة بمنأى عن التعمية والإبهام أو الصعوبة والتكلف، لأنهم كانوا يخاطبون جمهورا متوسط الثقافة أو قليلها، وكذلك لأن المقال من طبيعته الجنوح إلى البساطة والسهولة، ف " لغة المقال الصحفي تقوم على السهولة والوضوح، وهي قد تستفيد بشيء من جمال الاسلوب الأدبي، وقد يستفيد بكثير من دقة الأسلوب العلمي.. ولكن يبقى أن ما يميز المقال الصحفي هو اسلوبه البسيط الواضح السهل"².

فأسلوب الشيخ الأديب الهمام الطيب العقبي كان أسلوبا عميقا ومميزا وذا دلالة، يجمع بين خصائص عدة، أبرزها المباشرة والوضوح، وذلك لعدم اتكائه كثيرا على التشكيل البياني في تعابيره وجمله، وعدم تكلفه في صياغة معانيه

¹ - ينظر : محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الحيل، بيروت، ط1، 1472هـ/1992م، ص92.

² - فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1403هـ/1983م، ص92.

وأفكاره، وإنما كان يرسل كلامه على السليقة، فأنت حين تقرأ له تحسّ وكأن الرجل يكلمك كلاماً في لغة مختارة وألفاظ مشرقة خالية من التعقيد، يخاطبك " بمعان محددة لا يتجاوز الغرض المقصود الذي تحمله الكلمات نفسها من غير ظلال ولا إيحاء، وربما مثل هذا اللون من الأسلوب فرضته طبيعة الكتابة الصحفية نفسها"¹.

إن قراءتنا لنماذج من مقالات الشيخ العقبي المبنوثة في جريدة " المنتقد " تجعلنا نتيقن أن ظاهرة الوضوح والمباشرة تلازمه في جل كتاباته، وقد يرجع هذا إلى طبيعته الشخصية التي تميل إلى البساطة والوضوح دون الجري وراء الغموض والإبهام واللهث وراء التأويل والألغاز في فهم الطبيعة والدين كما شاع عند مدّعي التصوف من رجال الطرق والزوايا الذين نأوا بالفكر والفهم في معرفة الأشياء والوجود أشواطاً بعيدة، أو لأن النثر في طبيعته الحالية يميل إلى الوضوح.²

كما يتسم أسلوب الشيخ العقبي بالتعريض، وذلك أن لهذا النوع من الكلام موقعا شريفاً ومحلا كريماً، " وهو مقصور على الميل مع ترك اللفظ جانباً، وذلك نوع من علم البيان لطيف"³، وقد كان يلجأ إليه الكاتب عندما يريد أن يجابه مخاطبه لداع اقتضته الضرورة وتطلبه الموقف، والشيخ العقبي في ظروفه تلك من استعمار ورقابة وسطوة رجال الطرق ونفوذ الأئمة الرسميين وغطرسة النواب، كان يعتمد بين الحين والآخر إلى مثل هذا الأسلوب وإن لم يكن كثيراً في نثره لما عرف به من جرأة وصراحة وشجاعة، بلغت حداً بعيداً في حياته ومواقفه.⁴

2 - أنواع مقالات الشيخ الطيب العقبي في جريدة " المنتقد " :

المنتقد جريدة سياسية تهذيبيّة انتقادية، شعارها " الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء "، تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية صبيحة الخميس من كل أسبوع سنة 1925م، تنطوي على ثمانية عشر عدداً من المقالات التي حررها أعضاء جمعية العلماء المسلمين، وعلى رأسهم الشيخ الطيب العقبي، الذي كان له نصيب كبير من هذه المقالات والكتابات التي أظهرت شخصيته الفذة، وأبانت عن مهجة عالم مصلح جهبذ، يزود عن قضية وطنه، ويدافع عن هوية شعبه ومقوماته التي ينهض بها كإسلام، العروبة، التاريخ، العلم، واللغة.

¹ - عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، ص 58.

² - كمال عجال، الطيب العقبي أدبياً، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة فسنطينة، 1997-1998م، ص 439.

³ - محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وإعلامها، من 1903-1931، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1938هـ/1978م، ص 203.

⁴ - كمال عجال، المرجع السابق، ص 441.

المنتقد

وقد تشعبت موضوعات مقالات الشيخ العقبي في جريدة " المنتقد " ومن أبرزها :

- المقالات السياسية : " يسترهبون الدولة ويخوفونها ولكن لا تخشاهم " من الصفحة (326-38).
- المقالات الإصلاحية: هذه المقالات تعالج قضايا محورية ومهمة في المجتمع الجزائري، كالتعليم، وشؤون الأسرة، والعادات والتقاليد، ومن عناوينها : " جريدة المنتقد في نظر الكاتب.." من الصفحة (81-86).
- المقالات التي يشيد فيها بالمنتقد والجمعية : وهي مقالات يظهر فيها دور جمعية العلماء المسلمين الفعال في تنوير الأمة وتزويدها بالتعاليم السمحة وبناء مجتمع مثقف ومتحرر، ومن أبرزها : " قضية جريدة المنتقد والصحف العربية " من الصفحة (238-242)، " تقايط المنتقد" من الصفحة (81-86).
- المقالات الدينية : " الدين والاجتماع " من الصفحة (99-103)، " إلى الدين الخالص " من الصفحة (135-138).
- المقالات التي تتحدث عن الشخصيات : وهذه المقالات التي جاءت في هذا الباب، تكون في مقام الجرح والتعديل مثل المقام الموسوم ب" رد يصادف محله" من الصفحة (213-221)، ومقال (حول القصيدة العاشورية) من الصفحة (303-306) والصحة (328-329).
- هذه أهم مواضيع وأنواع مقالات الشيخ الطيب العقبي في جريدة " المنتقد "، وكل ما زاد على ذلك فهو فرع لأحد هذه الخمسة.

3 - بنية الخطاب الحجاجي من حيث الشكل:

تبنى النصوص الحجاجية في شكلها الرئيس على مكونات ستة هي ¹ :

الدعوى (النتيجة) والمقدمات، والتبريرات، والدعامة، ومؤشر الحال، والتحفظات أو (الاحتياطات).

- والدعوى هي نتيجة الحجاج وهي تستهدف إمالة الآخرين، وقد يصرح بها المتكلم أو يضمنها.

- المقدمات: وهي ما يصنعه المجادل عن أشخاص أو أحوال أو أحداث. وينبغي للمقدمات أن ترتبط بالنتيجة ارتباطا وثيقا حتى تصلح لتدعيمها.

- التبريرات: بيان للمبدأ العام الذي يبرهن على صلاحية الدعوى وفقا لعلاقتها بالمقدمات.

¹ - ينظر : محمد العيد، النص والخطاب والاتصال، ص 148-149.

- والدعامة : كل ما يقدمه المجادل من شواهد وإحصاءات وأدلة وقيم، حتى يجعل المقدمات والتبريرات أقوى في المستقبل.

- ومؤشر الحال : كل ما يقدم من تعبيرات تظهر مدى قابلية بعض الدعاوى للتطبيق نحو : من الممكن، من المحتمل، وعلى الأرجح...إلخ

- والتحفظات : هي الأساس الذي ينهض عليه الحكم بعد مقبولية الدعاوى.

وفي هذا العنصر سنحاول مقارنة هذه البنية الشكلية للنصوص الحجاجية في مقالات الشيخ العقبي، وهدفنا من وراء الوقوف على هذه المحطات هو معرفة كيفية بناء الحجج في خطاب الشيخ العقبي، وهل هي موافقة لهذه النصوص العربية القديمة والحديثة في بنائها ؟

4- رصد الأشكال والبنى الحجاجية في المقالات :

قبل الشروع في رصد الأشكال الحجاجية في المقالات العقبية، يلزم معرفة أن للمحاجج مساع وغايات يود تحقيقها، والتي من أبرزها إقناع المتلقي، ولذلك تحدّد له الاستراتيجية المناسبة التي يقتضيها المقام والسياق وحالة المخاطب، فتدفعه إلى تفضيل استراتيجية معينة، ومن بين هذه الاستراتيجيات بناء نصه وفق مكونات معينة تتيح له الهيمنة على الخطاب والسيطرة على المتلقي، فيتحكم في هذه المكونات مقدما أو مؤخرا أو مقصيا لأحدها لغياب الداعي لها.

وفي نصوص الشيخ العقبي مادة دسمة سنتعرض لها بالدراسة والتحليل بغية الوقوف على تلك الأشكال التي بنيت عليه نصوصه، من خلال نماذج مختارة من مقالاته المبثوثة في جريدة " المنتقد " .

النص الأول : "الدين والاجتماع" .

يتحدث الشيخ العقبي في هذا النص عن مسألة مهمة وهي دور رجال جريدة " المنتقد " في إصلاح الأمة وتوحيدها والحفاظ على ثوابتها ومقوماتها، وبالمقابل دور المبتدعين الضالين في تفريق كلمة الأمة ونشر الجهل بين أبنائها، وفي هذا الصدد يقول : " وبقدر ما حذرنا منهم فقد وقعت الأمة في شرورهم وعلقت في حبال مكرهم وغرورهم فصار ما انتحلوا ودعوا الناس إليه في نظر البسطاء السذج هو الدين الذي تعمل به الأمة وينسبها كل ناسب إليه " ¹.

¹ - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص 102.

في هذه الجزء يذكر الشيخ العقبي مكر المبتدعين وتليبهم على أبناء الأمة .

وفي الجزء الثاني يقول : " أول واجب على من انتصب لمقام الدعوة و الإرشاد إصلاح ما أفسد الناس من أمر الدين والرجوع بهم إلى أصل الشريعة " ¹.

ويقول مبينا الفرق بين رجال الإصلاح ودعاة الضلال في توجيه الأمة للوجهة الصحيحة : " ولهذا لا نألوا جهدا في خدمته بنشر مبادئه الحققة وتطهيره من كل ما أحدثه المحدثون " ². ثم بعد ذلك يبين تأخر الأمة وانحطاطها الناجم عن بدعهم التي أدخلت على الدين فيقول : " ونحارب على الخصوص البدع التي أدخلت على الدين الذي هو قوام الأخلاق فأفسدته وعاد وبال ذلك الفساد علينا فتأخرنا من حيث يكون تقدمنا وسقطنا بما لا نرتفع إلا به لما شوهناه بإدخال ما هو ضده عليه " ³.

وفي الأخير يظهر أفضلية المنتقد ورجاها في إصلاح الأمة فيقول : " فقد طالعت في برنامجها ومبادئها الذي توخت السير عليه، واختارته لها منهجا تسلكه وتدعو الناس عليه، ما هو صريح في أنها ستعمل لإصلاح ما طرأ على الأمة من الضعف في دينها " ⁴. وهي النتيجة النهائية من وراء هذا البسط والمقارنة والتحليل.

وعليه ينبنى الشكل الحجاجي لهذا النص وفق هذا الشكل، لأن المتكلم عمد إلى هذا التركيب المنطقي ليدافع عن قضية مطروحة في الساحة وصراع قائم بين رجال الإصلاح وأهل البدع فيكون الشكل :



يبدأ الشيخ العقبي مقاله بمقدمات تكون بمثابة تمهيد للنتيجة المرجوة من الخطاب وهي : الدعوى الظاهرة في قوله : " أول واجب على من انتصب لمقام الدعوة والإرشاد هو إصلاح ما أفسد الناس من أمر الدين والرجوع بهم إلى أصل الشريعة " .

والتبرير هو الفرق الظاهر بين رجال الإصلاح والمبتدعة في النص الثالث.

¹ - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص102.

² - المرجع نفسه، ص 99.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المنتقد

في إصلاح الأمة.

الطرف الثاني ← مقدمات ← تدعيم

(أهل البدع) نشر البدع وتشتيت (الأدلة والشواهد من الواقع)

الأمة

من خلال ما سبق، يظهر أن الشيخ العقبي قد قسم النص إلى قسمين ، قسم يوضح فيه مواقف جريدة " المنتقد " وأعمالها الجلييلة في بناء مقومات الأمة، وقسم يظهر فيه فساد أهل البدع ونتائج أعمالهم ودعواتهم التي تعود على الأمة بالتأخر والانحطاط والهلاك، حيث تمازجت هذه المقدمات والتدعيمات بأسلوب عكسي بحسب المقام الذي يستدعيه.

النص الثاني : بعنوان " جريدة المنتقد في نظر الكاتب " .

في هذا المقال يعالج الشيخ العقبي قضية جريدة " المنتقد " في الجزائر ويصفها بأنها جريدة حقيقية مثالية متكاملة لا تزاخمتها في ذلك جريدة، وشبهها بالعقيلة الحرة التي ليس لها ضرة، ويؤكد بأنها حلت بعد أمد طويل من الغربة المغربية، وزمن مديد من الوحشة الموحشة ، فأزالت عن الأدباء والعلماء جدار الصمتوصدت أناتهم وزفراهم المتصاعدة من زوايا الإهمال، كما يعتبرها جريدة العلم والبيان، وأنها ملازمة للإصلاح، وأن الجزائريين قبلوها بلا إكراه، ثم تطرق لأبرز عنصر والذي من أجله قدم بكل هذا التقديم وهو محاولة الحاسدين إدخال الشحنة بين جريدة " المنتقد " وأبنائها الجزائريين، ففند شبه الحاسدينالمعارضين وبين مكائدهم الخبيثة في القضاء على الجريدة ليصل في ختام النص بأن عموم أفراد الأمة يؤازرون جريدة " المنتقد " ولا يرضون بديلا لها، ويعتبرونها صحيفة يصدق عليها اسم صحيفة بمعنى الكلمة، وعليه يكون شكل الحجاج في بنية هذا النص على النحو الآتي:

دعوى	←	مقدمات	←	تدعيم	←	احتياط	←	(دعوى ظاهرة)
جريدة المنتقد		جات بلسان		سرور أحرار الأمة		ذاك هو طريق الحق الذي		" المنتقد "
أول جريدة حقيقية		العلماء		بها وتمنياهم لها		يسلكه المصلحون وفي		يصدق عليها
في الجزائر		المصلحين		بدوام السير على المنهج		مثله يتنافس المتنافسون		اسم صحيفة
				القويم ودعوتهم إلى نشرها				بمعنى الكلمة

يعلن الشيخ العقبي في هذا النص النتيجة ويظهرها واضحة كما جاء في مستهل المقال، لأنه يتبع استراتيجية مباشرة تتمثل في الرد العلني على إعراض بعض الأغبياء عن جريدة "المنتقد"، ويبين بأنه يعترف بمكانها ومكانتها أرباب

المنتقد

الضمائر الحية وأهل الأذواق السليمة، لذلك لا يضرها إحجام شردمة ممن لا خلاق لهم، فشمس ضحاها في الأفق طالع وسحرها في نفوس أفراد الأمة ساطع، وكل ذلك باختيار لا أثر فيه للجبر، واختيار لا يد فيه للقهر .

المقدمات في قوله عن العدد الأول من جريدة "المنتقد": "آية في صناعة الصحافة يرشد إلى سلوك حميدة، ومبادئ في طرق الإصلاح جديدة، محررا بأرقى قلم، وهو في ترتيبه من أحسن ما رأى وعلم، يحمل برنامجا من وضع الحكماء وخلاصة آراء العلماء والفضلاء"¹.

وفيها يربط المتكلم بين النتيجة والمقدمات، بحيث أعقب النتيجة مباشرة بطائفة من الحجج ليرفع من بؤرة الحجاج في النص.

والتدعيم ركز فيه الشيخ العقبي على قبول أفراد الأمة الجريدة بكل سرور وحبور، واعترافهم بمنزلتها وإقبالهم على مطالعتها، وأنهم عرفوا عن طريق جريدة "المنتقد" ما لم يعرفوه من قبل.

والاحتياط في قوله: "إذ ذاك هو طريق الحق الذي يسلكه المصلحون وفي مثله يتنافس المتنافسون"²

النتيجة في آخر النص ظاهرة وهي "جريدتهم الحقيقية وصحيفة يصدق عليها اسم صحيفة بمعنى الكلمة"³، وهي ذات علاقة قوية مع النتيجة الأولى.

– النص الثالث: هو مقال بعنوان "رد يصادف محله"

جاء في هذا المقال قول الشيخ العقبي: "زناه وحده"⁴

يكون الحجاج في هذه المقولة على الشكل الآتي:

مقدمات ← دعوى ← تبرير

¹ – الطيب العقبي، جريدة المنتقد في نظر الكاتب، المنتقد ص 84.

² – الطيب العقبي، جريدة المنتقد في نظر الكاتب، المنتقد ص 86.

³ – المرجع نفسه، ص 85.

⁴ – الطيب العقبي، رد يصادف محله، المنتقد، ص 218.

المنتقد

المقدمات: في هذا النص هو المثل الذي جاء به " زانه وحدّه "، أي أمره بالزنا وأقام عليه الحد، والفاعل كما بين الشيخ العقبي في نصه رجل لقق تمها سيئة للصحف العربية بما في ذلك جريدة " المنتقد " ونسب لها كلاما هي بريئة منه، ثم بعد ذلك حكم عليها بالخيبة وعدم الاتيان من وجودها للأمة بفائدة.

الدعوى: ظاهرة وهي مضرب المثل، بحيث يكون الأمر ومقيم الحد هو صحافي بجريدة " التقدم " صاحب مقال (دعوى الإصلاح وكيف يخيب أربابها).

التبرير: في قوله: " هكذا قلت يا جناب الكاتب وبهذه العبارة نطقتم، ونحن ما رأينا ولا سمعنا صحيفة عربية نطقت بمنطوق هذه والجملة ولا بمفهومه "¹، وفي قوله: " فهل لكم أن تفيّدونا ولو باسم جريدة واحدة من هذه الجرائد الكثيرة التي نقلتم هذه العبارة عنها؟ "²، وفي قوله: " لعلكم بما ذكرتموه من هذه العبارة أردتم أن تفهمونا معنى قولهم (هذه عمل باليد) وتشرحوا لنا مثل الفقهاء (زناه وحدّه) "³.

النص الرابع: مقال بعنوان " إعلان "

في هذا النص ينتقد الشيخ العقبي كل من لا يستخدم في مناقشته ومناظرته التأصيل العلمي، ويجادل بالباطل ليدحض به الحق، ولا يبيّن جداله على حقائق علمية جلية بعيدة عن الهوى وحظوظ النفس، ويرمي الكلام على هوانه من غير تعيين الغاية المقصودة منه، ويعتبر كل كلام غير مؤصل علميا، خارجا عن آداب الحوار والمحااجة ومن لغو الحديث.

وبعد ذلك يعلن براءته من كل من سار على هذا المنهج في فن الرد، ليصل في الأخير إلى أن الرد غير المؤصل ليس من آداب المحاجة وطرق المناظرة.

وبالتالي يكون رسم البناء الحجاجي لهذا النص وفق الآتي :

مقدمات ← تبرير ← تدعيم ← مؤشر الحال ← نتيجة (ظاهرة)

مقدمات: " كل من شاء الرد على كلامي وود المناقشة معي فإني لأشكره متى كان رده علميا "⁴.

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

² - الطيب العقبي، رد يصادف محله، المنتقد، ص 218.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - الطيب العقبي، إعلان، المنتقد، العدد 16، الخميس 19 ربيع الأول 1344هـ / 8 أكتوبر 1925م، ص 310.

تبرير: " من يرمي الكلام على عواهنه ويلقي به جزافاً دون تعيين الغرض المراد منه، ولا شرح الجمل التي لم ترق

لديه فحاول الرد عليها، فإنها أهنأ بما يقوله دائماً وأعد ماتفوه به من باب فضول الكلام ولغو الحديث"¹.

تدعيم: اقتبس الشيخ العقبي شاهداً قرآنياً لتدعيم حججه: " ويجادل بالباطل ليدحض به الحق"².

مؤشر الحال: " ومهما زعم صاحبه الرشد وادعى لنفسه الفهم وحصافة الرأي في العلم، فإنه في نظري سفيه معتوه يريد بما يهرف به التشفي من غير عدو"³.

النتيجة (ظاهرة): وهي أن الرد غير المؤصل علمياً ليس من آداب المحاجة.

– النص الخامس: " إلى الدين الخالص "

يبني هذا النص على النحو الآتي :

مقدمات ← تبرير ← تدعيم ← دعوى (نتيجة).

مقدمات : دعوة إطراء الصالحين والغلو فيهم باطلة بجميع أشكالها وكل أنواعها، وأينما كان رجال السنة قضى التوحيد بنقائه وكمالها على هذه الشراكيات التي كانت منتشرة في الجزائر.

تبرير : قوله⁴ :

كُلُّ شَيْءٍ بَلْ هُمْ مِثْلُ الْعِبَادِ	لَا أَرَى الْأَشْيَاخَ فِي قَبْضَتِهِمْ
قُلْتُهُ إِثْبَاتُ دَعْوَى الْإِتِّحَادِ	وَعَلَى مَنْ يَدَّعِي غَيْرَ الَّذِي
تَكُنِ السَّابِقَ فِي يَوْمِ الطَّرَادِ	قَالَ قَوْمٌ سَلَّمَ الْأَمْرَ لَهُمْ
وَتَرَى خَيْلَكَ فِي الْخَيْلِ الْجِيَادِ	تَلِ الْمَقْصُودَ تَحْطَى بِالْمُنَى

¹ – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ – الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 135 – 136.

المنتقد

قُلْتُ إِنَّي مُسْلِمٌ يَا وَيْحَكُمْ لَيْسَ لِي إِلَّا الشَّرْعُ انْفِيَاد
أَيُّهَا الْأَقْوَامُ إِنَّ تَبَعُوا الْهُدَى مَا لَكُمْ وَاللَّهِ غَيْرُ الْعِلْمِ هَادٍ

تدعيم: قوله: " يوم لا تنفعهم معذرة " ¹،

دعوى (نتيجة) : فساد عقيدة الغالين في المشايخ والأولياء وانتفاء توحيدهم.

– النص السادس : " متمنياي اليوم "

في هذا النص يبرز الشيخ العقبي نفسه وديعا أمينا شاحذا للهمم ناصبا الطريق أمام الصحافيين والعلماء الكتاب الجزائريين ليكونوا ذخرا لهذه الأمة.

وعليه يكون نصه مبنيا على النحو الآتي :

مقدمات ← تبرير ← دعوى (مضمرة).

فالمقدمات : ينسجها الشيخ العقبي على شكل خواطر " أتمنى أن لو يكتل كل عالم مصلح على صفحات الجرائد مبديا للأمة رأيه وفكره مصرحا لنا باسم البلاد التي هو بها " ².

والتبرير : " حتى يتمكن للمطلع الاعتماد على أقواله والتعويل على فتواه، ولا في مقصده من اختفائه وتكلمه من وراء حجاب كما ينزه بذلك جنابه عن رميه بوصف الجبن ووصمة الضعف في العقيدة " ³.

الدعوى (مضمرة) : وفي أهمية العلماء المصلحين في المجتمع ومكانتهم ودورهم في رقي الأمة.

نلاحظ من خلا هذه النصوص السابقة أن الشيخ الطيب العقبي قد التزم بنمطية النص العربي المكتوب وهو النمط

الآتي :

مقدمات ← دعوى ← تبرير ← تدعيم.

¹ – المرجع نفسه نفسها.

² – الطيب العقبي، متمنياي اليوم، المنتقد، ص 283.

³ – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

غير أنه أحيانا يقدم ويؤخر بين هذه الأشكال نتيجة لطبيعة الموضوع أو حالة المتلقي والمقام، فمرة يستهل النص بالدعوى (النتيجة) مثلما يكون ذلك في عناوين المقالات الواضحة الدلالة ، فتتجلى النتيجة من خلال العنوان لأن القضية لا يمكن إضمارها أو لأنها تتطلب ذلك، فلا بد من إظهارها للمتلقي.

وأحيانا تضمّن الدعوى وتضمّر، فيستعين المخاطب بالسياق ومختلف القرائن ليصل إليها.

ومن الملاحظات التي سجلناها أيضا بعد تحليلنا، أنه في النص دعوى واحدة رئيسة، وأن التدعيم هو الركيزة الأساسية واللبنة الرئيسة في المكونات الحجاجية، إذ عليه تبنى صحة الدعاوى من بطلانها، وقد نوع الشيخ العقبي من وسائل التدعيم وآلياته في جريدة " المنتقد " .

5- بنية الحجاج في المقالات من حيث وسائل التدعيم والإقناع:

يعتبر التدعيم من أهم وسائل الإقناع التي يعتمد عليها المرسل لإثبات النتيجة، إذ هو وسيلة يستخدمها الكاتب ليثبت صحة رأيه أو ما ينجح إليه من معتقدات، وهو في أغلب الأحيان أدلة وشواهد منطقية يراها المتكلم الحجر الأساس الذي تبنى عليه الدعاوى وترتكز لتحقيق مقاصد إقناعية من طرف المخاطب.

فالمرسل ينتقي من الأدلة والحجج ما يلائم موضوعه ويتناسب وحال متلقيه، باعتبار هذه الوسائل موجهة له، مما يجعلها يسيرة الولوج إلى نهي ذهنية المخاطب، فتكون بذلك أفضل الآليات والوسائل التي تعين على التأثير.

وللتدعيم ثلاثة صور هي : التدعيم بالدليل، التدعيم بالقيمة، والتدعيم بالمصادقية.

5.1: التدعيم بالدليل :

إن موقف الحجاج الأيسر والأشيع هو تقديم لإفادة تحظى بموالاتة المخاطب¹ ، وهذه الإفادة هي الدليل، وفي النص الحجاجي العربي - كما يرى محمد العبد - أنماط شتى من أهمها : أدلة تاريخية، وشواهد خاصة² .

(أ) أدلة تاريخية :

¹ - ينظر : محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 160.

² - ينظر : المرجع نفسه، ص 161.

المنتقد

يستند الشيخ الطيب العقبي في نصوصه على الأدلة التاريخية، وذلك لكونها أحداثاً ووقائع ثابتة لا تتغير ولها مجرياتها الخاصة، فهو عند كتابته لأول مقال في جريدة "المنتقد" احتج بدليل تاريخي على طول أمد المخطاط الأمة وسوء حالها وتأخرها قبل إصدار هذه الجريدة الغراء فقال: "وبالحق فقد طال على الأمة أمد المخطاطها وأصبحت في تيه تقادم عهده وما تيه بني إسرائيل فيما غبر من الزمن بشيء يذكر بالنسبة لتيهنا الذي نحن فيه والذي مضت عليه قرون و الأمة تستمر في مرعاه الوخيم، وتحسب أنها إنما تسير على الصراط المستقيم"¹.

يأتي الشيخ العقبي بهذه الحجج ليدعم النتيجة التي بني عليها الخطاب في إثبات تراجع الأمة وتيهها وتخلفها قبل انبلاج فجر جريدة "المنتقد"، فأنخطاطها وتأخرها عن مجارة الأمم الراقية فيما مضى من الزمن يضاهي تيه بني إسرائيل أو أشد منه، وهذا أمر محسوس وحدث تاريخي لا ينكره إلا غبي مكابر أو جاهر معاند أخرجه التعصب عن محجة الإنصاف والاعتراف وأفقدته الغفلة نتائج الحس ومشاعر الإدراك.

وفي مقال آخر يقول الشيخ العقبي: "وليعلم الناس كافة أن أول الناس إسلاماً وأسبقهم إلى الإيمان من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام، هم الأولى قبل ولي بهذا الاسم إذ هم السابقون الأولون والآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة تشهد لهم بهذا، فهم إذا الأولياء قبل كل واحد"².

يستدل الشيخ الطيب العقبي بحقيقة تاريخية ليثبت أحقية أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم باسم (أولياء الله

الصالحين)، وذلك لأسبقيتهم في الإسلام وأوليتهم في الإيمان، كما أن الخيرية تكون لكل من عاش في هذا القرن والذي يليه كما بين النبي صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وبهذا الزمن والشاهد التاريخي استطاع الشيخ العقبي إقناع المتلقي ببطلان دعوة هؤلاء الذين ينسبون اسم أولياء الله لمشايخهم ويعتقدون أولويتهم بهذه الصفة.

و في نص آخر يذكر الشيخ العقبي حقيقة تاريخية يرد بها على شرذمة من الرجال الخونة الذين حاولوا إسقاط الحكم المستحق والمنصف الذي أصدر في حق مدرس بلدة (سيدي عقبة) الذي أكل أموال الشعب ظلماً وعدواناً بغير موجب شرعي ولا مسوغ قانوني، فيقول: "ولو علم هؤلاء المغفلون وشركاء اللصوص المختالون المختفون أن فرنسا دولة عظيمة ردت أعظم قوة خائبة وما بالت بكبار الدول وانتهى أمرها بأن خرجت من أكبر حرب وقعت في العالم ظافرة بحر ذيل النصر والفخر... لو علموا ذلك وصدقت به قلوبهم لاستيقنوا أن دولة كهذه لا تخاف ولا ترهب (مدرس سيدي عقبة)"³. يستشهد الشيخ الطيب العقبي بهذه الحقائق التاريخية ليثبت عدم

¹ - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص 100.

² - الطيب العقبي، حول القصيدة العاشورية، المنتقد، ص 304.

³ - الطيب العقبي، يستهون الدولة ويخوفونها ولكنها لا تخشاهم، المنتقد، ص 326.

2.5 التديم بالقيمة :

القيمة " مفهوم يستخرج مما يقوله الناس ومما يفعلونه، ومما تبنيه المجادلات " ¹، وهي ذات طابع إقناعي يعتمد على المحاجج لتغيير قناعات المتلقي، لأن القيم عبارة عن معايير متفق عليها إلى حدّ الإجماع ، وهذا الاتفاق يظهر القيمة في مرتبة حجاجية لا بأس بها من حيث التديم والتعليل لأن المخاطب لا يسعه الخروج عنها، ولها معايير معتمدة كالدين (الصدق، الوفاء، الأخلاق) أو العادات والتقاليد أو الأعراف.

وفيما يلي نماذج لأهم القيم التي تضمنتها بعض نصوص الشيخ الطيب العقبي :

يقول الشيخ العقبي مبرزاً دور جريدة " المنتقد " وموافقها : " طال ما أملنا أن نرى جريدة عربية مستوفاة الشروط جامعة في سيرها وما تنوي المثابرة عليه لضروريات ماتحتاج الأمة إليه، داعية إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة آخذة العفو أمرة بالعرف معرضة عن الجاهلين " ².

يفسح الشيخ العقبي المجال أما المتلقي عندما جعله يكتشف ما تريده جريدة " المنتقد " للأمة الجزائرية من صلاح في الدين والعلم ورجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح من دعوة إلى الله، وأمر بالمعروف، وإعراض عن الجهل وأصحابه، وعن طريق تلك المعاينة وذاك الفحص يتضح للمتلقي الفرق الواضح الذي لا غبار عليه بين صحيفة " المنتقد " وباقي الصحف العربية الأخرى، وحينئذ يصل وبقناعة تامة إلى حقيقة ليس فيها هبو من الشك ولا ذرو من الريب، هي أن مجموعة القيم التي تريدها جريدة " المنتقد " في سبيل النهوض بهذه الأمة هي الأصلح والأنفع، وهذه القيم هي الإصلاح، والعلم النافع، والدعوة إلى الله وهي تدخل في مسمى واحد هو " الدين "، فهذه القيمة متعارف عليها ومقبولة عند الجميع، عندها تتحقق الفائدة والغاية المراد نقلها للمتلقي في كون مواقف وأعمال جريدة " المنتقد " هي السبيل الأوحى لإصلاح الشعب الجزائري.

ويقول الشيخ العقبي :

" كتلة أفرادها شتى وقلبها واحد، وتعمل بشعور واحد، وتسير في طريق واحدة وتعمل لغاية واحدة هي : إصلاح البلاد " ³.

¹ - محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 163.

² - الطيب العقبي، تقاريط (المنتقد)، المنتقد، ص 83.

³ - الطيب العقبي، جريدة المنتقد في نظر الكاتب، المنتقد، ص 82.

المنتقد

يود الشيخ العقبي في هذه العبارة تحفيز الشباب الجزائري على خدمة البلاد، فهو يريد أن يجعل هدف كل فرد من الأمة هو إصلاح هذا الوطن الأشم، كما أراد المتكلم أيضا إثارة الروح الوطنية في كل شاب، ولا ريب أن القيمة المتمثلة في حب البلاد في من أسى القيم التي استعان بها الشيخ العقبي للوصول إلى مقاصده الإقناعية، وقد وظف التدعيم بقيمة الوطنية فجعلها هدفا يروم الوصول من خلالها إلى نفوس الشباب ليجتهدوا في العمل حتى يعودوا بالنفع على وطنهم الجزائر.

وهناك قيمة أخرى تنتجها هذه المقولة متمثلة في قيمة الصدق والإخلاص اللذين يصدران عن الشيخ العقبي في كمال نصحه واهتمامه بأفراد الأمة، فهي قيمة تزيد في تدعيم النتيجة الكلية للنص، كما أنها قيمة متضمنة يصل إليها المتلقي فيرى في هذا القول جانب الوفاء والصدق وصفاء السريرة وحسن النية، فحينها يصل الباث إلى مبتغاه في إذعان المخاطب له.

3.5 منزلة الشخص الداعم للقيم :

إلى جانب القوة والشمولية التي تركز عليها القيمة في تدعيمها للنتيجة، هناك عامل آخر مهم هو " منزلة الأشخاص الذين يدعمون هذه القيمة " ¹.

فمرتبة المحاجج نفسه ومنزلته هي التي تعين قوة القيمة الحجاجية، لكونه يتحلى بخلال تميزه عن غيره من الناس والتي منها العلم، الورع، التقوى، والوجاهة والحكمة وغيرها، وكل هذه الأوصاف المذكورة إضافة إلى أخرى معروفة عند الناس في ما يميز الشيخ العلامة الفهامة الطيب العقبي، فهو ذو مكانة مرموقة في الأرض الجزائرية وخارجها، يشهد له بذلك الكثير من أهل العلم والفضل.

وتتجلى هذه المنزلة في قول الشيخ العقبي : " ونحن قبل إبداء رأينا الخاص في هذه القصيدة التي موضوعها مدح

اثنين من المشايخ الكرام وأولياء الله العظام حسبما هو المعتقد فيهما عند الخاص والعام، نتقدم بكلمة على وجه النصيحة إلى إخواننا بني الإسلام المحبين لكل أولياء الله المتقين وعباده المخلصين " ².

يوجه الشيخ العقبي هذه الكلمات إلى قراء جريدة المنتقد في الجزائر في قالب توعوي تحسيبي للواجب الملقى على أعتاقهم اتجاه أولياء الله الصالحين، ولا جرم أن منزلة الشيخ العقبي لا تخفى على هؤلاء القراء وغيرهم من الشباب الجزائري، فيكون ماذهب إليه الشيخ العقبي في هذا الخطاب وما قدمه من قيم لا تتعارض مع قيمهم ومصالحهم،

¹ - محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 165.

² - الطيب العقبي، حول القصيدة العاشورية، المنتقد، ص 304.

ولاسيما أن الشيخ العقبي قد أظهر منزلته وسلطته الحجاجية عندما خاطبهم بنون العظمة " ونحن قبل إبداء رأينا الخاص "، " نتقدم بكلمة إلى إخواننا "، فيتضح من خلا هذا أنه أكبر منهم قدرا، وأعلى منزلة، وأقوى علما لما يسديه إليهم من قيم ونصائح.

4.5 التدعيم بالمصادقية :

يمثل التدعيم بالمصادقية بعدا حجاجيا تبنى عليه مقاصد المخاطب وغاياته الإقناعية، ويكمن البعد الحجاجي للمصادقية في كون المحاجج قد ألزم نفسه إلزاما بكل ما جاء به في الخطاب وملتزما به في الواقع، فينبلج صدقه الذي يكون عاملا حجاجيا يصل إلى التأثير في معتقدات وسلوكيات الفرد.

خاصة إذا صدرت هذه المصادقية من متكلم له وجاهته ومنزلته عند المتلقي، وقد يستعمل المتكلم " المصادقية المباشرة"¹ ليثبت صحة ما يطرحه، أو يلجأ إلى مصادقية ثانوية غير مباشرة"² بذكر ما يراهم أقوى منه في درجة السلم الحجاجي، وما يقتضيه المقام.

أ (المصادقية المباشرة :

ومن ذلك قول الشيخ العقبي عن جريدة " المنتقد": " طالعنا العدد الأول منها فألفيناه آية في صناعة الصحافة وانتقاء المواضيع يحكي بما اشتمل عليه كبريات الصحف الشرقية، جمع فأوعى ودلّ على شجرة الخلد وملك لا يبلى يرشد إلى سلوك خطة حميدة"³.

تبرز المصادقية المباشرة عن إصدار المتكلم حكما حاسما وقرارا قطعيا يؤكد فيه تميز جريدة المنتقد وحيازتها السبق

بين زميلاتها في ممارسة الصحافة الحرة و ذلك بضمير المتكلم النون (طالعنا، فألفيناه) الذي يقصد به الشيخ

العقبي نفسه لا غير، بحيث يظهر باستخدامه لهذا الضمير في منزلة مهيبة صادقة قد أصدرت هذا الحكم عن طريق استقرائية لجميع الصحف العربية.

¹ - محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 165.

² - المرجع نفسه، ص 166.

³ - الطيب العقبي، جريدة " المنتقد " في نظر الكاتب، المنتقد، ص 84.

المنتقد

وفي النص نفسه يقول : " فإن هناك جرائد في كل لغة وعند كل أمة يصح أن نعب عنها بأنها كشكول شحاذ يجمع بها اللقمة واللقمتين من كل أحد ويقف متسولا على باب كل أحد فنراها، لهذه الغاية تتسارع إلى نشر أسماء كل من ولد أو مات أو نكح أو توظف أو حلّ أو ارتحل"¹.

يشن الشيخ العقبي في هذا المقال حربا كلامية حامية الوطيس لا تبقي على الجرائد الاستغلالية الجشعة ولا تذر عن طريق اختيار تدعيمه لكل هذه الحجج بمصدقية مباشرة متمثلة في " نحن "، فكلها قرارات تدك وتهدم عرشا من عروش الجرائد الفاسدة في الجزائر.

ويقول في نص آخر : " يجوز لي اليوم أو بالأحرى يستحب إن لم أقل يجب عليّ أن أكتب في جريدة " المنتقد " الغراء مقالات دينية وأنشر لأفراد الأمة إرشادات إسلامية متكلمة بلسان العلم الصحيح على صفحات أعدادها المتتابعة (إن شاء الله) "².

تتضح المصدقية المباشرة بشكل جلي بحيث يلزم نفسه بالكتابة في جريدة " المنتقد " خدمة لهذه الأمة من نواح دينية شتى تنم على غزارة علمه وسعة تضلعه في أمور الشريعة ، فما على أفراد الأمة إلا الإقبال على نشرها واقتنائها والاطلاع على أعدادها الذهبية.

ب) المصدقية غير المباشرة :

وهي التي تكون بدمج مصداقية شخص آخر، أو هيئة معينة لها منزلة أقوى من منزلة المتكلم، أو لأن المقال يقتضي ذكر هذه المصدقية خاصة.

وفي هذا يقول العقبي : " وهم بؤرة الفساد وسبب إهلاك البلاد والعباد، ومن أين لهم فهم سر تلك الحقائق وهو الداخولون تحت حكم قول الله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ قُلُوبًا فَذَرِكُمْ إِنَّهَا خَلْقٌ لَّغِيثٌ﴾"^{٤٤١}.

وقد حدّرتنا المرشد الأعظم صلى الله عليه وسلم منهم بقوله : " سيكون في أمّتي دجالون كذابون يأتونكم ببعد من

الحديث لم تسمعوه أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يفتنونكم "¹.

¹ - الطيب العقبي، جريدة " المنتقد " في نظر الكاتب، المنتقد، ص 85.

² - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، ص 99.

المنتقد

يحذر الشيخ العقي من خطر أهل البدع، ويذكر أنهم سبب فساد البلاد والعباد، ثم يتحدث عن شيء مهم غير هذين الأمرين جاء به في الحديث الذي ذكره عن النبي عليه الصلاة والسلام، (دجالون كذابون يأتونكم ببدع من الحديث لم تسمعوه أنتم ولا آباؤكم)، وفي استعمال هذه المصدقية غير المباشرة دلالة عن أن الشيخ العقي قد رأى فيها قوة حجائية وإقناعية لم يجدها في كلامه هو خاصة، وأن هذا الكلام موجه لهؤلاء المبتدعة الضالين الذين تناسوا بأن بعملهم ذاك يضاؤون الدجال في تغليب الناس وفتنتهم.

ومن خلال هذه النماذج يمكننا أن نستشف ونستنبط ما يأتي :

- 1 - يتميز الشيخ العقي بقدرة إقناعية هائلة وكفاءة حجائية عالية.
- 2 - يعتمد في تدعيماته على سلطة أقوى منه حجائيا هي القرآن والسنة ثم الحقائق التاريخية.
- 3 - صيته مناسب لهذا الجنس من الخطاب والنصح والتوجيه والنقد، فهو يتميز بمنزلة مرموقة في أوساط المجتمع الجزائري، وهو عالم جهيد متضلع في جميع العلوم.
- 4 - وصاحب هذه المقالات (الشيخ الطيب العقي) رجل، ويميل الناس إلى تصديق الرجال أكثر من قابليتهم لتصديق الجنس الآخر.
- 5 - يقدم الشيخ العقي إفادة عن نفسه مستقاة من تجاربه الخاصة تشكل زيادة في مصداقية وقابلية خطابه.
- 6 - الهدف من هذه النصوص توجيه الأمة بتصحيح عقائدها وأحوالها وتثقيفها، ولا مجال فيها لإظهار النصر على مناوئ مجادل أو مناوئ، بحيث يتوفر فيها عامل النية الحسنة، مما يجعلها ذات مصداقية ومقبولية عند المتلقين.
- 7 - يستند صاحب المقالات على قيم لها علاقة بالواقع الذي يعيشه المتلقي.
- 8 - جودة تنظيم الخطاب تزيد في المصدقية² وهي الميزة الموجودة بكثرة في نصوص الشيخ الطيب العقي.

المبحث الثاني : القياس المنطقي ودوره في الإقناع :

1 - القياس المنطقي :

يعتبر القياس المنطقي أبرز ركيزة في الخطاب الحجائي، لأنه القول العام الذي يؤدي إلى إثبات مسائل وقضايا

¹ - الطيب العقي، الدين والاجتماع ، ص 102.

² - ينظر : محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 161.

جزئية، فينشأ من مقدمتين ونتيجة، فالقياس المنطقي آلة من آلات الربط بين الأقوال بطرق دلالية، بحيث تصير الأقوال مرتبطة ببعضها البعض مفضية إلى نتيجة محددة مقصودة من طرف المتكلم، وهو " أحد طرق الاستدلال غير المباشر وأقومها إنتاجاً"¹ ويرى ابن وهب (ت 335هـ) أن القياس عند المناطقة لا يحدث إلا عن مقدمتين لأحدهما بالأخرى تعلق² وعليه يكون القياس المبني على المقدمات كالاتي :

- كل مضر بالصحة والبدن حرام.

- الدخان أثبتت الدراسات العلمية أنه مضر بالبدن.

- الدخان حرام.

فلهذه البنية ثلاثة أقوال : القول الأول هو المقدمة المنطقية الكبرى، الثاني هو المقدمة المنطقية الصغرى، والثالث هو النتيجة التي يستنتجها المخاطب سواء كانت مذكورة أو متضمنة وتكمن وظيفته القياس المنطقي في " الانتقال مما هو مسلم به عند المخاطب - أي المقدمة الكبرى- إلى ما هو مشكل أي نتيجة"³، ليكون الانتقال من قبل المستمع لكونه في قمة التركيز في محاولة الوصول إلى الاستنتاج.

ومن أمثلة القياس المنطقي في مقالات الشيخ الطيب العقي ما قاله : " ولك الحق أيضا أن تقول : لا خير فيمن خالفت أقواله أفعاله، وبدل وغير في برناجه وما أعلنه أول الأمر عن صحيفته وكلنا معك في هذا الرأي، من كان كذلك فهو ليس من رجال الصحافة وليت صحيفته عند أهل هذا الفن بصحيفة كاملة..."⁴ ويمكن تصوير القياس المنطقي كالاتي :

المقدمة الكبرى ← لا خير فيمن خالفت أقواله أفعاله.

المقدمة الصغرى ← وبدل وغير في برناجه وما أعلنه أول الأمر في صحيفته.

النتيجة ← من كان كذلك فهو ليس من رجال الصحافة وليست صحيفته عند أهل هذا الفن بصحيفة.

¹- عبد الرحمن حينكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، ط6، 2002 ص 227.

²- ينظر : ابن وهب (أبو الحسن)، البرهان في وجوه البيان، ص68.

³- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 170.

⁴- الطيب العقي، رد يصادف محله، المنتقد، ص215.

المنتقد

فمن خلال هذا الترتيب المنطقي للحمل والدلالات يظهر عدم صدق الصحافي الناقد للصحف العربية و عدم التزامه بالمبادئ المعلن عنها في ميدان الصحافة، وكذا تمثيله السيء لهذه المهنة .

وفي مثال آخر يقول الشيخ العقيي : " عمم جناب الكاتب الحكم ولم يخص، ودلّ كلامه على أنه ممن عرف الشرق والغرب ومارس صناعة الصحافة بهما وستر اسمه تحت إمضائه متعب، وبما أن هذه الصفات تنطبق على أنا الآخر لست بمتعجب مما تعجب منه، وحيث لي أصدقاء بالبلاد الشرقية أكثر منهم هنا فيني أخشى أن يسبق إلى أذهانهم أي أنا صاحب ذلك التوقيع والحكم الغريب ضد الصحافة العربية " ¹. ويكون الترتيب المنطقي في هذا القول كالآتي :

(مقدمة كبرى) ← عمم الكاتب الحكم ودل كلامه على أنه ممن عرف الشرق والغرب ومارس الصحافة بهما وستر اسمه تحت إمضائه.

(مقدمة صغرى) ← لي أصدقاء بالبلاد الشرقية أكثر منهم هنا.

(نتيجة) ← أخشى أن يسبق إلى أذهانهم أي صاحب التوقيع والحكم الغريب ضد الصحافة العربية.

ويقول أيضا : " اسمح لي فيني إلى الآن لم أتخذك شيخا، إذا فأنا لست عاقا لشيخني ولا مسيئا للأدب إذا قلت لعلكم بما ذكرتموه من هذه العبارة أردتم أن تفهمونا معنى قولهم (هذا عمل باليد) وتشرحوا لنا مثل الفقهاء (زناه وحدّه) " ².

(مقدمة كبرى) ← لم أتخذك شيخا.

(مقدمة صغرى) ← قلت أردتم أن تفهمونا معنى قولهم (هذا عمل باليد) وتشرحوا لنا مثل الفقهاء (زناه وحدّه).

(نتيجة) ← لست عاقا لشيخني ولا مسيئا للأدب.

في هذه المقالة كلها يرد الشيخ العقيي عن الصحافي الحاكم على الصحف العربية بالخيبة وعدم الإتيان من وجودها للأمة بفائدة، وجاء حكمه الجائر ذاك بعد رؤيته لما تقدمه هذه الجرائد من مجهودات جبارة بغية إصلاح أفراد

¹ - الطيب العقيي، رد بصادف محله، المنتقد، ص 214.

² - المرجع نفسه، ص 218.

المنتقد

الأمة ونشر منهج سلف الأمة ومحاربة البدع وأهلها، ولا غرو من تهجمه الباطل على هذه الصحف التي جاءت مخالفة لمشربه الصوفي، فرجال الإصلاح لا يشربون من هذا المورد ويتحامون الورود من منهل الخالص، لذلك تفتن الشيخ العقبي لقصدية الصحافي الطاعن ونيته الخبيثة في إسقاط الصحف العربية، وراحياً بهذه القياسات المنطقية المتمثلة في تبرئة الصحف العربية من افتراءات هذا الكاتب الزائف.

وفي ميدان النقد والرد يقول الشيخ العقبي مظهراً إعجابه بالرد العلمي المؤصل: " كل من شاء الرد على كلامي وودّ المناقشة معي فإني لأشكره متى كان ردّه علمياً غير خارج عن آداب المناظرة وطرق المحاججة، أما من يرمي الكلام على عواهنه ويلقي به جزافاً دون تعيين الغرض المراد منه ولا شرح الجمل التي لم ترق لديه فحاول الرد عليها، فإني أهنأ بما يقوله وأعدّ ما تفوّه به من فضول الكلام ولغو الحديث"¹.

(مقدمة كبرى) ← شكر الكاتب لأصحاب الردود العلمية غير الخارجة عن آداب المحاججة.

(مقدمة صغرى) ← رمي الكلام على عواهنه دون تعيين الغرض منه ليس من آداب المحاججة.

(نتيجة) ← استهزاء الكاتب بمن يرمي الكلام على عواهنه ويلقي به جزافاً واعتباره من لغو الحديث.

وفي تحديد من أحق الناس باسم " أولياء الله الصالحين " يقول: " وليعلم الناس كافة أن أول الناس إسلاماً وأسبقهم إلى الإيمان من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام، هم الأولى قبل كل ولي بهذا الاسم إذ هم السابقون الأولون والآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة تشهدوا لهم بهذا"². ويكون القياس المنطقي على النحو الآتي:

(مقدمة كبرى) ← أول الناس إسلاماً وأسبقهم إيماناً هم الأولى باسم الولي.

(مقدمة صغرى) ← أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هم السابقون الأولون.

(نتيجة) ← أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هم الأولى قبل كل ولي بهذا الاسم.

ويقول في تأكيده على قوة الدولة وعدم خشيتها من مدرس (قرية سيدي عقبة) و أعوانه: " ولم يعلم هؤلاء الأغبياء أن الدولة لا تخشاهم ولا تحسب لهم ولا لشيخهم أقل حساب مهما بلغت قوتهم ومهما كان تعصبهم لهذا الشيخ شديداً...ولو علم هؤلاء المغفلون وشركاء اللصوص المختالون المختفون أن فرنسا دولة عظيمة ردت

¹ - الطيب العقبي، إعلان، المنتقد، ص 310.

² - الطيب العقبي، حول القصيدة العاشورية، المنتقد، ص 304.

المنتقد

أعظم قوة خائبة وما بالت بكبار الدول وانتهى أمرها بأن خرجت من أكبر حرب وقعت في العالم ظافرة تجر ذيل النصر والفخر¹. ويكون شكل الحجاج بطريق القياس المنطقي كالاتي :

(مقدمة كبرى) ← فرنسا ردت أعظم قوة خائبة وما بالت بكبار الدول.

(مقدمة صغرى) ← مدرس (سيدي عقبة) وأعوانه أضعف من كبار الدول التي شاركت في الحرب.

(نتيجة) ← فرنسا لا تخاف ولا ترهب (مدرس سيدي عقبة) وأعوانه.

ومن خلال تحليلنا لهذه النماذج يمكننا القول إن القياس المنطقي من أهم الوسائل التي يمكن للمحاجج الاعتماد عليها في نصه، وقد تتناثر أقوال القياس وتوزع على أكثر من فقرة في النص، ولا يشترط أن ترد مجتمعة، ومن هنا يبدأ دور المتلقي في اكتشاف هذه الاستنتاجات عن طريق الربط بين المقدمات.

2 - القياس المضمّر :

إن من أنواع القياس " القياس الإضماري " وهو الذي تحذف فيه إحدى المقدمات الكبرى منه أو الصغرى لظهور دلالة على حذفها²، وما كان الحذف ليقع إلا لوجود ما يبنى عليه فهو محذوف معلوم مطوي في الكلام مثوي فيه³، وعدم ذكر إحدى المقدمات لا يقلل من الطاقة الإقناعية الاستدلالية لهذا النوع من القياس، يقول الغزالي (ت. 505هـ) : " بل ينبغي أن تكون عين عقلك مقصورة على المعنى، موجهة إليه لا إلى الأشكال اللفظية، فكل قول أمكن أن يحصل مقصوده ويرد ما ذكرناه من القياس فقوته قوة قياس، وهو حجة"⁴.

ومن أمثلة القياس الإضماري في نصوص الدراسة ما يأتي: قوله " ونقاوم كل معوج من الأخلاق وفساد من العادات ونحارب على الخصوص البدع التي أدخلت على الدين الذي هو قوام الأخلاق فأفسدته وعاد وبال ذلك الفساد علينا فتأخرنا من حيث يكون تقدمنا وسقطنا بما لا نرتفع إلا به لما شوهناه بإدخال ما هو ضده عليه"⁵.

تؤدي هذه الأقوال المصرح بها إلى :

1 - البدع سبب فساد الدين والتأخر.

¹ - الطيب العقي، يسترهبون الدولة ويخوفونها ولكنها لا تخشاهم، المنتقد، ص 327.

² - ينظر : الغزالي أبو حامد، معيار العلم في المنطق، تح سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1961، ص 178.

³ - محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، (د، ط)، (دت)، ص 338.

⁴ - الغزالي أبو حامد، المرجع السابق، ص 177.

⁵ - الطيب العقي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص 99.

2- البدع من الأخلاق المعوجة.

فبالتالي يمكننا القول بأنه " كل ما يؤدي إلى الفساد والتأخر من الأخلاق المعوجة " .

ويكون القياس المضمّر كالآتي :

(مقدمة كبرى محذوفة) ← كل ما يؤدي إلى فساد الدين والتأخر من الأخلاق المعوجة.

(مقدمة صغرى) ← ينتج عن البدع فساد الدين والتأخر.

(النتيجة) ← البدع من الأخلاق المعوجة.

وهناك استنتاجات أخرى مضمنة في هذا القياس هي :

- إعراض أفراد الأمة عن السنة بسبب البدع.

- استشرء الجهل بسبب إعراض أفراد الأمة عن السنة.

- اندفاع أفراد الأمة إلى الشرك والضلالات.

إن هذا الحذف الذي نشأ عن حذف المقدمة الكبرى وبعض النتائج، يفرض على المتلقي تقديره لهذا المحذوف، فيفتح المجال لنفسه للتدبر في دلالات المعاني واستنباطها فيكون ذلك أوقع في نفسه، لأنه من صنعه واكتشافه.

ويقول الشيخ العقبي : " ولكن بعد أن راجعناه الكلام وقلنا له كان الواجب أن يحفظ العون اسم الجريدة أو على الأقل تكون مكتوبة عنده حتى لا يقع في مثل هذا الغلط الذي عطلم به سير الجريدة لأني أردت أن أطلب منها نسخا كثيرة للبيع وبعملكم هذا عدلنا عن ذلك الطلب"¹.

من خلال هذه البنية السطحية الظاهرة نرى أن :

- العون لم يحفظ اسم الجريدة ولم يكتبها عنده.

- وبذلك وقع في مثل هذا الغلط الذي عطل به سير الجريدة.

ويكون القياس المضمّر على الشكل الآتي :

(مقدمة كبرى محذوفة) ← يجب على العون أن يحفظ اسم الجريدة أو يكتبها عنده.

¹ - الطيب العقبي، قضية جريدة " المنتقد " والصحف العربية، المنتقد، ص 238.

(مقدمة صغرى مذكورة) ← لم يحفظ العون اسم الجريدة ولم يكتبها عنده.

(النتيجة) ← وقع في الغلط وعطل سير الجريدة .

- 3 القياس المتدرج :

القياس المتدرج - شأنه شأن القياس المنطقي - يعتبر شكلا من أشكال تعيين و تحديد العلاقات المنطقية الدلالية بين الأقوال وما تعبر عنه من مسائل و قضايا، إنه امتداد معقد للتعليل القائم على القياس المنطقي وذلك بأن تتصل بعض مجموعات القياسات المنطقية ببعض حتى تؤدي إلى نتيجة هي المقدمة الكبرى لنتيجة أخرى لاحقة¹.

وسنحاول أن نحلله ونفسره عن طريق المثال الذي ضربه محمد العبد في كتابه " النص والخطاب والاتصال " والذي كان كالآتي²:

- كل المساييرين للموضة متحررون من القيود.

- كل المتحررين من القيود مززعجون.

- كل المززعجين مرضى عقليا .

- كل المرضى عقليا في حاجة إلى التعاطف.

- كل المساييرين للمرضى في حاجة إلى التعاطف.

يلاحظ من خلال هذه الأقوال ارتباط محكم بين المقدمات والنتائج، ويمكن القول إن النتيجة في هذه الأقوال عبارة عن مقدمة كبرى لقياس آخر فيكون شكل القياس المتدرج كالآتي :

- (مقدمة كبرى معلنة) ← كل المساييرين للموضة متحررون من القيود.

- (مقدمة صغرى) ← كل المتحررين من القيود مززعجون.

- (النتيجة) ← كل المززعجين مرضى عقليا.

¹ - ينظر : محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 164.

² - ينظر : المرجع نفسه، ص 225.

المنتقد

- (مقدمة كبرى) ← كل المزعزين مرضى عقليا.

(مقدمة صغرى) ← كل المرضى عقليا في حاجة إلى التعاطف.

(نتيجة) ← كل المساييرين للموضة مرضى عقليا وفي حاجة إلى التعاطف.

وإذا ما فتشنا في جريدة "المنتقد"، وبجثنا عن القياس المتدرج في مقالات الشيخ الطيب العقي، ألفينا أنه ظهر في قوله: " إذ الأعمال إنما هي نتائج العقائد، تصلح بصلاحتها وتفسد بفسادها، وقد فسدت العقائد عند أكثر الناس ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها، فإلى الدين الخالص، إلى العمل الصحيح، إلى عمل السلف الصالح"¹ ويكون القياس المتدرج في هذا المثال على النحو الآتي :

(مقدمة كبرى 01) ← الأعمال نتائج العقائد ← معلنة.

(مقدمة صغرى) ← الأعمال تصلح بصلاح العقائد وتفسد بفسادها ← معلنة.

(نتيجة) ← وجوب تعلم العقيدة الصحيحة لأنه لا تصلح الأعمال إلا بها ← مضمنة مقدمة كبرى 02



قياس مضمّر محذوف المقدمة الكبرى.

(مقدمة كبرى محذوفة 02) ← وجوب تعلم العقيدة الصحيحة لأنه لا تصلح الأعمال إلا بها.

(مقدمة صغرى) ← ولن يصلح أول هذه الأمة إلا بما صلح أولها

(نتيجة) ← عقيدة سلف الأمة صحيحة ← معلنة



قياس منطقي معلن المقدمة الكبرى.

(مقدمة كبرى ظاهرة 03) ← وجوب تعلم العقيدة الصحيحة .

¹ - الطيب العقي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص 103.

المنتقد

(مقدمة صغرى) ← صلاح عقيدة أول الأمة.

(نتيجة) ← وجوب تعلم العقيدة الصحيحة من سلف الأمة الأول.

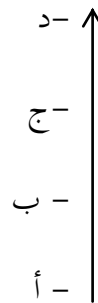
فالاستنتاج الكلي لهذا القياس المتدرج هو القول الأخير " وجوب تعلم العقيدة الصحيحة من سلف الأمة الأول " .

المبحث الثالث : السّلام الحجاجية في مقالات الشيخ الطيب العقبي .

إن الطاقة الإقناعية للسّلام الحجاجية تتولد عن طريق تلك التراتبية في تجاوز الحجج والقضايا جنباً إلى جنب، حيث يرتبها المرسل من الجهة الأدنى إلى الجهة الأعلى في سلمية منطقية تتطور شيئاً فشيئاً، تُيسر له الولوج إلى نفسية المتلقي فتتحقق غاياته المنشودة ومقاصده المحمودة.

ويمكن أن نرّمز للسّلم الحجاجي بهذا الشكل الآتي :

- ن



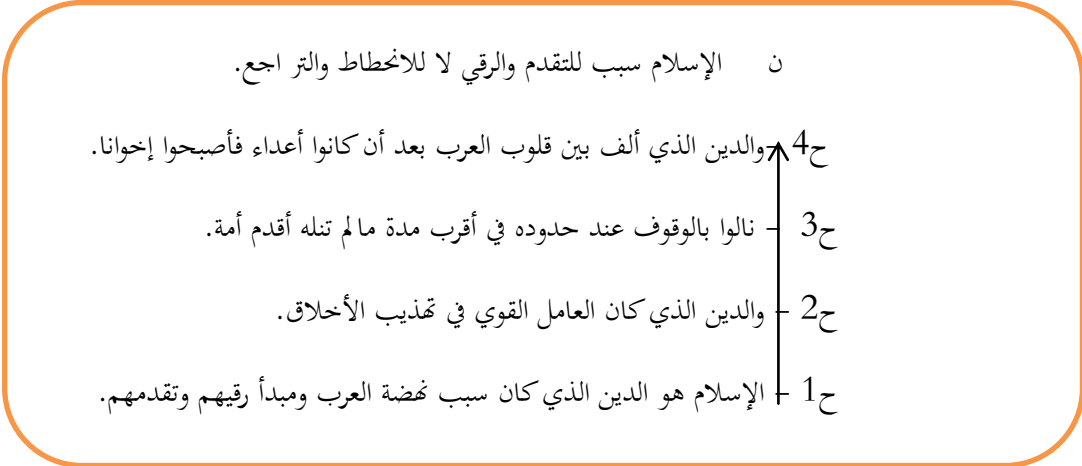
بمبحث ن (تساوي بالرمز) النتيجة، " أ " و " ب " و " ج " و " د " حجج و أدلة تخدم النتيجة " ن " .

والمرسل هنا هو الشيخ الطيب العقبي الذي يحاول بكل ما أوتي من قدرة إقناعية وقوة بلاغية حجاجية أن ينهض بشأو الشعب الجزائري وطموحه وينشر بذور الإصلاح في كامل ربوع الجزائر، حيث يقول : " والحقيقة عند كل عاقل أن الدين الذي كان سبب نهضة العرب ومبدأ رقيهم وتقدمهم ذلك التقدم الذي يغبطه الأولون والآخرين. والدين الذي كان العامل القوي في تهذيب أخلاق الكمال ونالوا بالوقوف عند حدوده والالتزام بأوامره في أقرب مدة وأقصر زمان ما لم تنله أقدام أمة وجدت على ظهر البسيطة حتى اليوم، والدين الذي ألف بين قلوب العرب بعد أن كانوا أعداء فأصبحوا إخواناً ما كان ولن يكون أبداً سبباً للانحطاط والرجوع بمعتقديه إلى الوراء بعد ذلك التقدم السريع " ¹.

¹ - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص 101.

المنتقد

يأتي هذا النص بعنوان (الدين والاجتماع)، يتحدث فيه الشيخ الطيب العقي عن المنزلة العظيمة للإسلام ودوره الجبار في رقي الأمم والسير بها في مضمار التقدم والازدهار، والشيخ العقي يريد من خلال هذا المقال أن يظهر للمتلقي - الجزائري - سماحة الإسلام وموطهارته من كل رجس وعبث، خاصة في خضم الادعاءات الباطلة الشنيعة التي أطلقتها بعض الأمم في حق الإسلام وذلك بإضافة كل معالم التخلف والانحطاط إليه، وسنمثل لهذه الأقوال بالشكل الآتي لنقف على تراتبيتها و درجة إقناعها :



إذا تأملنا في هذه الأقوال نجد الشيخ العقي انطلق من مقدمة يتفق عليها جميع الناس في كون دين الإسلام سبب نهضة العرب ومبدأ رقيهم وتقدمهم ذلك التقدم الذي يغبطه الأولون والآخرون، مما يجعل المتلقي يخضع وينصاع تدريجيا لكفة الإسلام، حيث يعلم أن الإسلام منتجع الرخاء ودار الارتقاء، ثم ينتقل به إلى درجة أخرى وهي أن الإسلام يمثل العامل القوي في تمحيص سلوك الإنسان وتهذيب أخلاقه، ليرتقي به إلى درجة أخرى وهي حقيقة تاريخية لا مفر منها، في كون الأمة الإسلامية نالت بالوقوف عند حدود الشريعة وتعاليمها في أقرب مدة ما لم تنهله أعتق أمة على أديم الأرض.

وتكون الحججة الأعلى هي الحججة الأقوى في دلالتها على روحانية الإسلام وسماحته، فتأخي شعوب العرب وتآلف قلوبهم كان عن اقتناع ورحابة صدر لا عن إكراه ومضض، وتقوى قيمة هذه الحججة في اختياره لعبارة "بعد أن كانوا أعداء"، لأن الائتلاف بعد عداوة لا يقدر عليه إلا دين الإسلام .

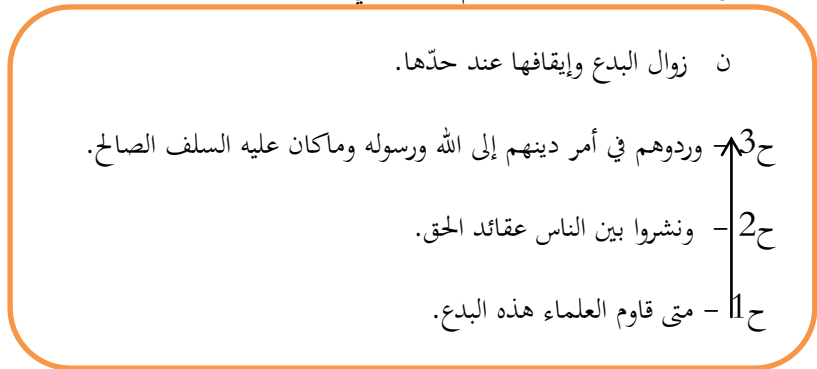
المنتقد

ويذكر الشيخ العقبي في هذا المقال حديثاً عن دور العلماء في القضاء على البدع ودحضها، ويوضح السبل الكفيلة بإزالتها ودحرها فيقول: " أما أنا فإني لا أزال أعتقد أن العلماء متى قاوموا هذه البدع ونشروا بين الناس عقائد الحق وردوهم في أمر دينهم إلى الله ورسوله وما كان عليه السلف الصالح زالت أو على الأقل أوقفت هذه البدع عن حدها"¹

يبدأ الشيخ العقبي حديثه بإبراز الدور الذي لابد للعلماء القيام به والمتمثل في مقاومة البدع ومجابهتها وضرورة نشر عقائد الحق بين الناس، وهذه المقدمة التي استهل بها عبارته هذه تجعل المتلقي يستنتج منذ الوهلة الأولى الدواء الناجع للقضاء على الشبه والضلالات، ثم يضيف الشيخ العقبي في هذه العبارة قضية تحكم بإيقاف هذه البدع عن حدها وإزالتها وهي العودة بالناس في أمر دينهم إلى الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة .

فهنا يدرك المتلقي أن استشرء البدع في الجزائر كان بسبب غزو الجهلة المتفقيهن، ولا شك أنه داء عارض يزول بزوال أسبابه.

وسنمثل لهذه الأقوال بهذا السلم الحجاجي :



و يورد الشيخ العقبي مثالا آخر يظهر فيه واجب الصحافة الحقيقي الذي ينبغي أن تتوخاه وتبتغيه، فيقول: " نعم للصحافة واجب تتوخاه وتبتغيه، ومحور حق لها ألا تدور إلا عليه، فواجبها أن تسير بصدق وإخلاص، تتجافى عن مواقع التهم وتنهج منهج أهل الشرف والهمم، وشرطها الأساسي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجانبة الأطماع ومحاربة أهل الأهواء والأطماع والابتداع، وأن يكون همها السير في طريق الإصلاح لا العمل على كسب الدرهم واجتلاب الفلس"²

¹ - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، ص 103.

² - الطيب العقبي، جريدة " المنتقد " في نظر الكاتب، المنتقد، ص 85.

إن معظم الصحف التي كانت إبان الاحتلال الفرنسي لها نزعة انتفاعية استغلالية خاصة تلك التي كان أصحابها حزبيين مبتدعين لا ينتمون إلى جمعية العلماء المسلمين ولا ينهلون من معينهم العذب الزلال الصافي، لذلك عمد الكاتب في هذا النص إلى تقرير الشروط التي ينبغي أن تلتزم بها كل صحيفة حتى يتسنى لها تأدية واجبها على الوجه المشروع، فالمتكلم في هذا القول يضع أما كل صحافي وكاتب سلم المبادئ الصحافية التي قاعدتها الصدق والإخلاص، النأي عن مواقع التهم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محاربة أهل الأهواء والابتداع، وأخيرا السير في طريق الإصلاح لا العمل على كسب الدرهم، ويمكننا توضيح كل ذلك في هذا السلم الحجاجي الآتي :

ن واجب الصحافة الحقيقي .

ح5- السير في طريق الإصلاح لا العمل على كسب الدرهم واجتلاب الفلس.

ح4- محاربة أهل الأهواء والابتداع.

ح3- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ح2- تتجافى عن مواقع التهم وتنهج منهج أهل الشرف.

ح1- واجبها أن تسير بصدق وإخلاص.

الواجبات هي ينال لقب الصحافي الحقيقي .

غني أن ترتديه كل صحافة كي تعلق في الإقبال على هذه الحقوق والقيام بهذه

قوانين السلم الحجاجي :

وضع " طه عبد الرحمن " قوانين للسلم الحجاجي تظهر قوته الإقناعية من خلال العلاقة المنطقية التي تجمع بين تراتبية القضايا والحجج، وهي ثلاثة : " قانون الخفض " و " قانون تبديل السلم " و " قانون القلب "، وسنحاول مقارنتها على السلم الحجاجية المختارة في الدراسة لنقف على أبعادها الحجاجية.

1 - قانون الخفض :

ومقتضى هذا القانون " أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها " ¹.

يقول الشيخ العقبي : " والحقيقة عند كل عاقل ان الدين الذي كان سبب نفضة العرب ومبدأ رقيهم وتقدمهم ذلك التقدم الذي يغبطه الأولون والآخرون. والدين الذي كان العامل القوي في تهذيب أخلاق الكمال ونالوا

¹ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 277.

المنتقد

بالوقوف عند حدوده ما لم تنله أقدام أمة وجدت على ظهر البسيطة حتى اليوم، والدين الذي ألف بين قلوب العرب بعد أن كانوا أعداء فاصبحوا غخوانا ما كان ولن يكون ابدا سببا في للانحطاط والرجوع بمعتنقيه إلى الوراء بعد ذلك التقدم السريع"¹.

وسنمثل لهذا القول بسلم حجائي مثلما مر معنا، ونضيف عليه قانون الخفض، على النحو الآتي :

ن الإسلام سببا للتقدم والرقى لا الانحطاط والتراجع.

والدين الذي ألف بين قلوب العرب	و الدين ما ألف إلا بين قلوب العرب.
ونالوا بالوقوف عند حدوده ما لم تنله أقدام أمة	ولم ينالوا بالوقوف عند حدوده ما نالته أقدام أمة.
والدين كان العامل القوي في تهذيب الأخلاق	والدين لم يكن إلا عاملا قويا في تهذيب الأخلاق.
الدين الذي كان سبب نهضة العرب ومبدأ رقيهم	الدين الذي لم يكن إلا سبب نهضة العرب و رقيهم.

يظهر هذا السلم الحجائي لقانون الخفض أقوالا منفية، لكن ما نراه عبر النفي للأقوال أن قوتها الحجائية مازالت موجهة لصالح الإسلام، فالمثال الأعلى درجة في هذا السلم يظهر عدم تأليف الإسلام لقلوب كل الأجناس البشرية عدا العرب منهم، وهذا أمر صحيح لأن الشعوب الأخرى الأعجمية لا تعتنق الإسلام و لا تنقاد لأحكامه وتعاليمه وبالتالي لن يتحقق بين أفرادها الائتلاف بل العداوات والاختلاف، ثم إنّ نفينا لعدم تأليف الإسلام للقلوب لم يكن نفيا بالكلية، وإنما هو نفي جزئي يخص كل من لم يلج الإسلام إلى قلبه.

ونفينا للإسلام في كونه لم ينال الناس بالوقوف عند حدوده ما لم تنله لأقدام أمة ، أيضا حجة تستخدم لصالحه، لأنه يستلزم أن المسلمين الذين كانوا وقّافين عند حدوده لم ينالوا المقدار الذي نالته أمة على أديم الأرض، بل نالوا الأكثر والأعظم وتحصلوا على الكم الهائل الذي لا يحصى ولا يعد.

لهذا يكون في نفينا لهذه الأقوال الحجج تتوجه بقوتها لتخدم النتيجة الأولى في كون الإسلام دين القدم والرقى لا الانحطاط والتراجع.

2 - قانون تبديل السلم :

¹ - الطيب العقي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص 101.

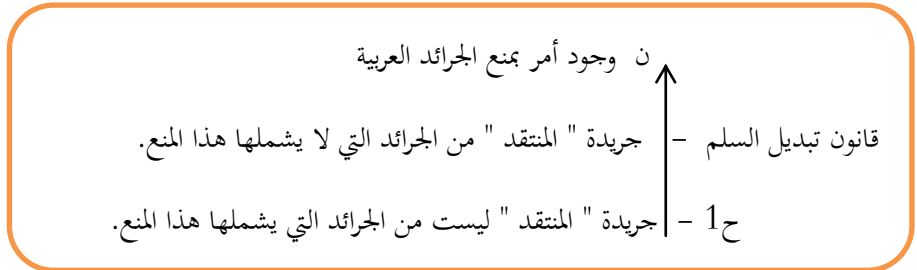
المنتقد

ومقتضى هذا القانون الثاني : " أنه إذا كان القول دليلاً على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله"¹، ولكن قوة النفي تترتب ترتيباً عكسياً، إذ إن نفي ما يقع في أدنى السلم، هو نفي أقوى لمدلول الخطاب².

ونلمس هذا في قول الشيخ الطيب العقبى : "فقال ورد أمر من الولاية العامة بمنع جولان جرائد عربية وفرنسية ولكن علمنا بعد البحث أن جريدة "المنتقد" ليست من الجرائد التي يشملها هذا المنع فخذوها وناولنا الجريدة متوب عليها ما سبقت الإشارة إليه فأخذناها منه"³.

إن تطبيق قانون "سلم التبدل" على هذا القول يقتضي منا نفي الجملة الأبرز في السلم الحجاجي والتي تظهر في قوله (جريدة "المنتقد" ليست من الجرائد التي يشملها هذا المنع)، وبنفيها يتحقق نفي لمدلول الخطاب مع الحجج الأخرى.

فنقول : بما أن الجملة منفية في الأصل فيكون نفيها عن طريق إثبات ضدها، فتكون الجملة كالاتي : (جريدة "المنتقد" من الجرائد التي يشملها هذا المنع)، إلا أن هذه الجملة تستلزم بالضرورة نتيجة مفادها: وجود أمر بمنع الجرائد العربية، وعليه يكون هذا النفي موجهاً لخدمة النتيجة نفسها، ويمكن أن نوضح هذا بسلم حجاجي:



3 - قانون القلب :

ومقتضى هذا القانون : "أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التبدل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التبدل على نقيض المدلول"⁴، وسنوضح هذا القانون من خلال نص الشيخ العقبى

503.

ن ظهور جريدة "المنتقد" وتطورها.

ح2 - فأيقنوا أنه سيكون بدركم أبا مجموعة الكواكب.

ح1 - إن كان هذا هو هلالكم.

الذي يقول فيه : " ولكن نقول للنخبة الجزائرية إن كان هذا هو هلالكم فأيقنوا أنه سيكون بدركم أبا لمجموعة الكواكب وأكبر مادة تتولد منها شمس الحقائق " ¹ ، ونمثل لهذه الأقوال بهذه السلمية الحجاجية :



إن تشكّل جريدة " المنتقد " بدرا كاملا ووصولها إلى درجة الكمال يستدعي ظهور هلالها أولا، وهو دليل أقوى على مقدرتها العلمية وكفاءتها وتطورها الإيجابي، في حين أن عدم ظهور أول عدد من الجريدة يثبت عدم ظهور بقية الأعداد وانتفاء استمرارية الجريدة في الصدور وهو أقوى حجة على عدم كفاءتها العلمية.

وبعد تطرقنا إلى بعض الألوان الحجاجية في مقالات الشيخ العقبي المتعلقة بشكل بناء الحجج وهيكلتها ، ألفينا أنها تضاهي إلى حد ما بنائية النصوص والمقالات العربية، مع بون ضئيل واختلاف بسيط يظهر أسلوب الشيخ العقبي في الكتابة، وقد نوع المتكلم بين أنواع التدعيم وأشكال الأقيسة المنطقية، كما اعتمد على سلمية وهرمية منطقية في تصنيف الحجج من الحجة الأدنى إلى الحجة الأقوى في التدليل على فكرته ، وكل هذه الآليات والأفانين تدخل ضمن الوسائل شبه المنطقية التي تفضي إلى الإقناع، لكن هل هذه الوسائل كافية وحدها لتشكيل فعل الإقناع، أم هناك ألوان حجاجية أخرى تتضافر وتتماهى معها ؟ فهذا ما نود الإجابة عليه في الفصل القادم.

¹ - الطيب العقبي، جريدة " المنتقد " في نظر الكاتب، المنتقد، ص 84.

المبحث الأول : الصور البيانية بين الإمتاع و الإقناع في مقالات الشيخ الطيب العقبى*

1- التشبيه و خصائصه الحجاجية و الاستدلالية :

التشبيه لون بيانيّ كثيرُ الحضور والتوظيف في الكتابات الإبداعية الشعريّة منها والنثرية، ومنه تنبجس جميع الصور المكوّنة لجمالية النصّ شرط أن يكون موظفا توظيفا دقيقا يخدم المعنى المعبر عنه. فقد "أدرك الشعراء ما للتشبيه من قيمة فنيّة، وما يتيح لهم من التصرّف في القول فعنوا به، ونوّعوا فيه وأنّخذوا منه أداة لتصوير الخلدات النفسية التي تعتمل داخلهم، كما صوّروا به الأفكار، وأخرجوها عن تجريدتها، ولهذا كثر في أشعارهم ومأثور كلامهم"¹، ولذلك كان معياراً نقدياً في المفاضلة والموازنة بين شاعر أو كاتب ليكون أبرعهم من يضمن كلامه بتشبيه يحضر الصورة في ذهن متلقيه كأنه يراه عيانا فيستمع بها ويَعْجب، وقد يتجاوز الشاعر أو الكاتب ذلك فيأتي بتشبيه يحاول من خلاله إقناع متلقيه بقضية يتبناها ويرسخها له أو يدحضها.

وعلى هذه النظرة نجد أنّ التشبيه وظيفتين؛ إحداهما جمالية فنية تكمن في إحكام المحاكاة ومطابقتها للواقع، والأخرى حجاجية إقناعية للشئء المخيل، حتّى وإن اعتمد فيه صاحبه على المخاتلة والإيهام.

وقد حظي التشبيه باهتمام البلاغيين والنقاد القدماء، وذلك للمزايا الجسيمة التي يمتلكها، فهو يكسب الخطاب متعة وجمالية من جهة، ويكسبه التواصل والإقناع من جهة أخرى، وقد أقرّ عبد القاهر الجرجاني بهاتين المزيّتين فقال: "واعلم أنّ مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني وبرزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أئمة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب لها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباة وكلفا، وقسر الطّباع على أن تعطيهام حبة وشغفا، فإن كان مدحا كان أجمي وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، [...]، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبحر..."².

يُظهر هذا التعريف المرتبة العلية التي يحتلّها التشبيه في إيضاح المعاني بطريقة مقتضبة تظهر فيها قدرة المتكلم وإعمال مخيلته في تحريك همّ المتلقي ودفعه إلى التسليم والإذعان.

¹ - توفيق الفيل، فنون التصوير البياني، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2؛ 1412هـ، ص71.

² - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص118-119.

* اعتمدنا في هذا الفصل البلاغي على أنواع الصور البيانية والمحسنات البديعية التي اعتمد عليها محمد تركي، الحجاج وأثره القرآني على النص الشعري.

"المنتقد"

وقد أورد السكاكي (ت: 626هـ) الإجماع على هذا المعنى الكاشف للطاقة التعبيرية التي تنطوي عليها الصورة البلاغية بسبب شحنات إضافية تضيفها على الخطاب وتمكنها من اصطيد مواطن الاقتناع من قبل الأفراد إذ قال في مفتاحه: "واعلم أنّ أرباب البلاغة، وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر"¹.

ومن خلال ما سبق نرى كيف أولى البلاغيون القدامى المتلقي عناية فائقة، وكيف يتفاعل التشبيه في توليد دلالات النصوص وتكوينها، فتحوّل بذلك من رسالة فنيّة إلى رسالة تداوليّة حجاجيّة تفاعليّة أكثر شموليّة. هذا ما سنقاربه في مقالات الطيب العقبي الأديب الحجاجي الذي عُني به وأكثر من تناوله في نثره، وهذا ليس غريباً على عالم نشأ في حضن جمعية العلماء المسلمين حاضرة العلم والأخلاق، ورأى مظاهر الأدب البديعة؛ فإنّ البيئة الأدبية تفتق الخيال وتربّي الذوق، والأديب فيها يجد متسعاً لإبداع التشبيهات فيما يرى من المظاهر المثيرة، وقد نضيف إلى هذا الكلام أنّ إدراج الطيب العقبي لهذا النوع من الأسلوب لما يحمله من قدرة بيانيّة قادرة على استرجاع المواقف المثيرة التي شهدتها الجزائر، وتوعية القارئ من خطر الأعداء الذين أفسدوا نضارتها وبهائها، فبتقريب البعيد واستحضاره واقعيّاً يربط الكاتب بين عنصرين أساسيين في الكتابة النثرية بين خياله أولاً ثمّ تعبيره الذي يحاول فيه تجديد الصوورة وتفعيلها وإخراجها في حلة جديدة؛ وهذان العنصران لا يوفّق فيهما كل كاتب.

إنّ ممّا نلاحظه في مقالات الشيخ الطيب العقبي أنّه قارب هذين العنصرين التعبيريّ والخياليّ الدّهنيّ في إبداعه الأديبي، مانحاً الثّاني عناية خاصة؛ وما ذلك إلّا لتمكنه من العلوم العقليّة والمنطق المحاطة بسياج الكتاب والسنة، حيث إنّ من طبيعة تلك العلوم ترجيح الفكر وإعمال العقل، ولذلك تكون غاية المنطقيّ تقدّم الدليل وإثبات الحجج قصد إقناع المتلقي، والتأثير فيه وهو ما صرّح به حازم القرطاجني (ت: 684هـ) في قوله: "وطرق وقوع التّخييل في النّفس: إمّا أن تكون بأن يتصوّر في الدّهن شيء من طريق الفكر وخطرات البال، أو بأنّ تشاهد شيئاً فتذكر به شيئاً، أو بأنّ يحاكى لها الشّيء بتصوير نحتي أو خطّي أو ما يجري مجرى ذلك، أو يحاكى لها صوته أو فعله أو هيأته بما يشبه ذلك من صوت أو فعل أو هيأة، أو بأنّ يحاكى لها معنى بقول يخيله لها - وهذا هو الذي نتكلّم فيه نحن في هذا المنهج - أو بأن يوضع لها علامة من الخطّ تدلّ على القول المخيّل أو بأن تفهم ذلك بالإشارة"².

¹ - أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد المجيد هندواي، ص 523.

² - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، ص 98-90.

وظاهر القول ينبعنا أن الناقد حازم في قوله هذا حريص على الإفهام وتحصيل عملية الإقناع، فتشبيهاته لا تخرج عن الحسيّة الهادفة إلى توضيح حقيقة الأشياء وإدراكها وهو عامل تصنعه بيئة الشاعر أو الكاتب، وكل هذا نجده في تشبيهات العالم الفذ الخبير، والأديب الحاذق البصير الشيخ الطيب العقبي.

2- التّشبيه من الدلالة الصورية الجمالية إلى صناعة المشهد الحجاجي عند الشيخ العقبي:

أخذ التّشبيه حيزاً واسعاً من جهد البلاغيين القدامى النظري، فمثلاً حازم القرطاجني اعتبره نوعاً من المحاكاة¹، كما قسمه إلى قسمين: " فالقسم الأوّل هو التّشبيه المتداول بين النّاس، والقسم الثّاني هو التّشبيه الّذي يقال فيه: أنّه مخترع"²، وقد ركّز حازم على القسم الثّاني؛ لأنّه يحمل في ذاته بذور التّحديد والتّغيير للتّشبيهات وفيه يُخالف المخاطب كلّ ما كان معهوداً قبله في بناء الصّورة وتضمينها الموقف الّذي ستحاول خدمته، كما يدفع به الشّاعر أو الكاتب المتلقّي إلى فعل يتبنّاه أو يتعد عنه يقول حازم: " وهذا أشدّ تحريكاً للنفوس إذا قدرنا تساوي قوّة التّخيل في المعنيين؛ لأنّها أنست بالمعتاد فرمّا قلّ تأثرها له، وغير المعتاد يفجّؤها بما لم يكن به لها استئناس قطّ فيزعجها إلى الانفعال بديها بالميل إلى الشّيء والانقياد إليه أو التّفرة عنه والاستعصاء عليه"³. وفي ظلّ هذا الفهم وضع حازم القرطاجني للتّشبيه مجموعة من الشّروط حتّى يُحقّق هدفه في النّصّ، وكان أوّل هذه الشّروط، أن يُشبهه المخاطب محسوساً بمحسوس؛ إذ غاية المخاطب في ذلك تقريب الصّور وبثّها في صورة أخرى تتطلّب إعمالاً للعقل وحثّ المتلقّي على عدم الاكتفاء بالقراءة الجاهزة، وهذا النوع كثير في مقالات الشيخ العقبي نذكر منه قوله⁴:

لَا أَرَى الْأَشْيَاخَ فِي قَبْضَتِهِمْ كُلَّ شَيْءٍ بَلْ هُمْ مِثْلُ الْعِبَادِ
وَعَلَى مَنْ يَدْعِي غَيْرَ الَّذِي قُلْتُهُ إِنْبَاتُ دَعْوَى الْإِتْحَادِ
قَالَ قَوْمٌ سَلَّمَ الْأَمْرَ لَهُمْ تَكُنِ السَّابِقُ فِي يَوْمِ الطَّرَادِ

يتراءى لنا من خلال هذين الأبيات الثلاثة أنّنا أمام ذات شاعرة مصوّرة تلجأ إلى الأشياء ناظرة لها بمنظار الحقيقة وتقريب الأحداث والرّبط فيما بينها، وفيهما نجد الشّاعر يربط بين الأبيات من ناحية اكتمال معناها؛ فيذكر بداية حال الشيوخ وأرباب الزوايا و قد اعتقد فيهم أهل الشرك والبدع اعتقادات شركية باطلة إلى أن صور لهم الشيطان كمال قدرتهم وتمام استطاعتهم وكأن في قبضتهم حل الأمور، ليعلن بعد ذلك عن حقيقتهم ونقصهم

¹ - حسن سند الكيلاني، حازم القرطاجني حياته وشعره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1986م، ص204.

² - المرجع نفسه، ص204.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص136.

"المنتقد"

الخلقي الفطري مشبها إياهم بباقي العباد، فالكاتب الشَّاعر هنا أقام علاقة بين الأشياخ وباقي العباد ليكون وجه الشبّه المساواة في النقص والعجز وعدم التفاضل بينهم.

أي إنّه شبّه أمرا حسياً (الأشياخ) بشيءٍ حسيّ آخر يشبّبه في كل صفاته وقدراته (العباد) بقرينة مفهومة مدركة باللمس أو البصر، هذا توضيح ما يجلو من خلال تفسيرنا للأبيات، إلّا أنّ الشَّاعر يذهب فيهما مذهباً آخر يجلنا من خلاله إلى أنّ الأبيات فيها إثبات لقوّة الأشياخ وتماز قدرتهم في اعتقاد أهل الشرك الزائف الفاسد، ولعلّ تعبير الشيخ العقبي جاء لتفنيده هذه القوّة فذكر الأشياخ في مقدمة ثمّ انتقل إلى تفنيدها بتشبيه العباد لهم، ثمّ أدخل حجّة أخرى تعضّد التّشبيه الموظف وهي الممثّلة في (مطالبة المدعين غير ذلك بدليل واقعي يثبت دعواهم الباطلة)، وهي حجة مؤسّسة على بنية الواقع كما سبق ورأى رائد النّظرية الحجاجيّة شارل بيرلمان.

إنّ الشّرط الثّاني للتّشبيه في نظر حازم القرطاجني يكمن في تشبيه المعقول بالمحسوس والذي تمثّل له بقول الشَّيخ الطيب العقبي : " طال علينا والله أمد الغربة، واليوم حان زوال تلك الوحشة والكربة. طال ما أملنا والمني رأس أموال المفاليس أن نرى جريدة عربية مستوفاة الشروط جامعة في سيرها وماتنوي المثابرة عليه لضروريات ماتحتاج الأمة إليه "1.

في هذه العبارة يفتخر الكاتب بصدور أول أعداد جريدة "المنتقد" ويشرّ الكتاب الجزائريين بقدم الفتح والتّصر للأمة ويطمئنهم بحصول خير عميم سيحلّ بعد هذه الولادة المباركة الطيبة، ولذلك يدعوهم ويأمرهم بالانتقال من وحشتهم الموحشة ويأسهم وطول كربتهم إلى حالة أخرى كلّها شأو وهمة وعمل، عن طريق الفعل (حان)، المعزّز بتشبيه حاول فيه تقريب الحدث واستحضاره بعد طول أمل وأمد، وفيه شبه الأماي بالمال أو رأس أموال المفاليس - كما قال - وعن طريق هذا الجمع بين العقليّ (التمني) وما يحويه من دلالات الانتظار وطول الأمل و (أموال المفاليس) وما تمثّله من قلة وقصور وعدم الإتيان بمنفعة، استطاع الشيخ الطيب العقبي أن يضيف شيئاً على العقلي فيتجسّد في صورة الحسيّ البصريّ المشاهد، فأن تكون الأماي حقيقة شيء يصعب مناله ذهنيّاً إلّا أنّ الكاتب استطاع بقدرته الفنيّة الفذة على الابتكار و الاختراع أن يؤثّر في متلقيه من خلال ما تحمله وتنطوي عليه كلتا اللفظتين (المني، أموال المفاليس) من دلالات مؤلمة تسعى للنأي عنها والفرار منها، فلا الفضل

1- الطيب العقبي، جريدة "المنتقد" في نظر الكاتب، المنتقد، ص83.

في المعنى المبتكر المخترع؛ وإنما الفضل فيه راجع إلى المبتكر و المخترع له وعائد عليه ومبين عن ذكاء ذهنه وحدة خاطره.

وقد يقع العكس فيبدأ الشيخ العقبي بعض كلماته وهي قليلة في مقالاته فيشبهه المحسوس بالعقلي، وهذا النوع من التشبيهات يحتاج قارئاً لا يرضخ أمام الجاهز وهو كما يسميه أحد الباحثين "بالتشبيه المقلوب يقع فيه المشبه مشبهاً به في الأصل"¹. وفيه يقول الشيخ العلامة الطيب العقبي: "وأما الضالون المضلون والدجالون الأفاكون فهم بمعزل عن فهم مثل هذا، وهم بؤرة الفساد وسبب إهلاك البلاد والعباد"².

ففي هذا القول عمد الكاتب إلى تشبيه شيء حسي يرى الممثل في لفظه (الضالون) بشيء عقلي معنوي هو الفساد.

فقد شبه كثرة الضالين المحدثين في الدين؛ وهو شيء حسي بكثرة الفساد؛ وهو شيء معنوي، وهاتان الصورتان تنطويان على المشابهة النفسية بين طرفي الصورة الخيالية وهو شيء يقبله حازم القرطاجني ولذلك اشترط في المحاكاة التي يُقصد بها تحريك النفوس أن يكون المشبه به ممّا تميل إليه النفوس أو تنفر عنه³.

وهو ما نراه أيضاً بازغاً منبجاً في قول الشيخ الأديب الطيب العقبي: " حتى أصبح الناس اليوم وبعد أن أخبرناهم بالحقيقة يتباعدون عن الصحف العربية (المنتقد) و (النجاح) وغيرهما ويفرون منها فرارهم من الأسد، وإذا حمل أحدهم جريدة يحملها وهو على وجل، وتجدد يمشي ويلتفت خلفه إذ لربما يلقي عليه القبض وهو لا يشعر"⁴.

ففي هذا العبارة صوّر الكاتب الصحف العربية وقد أحزنه وضعها وأوجع قلبه وسيء في عينيه تغيّر موقف الناس منها، فشبّهها بالحيوان الضاري المقيم بالأحراش، وهذا العبارة تحمل في ذاتها شحنة حجاجية إقناعية تكمن في أنّ الكاتب يمنح الصحف كلّ صفات الحسن والقبول، إذ ينفي عنها كلّ ما دون ذلك من سقطات تجعل القراء يفرون منها، وهذا الفعل لم يكن ليقدمه لولم يلجأ إلى تشبيه (الصحف) ب (الأسد)، إذ كان الجمع بينهما من قبيل المقارنة الحقيقة فأصل الفرار يكون من الأسد ولو كان رابضاً، فبحكم تضلع الرجل الديني، استطاع

¹ - براهم بن عبد الرحمن الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد)، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1416هـ، 1996م، ص 135.

² - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص102.

³ - ينظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، ص190. كما يُنظر: حسن سند الكيلاني، حازم القرطاجني حياته وشعره، ص204.

⁴ - الطيب العقبي، قضية جريدة "المنتقد" والصحف العربية، المنتقد، ص241.

"المنتقد"

الشيخ العقبي تقرب البعيد و إقناع المتلقي حيث حصلت المشابهة بين شيئين بتوظيف المفعول المطلق (يفرون فرار)، وهذا مستقى من قوله تعالى: **أَمْ حِزْبِكُمْ أَكْبَرُ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ الْمُنِيبِ** **يَجِيئُ** **بِأَنَّ** **الَّذِينَ** **كَفَرُوا** **لَهُمْ** **عَذَابٌ** **أَلِيمٌ** **۞** **۸۸**.

ومما يُرى في هذا المدونة توظيف الشيخ الطيب العقبي في تشبيهاته الحرف المشبّه بالفعل (كأن)، وذلك لبلاغة التشبيه بها، فهي لا تستعمل إلا حيث " يقوى الشبه ؛ حتى يكاد الرائي يشك في أن المشبّه هو المشبّه به أو غيره ، ولذلك قالت بلقيس: (كأنه هو)"¹.

ويعنى آخر إن التشبيه بـ (كأن) يحتاج إلى تأكيد وتقرير في ذهن السامع للشيء المشبّه حتى تقع المشابهة في أحلى صورها، وهذا يكون كثيرا في استدعاء الصور التي لا تتأني في الواقع، أو تكون بعيدة ونادرة الوجود على الأذهان، يأتي بها الأديب ويحاول تديجها بإضافة شيء من الإلماع حتى يحدث الدهشة والإعجاب في نفسية المتلقي². وهي كثيرة إذا ما قارناها بحرف التشبيه (الكاف)، الذي يكون استعماله لعلاقة ظاهرة مباشرة بين شيئين موجودين في الواقع تشابها في صفة معينة ولذلك تكون تشبيهاتها قريبة يكاد يلمسها المتلقي، لا تحتاج من الأديب البيان والإقناع فهو كفيلا على فهم الصورة البيانية بنفسه دون البحث فيما يريد المتكلم؛ لأنه أمر جليّ وبيّن. إن من بين الشواهد الثرية التي وظّف فيها الكاتب لفظه (كأن) نورد قولاً مدح فيه حكومة فرنسا، وأثنى على صحة حكمها وسجنها لمدرس بلدة (سيدي عقبة) السارق فيقول: "كأن الدولة في نظرهم القاصر قد عجزت عن تنفيذ قوانينها والأحكام الصادرة على الظلمة من محاكمها الكبرى... وأصبحت تخاف حتى اللصوص وأعوان اللصوص"³.

لجأ الكاتب في هذا المقولة إلى تضخيم وتعظيم صورة المدح بتشبيه طريف اعتلت صرحه المبالغة بكل جمالياتها، فصوّر دولة فرنسا بصورة بيانية شائعة مفادها أن كبار الدول يخشونها، لكنها تقف عاجزة لا يمكنها اتخاذ القرارات وتنفيذ الحكم الصادر في حق المدرس الآكل لأموال الناس بالباطل، وكأن الدولة رجل ضعيف يخاف من ذلك المدرس اللص وأعوانه الذين يحاولون استهدافها وتخويفها بما له من القوة والسلطة الروحية على كافة أهل البلاد، ولعلّ هدف الكاتب من هذا القول ومن هذه الصورة البيانية الجامعة المانعة، إعلاء كلمة المدح وإبراز

¹- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، ص390.

²- براهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد)، ص138.

³- الطيب العقبي، يستهبون الدولة ويخوفونها لكن لا تخافهم، المنتقد، ص327.

"المنتقد"

مكانته بحجة المبالغة وهي حجة تُلغى كل موافق الخصم، كما أنّها " صور لا تسائر منطق العقل والواقع وإنما تسائر أسلوب التخيل الذي تضفيه على نفسيّة المتلقّي وتجعله يميل لها"¹.

إنّ من بين التشبيهات التي فعلت المعنى في مقالات الشيخ الطيب العقبي تلك التشبيهات المخترعة التي يستدعيها الكاتب ليستدلّ على صحة المعنى الذي ينسب لممدوحه مثلاً، وهذا لن يكون إلاّ باعتماده حجج التبرير والدفاع، فيكون ممدوحه في أعلى الدرجات التي يتوقّعها ويحاول تشبيتها في نفسيّة القارئ، ومتى كانت استدلالاته قويّة ثبت ادّعاؤه فيما ذهب إليه.

وهذا ما نجده بكثرة في معظم أقواله المادحة إذ ما قارناها بغرض آخر؛ يقول الشيخ العقبي مستدلاً على ممدوحه بعبارات من قبيل التشبيه التمثيليّ تنبع عن وعي فكريّ وجمالي: " ذهبت إلى دار الكوميسار يصحبني حضرة الشهم الغيور السيد (أحمد الأحمر) الوكيل الشرعي والذي ترك أشغاله الضرورية وقام معي إجابة لداعي الوطنية وغيرته على اللغة العربية، كيف لا وهو الرجل الحر الغيور على بني جنسه غيرة الأسد الرئبال على عرينه وأشباله "².

لعلّ أوّل ما يظهر على هذه الفقرة أنّ قارئها لا يستلذّ معناها إلاّ بعد فكر ورويّة، وذلك لما تتضمنه من معانٍ ضمنية غائرة تطلّبها ظروف بثّ القول، فمقام الكاتب هنا مقام مدحٍ ولذلك يحاول تشبيه شيء بشيء آخر، فقد شبّه ممدوحه وهو يدافع عن الصحف العربية ويسعى إلى تحريرها من أصفاد المستعمر المحارب للغة المقدسة، بالأسد الغضنفر وهو يذود عن عرينه ويرنو إلى حماية أشباله من كل خطر محقق، فالكاتب من خلال صورته يحاول إزالة ما وقع من اللغو واللغو وتشويش الرأي العام بعد حادثة حجز العدد الثامن من جريدة "المنتقد"، وقد رأينا فيما سبق أنّ لهذه الجريدة مكانة في نفسيّة الكاتب فقد وصفها بأنبال الصّفات وأجملها، وفي هذا المقال جعل آماله متعلّقة بها، حيث إنّ اعتماده عليها وثقته التامة بها مقبولة سلفاً كمن أدرك هدفه بقوسه الذي يعرفه أنّه صائب لا يخطئ الهدف؛ فهو صانعه وباريه وذو معرفة به.

إنّ اتّكاء الشيخ العقبي على حجة النخوة لممدوحه (أحمد الأحمر) جعلته يختاره رفيقاً له في مسعاه، فهو في مقامه هذا لا يحاول تكذيب غيره وإنّما يُشهد ممدوحه على سعيه وصدق تحرياته، والمعنى أنّ الكاتب واثقٌ من أنّ العدد المحجوز سيفك أسره وينشر ولذلك جاء بالشخصية من قبيل التعزيز لكشف حقيقة الحادثة وإزالة اللبس عن الشعب، وبهذه الصّورة الإيجائية الضمّنية استطاع الشيخ العقبي أن يُقدّم صورةً لنوازه الداخليّة وما تشتمل

¹ - أحمد تركي ، الحجج وأثره القرائي على النص الشعري، ص 139.

² - الطيب العقبي، قضية جريدة المنتقد والصحف العربية، المنتقد، ص 239.

"المنتقد"

عليه من مشاعر الوحشة والقلق إزاء جريدته، فمطلب الشّاعر الحفاظ على الجريدة واللغة العربية والدّود عنهما بالنّفس والنّفيس.

ويتجاوز الكاتب استدرار عاطفة الشعب باستدعاء أمر كان له القبول الكامل في نفسيته، فيأتي بتشبيه بليغ يستهله بضمير الشأن ليقوّي به حجته، ويظهر به ما يريد، وهذا الأمر نبغ فيه الشيخ الطيب العقبي كونه رجلاً موسوعيّ الثقافة والمعرفة، له باع في البلاغة وقدرة على توظيف " الاستدلال الذي يقوى به المعنى ويميّز عن غيره، حتّى لا يترك مجالاً لعدم اكتمال الفهم والإفهام كما عبّر "أبو عثمان الجاحظ(ت: 255هـ)"¹، يقول في بعض أبياته التي استشهد بها في مقاله (إلى الدين الخالص)²:

حُجَّتِي الْقُرْآنُ فِيمَا قُلْتُهُ لَيْسَ لِي إِلَّا عَلَى ذَلِكَ اسْتِنَادٌ

وَكَذَا مَا سَنَّهُ خَيْرُ الْوَرَى عُدَّتِي وَهُوَ سِلَاحِي وَالْعِتَادُ

بدأ الشيخ العقبي أبياته باسم معرفة متصل بياء المتكلم (حُجَّتِي) ليردّفه بمعرفة أخرى له (القرآن) تُؤكّد نهجه الصّحيح وتُثبت له صفات الالتزام والاستقامة، فكان بيته الأوّل بمثابة استهلال للمتلقّي وهيئة لما سيرد عليه قصد استمالته أو لفت انتباهه، ثمّ يدخله دائرة المحاورّة والمحااجة في بيته الثّاني الذي بنى فيه صورته على الحجّة بالاعتماد على الضمير (هو)؛ إذ انطلق فيها من الابتداء ليصل إلى الإخبار وذلك لما تحمله كلمة (السلاح) من إفادة وإتمام للمعنى، فهو يعطينا حقيقة شرعية إلزامية يرى من خلالها أنّ سنة المصطفى هي سفينة نجاة كل مكلف، حتّى وإن خالفه السواد الأعظم من أهل البدع والضلالات فهذا ليس دليلاً على سبقهم له في المكانة الرّفيعّة التي حظي بها هو، بحجّة أنّ العبرة ليست بالكثرة وإنما بالاتباع، كما أن من أعظم الأمور التي خالف فيها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية الاغترار بالأكثر.

يقوى التّشبيه بمدى توظيف الكاتب للحجج المدعّمة لنصرة موقف ما، كالتوكيد والشرط والقسم وغيرها من الأدوات الحجاجيّة والرّوابط المساعدة في إنجاح الرّسالة وكثيرة هي العبارات التي حاول فيها الشيخ الطيب العقبي استمالة عاطفة متلقيه آخذاً في تعبيره طرقاً عدّة للوصول إلى مبتغاه، ومن الصّور الفكرية ذات الشّحنة الحجاجيّة نذكر قوله: " وأنه يكون همها السير في طريق الإصلاح لا العمل على كسب الدرهم واجتلاب الفلس بأي طريقة كانت والتكالب على ذلك ولو أساء سمعتها ودنس بين الناس عرض القائم بها فإن هنالك جرائد في كل لغة وعند كل أمة يصح بأن نعبر عنها أنها كشكول شحاذ يجمع بها اللقمة واللقمتين من كل أحد ويقف

¹- أبو عبد الرحمن عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون. ج1، ص76.

²- الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص136.

"المنتقد"

متسولا على باب كل أحد، فزاهها لهذه الغاية تسارع إلى نشر أسماء كل كل من ولد أو مات أو نكح أو توظف أو حل وارتحل أو أو.أو. كيفما كان أو في أي مكان وجد".¹

يتحدّث الكاتب في هذه الفقرة عن حال الجرائد في زمنه الذي استشرى فيه تغليب المصلحة الشخصية واللهث وراء جمع المال وحب الظهور دون الالتفات إلى المصلحة السامية ألا وهي السعي إلى إصلاح الأمة، كما يحاول في قوله هذا تقديم نصيحة لرجال الصحافة باعتباره خبيراً وحكياً فقدّمها لهم في شكل خطاب حجاجي يقوم على الشّروط وجوابه المقرون بأسلوب التوكيد فيشدّد بال وانتباه المتلقّي، ولذلك جاءت صورته ثريّة مغدقة تحمل في داخلها وصفاً وكلاماً مضاهياً للموقف الذي رآه وشاهده ليثريها بطريقة مقنعة موحية تفهم من ذاتها وهذا ما نجد في التشبيه البليغ ذي الصيغ الحجاجية الاستدلالية.

فقد عمد الكاتب في هذه الصّورة إلى تشبيه حال من يستغل مهنة الصحافة فيجمع المال مع السّعي له مع اجتيازه كلّ المخاطر والصّعوبات بمن ييسط كشكول التسول ويجمع فيه اللقمة ويتحمل من أجله كلّ لسعات الذل وإبر الهوان، والعبارة روعة في البيان والجمال وعليه تقتصر حياة الجرائد، وكأنّ الكاتب يقول في سياق الحال لا بدّ لك أيّها الصحافي من ركوب دعوة الإصلاح ومواجهة الصّعاب حتّى تكمل ما تصبو إليه، وقد جعل في جملة الشّروط لو المقترن جوابها بالفاء صّورة مشهديّة معبّرة عن الموقف، فالكاتب هنا بنى فقرته على أشياء محسوسة، وكانت لقدرته التعبيرية ومهارته الأسلوبية دور فعال إذ أضفى الكشكول وهو شيء مخدش للكرامة لن يكون دون ذل وحط شأن، فكذلك الأمر بالنّسبة للصحافة اللاهثة وراء كسب المال واجتلاب الفلوس بأي طريقة غير الهادفة إلى البناء والإصلاح.

وختاماً وبعد عرضنا لكل هذه النماذج البيانية التشبيهية التي انطوت عليها جريدة "المنتقد"، نخلص إلى أن التشبيه ماء الأدب، واللبننة المحورية التي يقوم عليها، وهو سر إمتاع وإقناع، كما يعتبر رافداً من روافد الاتصال القائمة على إثبات وتبرير الحجج والدعاوى بغية إقناع المخاطبين، فليس المقصود من التشبيه ملامسة المستويات التي ذكرناها (الوضوح والإيجاز والتوكيد)، وإنما ربط وتوثيق الصلة بين الناص والمتلقي في السيّاق، الذي يحيا ويتجدد مع القراءات المتوافدة عليه، والتأويلات الكاشفة عن معانيه المعتلحة في النص، وهذا ما جعل الكاتب الشيخ العقبي يهتم بهذا الأسلوب المزاوغ.

3- الطّاقة الحجاجية للاستعارة:

¹ - الطيب العقبي، جريدة المنتقد في نظر الكاتب، المنتقد، ص85.

تعدّ الاستعارةُ خاصيّةً جوهريةً للّغات الطّبيعية وهي روح الحجاج في الألوان البيانية، حيث تحتلّ مساحةً لا يستهان بها في الحقل البلاغيّ والتّقديّي والمنطقيّ والفلسفيّ والإعلاميّ العربيّ منه والغربيّ، فهي من جهة سمة أسلوبية جماليّة تُعنى بتزيين النّصّ وتحسينه حتّى يُرعى القارئ و يُلفت انتباهه، ومن أخرى سمة حجاجيّة تداوليّة تحمل في مكانها العديد من المعاني غير الحرفيّة الّتي تستغزّ المتلقّي وتحوّجه في فكّ معانيها. وهذا ما يضمن لها التّأثير والإقناع. وبهذين المنحيين "تفهم الاستعارة حيث تنجح في انخراط السّامع ذهنيّاً ونفسيّاً"¹، ولذلك كانت محلّ دراسة واستهداف من قبل نقادنا العرب القدامى خصوصاً من الّذين أثبتوا خصائصها وأدواتها الحجاجيّة كعبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) الّذي ربطها بمفهوم الادّعاء باعتباره سرّاً أدركه الإمام عبد القاهر.

وهو - كذلك - أوّل دليل نقديّ على إثبات حجّتها؛ إذ يقوم على مقتضيات تداوليّة ثلاثة هي (الخبر والحقيقة والتّديل). ومتى اجتمعت في القول كان قولاً استعاريّاً من حيث إنّ تركيب خبري وكلّ قول قابل لأن يُصدّق أو يُكذّب على صعيد الحقيقة، وهذا لن يكون إلّا بتقديم الدّليل²، فنكون في هذا القول الاستعاريّ أمام طرفين يُسمّى أحدهما مدّعيّاً وتُسمّى رسالته دعوى الّتي تستحضر مدّعى عليه³.

إنّ طرح عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) لمسألة القول الاستعاريّ وما يحتويه من قضايا أخذت معظم اهتمامه في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، طرح مؤسّسٍ وممنهج، فمعرفة الرّجل لسنن القول والكلام جعلته مرجعاً لدى البلاغيين والتّقاد واللّغويين، فهو بلاغيّ عُنِي بدراسة طرق صنع الكلام والخُطاب الفنيّ الجيّد، زيادة على أنّ الرّجل ترعرع في فترة كان لعلم الكلام فيها بالغ الأثر، فاستقى منه آليات الحجاج وتقديم الأدّلة، مع مراعاة أدلة الطّرف الآخر، وعليه نجد أنّ بعض الباحثين والمفكرين العرب يرون أنّ مفهوم الادّعاء الّذي جاء به عبد القاهر لن يكتمل عمله إلّا بإيجاد مفهوم آخر تحدّث عليه "الإمام عبد القاهر" ضمّنيّاً وهو مفهوم الاعتراض⁴.

هنا يكون الخُطاب الاستعاريّ خطاباً يُراعى فيه الجانبان معا أن تدّعي أمراً وتثبتته بدليل معين، كما قد يعترض الطّرف الآخر بدليل يبطل مذهب المدّعي؛ ولذلك يكون الادّعاء والاعتراض لبتان وجب أن تجتمعا في

¹ - حسن المودن، بلاغة الخُطاب الإقناعي (نحو تصوّر نسقيّ لبلاغة الخُطاب)، دار كنوز، الأردن، ط1؛ 1435هـ، 2014م، ص249.

² - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمّد محمود شاكر، ص186.

³ - ينظر: طه عبد الرحمن، "الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج"، مجلة المناظرة، المغرب، العدد (04)، السّنة الثّانية؛ 1411هـ، 1991م، ص63.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص64.

"المنتقد"

القول الاستعاري، وباجتماعهما كاد على وشك أن يسقط بذلك أقوى المبادئ رسوخاً في النفوس وأمكنها من العقول، وهو مبدأ التناقض¹.

لم يُقَمِّم "عبد القاهر الجرجاني" دراسة مفصلة عن آليات التّعارض، مثلما فعل مع الادّعاء، الأمر الذي جعل بعض الباحثين يتأملون هذا القول الاستعاري وفق المقاربة التّعاضية له من خلال مجموعة من التّصورات والافتراضات التي تقاربه وتفهم مراميه وذلك لأنّ²:

1. القول الاستعاري قول حوارّي وحوارته صفة ذاتية له: يهدف هذا التّصور إلى القول بأنّ الاستعارة مبادلة كلاميّة حاصلة من جهة القائل، وفيها يفعل مشابتهه ويطابقها ليؤثّر في متلقيه، والحوارية تقوم على نموذجين النموذج التّبليغيّ والنموذج التّفاعليّ³، وبالتالي تشرك مجموعة من الدّوات الخطيبية المتعدّدة في بناء هذا الكلام الاستعاريّ؛ وهي أربعة إذا ما عددناها لكلّ ذات منها وظيفة تخاطبيّة متميّزة: الدّات الظّاهرة، الدّات المؤوّلّة و الدّات المضمرّة و الدّات المحتملة⁴. فالكلام الاستعاريّ كلام له مجالان مجال الحقيقة ومجال المجاز وهو مجال مضمّر يحمل عدّة معانٍ يجعله منفتحاً على التّأويل والاحتمال.

2. القول الاستعاريّ قول حجائيّ وحجاجيّته من الصّنف التّفاعليّ أو التّحاجّ* ذي الوجهة الاستدلاليّة فللبحث عن حجاجة القول الاستعاريّ وجب علينا أن نبحت أولاً في التّقاطع والتّداخل الحاصل بين آليتي الادّعاء والاعتراض، وهما ما يضيفان طابع الحجاجة على القول الاستعاريّ " لنكشف أنّ البنية الاستعاريّة متّصفّة بالتّعارض وبتكاثّر هذا التّعارض؛ وبأنّ المتعارض - وهو المستعير - يسلك طرقاً حجاجةً ظاهرة التناقض، لا نحسّ فيها تعدياً لحدود المعقول الطّبيعي"⁵.

فالقول الاستعاريّ - من هذا التّحديد - قول عمليّ، وصفته العملية تلازم ظاهرة البياني والتّخييليّ، وهو كما يعبر عنه "طه عبد الرحمن": "إنّ الاستعارة من أبلغ وجوه تقيّد اللّغة بمقام الكلام، ونعلم أنّ هذا المقام يتركّب من المتكلم والمستمع ومن أنساقهما المعرفية والإداريّة والتّقديرية ومن علاقاتهما التّفاعليّة المختلفة، وإنّ هذا التّقيّد

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 66.

² - المرجع نفسه، ص 67.

³ - ينظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص 51.

⁴ - ينظر: طه عبد الرحمن، الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، ص 67.

* وهو مرتبة ثالثة تقع بين البرهان والحجاج مرتبة تميّز بكونها تأخذ بمبادئ تجنح إلى التناقض. ينظر: طه عبد الرحمن، الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، ص 46-47.

⁵ - حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي (نحو تصوّر نسقي لبلاغة الخطاب)، ص 253.

"المنتقد"

بالمقام كافٍ لأن يجعل الاستعارة تدخل في سياق التبليغ الخطابي باعتباره نسقاً من القيم والمعايير العملية إذ هدف هذا السياق هو بالذات إجراء تغيير في الأنساق الاعتيادية والتقويمية للناطقين ودفعهم إلى الانتهاض إلى العمل¹. يحاول "طه عبد الرحمن" من خلال هذا الكلام تبرير موقفه من القول الاستعاري القائم على التفعية وتأدية العمل، لأن وظيفة القول الاستعاري في نظره تتجه نحو الفعل المنفذ الذي يُرجى من وراء هذا القول في سياق معيّن.

ومتى كان هذا التعاون القولي المشترك مفعل بينهما عمل كل منهما على إقناع الآخر ودفعه إلى تغيير وجهة نظر أو سلوك ما من خلال هذا القول الاستعاري "الذي يظهر عمله أساساً في ارتكازه على المستعار منه، سواءً أصرّح به أم لم يُصرّح، وغالباً ما يقترن المستعار منه فيها حالياً أو مقالياً بنسق القيم العليا؛ إذ ينزل منزل الشاهد الأمثل والدليل الأفضل، فتكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همّة المستمع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها، فالمستعير يقصد أن يُغيّر المقاييس التي يعتمدها المستمع في تقييم الواقع والسلوك، وأن يتعرّف المستمع على هذا القصد منه، وعلى معنى كلامه وما يلزم عنه، وأن يكون هذا التعرّف سبيلاً لقبوله لخطابه وإقباله على توجيهه"². وهذا كفيل بإنجاح الخطاب القائم على المقصديّات ومراعاة أحوال المخاطبين ومراعاة السياق الذي يُقال فيه الخطاب.

قام رأي المفكّر "طه عبد الرحمن" حول حجاجية الاستعارة بعد دراسات مطوّلة للتراث البلاغيّ والتّقديّ الممثل في مصنّفات "عبد القاهر الجرجاني" (ت: 471هـ) و"أبي يعقوب السكاكي" (ت: 626هـ) و"الخطيب القزويني" (ت: 739هـ). ولذلك كان تصوّره الحجاجي معارضاً للتّصور اللفظيّ البديعيّ؛ بل هو "إبطال للدعوى التي ما فتئت تجعل الغاية القصوى من الاستعارة التّوسّل بالتّخييل واصطناع التّجميل"³.

وهذا ما طمح إليه "عبد القاهر الجرجاني" في تصوّره للطّابع الحجاجيّ للاستعارة باعتبارها تشبيهاً والتّشبيه قياس والقياس يجري فيما تعيه القلوب وتدرکه العقول وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان⁴.

كما يقول أيضاً: "واعلم أنّ الاستعارة كما علمت تعتمد التّشبيه أبداً"⁵، ولعلّ حديثه في نصّه هذا تأكيدٌ على الجانب الوظيفي للقول المجازيّ الذي إذا زُكّب تركيباً يراعي فيه المتلقّي كما يراعي فيه أطراف التّشبيه كان

¹ - طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 69.

² - طه عبد الرحمن، الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، ص 69.

³ - المرجع نفسه، ص: 70. كما ينظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي (نحو تصوّر نسقيّ لبلاغة الخطاب)، ص 253-254.

⁴ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، ص 20.

⁵ - المصدر نفسه، ص 55.

"المنتقد"

للقول ميزتان ميزة الأثر الانطباعي الذي يرسمه القول الاستعاري في نفسية المستمع والأثر الفعلي الذي يحركه لفعل أمر ما دفعه إليه المخاطب. وهذا ما يتجلى في طرح حازم القرطاجي الذي عُني بدراسة القول الاستعاري وما يفعله في متلقيه من جهة التخييل، فقد استطاع أن يُقدّم فكرة عن الاستعارة ومجالاتها الرامية في الخطاب.

تحدّث "حازم القرطاجي" عن البعد الحجاجي للشعر من خلال موجة التخييل التي يرسمها على نفسية المتلقي، فيدفعه إلى الانفعال وفي انفعاله هذا يُنفذ أفعالاً فقد ينقبض عن فعل شيء أو ينبسط من خلال المحاكاة والمشابهة، وبإحكامهما يكون التأثير والإقناع.

ولما اقتصر الأمر على مهيبات بناء القول المجازي أولى حازم القرطاجي المحاكاة والتخييل عناية فائقة؛ إذ هما عنده آليتان تُكسبان الخطاب دينامية واستمرارية لا تكتمل إلا بالمتلقي، ولذلك نجده في تنوير يقسم "المحاكاة من جهة ما تخيل الشيء بواسطة أو بغير واسطة قسمين: قسم يخيل لك فيه الشيء نفسه بأوصافه التي تحاكيه وقسم يخيل لك الشيء في غيره"¹.

ويعني آخر يورد "حازم" قسمين من المحاكاة محاكاة بالوصف وهي تقتضي المباشرة؛ وهي محاكاة بغير واسطة ومحاكاة بالتشبيه بما فيه الاستعارة؛ أي محاكاة بواسطة تقرب المشبه وتجعله هو، ولذلك يمتح الشاعر في هذه المحاكاة من الغرابة فيتخذها ملهماً للتأثير والانفعال، يقول حازم القرطاجي معللاً هذا التقسيم وشارحاً له: " فلا بدّ في كلّ محاكاة من أن يكون جارية على أحد هذين الطريقتين: إمّا أن يحاكي لك الشيء بأوصافه التي تمثّل صورته، وإمّا بأوصاف شيء آخر تماثل تلك الأوصاف. فيكون ذلك بمنزلة ما قدّمت من أن المحاكي للشيء، بأن يضع له تماثلاً يعطي به صورة الشيء المحاكي، قد يعطي أيضاً هيئة تماثل الشيء وتخطيطه بأن يتخذ له مرآة بيدي صورته فيها. فتحصل المعرفة بما لم يكن يعرف، إمّا برؤية تماثله، وإما برؤية صورة تماثله. فيعرف الشيء بما يحاكيه، أو بما يحاكي ما يحاكيه. وربما ترادفت المحاكاة وبني بعضها على بعض فتبعد الكلام عن الحقيقة بحسب ترادف المحاكاة وأدى (ذلك) إلى الاستحالة"². ففي هذا القول يُطلعننا الناقد على نوع ثالث من أنواع المحاكاة وهو محاكاة المحاكاة وهي كثيرة الورد في الشعر فكذلك "الشاعر تارة يخيل لك صورة الشيء بصفاته نفسه، وتارة يخيلها لك بصفات شيء آخر هي مماثلة لصفات ذلك الشيء"³.

¹ - حازم القرطاجي، منهج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، ص 94.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

"المنتقد"

ومَّا تَكشَّفَتْه قراءتنا ونحن نحاور هذا الكلام أنَّ حازم القرطاجني شديدُ التَّركيز على المحاكاة القائمة على التَّشبيه؛ إذ تُحَقِّق الاستعارة فيه أعلى مستوياته ففيها يتعالق الأديب مع قارئه ذهنيًّا من خلال عمليتي الخيال والتَّخيل، وصولاً إلى الاستجابة التَّخيلية التي تكون كنهاية عمل بالنَّسبة لكلِّ منهما، ولذلك نجده حريصاً على إنجاح هذه المحاكاة فيشترط عدم إرداف بعضها على بعض مخافة أن " يتبعد الكلام عن الحقيقة بحسب ترادف المحاكاة وأدى ذلك إلى الاستحالة. و لذلك لا يستحسن بناء بعض الاستعارات على بعض حتى تبعد عن الحقيقة برتب كثيرة لأنها راجعة إلى هذا الباب. فمحاكاة الشيء نفسه هي المحاكاة التي ليست بواسطة، و محاكاة الشيء بغيره هي المحاكاة التي بواسطة"¹.

هذه أوَّل إشارة للقيمة التداولية للاستعارة من قبل "حازم القرطاجني" وما ذلك إلا حرص منه على الوظيفة الإبلاغية التي تجود بها ألسنة المخاطب وبها يُعلَى الكلام ويتفاضل قائله، فأَيَّ محاكاة تغدو لأن تحرك العواطف والأحاسيس، أو تحقِّق ما سماه النقاد المعاصرون بالإثارة التَّخيلية فتكون خدمة لتحسين الشيء أمام الأنظار، أو تقبيحه، وهذا ما ينبو عن فاعلية التَّخيل في الخطاب الأدبي الهادف إلى " إمكان تضخيم الجوانب السَّلبية في الموضوع وذلك ما يُسمَّى بالتَّقبيح، وهناك ثانياً إمكان تضخيم الجوانب الإيجابية في الموضوع نفسه أو غيره، وذلك ما يُسمَّى بالتَّحسين"².

فالمحاكاة من هذه الوجهة تدفع المتلقِّي إلى اتِّخاذ موقف منها، وذلك لم يكن ليحصل لو لم يترسَّف أمكنة الجمال في اللُّغة و مفعولاتها، فالمسألة إذن في صنع الصُّورة مسألة ثنائية تأخذ من المحاكاة (بجاز، تشبيه، استعارة)، كما تأخذ من الأسلوب وفتياته وهذا ما اهتمت به البلاغة الغربية الممثلة في رائدها ش.بيرلمان حيث يقول: "إنَّ اللُّجوء إلى مفعولات اللُّغة، وإلى قدرتها على الإثارة، هو الذي يسمح لنا بالتَّنقل بين البلاغة باعتبارها فنَّ الإقناع والبلاغة باعتبارها تقنيَّة التعبير الأدبي"³.

وما وقوف الباحث "ش.بيرلمان" على اللُّغة وفتياتها إلا حفاظ على التَّواصل لأتَمَّ تشكُّله، وما سلوك المخاطب سبل الصُّور المجازية الاستعارية إلا دليل قاطع على الاستدلال بها وإثبات للقضايا التي هو بصدد الكلام عنها.

¹ - المصدر نفسه، ص 94-95.

² - جابر عصفور، مفهوم الشُّعر دراسات في الثُّراث النَّقدي، المركز الثقافي العربي، الدَّار البيضاء، ط3؛ 1992م، ص 198.

³ - حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي (نحو تصوُّر نسقي لبلاغة الخطاب)، ص 256.

"المنتقد"

ومن هنا يكون كلٌّ مثير بلاغيّ (تشبيه، استعارة) حجّةً وجب أن تُثير حقيقة تُنفع المخاطب خصوصاً الاستعارة لما لها من طاقة فائقة على استدراج الخصوم وإفحامهم، فهي كما يراها "جون كوهين" (Jean cohen): "المنبع الأساسي لكلّ شعر هو مجاز المجازات، هو الاستعارة القائمة على تجاوب الحواس أو المشاهدة الانفعالية"¹، والأمر نفسه ذهب "جورج لاكوف" (George LAKOFF) و"مارك جونسون" (Mark JOHNSON) * اللذان أكّدا طرح "بيرلمان"؛ إذ جعل الاستعارة سرّ الحياة في كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها" فيقول: "إنّ نسقنا تصوّري في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية فكيّفية تفكيرنا وتعاملنا وسلوكياتنا في كلّ يوم ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة"².

وهذا تصوّر تداوليّ يُركّز فيه الباحثان على ماهية الاستعارة في الاستعمال اللغويّ اليوميّ؛ أي إنّ الاستعارة ليست مقتصرة على الكتابة فقط وإنما تدخل جميع أصناف التعبير المنطوق والمكتوب شريطة أن تخدم المعنى الذي يقصده المتكلّم لإقناع المتلقّي³.

إنّ تركيز "بيرلمان" على الاستعارة باعتبارها آليةً من آليات الإقناع، كان كردّ فعل من القائلين بأنّها من جماليّات التعبير حيث نفوا عنها ميزة الحجاجيّة، وهو الأمر الذي دفع النّاقّد المغربي محمّد الوليّ إلى وصف هذا التحوّل الذي مسّ دائرة البلاغة ككلّ قائلاً: "لقد طهر البلاغة الحجاجيّة من البلاغة المحسناتية. فلم يعد هناك مجال تتوزع عليه هذه المقومات. ولهذا فقد احتلّت الاستعارة مكاناً إلى جانب التشبيه أو المقارنة ضمن الجنس الثالث من أجناس المقومات الحجاجيّة"⁴.

وهذه من الإضافات التي أدرجها بيرلمان وفيها أبطل مفعول البلاغة التّحسينيّة للقول الأدبيّ ليدخلها والتّشبيه ضمن دائرة الحجاج، وما ذلك إلاّ محاولة منه لتقريب المسافة بين الخطاب الحجاجيّ وهو خطاب نفعي والأدب. وعلى هذه الأفكار نجد بيرلمان لا يولي أهمية للبحوث التي تعزل الاستعارة عن الحقل الحجاجيّ؛ فأبيّ

¹ - جون كوهين، بنية اللّغة الشعريّة، تر: محمّد الوليّ ومحمّد العمري. دار طوبقال للنشر، المغرب، ط1؛ 1986، ص170.

* - جورج لاكوف ومارك جونسون عالما لسانيّان أمريكيّان يدرّسان بجامعة كاليفورنيا من مؤلفاتهما المشتركة: الاستعارات التي نحيا بها.

² - جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد ححفة، دار طوبقال للنشر، المغرب، ط2؛ 2009م، ص21.

³ - وهذا ما نجده مثلاً في قول أبي بكر العزاوي: "وذلك لأنّ الاستعارة تدخل ضمن الوسائل اللّغويّة التي يستغلها المتكلّم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجيّة والاستعارة الحجاجيّة هي النّوع الأكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد التكلّمين وبسياقاتهم التّخاطبيّة والتواصلية، فهي موجودة في اللّغة اليوميّة، وفي الكتابات الأدبيّة والسّياسية والصّحفيّة والعلميّة". أبو بكر العزاوي، نحو مقارنة حجاجيّة للاستعارة، مجلة المناظرة، المغرب، العدد (04)، السّنة الثّانية؛ 1411هـ، 1991م، ص83.

⁴ - محمّد الوليّ، "الاستعارة الحجاجيّة بين أرسطو وشام بيرلمان"، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد: 61. 2004، ص79.

"المنتقد"

"تصوّر للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج لا يمكن أن يحظى بقبولنا. إلا أننا نعتقد أن دور الاستعارة سيتضح أكثر بربطه بنظرية التناسب الحجاجي (...). إننا لا نستطيع في هذه اللحظة وصف الاستعارة إلا بتصوّرنا على الأقل من وجهة نظر فيما يتعلّق بالحجاج، باعتبارها تناسبا مكثفا ناتجا عن ذوبان عنصر المستعار منه في المستعار له"¹.

ولذلك لن تكون الاستعارة في رأيه مجرد زخرفة وتصوير ووصف للأشياء المستعارة بقدر ما تكون آلية تحفيزية على تأدية فعل ما، أو توجيه لسلوك وهذه مهمة تقتزن بالحجاج "لهذا كانت المشاهد أقوى في توجيه السلوك من الغائب. إن مجرد استحضار الشيء مقنّع. وما هو حاضر ومائل أمام أعيننا جدير بأن يثير عنايتنا واهتمامنا ويجعل تصرفاتنا تتأثر بهذا الحضور الفعال"².

وكخلاصة نقول إن كل استعارة بشتى أنواعها تهدف إلى مرمى واحد وهو الإقناع، لأن الاستعارة هي من أبواب المجاز و "لاحجاج بغير مجاز"³.

وإذا عدنا إلى مقالات الشيخ العقبي نجدها زاخرة بأنواع المجاز والاستعارات، ولا يكاد ينكرها عاقل، ويمكن أن يحكم ببلاغة الشيخ العقبي وبراعته في الأسلوب بمجرد قراءة مقال واحد، حتى تظهر تلك البلاغة.

4 - الاستعارة بين الوظيفة الإمتاعية والوظيفة الحجاجية في مقالات الشيخ الطيب العقبي:

إذا تفحصنا المواد التي شكل بها الشيخ العقبي استعاراته، ألفيناها مستمدة تقريبا من عوالم المتلقين وتجاربهم وممارساتهم المعيشية، والتي ترتبط في الغالب بما هو واقعي ومعروف لديهم ليسهل عليه المرور إلى عوالمهم ومعتقداتهم فيتمكن من تغييرها.

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله الشيخ العقبي في مقاله (جريدة المنتقد في نظر الكاتب): " وبالرغم عن ذلك كله، فقد تواجد بعض أفراد نوابغ قذفت بهم فلتات الطبيعة فكنت تسمع أناتهم وزفراهم المتصاعدة من زايا الإهمال أنا فأنا وحيننا بعد حين، ونفوس مجموعهم تذوب حشرات وتقطع حزنا على ما نزل بقطرهم البائس وشعبهم المستكين"⁴.

¹ - شارل بيرلمان و تيتيكاه، مصنّف في الحجاج والبلاغة الجديدة، نقلا عن: محمّد الولي، الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشام بيرلمان، ص 80

² - ينظر: محمّد الولي، المرجع السابق، ص 81.

³ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 213.

⁴ - الطيب العقبي، جريدة المنتقد في نظر الكاتب، المنتقد، ص 81.

"المنتقد"

كلمات في قَمّة الجمالِ والتّصوير وفيها شبّه الكاتب النَّفس بمادة ذاتبة منصهرة، وفي هذه الاستعارة حُذِف المشبّه به وترك له لازم ليدلّ عليه كالذوبان. هنا أخذت النَّفس صفة حسيّة من صفات المواد الصلبة أو الجامدة وهي الانصهار وكلّ ما يتعلّق بالسيولة والذوبان وفقدان التجمد، فالجهل والحرمان والبؤس لم يؤلم النفس فحسب وإنما تجاوز هذا الفعل ليصل إلى ذوبانها.

فهذا التّعبير لم يكن لِيؤثّر لولا وجود شيء يقابله ويلامسه، فإن نصف النَّفس بالذوبان شيء يبعُد الحقيقة، كيف لا وهي غير قابلة للتجمد ولا الانصهار، وبهذا الاستدعاء المثير للربط بين شيئين اقتربنا في ميزة واحدة عبّر الشيخ العقبي بهذه الاستعارة المكنية التي "هي أبلغ الاستعارات، وأكثر تأثيراً في النَّفس، وأجمل تصويراً، وذلك لأنّ العمل الأدبيّ فيها أدق من الاستعارة التّصريحية"¹. فظلت هذه الصّورة معتلجة في نفسه تدكّره بكلّ موقف شبيه له، كما أنّها تحثّ المتلقّي على تفكّر الأيام الحزينة التي سادها الخمول والحرمان في الجزائر إبّان الاستعمار، فالكاتب لا يبتّ صورته الاستعارية بغية تجويد الأسلوب، وزخرفته؛ وإنما يحاول تذكير النَّاسي بما وقع. تظهر الاستعارة الحجاجية وتخيّم على المتن النثري العقبي خصوصاً في ابتكاره لصور لم يسبقه فيها سابق وإن سبقه أضاف على معناه الأوّل وهذه شروط جعلها حازم القرطاجني في منهاجه حيث يقول: "يركب على المعنى معنى آخر، ومنها ما يزيد عليه زيادة حسنة، ومنها أن ينقله إلى موضع أحق به من الموضع الذي هو فيه؛ ومن ذلك أن يقلبه ويسلك به ضدّ ما سلك الأوّل، ومن ذلك أن يركب عليه عبارة أحسن من الأولى"²، ومن الدلائل الموحية لهذا الكلام نأخذ قول الشيخ العقبي: "أما النقد فقد أريناك مشطرة منه ولعلك شعرت بمرارة طعمه فعرفت أن النقد موجود وهو مما يدرك بالحس والذوق"³.

صورة أوجدها الكاتب من خياله المبتكر، وفيها تحسّر على طعن صحافي جريدة (التقدم) في الصحف العربية وحكمه عليها بالخيبة وإنكاره لكل عمل نقدي ببناء تقوم به ودعوة إصلاحية تدعو إليها، فراح يرد على مناوئه بتقديم له طبقاً من النقد وإجباره على تذوق طعمه المر، فكان النقد طعاماً يصل إليه ويحس بذوقه ومرارة طعمه وما شابههما من صفات الأكل، ولم يترك الكاتب استعارته هكذا وإنما زاد في تدليلها بالترجي (لعل)، وكأنّه يشرح للصحافي الطاعن أنّ طعمه وحكمه لن يقوم مجدداً لأنّ طعم النقد مر. هنا اتّضحت الصورة وانبلج معناها، فالكاتب في رده لا يريد أي شيء سوى ازدهار صحف بلاده ومساعدة القائمين عليها. وهذه استعارة طريفة

¹ - إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصّورة الفنيّة في الشّعري العربي (مثال ونقد)، ص 148.

² - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، ص 193.

³ - الطيب العقبي، رد يصادف محله، المنتقد، ص 219.

مبتكرة للشيخ العقبي جسّد من خلالها حبّه للجرائد العربية واستماتته في الذود عن حقوقها وحفظ كرامتها وتقديس عربيتها وإثبات صلاح مبدئها.

ومن صورته كذلك التي تُثبِت تقدّمه في توظيف هذا النوع من الاستعارات الحجاجيّة المغربيّة للقراءة قوله: " ولو علم هؤلاء المغفلون وشركاء اللصوص المحتالون المحتفون أن فرنسا دولة عظيمة ردت أعظم قوة خائبة وما بالت بكبار الدول وانتهى أمرها بأن خرجت من أكبر حرب وقعت في العالم ظافرة تجر ذيل النصر والفخر"¹.

في هذه الصّورة البيانية الحجاجية الماثلة أمام أعيننا شبّه الكاتب الفخر والنصر بالحيوان الذي يجر ذيله، ولو وقف الأمر عند استعارة النصر للحيوان لكان جيّداً، لكن جر الذيل وما يوحي به من صفات بهيمية تجعل النّفس تنفر من هذه الاستعارة، إلاّ أنّ الشّاعر اتّخذها حجّة؛ إذ أفاد من طاقات الاستعارة المشخّصة التي يغدو فيها المشبّه في صورة الحيوان المحس، فتسند له صفات البهائم فنراه مبصراً ماشياً جاراً ذيله، وعلى هذه الصّفات أبرز إعجابه بقوة فرنسا ورغبته في تنفيذها للحكم الصادر في حق مدرس بلدة (سيدي عقبة) الخائن، وكأنّ حكومة فرنسا بهذا الفنّ البيانيّ حيوان نائر يجر ذيل النصر كلما وجه أعداءه.

يستميل الشيخ العقبي متلقيه في استعاراته الموظّفة ويدفعه إلى محاورتها، والوصول إلى الفهم الصّحيح ولاشكّ أنّ الجمال المدرك بالغرابة والتعجيب والإدهاش وخروج الشّيء عن وضعه وانزياحه عمّا عُرف به من أكثر الوسائل التي تحركّ العواطف وتمتع النّفس وتدفعها إلى التّفكير والتأمّل في سرّ جمالها وموطن براعتها، ولذلك وعى البلاغيون هذا التّصوّر بقولهم: " المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع"²، وما كلامهم هذا إلاّ للقوّة الكامنة فيه - المجاز - وقدرته على الإقناع و الإمتاع، فلتأمل ولنتدبر مثلاً قول الشيخ الطيب العقبي³:

مَاتَتِ السُّنَّةُ فِي هَذِي الْبِلَادِ قُبِرَ الْعِلْمُ وَسَادَ الْجَهْلُ سَادَ

شبّه السنّة بإنسان له حياة ومات وهذه صفة في القول المجازي، فأثار في متلقيه الدهشة والإعجاب تاركاً له باب البحث عن المعنى الذي تقصّده في قوله هذا، فقد ادّعى الشيخ العقبي أنّ السنّة تموت، وهذا أمر لن يقف القارئ أمام دلالاته السطحيّة ليطمئنّ في البيت كلّه المبني على دعوى بحجّة معيّنة تشرح سبب تشبيه السنّة بالإنسان في

¹ - الطيب العقبي، يستهون الدولة ويخوفونها ولكنها لا تخشاهم، المنتقد، ص327.

² - ابن رشيق المسيلي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد. ج1، دار الجليل، سوريا، ط5؛ 1401هـ، 1981م، ص266.

³ - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص135.

هذا البيت، فيعي أن ثمة استعارة ثانية شارحة للأولى ومكمّله لها؛ إذ لولاها لما اقتنع المتلقّي. وهذا وجه من وجوه تحقيق الإقناع باللجوء إلى عملية التّكثيف الاستعاري.

يستفاد مما تقدم، أن الأسلوب الاستعاري في مقالات الشيخ العقبي يمتلك طاقة حجاجية قوية وقوة تعبيرية عالية تم توظيفها بهدف حمل المتلقي على التصديق والإذعان، وذلك لكونه من أهم أشكال الخطاب اللغوي ارتباطاً بالمقام التخاطبي، كما أنه خطاب تفاعلي تتحقق داخله تعارضات حجاجية شتى، سواء بين الخطيب والمستمعين أو بين المعنى الحرفي والمعنى الاستعاري الاستلزامي، إنه آلية من آليات الإقناع ومكون رئيس في كل قول حجاجي، فقد قال طه عبد الرحمن: "لاحجاج بلا مجاز"¹.

المبحث الثاني: البديع من الجمالية وتحسين الكلام إلى وضوح الدلالة و الإقناع في مقالات الشيخ العقبي

1- البديع من الإيقاع إلى الإقناع:

يعدّ البديع ركيزة أساسية يرتكز عليها النص الإبداعي، وواحدة من الميكانيزمات البائية له، إذ له في النصّ ميزتان؛ ميزة تتعلّق بالجانب الشكليّ التّزييني وهو الجماليّ الذي يجعل القارئ يستمتع بالحركات الصّوتية ويتبع النّغمات الإيقاعيّة الحاصلة على مستوى الأبيات والعبارات وبهذا المعنى عرفه البلاغيون و النقاد القدماء بأنه "علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقية على مقتضى الحال ووضوح الدلالة، وهذه الوجوه ضربان؛ ضرب يرجع إلى المعنى، و ضرب يرجع إلى اللفظ"². وهو التّعريف الذي ذهب إليه ابن خلدون (ت: 808هـ) في قوله: "إنّه النّظر بتزيين الكلام وتحسينه بنوع التّنميق، إمّا بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود لإيهام معنى أخفى منه، لاشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتّقابل بين الأضداد، وأمثال ذلك"³.

فبهذا التعريف يتبيّن أنّ البديع وجهٌ جماليّ يعني بزخرفة الألفاظ وتنميق المعاني. ولعلّ هذا التّعريف يُناهي ما ذهب إليه ابن المعتز (ت: 296هـ) في كتابه البديع باعتباره أول مصنّف كُتب فيه؛ فهو "معنى واسع و مصطلح

¹ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص213.

² - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)،تح: ابراهيم شمس الدّين، دارالكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1؛ 1424هـ، 2003م ص255.

³ -عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: عبد السّلام الشّدادي، ج5، ص302.

عام تنطوي تحته كثير من موضوعات البلاغة: كالاستعارة والجناس والكناية والتشبيه والطباق¹. أي إنَّ البديع والبيان صنفان إذ لا وجود للتمييز بينهما وهذه إشارة دالة على اختلاف واقع في بلاغتنا العربية، حيث إنَّه لو قُرئ البديع بالمفهوم الذي تبنَّاه بلاغيو القرن السَّادس وما بعدهم لأصبحنا أمام بلاغة موحَّدة تنظر إلى الأساليب الفنيَّة على حسب تصنيفها، فتسهل الدِّراسة ويُفهم المراد من وراء هذا الجمال وهذه الزَّخرفة.

في حين أنَّ للبديع ميزة ثانية ضمنيَّة تغافل عنها البعض، وهي ما أضفت عليه نوعاً من المحاورَة والتَّساؤل فكان لبنة بناء حِجاجيَّة تهدف إلى الإقناع، وهذا الميزة نتحصَّسها مثلاً في شعر المولودين الذين "عمدوا إلى استحضار التَّمط الحِجاجيِّ التَّحاورِي في أشعارهم ليشمل هدف الإقناع وغاية تبكيت الخصم سواء بشكل سافر أو بصيغة مضمرة، وما كان توخِّي أولئك الشُّعراء أسلوب الإقناع إلاَّ ليثبتوا صحة دعاويهم وصحَّة مساعيهم اعتماداً على رؤيتهم الشُّعريَّة"². وما جنوح الشُّعراء إلى استعمال هذه التَّقنيَّة إلاَّ جلبٌ لاهتمام المتلقِّي ودفعه إلى التَّسليم وبذلك انتقل من دائرة التَّحسين إلى دائرة الدِّفاع و تبكيت الخصوم، وهذا ما نجده بكثرة في الجانب المعنويِّ الموجود في الشعر، إذ يمكن للبديع أن يُؤدِّي وظيفة حِجاجيَّة هادفةً إلى استمالة المتلقين والتَّأثير فيهم، فننتقل من البحث عن بلاغة الخطاب إلى البلاغة النَّاتجة عن هذا المثير في تكوين بلاغة الخطاب الإقناعيِّ المؤثِّر.

إذاً، إنَّ للبديع جانباً تداوليًّا تجاوز الجانب الجماليِّ فالغاية لا توجد في الرُّونق الذي يُثيره البديع في النَّصِّ الشُّعري بقدر ما يُنظر إلى المهمة الَّتِي أداها هذا البديع في استمالة المتلقِّي و لفت انتباهه، وهذا مفهوم قد يُخرج البديع من دائرة الشُّعريَّة ويدخله دائرة الخطابية "بدعوى أنَّ الدَّور الحِجاجيِّ للبديع خاضع لسلطان العقل وتصنيف البراهين وإقامة الدليل، في حين أنَّ الشُّعريَّة قائمة على الإيجاء والكلام التَّحليليِّ والاكتفاء بالإشارة و الإيهام"³.

وهذا الكلام حسمه حازم القرطاجني في آرائه السَّالفة، فالشُّعر يقوم على الحِجاج والقياس المؤدِّيَّين إلى تحقيق الإقناع، في حين تأخذ الخطابة شيئاً من الشُّعر وأساليبه الفنيَّة في التَّأثير، ولما كان البديع آليَّة من آليات الشُّعر كان لابدَّ لباحث الشُّعر أن يتقصَّى وظيفته في النَّصِّ من الجهتين جهة طلاء المبني وزخرفته أي الجانب

¹ - أحمد مطلوب، القزويني وشروح التَّلخيص، منشورات مكتبة التَّهضة، بغداد، ط1؛ 1387هـ، 1967م، ص426.

² - زروقي عبد القادر، "حِجاجيَّة البديع(استدلال منطقي أم إقناع بلاغي)"، ضمن أعمال الملتقى الدَّولي: مباحث الحِجاج بين التَّنظير والإجراء(بحوث محكمة في الحِجاج)، تنسيق وإشراف: مفلح بن عبد الله و قندوز هوارِي. دار أم الكتاب، الجزائر، ط1؛ 1437هـ، 2015م، ص90.

³ - زروقي عبد القادر، "حِجاجيَّة البديع(استدلال منطقي أم إقناع بلاغي)"، ص92.

"المنتقد"

الشكلي¹، وجهة الإقناع أو النفع أي الجانب التداولي؛ وهي وظيفة متعلّقة بالجانب التبليغي الذي يدرس الرسالة، وهو الجانب الذي يكاد يكون مهملاً في دراسات البلاغيين والنقاد القدامى.

وقد أكّد البلاغيون والنقاد واللسانيون الحداثيون والمعاصرون على البعد الثاني للبديع ووظيفته التي يقوم بها وهو ما عبّروا عليه بقولهم: "أصبح للبديع أفق جديد يمكن استشرافه من منظور اللسانيات وهو فاعلية في ربط أجزاء النص²".

ويمكن القول: إنّ البديع هو ما يُسهم في التماسك النصّي الذي إن تحقّق أضفى على النصّ دينامية تربط السّابق باللاحق صوتياً ومعنوياً، ولذلك نجد الشعراء والكتاب يجتهدون في بناء نظمهم على هذا الركن البلاغيّ، وما اجتهداهم إلاّ حرص على الوظيفة الأدبية التي يراعي الشاعر أو الكاتب إنجازها في نصّه وهذا ما يجعله نصّاً مغدقا بالجمالية من جهة وبالإقناعية من أخرى.

2- البديع بين وظيفتين (التحسينية والتداولية) :

ترأى لنا من خلال قراءتنا للبديع عند نقادنا العرب القدامى أنّه لا يتعدّى أن يكون وجها من وجوه تنميق الكلام وتحسينه، وهذه نظرة قاصرة تضبط حركيّة هذا العلم وتحصره في تحسين الكلام وتزيينه لا غير، وهو طرح لا نستطيعه في الوعي البلاغيّ والنقديّ الذي تمتّع به نقادنا وهم على علم بمقصديّة الخطاب وأهدافه، فكيف يُعقل لمن ركّز على جانب إنجاح النصّ (الفهم والإفهام) أن ينظر إليه على أنّه مثير شكليّ يعنى بتحلية النصّ بغية الإعجاب؟

وهذا سؤال طرح في الدّراسات البلاغية والأسلوبية واللّسانيات النصّية الحديثة، وكلّ حقل عُني بتحديد قضايا البلاغة ولا سيما حقل الحجاج الذي يرى أنصاره أنّ الكلام له وظيفة يحاول المتكلم بثّها إلى المتلقّي بحجج قد تكون قياسية كما قد تستند على استراتيجيات بلاغية أخرى كالبديع، "ومن هنا وجب علينا إعادة النظر في فنونه في ظلّ هذه التّظريات الحديثة المعنية بمستويات الرّسالة الثّلاثة (تركيبية، دلاليّة، تداوليّة)، وبذلك نبعث فيه الحياة من جديد وذلك بتحليله من تلك النّظرة الجامدة التي لا نلمح فيها النّفع وإنارة السّبيل"³.

¹ - تمام حسان، الأصول (دراسة استيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب التحو - فقه اللغة - البلاغة)، عالم الكتب، القاهرة؛ 1420هـ، 2000م ص 349.

² - جميل عبد المجيد، بلاغة النصّ (مدخل نظريّ ودراسة تطبيقية)، دار عريب للطباعة والنّشر والتوزيع، القاهرة؛ 1999م، ص 15.

³ - ينظر: أحمد مطلوب، القرويي وشروح التّلخيص، ص 475.

"المنتقد"

إنَّ حرصَ البلاغيين على قبول الآخر للكلام لن يتحقَّق إلاَّ إذا عُرض عليه بمعرضٍ حسن وصوره مقبولة، وهذه هي البلاغة في أجلِّ صَوْرَها كما عرَّفها أبو هلال العسكري (ت: 395هـ) بقوله: "كلُّ ما تبلغ به المعنى قلب السَّامع فتمكَّنه في نفسه وتمكَّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"¹، وهذا العرض يستدعي الخوض في أساليب علم البديع التي لا وجود للكلام من دونها، وكأنَّ "أبا هلال العسكري" يحاول إقامة علم للبلاغة يُراعي فيه السَّامع، علماً أنَّ الكلام لن يُحقِّق مراده ما لم تتوفر فيه الأبعاد الثلاثة (البيان والمعاني والبديع)؛ وهي أبعاد هدفها التَّمكين والإقناع.

إنَّ هذا الكلام يجعلنا أمام وظيفتين إحداهما أدبية نفسية تركز على التأثير والأخرى تداولية حجاجية غايتها الإقناع، وفيها يعتمد المخاطب جهازاً إقناعياً متولِّداً "كونه يُحاجج دفاعاً عن رؤيته الأدبية الفنية، ويدمج العنصر الحجاجي في أسلوبية منجزه الأدبي ليمتع ويُفنع"².

وهذا الوظيفة تتمثل نقطة تحوُّل وبداية لفهم البديع من أداة تحسينية للكلام الشعري أو النثري إلى لبنة بناء لسانية بإمكانها التأثير والحثُّ على فعل شيء أو تركه، وهذا لن يستقيم إلاَّ إذا استفدنا من منجزات النظرية الإبلغية الحجاجية المعنوية بدراسة طرق الإقناع ووسائله، وهي "نظرية تجد أصولاً لها غنية في الدرس البديعي لاستجلاء بعض الاستراتيجيات الحجاجية في المتن الأدبي لحركة البديع"³.

وبهذه النظرة التداولية للبديع الذي يُساعد في تكوينها، نكون قد أخرجناه من إطار الشُّكل الذي يتجاوز مسألة البنية الصوتية لندخله ضمن المضمون؛ أي يصبح البديع محوراً استدلالياً منطقيّاً حجاجياً مشحوناً بفيض دلاليٍّ مؤدّي إلى الإقناع، يحكمه الأداء اللغوي الذي يجود به الأديب، وبين هذا الازدواج الجامع لآليات التعبير مع مراعاة تقنيات التأثير والإقناع وإحكامهما، نكون أمام نصٍّ له بلاغة بمفهومها العام (الإمتاع والإقناع)، وهي نظرة أسلوبية كذلك مادام أنَّ الأسلوبية في أحد تعريفاتها "علمٌ يُعنى بدراسة الخصائص اللغوية التي تنتقل بالكلام من مجرد وسيلة إبلاغ عاديٍّ إلى أداة تأثير فنيٍّ"⁴. هُما المتلقّي الذي وُجد له هذا النصّ البديعي وبآلياتها في التَّحليل يتمكَّن من إدراك الجماليَّات المضمرة فيه إدراكاً نقديّاً.

¹ - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص16.

² - ينظر: سعيد العوادي، حركة البديع في الخطاب الشعري من التَّحسين إلى التَّكوين، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن، ط1؛ 2014م، ص252.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص252.

⁴ - عبد السلام المسدي، "المقاييس الأسلوبية في النَّقد الأدبي من خلال البيان والتَّبيين للحافظ"، مجلة حوليات التَّونسية، تونس، العدد

(13)، 1976م ص156.

"المنتقد"

إنَّ ما يستنتج مما ذكر آنفاً، هو أنَّ بلاغة النَّصِّ الأدبي بلاغة تعاون بين المبدع والمتلقِّي، وما لجوء المتكلم إلى توظيف البديع إلاً لفكرة محدَّدة أرسلها في طابع جديدٍ قصد تحريك نفسيَّة المتلقِّي وجعله يتفاعل معها، وإذا علمنا أنَّ البديع كان وسمة قصور على نظم أدياء محدَّدين هم النقاد الحاذقون أصحاب الحجة الدامغة والأسلوب المراوغ، فلا غرو إن جاءت ألوان البديع معهم مفعمة بالحجاجة ممَّا صعَّب الفعل القرائي وجعل الناقد يرفض كل بديع عارٍ من روافد الإقناع موشَّح بأفانين الإمتاع فقط، وهذا الرِّفض من قبل هؤلاء النُّقاد إمَّا كان حرصاً وحفاظاً على قوانين التَّفصيل الجماليِّ التَّقديِّ و الدُّوقيِّ.

هذا ما توصَّل إليه بعض النُّقاد وقد حلَّلوا الظَّاهرة في جانبها العميق فقالوا: "وقد رفض البلاغيون العرب اطراد السَّجع والجناس وغيرهما من المحسِّنات اللَّفظيَّة لما ينم عنه ذلك من تكلفٍ يعوق الوظيفة الإبلغيَّة للخطاب، فظهور التَّكلف منافع لغرض الإقناع"¹ المبرر لصحة الدَّعوى المقدَّمة من جهة المتكلم والتي يتبغي من ورائها التَّأثير في النَّفس ولعلَّ هذه الوظيفة هي ما دفعت ابن الأثير (ت: 637هـ) إلى القول: " اعلم أنَّ العرب كما كانت تعني بالألفاظ فتصلحها وتمدبها فإنَّ المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأشرف قدرا في نفوسها؛ فأول ذلك عنايتها بألفاظها، لأنَّها لما كانت عنوان معانيها وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحها وزينوها، وبالغوا في تحسينها؛ ليكون ذلك أوقع لها في النَّفس، وأذهب بها في الدَّلالة على القصد"².

ويعنى آخر يبدو من كلام النَّقاد أنَّ المخاطب يهدف في كلامه إلى بثِّ غايات، ولذلك يسهر على تنميق ألفاظه ومعانيه ليؤثِّر بها في النَّفس باعتبارها محرِّك الشُّعور ومحور الاستجابة التي تُفعلها، ولذلك رأينا أنَّ معظم النُّقاد العرب يؤكِّدون على ملامسة الشُّعور ودغدغة عواطف المتلقِّي.

وتفسيرها الذي يوضحها ويجلي معناها هو أنَّ للاستمالة معنيين بإمكاننا وصفهما، معنى جماليِّ يظهر في الأسلوب والقدرة التَّلفظيَّة أو الكتابيَّة التي تمثل منبع الجمال، ومعنى فكريِّ مفاده التَّأثير والتَّغيير الحاصل بآليات وأفانين الإقناع.

3- الرؤية المعاصرة للبديع:

إنَّ ممَّا لا خلاف فيه أنَّ أعلاما نقديِّين بارزين مثل السكاكي والقزويني وحازم القرطاجني تقدَّمت طروحاتهم طروحات سابقهم من البلاغيين والنُّقاد حول الرُّؤية الفاحصة للبلاغة العربية المشتملة على الإبداع ككلِّ، فقد

¹ - محمَّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأوَّل أمودجاً)، ص113.

² - أبو الفتح ضياء الدِّين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشَّاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ج2، دار نضضة مصر للطبع والنَّشر، الفحالة، القاهرة؛ (د.ط)، (د.تا)، ص65.

"المنتقد"

أسسوا هذه البلاغة من منظور أدبي بحت، فلم يتركوا قضية من قضايا الشعر أو النثر إلا وتطرّقوا لها وسبروا أغوارها باحثين عن وجودها، خصوصاً فيما تعلق بالجانب الوظيفي لهما.

فقد كانوا حريصين تمام الحرص على المزوجة بين العنصرين الجماليّ الإمتاعي و الإقناعيّ الحجاجيّ، همّهم همّ الفلاسفة الذين بحثوا في هذه الوظيفة¹.

فكانوا أوّل تداوليّين يهتمون بنجاعة الخطاب وطرق تأديته وتوصيله إلى الطرف الآخر، لم يهملوا من علوم البلاغة شيئاً خالوا أنّه مجرد تابع أو تحسين للكلام خارج عن مساندة وظيفة من الوظائف كما فعل البلاغيون حينما رأوا أنّ البديع وسيلة تحسين وزخرفة وتزيق، إذ الأمر عكس ذلك فما عجز عنه الأديب في توصيله للأفكار يكمله هذا المثير الأسلوبيّ (البديع)، فيتوافق المعنى، بحيث يفهم المتلقّي معنى المخاطب؛ وكأنّ البديع هنا أداة تحسين فعليّ يُغطي عجز الشاعر أو الكاتب لا فضح له وبه يُتهم ويعير.

هذه رؤية بلاغيّة معاصرة أكّدت عليها التداولية في عنايتها باللّغة وطرق توصيلها إلى الآخرين، فكلّ تعبير مؤدّاه إثارة الشعور واستمالة النفس إضافة إلى شحذ الهمم وتغيير السلوكات والمواقف، فلم يعد الأديب مهتمّاً بالشكل الذي يرمي إليه البديع؛ بل تجاوزه إلى معاني أخرى تمثّلت في الاستلزام الحواريّ الذي يتطلّب بحثاً وترجيح فكر.

أي أخرج التداوليون البديع من المجال التّحسينيّ وأدخلوه المجال الحجاجيّ التّداوليّ المرتبط بالاستدلال ومباحثه، وهذا ما نلمحه في رؤية "بيرلمان" وزميلته "تيتيكاه" الذين حرصا على دراسة هذا الخطاب من وجهة التّبليغ والتّأثير، فقد ميّز "بيرلمان" - كما يقول محمّد العمري - بين التّعبير الحجاجيّ والتّعبير التّحسينيّ بقوله: "نعتبر صورة التّعبير حجاجيّة إذا كان استتبع تغييراً في الأفق فبدا استعمالها عادياً بالنسبة للمقام الجديد المقترح. أمّا إذا كان الخطاب على خلاف ذلك، لا يستتبع انخراط المستمع في هذا الشّكل الحجاجيّ فإنّ الصورة ستظهر كمحسن، أيّ كصورة أسلوبية. بوسعها أن تثير الإعجاب، ولكن ذلك يظل في المستوى الجماليّ، وقد تدلّ على أصالة الخطيب"². وهذه إشارة من الباحثين تومئ بالتّغيير الذي يضيفه البديع على الكلام من ناحية الوظيفة الفعلية له، وإلّا تحوّلت إلى وظيفة جماليّة تبرز المهارة الكتابيّة والفنيّة للمبدع لا غير.

¹ - كابين سينا (ت: 428هـ) الذي يقول: "إنّ العرب كانت تقول الشعر لوجهين أحدهما ليؤثّر في النفس أمراً من الأمور تُعدّ به نحو فعل أو انفعال والثّاني للعب فقط فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التّشبيه". ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله، فنّ الشعر من كتاب الشّفاء، (ضمن كتاب فنّ الشعر لأرسطو)، تح: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص170.

² -Ch.Perelman et Olbrechts -Tyteca. La nouvelle rhétorique' traité de l'argumentation .p.229.

"المنتقد"

وعلى هذه النظرة اللافته، وبهذا المفهوم الواعي لماهية مصطلح البديع نجد أن بلاغيي العرب ممن اهتموا الشاعر أبا تمام كالأمدي (ت: 371هـ) مثلاً، مخرجين شعره من دائرة الشعريّة لم يأخذوا بالوظيفة التداوليّة التي يتمتع بها نصّه الشعريّ باعتباره نصّاً متكاملًا وشرط النّصيبة غائب إذا لم يتأسّس النّصّ على المعيارين المشكّلين له؛ وهما معيار السّبك (cohesion) ومعيار الحبكة (coherence)¹، وتضافرهما يتأسّس للنّصّ كيانه الفعليّ الذي كان مقترحاً من قبل قائله.

ولعلّ المتأمل لطبيعة هذين المعيارين والمتتبع لحركتهما وأثرهما يجدهما لا يخرجان عن البديع؛ إذ هو الأرضية المؤسّسة للأدوات والوسائل اللّغويّة المؤدّيّة إلى بناء النّصّ ظاهراً وباطناً، وهذا ما رآه الباحث سعد مصلوح وهو يتتبع حركة هذين المعيارين في إطار تجديد القراءة البلاغيّة للبديع فيقول: "وجدير بالذكر أنك ربّما وجدت هذه الظّاهرات، بعضها أو جلّها في الثّرات التّقديّ والبلاغيّ عند العرب أشتاتاً وفرادى لانصرافها إلى متابعة الشّاهد والمثال والجملة، ولعلّ في الثّرات البديعيّ من الثّراء والخصوبة من هذه الوجهة ما يحفز الجادّين من الباحثين إلى استفرغ وسعهم في إعادة تشكيل هذا العلم من منظور نصي"².

ففي ظلّ هذه الأطر النّصيّة المشكّلة للنّصّ يظهر الجانب الوظيفيّ الذي يمثّله الشّكل البديعيّ فيه من خلال امتداداته نحو استقطاب شيء ما يخصّ الفهم وإبلاغ الرّسالة للمتلقّي الذي يباشر عملية تأويل ما ألقى عليه وتحويله للوصول إلى المراد. هنا، تجتمع المهارة بين القائل ومتلقيه؛ فالقائل يختار اللفظ والمعنى ويربط بينهما بطريقة جميلة تستحضر المعنى الذهنيّ الذي حاز في نفسيته فعبر عنه، وهذه العمليّة ثلاثيّة استدعت الجانب التركيبي والدلالي والتداولي، والمتلقّي يتأثر بالقول ويحاول التفاعل معه نفسيّاً ثمّ فعليّاً.

إنّ اهتمام بلاغيي العرب القدامى -خصوصاً السّكاكي والقزويني وحازم القرطاجني- بقضية البديع كانت خدمة للقارئ، ولذلك حرصوا على الجانب الدلالي والتداولي له، إذ يؤدّي دوراً دليلاً ونفعيّاً في السّياق، كما يُنبت العلاقة الوطيّة الجامعة بين المبدع والمتلقّي في تبادلها للكلام، والإدلال عليه بحجج معيّنة وهو ما فتح آفاقاً للقراءة والتأويل من خلال فنونه المتمثّلة في التّفسير والتّقابل والمطابقة والمشاكلّة والتّورية وكلّها تحيل إلى مخالفة العرف اللّغوي في الأداء الكتابيّ، وهي ما تحدث اضطراباً و "حلخلة في بنية التوقعات لدى المتلقّي حيث تجعله ينتظر اللامتظر ويتوقع اللامتوقع في العمل الإبداعي، فتتيح له إمكانيّة تعدّد التّأويلات والاحتمالات في قراءة

كما ينظر: محمّد العمري، مقال "البلاغة العامة والبلاغة المعّمة"، ص 67.

¹ - جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النّصيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة؛ 1998م، ص 71.

² - سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربيّة و الأسلوبيات اللّسانية (آفاق جديدة)، مجلس النّشر العلمي، الكويت، ط 1؛ 2003م، ص 237.

"المنتقد"

هذا العمل والشُّعور من خلال ذلك باللذّة والنشوة الحسيّة والفكريّة عندئذ ستكون عملية التّأويل وكثرة الاحتمالات عنصراً هاماً وجاذباً للمتلقّي الذي سيعمل على فهم النصّ وتفسيره واستنباطه وستُسند إليه مهمّة اكتشاف عالم المعنى¹. والقبض على المعنى الذي يريد القائل.

وبالاعتماد على كلام الباحثة العامّ يجب علينا أن نشير إلى مسألة ونخصّص أنّ ما ذهب إليه يدخل ضمن ما يسمّى بالمحسنات المعنويّة، وقد أهملت الجانب الصوّتيّ اللفظيّ كذلك وهو الباني للإيقاع والتّناغم كالسنّجع مثلاً وما يُضفيه على النصّ من تكرار وترابية تشدّد بال المتلقّي وتجعله يتأثر، إذ إنّ "تكرار عنصر من العناصر كفيّل أن يُؤلّد نسقاً داخل النصّ، وهو نسق الانتظام ولا شكّ في أنّ كسر هذا النسق أو العدول عنه سيؤلّف ملمحاً أسلوبياً يثير المتلقّي بفعل العمليّة التي سمّاها "رومان ياكبسون" بالانتظار الخائب"².

وإذا أخذنا قضية خيبة الانتظار ومدلولاتها في الطّرح الغربي المعاصر للقراءة والتلقّي فهما أنّها دليل على المخالفة التي لم تكن موجودة في وعي المتلقّي؛ إذ قد يخرج المخاطب في نصّه عن المألوف فتتمّ عمليّة بناء المعنى وسط مفهوم خيبة الانتظار المتحقّقة عندما "يحسّ القارئ حين يحاول أن يقرأ عملاً أدبيّاً، انطلافاً من شروط ومحدّدات كونها من خلال قراءته لعمل أدبيّ مغاير"³.

وهو الأفق الجديد المؤسّس الذي يمثله النصّ في مفارقاته للمعايير السّابقة، وهذه المفارقات تكون كسراً لخيبة أخرى هي التّوقّع الذي يستميل النّفس ويشوّقها، فالنصّ في تلقينا له لا نبحت فيه عمّا نتوقّعه؛ وإنّما نبحت فيه عمّا يخفى عن توقّعاتنا، فثّار الدهشة واللذّة، وهاتان الميزتان لن تتحقّقا إلّا بكسر التّوقّع وخبية الانتظار بحيث هما الهوّة بين ما يأمله القارئ وما لا يوجد به النصّ⁴.

هذا التّصوّر الجديد للبديع في ظلّ البلاغة الحجاجيّة الذي أشار له بعض نقادنا القدامى ولعلّ الشيخ الطيب العقبي في جريدة "المنتقد" يكون قد قارب هذه المستويات خصوصاً إذ ما قرأنا مقالاته المفعمّة بالجمال والرونق، كيف لا وقد سار فيها متتبّعاً ما طرحه البلاغيون في منهاجهم حول القضايا التي تسهم في صناعة المعاني، ومما ذكره في منهاجهم حول أصناف البديع، ووظفه الشيخ العقبي في جريدة "المنتقد" نذكر:

أ- البديع التّكراريّ:

¹ - أسماء سعود الخطاب، "البديع والتّأويل قراءة بلاغيّة"، مجلة جامعة تكريت الانسانيّة، العراق، العدد(01)، المجلد: 14، 2007م، ص171.

² - جورج موانان، مفاتيح الألسنيّة، نقلا عن: خالد كاظم حميدي، علم البديع رؤية معاصرة وتقسيم مقترح (دراسة في ضوء المقاربات السيميائية والأسلوبية والتّداوليّة)، الوراق للنشر والتّوزيع، عمان، ط1؛ 2015م، ص65.

³ - حافظ اسماعيلي علوي، "القراءة، القارئ، النصّ"، مجلة فكر ونقد؛ العدد (54)؛ 2003م، ص179.

⁴ - ينظر: بشرى موسى صالح، التلقّي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2001، ص47.

"المنتقد"

- التفسير: تحدّث النقاد عن التفسير في إطار ذكرهم لتكرار المعاني و تتابعها إلا أنّ الأديب يفصّل في المعنى الثّاني مراعيّاً مقصدية خطابيه، الذي يريد به التأثير واستمالة النفوس، وهذا ما أورده أحدهم في كلامه شارحاً هذا الوجه من أوجه البديع القائم على التكرار فيقول هو: "أن يُفهم المعنى أولاً من جهة من جهات الإبهام، ثمّ يُورد مفسّراً من الجهة التي وقع فيها الإبهام، أو بأنّ يجمل ثمّ يفصل - وهذا يجتمع مع ما قبله من جهة ويفارقه من جهة- أو بأنّ يفصل ثمّ يجمل الضرب من المقاصد"¹. وهذا الكلام إشارة على مراعاة مستوى المتلقّي؛ إذ لا يُحبّ هذا الناقد إبهام المعاني وتركها غلقة عليه فينفر منها و يبحث عن غيرها، ولذلك يأتي الأديب بقول ثمّ يشرحه بقولاً حريشاً شاركه في تأدية المعنى، وجريدة "المنتقد" غزيرة بهذه الوجوه البديعية، ومن أمثله نذكر قول الشيخ الطيب العقبي: "نعم للصحافة واجب تتوخاه وتبتغيه، ومحور حق لها أن لا تدور إلا عليه، فواجبها أن تسير بصدق وإخلاص، تتجافى عن مواقع التهم وتنهج منهج أهل الشرف والهمم، وشرطها الأساسي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجانبة الأطماع ومحاربة أهل الأهواء والابتداع"².

إنّ لفظة (واجب) مشتركة في هذه الفقرة، ولو اقتصرنا على وجودها في البداية للمسنا فيها بعض اللبس الذي نطرح حوله السؤال ماذا يحاول الكاتب أن يقول؟ وهو تسأول له صبغة تداولية أكثر منها جمالية، إذ يتشعب المتلقّي في تفسيره محاولاً القبض على معناه، وإزالة هذا اللبس قدّم الشيخ العقبي عبارة أخرى عزّز بها قوله، فعندما جاء بجملته الثانية علم المتلقّي أنّ الكاتب يحاول تسليط نظرة عن الواجب الحقيقي الملقى على عاتق كل جريدة وصحافي. وبهذه البراعة الكتابية استطاع الكاتب تكملة المعنى من خلال المشاركة "باعتبارها وجهاً من وجوه البديع الجامعة بين الجمالية التي منحت النصّ نسمة موسيقية إيقاعية وأخرى إقناعية أكملت المعنى، وبهذا التناوب بين الألفاظ والمعاني يزداد جمال الخطاب، ويكون أكثر تحريكاً للنفس، وأشدّ تأثيراً فيها"³.

يؤدي التفسير أو البديع التكراري دوراً رئيسياً في توثيق العلاقة بين النصّ ومتلقيه، ولذلك "كان عند البلاغيين من أعلى مراتب البديع شريطة أن يحسن استعماله، وحسن الاستعمال يلج دائرة بلاغة النصّ ككلّ متكامل في تناسب ألفاظه بمعانيه بغية حصول الفهم وتحقق الدلالة، وعليه نرى أنّ البديع تجاوز تلك النمطية المعيارية التي ضيّقت مجاله حاصرة إيّاه في التزيين لينفتح على زخم تأويلي مخبأ تحت ركام هذا اللون البلاغي الذي

¹ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة. ص36.

² - أبي الحسن حازم القرطاجني، قصائد ومقطّعات صنعة، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس؛ 1972م، ص215.

³ - ينظر: أحمد تركي، الحجاج وأثره القرائي على النص الشعري، ص39.

"المنتقد"

من شأنه أن يدخل في مفاصل الصورة والمعنى ليبيدها عمقاً في الدلالة ووضوحاً في القصد وإثراءً في تدفق الإيحاءات له¹.

ولذلك أجاز النقاد العرب مبدأ التكرار في المعاني بمراعاة بعض الجوانب التي تسعى إلى تنزيل الكلام في صورة حسنة ومعرض حسن، فقالوا " والتكرار لا يجب أن يقع في المعاني إلا بمراعاة اختلاف ما في الحيزين اللذين وقع فيهما التكرار من الكلام"². وما يفهم من كلام صاحب هذا القول أنّ التكرار حاصل من جهة اللفظ في أغلب الأحيان كأن تتكرر لفظة (وجه بأوجه وجوه...)، وفي هذه الحالة يكون التكرار باعث ملل ونفور، أمّا من جهة المعنى فالتكرار يخدم الأديب في عملية تبليغه، إذ بتكراره لحجج معينة يؤكد على الرسالة التي يريد أن يعيها للآخر.

-الجناس:

لا يخلو النثر من جناس، كما لا يخلو الكلام ككلّ منه (شعره ونثره)، وهو باعث مساعد على تكوين جمال الخطاب، وبه تُرفع القصائد والمقالات وتوضع، وقد قرأنا في تاريخنا النقديّ عن المعارك الأدبية والسّجاللات النقديّة التي وُجّهت لجماعة شعراء البديع، وهم الذين أسرفوا في استعماله دون ضوابط أو معايير نقديّة تُراعي مستويات الفهم لدى المتلقين وهم في مسعاهم هذا -على ما نظن- أرادوا تكسير نمطيّة القديم المقدّس، ومنح الأولوية لكلّ مخالف على صعيد الشّكل أو المضمون، وقد انبهر بهذا التّيّار حتّى النقاد الشعراء كحازم القرطاجني وغيره.

وما كثرة استعمال الجناس من لدن الأدباء إلا من قبيل المنافسة التي كانت تجرى بينهم فكان أبرعهم من يكثر البديع في منتوجه، ولا شك أنّ الجناس لن تكون له وظيفة في النصّ إلا إذا أحكم الناصمفرداته ووازي بينها حركة وإيقاعاً، ومن شواهد هذا اللون البديعي -في جريدة المنتقد- الهادف إلى إيضاح الصورة وإبراز معناها مع زيادة التأثير قول الشيخ الطيب العقبي: " وتلقينا بالقبول والتسليم ضلالته ونسبنا كل ذلك إلى الدين وقلنا: سلم تسلم و الاعتقاد ولاية و الانتقاد جنابة"³.

¹ - محمّد الدّخيل، مرايا فكر حازم القرطاجني النقديّ وأثرها في نظمه الشعريّ، مجلة كليات الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، اليمن، مج 33، العدد (01)، 2010م، ص 177.

² - حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة. ص 36.

³ - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص 100.

"المنتقد"

يتحدّث الكاتب عن انتكاس الناس ونأيهم عن دينهم إبان الفترة الاستعمارية وتقاعسهم وإعراضهم عن كل دعوة إلى محمّدة أوقات فضيلة ومنقبة، وبالمقابل إسراعهم لمؤازرة كل جاهل يدعو لخرافة يقدها وبدعة يخترعها؛ إذ بهذا الحال ضاع الدين واستشرت الأهواء والضلالات حتى أصبح اعتقاد البدعة ولاية والرد عليها خطيئة وجناية. والتّجنيس هنا قائم بين لفظي (الاعتقاد) و(الانتقاد) فالحروف متقاربة إلا أنّ المعاني تختلف. إنّها حركة جميلة قدّمها الكاتب من خلال الجناس المرتبط بعبارة (سلم تسلّم)، تحزّ المتلقّي وتدفعه إلى إعادة القراءة، ولعلّ نجاح الكاتب في هذا القول جمعه بين لفظتين بينهما شرح طويل، إلا أنّهما يحملان شحنةً دلاليّةً هي للنجاة أسبق من الهلاك تتطلّبان التّركيز والفطنة من المتلقّي.

ولتأمل نفس اللون من الجناس وظفه الكاتب لکن في موقف آخر إذ يقول فيه: "يعترف بمكانها ومكانتها أرباب الضمائر الحية وأهل الأذواق السليمة والمدارك الصحيحة ولن يضرها إعراض بعض الأغبياء وقدح أعشار أنصاق الفقهاء"¹.

يسرد الكاتب في فقرته هذه واقع الجرائد في الأعصر الأخيرة وموقف الناس منها، وقد ذكر أنه لا تعترف بمنزلتها ولا تقدر قدرها إلا الأمم التي قسم الله لها حظاً وافراً في هذه الحياة من سداد العقل وحصافة الرأي وسلامة الذوق وبعد النظر. والكاتب لم يكن ليورد الصّورة على الوجه الذي يرتضيه لولا استخدامه للتّجنيس الحاصل بين اللفظتين (المكان) و(المكانة)، وهما ما منح الجمال لهذا البيت من خلال "التناسب اللفظي والتوافق النغمي" وهو أمر تطرب له الأذن وترتاح له النّفس"².

إضافة إلى البعد الدّهني الذي تحمله اللفظتان وما ينجّر عنهما من فيضٍ دلاليّ؛ إذ استطاع الكاتب أن يجمع بينهما في سياق واحدٍ، فالعلاقة بينهما علاقة تابعٍ لمتبوعٍ فمن مكانة المرء معرفة الناس مكانه، ولما كان الحضور الفعلّي للفظتين المكان، المكانة غائب عن أهل الأهواء والبدع الذين تركوا جرائدهم العربية واغتربوا عنها استدعاه الكاتب وضمّنه قوله، وهذه ميزة أخرى للتّجنيس الذي يثير المعنى بما يطرحه من إيماءات، فالكاتب يقصد أصحاب البدع والضلالات من خلال هذا القول الذي تألفت ألفاظه وتعالقت معانيه وصحّ نسجه، وبذلك نجحت الصّورة وتحقّق تأثيرها في المتلقّي الذي متى اطّلع على هذه الجرائد واقتناها حافظ على دينه ونفع وطنه وتماسك مع إخوانه.

يقول الشيخ العقبي في مقال آخر تظهر فيه القوة التأثيرية للجناس: "ولكن يسوؤني جدا أن يكون في الأمة من

¹ الطيب العقبي، جريدة المنتقد في نظر الكاتب، المنتقد، ص84.

² ينظر: الصورة الفنيّة في الشّعْر العربي (مثال ونقد). براهيم بن عبد الرحمن الغنيم، ص265.

يحاول رد الدين الخالص والحسن من القبول بمجرد التهتر والتهور¹.

في هذا القول ظهرت حركة الجناس فيما بين لفظتي (تهتر) و (تهور)، وهو إذا حللناه قلنا أنه جناس ناقص جمع فيه الشيخ العقبي بين لفظتي التهتر والتهور لقرب العلاقة المرتبطة بينهما، فهي علاقة تنبئ المتلقي بالمنهاج الرشيد الذي يسير عليه أهل العلم الصحيح في ميدان النقد والجرح كي يتجنب سبيل السفه والعنجهية والتهور في ردّه ونقده.

وفي هذا القول ذاته تظهر مهارة الكاتب في كفيّة اختيار الألفاظ التي يصحّ الجناس بها في سياق ما، وما ترنو إليه من معاني عميقة، وعليه يضمن الدلالة المقاربة للشّيء المستحضر من جهة، كما يحافظ به على قانون السبك الذي يحرك نصّه ككل، والحقيقة أنّ السرّ وراء الجناس لا يمكننا حصره في بوتقة واحدة لأننا بحصره سندخله مجال المعيارية والقاعدة المدرسيّة.

وهذا ما نجدّه الآن بحيث تساوت كلّ الألفاظ في الجناس، فنقول جناس دون البحث في معانيه الزّائحة بالمعاني وهذا الأمر قدّم قدّم هذا اللون البديعيّ وقد أشار إليه عبد القاهر الجرجاني؛ وهو يشيد بقيمته الجماليّة فيقول: " إنّه يحدّثك عن الفائدة وقد أعطاهما، ويوهمك كأنّه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووقّاهما، فهذه السّرية صار التّحنيس وخصوصاً المستوفي منه المتفق في الصورة من حلي الشعر ومذكوراً في أقسام البديع ، فقد تبين لك أن ما يعطى التّحنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلاّ بنصرة المعنى²."

وعلى هذه الأفكار بنى الإمام الشيخ العقبي مقالاته التي نأخذ منها قوله : " فهلّم أيها الشباب الناهض والمفكرون العاملون لمصلحة البلاد هلمّ . وحي على الصلاح وخير العمل، فقد برزت إليكم جريدة " المنتقد " والأمة اليوم إلى المنتقد أحوج منها إلى المعتقد³."

كان التّحنيس أداة تفاعلٍ في نصّ الشيخ الطيب العقبي؛ إذ منه تناسل حوار وردّ كلاميّ بين الطرفين لتكملة المعنى، فالشيخ العقبي في لحظة توديع زمن الجمود الفكري وغياب الجرائد، والدعوة إلى استقبال جريدة " المنتقد " والالتفاف بها ومؤازرته، وبالتالي لمسنا نبرة إشفاق وحب خير في تعبيره بالأمر (هلم)، مع المنادى (أيّها) علّه يُحسن دعوة الشعب إلى الإقبال على جريدة المنتقد.

ويبدو الجناس واضحاً في الفقرة بين لفظتي (المنتقد) و (المعتقد)، وهو إجابة وتعليل عن فعل الأمر (حيّ) الذي بثه في قوله، وبه جمع الكاتب بينه وبين متلقيه الذين أشفق عليهم، فلم يشأ تذكيرهم بسنوات

¹ - الطيب العقبي، متمنياي اليوم، المنتقد، ص283.

² - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، ص08.

³ - الطيب العقبي، جريدة المنتقد في نظر الكاتب، المنتقد، ص82.

"المنتقد"

العجاف التي غابت فيها عنهم الصحف العربية ليحببهم أنه يدعوهم إلى نور يضيء لهم سبيل خير الأعمال والصالح وخدمة البلاد. وهذا الوصف لجريدة "المنتقد" يُثبت جدية الطرح عند الكاتب ويُقوي مقصديته من خلال هذا الحوار الثنائي.

ومّا نلخص إليه ونحن نتناول هذا اللون البديعي (الجناس) أنّ الشيخ الطيب العقبي أجاد توظيف هذا النوع المؤسس لديناميكية النصّ الأدبي في بعده الصوّتي الجماليّ المؤدّي إلى الإمتاع والآخر الدلاليّ الخادم للإقناع والتّسليم. كما نجد يعمد إلى التوظيف الجزافي للجناس وذلك مسايرة لروح العصر ومتطلّباته، ومتى حسن توظيف هذا اللون عن طبع ودرية عاد بالجمال والحسن على الصّورة ككلّ، وبهذا يتماسك النصّ ويتشابك فيؤثّر في المتلقّي ويثير إعجابه ودهشته ويدعوه للمحاورة وإكمال المعنى.

- التّقسيم بين المحاورّة والمعنى:

وهو ملمح بديعيّ أسلوبيّ مُعين على ترابط جمل النصّ، وذلك "لأنّه يجعل الأقسام مرتبطة و متعلّقة بالمذكور في

البداية، وهو ذلك الشّيء الذي تفرّعت عنه وانبثقت منه، ولاريب أنّ المتلقّي سيكون مشدوداً لمعرفة الأقسام حتّى يتمّ استيفائها"¹، وهذا ما يكشف عن الوظيفة الفعّالة التي يُحدثها في نفسيّة المتلقّي وهو يتتبع خيوط هذا التّقسيم من بدايتها إلى نهايتها؛ دافعاً إيّاه إلى التّحليق بخياله عبر المشاهد البعيدة القريبة التي يصوّرها له من خلاله، فيفتح الأسلوب وتضيق العبارة على تأدية الغرض لما يزخر فيها من معان مزدحمة و متدافعة ساهمت في تأسيس نسيج أجناسيّ يستدعي جمعاً من الحقول في تكوينه وحبكه.

ولذلك صنّفه النّقاد في قسم كمال المعاني وانتظام العبارات بقولهم: " فأما الكمال في المعاني فباستيفاء أقسامها واستقصاء متمّماتها و انتظام العبارات جميع أركانها حتّى لا يُخلّ من أركانها بركن ولا يغفل من أقسامها قسم ولا يتداخل بعض الأقسام على بعض"².

ففي هذا القول نرى أنّ الناقد يؤكّد على البعد الوظيفيّ للتّقسيم الذي يكون لأجله النصّ، فإذا أجاد الناظم في تقسيماته واجتلب المعاني ورتّبها نزل كلامه موقِعاً حسناً في نفسيّة المتلقّي، وفعل فيه ما يفعله الغيث في التّربة، وعلى التّظير من ذلك فإذا لم يقتدر الناظم في بنائه على اجتلاب المعاني واستيفائها وأخلط تقسيمها و ترتيبها

¹ - براهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي، (مثال ونقد)، ص275.

² - حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة. ص154.

"المنتقد"

وأدخلها في بعضها البعض، لم يُنظر إلى كلامه وكان مجرد كلام يقال، لا جمالية فيه البتة، فلم يُقنع به ولم يوقر الجوّ اللائق لإدهاش متلقيه والتأثير فيه.

كان حسن التقسيم أكثر دورانا في قصيدة الشيخ العقبي (إلى الدين الخالص)، وقد خطى فيها خطوات تُبرز مدى وعيه النقديّ الحاذق في مراعاة طرق استيفاء المعاني وترتيبها، هذا وقد كانت للظروف المحيطة ب حياة الشيخ العقبي دور في تطوّقه لهذا المثير البديعيّ؛ وعلى هذه الأسباب وأخرى وجد الشيخ في التقسيم الفضاء الرحب واللائق الذي يمكنه من التعبير عن خوالج نفسه وعرض عقيدته ومنهجه الديني أمام الجمهور، فيسقط القول عبر هذا الفنّ ويضعنا أمام صورة فنيّة ومشهد بديعيّ. ولعلّ التّمودج البارز في هذا الصّدّد يتمثّل في أبياته المميّزة بما أراده لها منتقسيه محمود وترتيب محكم حيث يقول¹:

يَوْمَ لَا تَنْفَعُهُمْ مَعْدِرَةٌ وَلَظَى مَاوَاهُمْ بِنَسِ الْمِهَادِ
يُضَهَّرُ السَّاكِنُ فِي أَطْبَاقِهَا كُلَّمَا أُحْرِقَ مِنْهُ الْجِلْدُ عَادَ
وَ كَلَّ اللَّهُ بِمَنْ حَلَّ بِهَا جَمْعُ أَمْلَاكِ غَلَاظٍ وَشَدَادِ
أَكْلُهُمْ فِيهَا ضَرِيْعٌ شُرْبُهُمْ مِنْ حَمِيمٍ لِبْسُهُمْ فِيهَا سَوَادِ

بيثّ الشّاعر من خلال هذا الفنّ حقيقة تتعلّق بحياة أهل النار يوم القيامة وذلك بتقسيمه الحياة والعيش في قاعها إلى أكل وشرب ولباس متبّعاً حركة أصحاب السعير من خلال ألوان العذاب التي يلقونها، وهي عناية تضيئي جلّ الاهتمام، إلّا أنّ الشّاعر لم ينقرها بمنقار طائر جوال وإنما أولاها ما تستحقّه من الصّناعة التّظمية من أحيّة في الحديث بالإجمال ثمّ التّخصيص والتّضييق؛ وهو ما نشاهده في هذه الأبيات التي فيها تفجير طاقات اللغة الفنية لتقول أكثر مما تقول، وتشير أكثر مما تشير، وفيها تصوّر الشّاعر مأوى أصحاب الشرك والعقائد الفاسدة يوم الدين وأحوالهم فيها؛ إذ هم كثيرو العذاب وسوء الحال والمآل؛ حيث كلّ لون من العذاب أشد من الآخر، وهذه إشارة تعتمد على حجّة التّبرير؛ أي أنّه لا مكان لكم غير لظى فاحذروها، وتجنّبوا لهيبتها، ولذلك يتعوذ منها أهل الكتاب والسنة، وهذا الفهم لم نكن لننتبينه لو لم نر حديث الشّاعر في أبياته الأولى، ثمّ بدأ بتقليص الدّائرة وتفصيل الأشياء فوضّح أنّهم معذبون في مآكلهم ومشرّبهم وملبسهم.

فهم في جهنم يأكلون ويشربون ويلبسون، لكن ليس كما كانوا يفعلون في الدنيا، فالأمر مختلف جداً، أما طعامهم فيها فهو الضريع وهو نوع من الشوك، وهو من أسوء الطعام وأبشعه فلا تنتفع به أجسامهم، ولا يجدون

¹ - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص135.

"المنتقد"

له لذة ولا مستساغاً، فأكله إنما هو زيادة في العذاب، ومضغه شقاء فوق الشقاء، وأما شراهم فيها يكون من حميم، والحميم هو الماء الحار الذي تنهى حرّه واشتد غليانه وارتفعت حرارته، وأما لباسهم فيكون حلالاً من النار المميته المفحمة، وهذه الدقة لم تكن لتظهر لولا اعتماد الشاعر فنّ التقسيم وقد أجاد فيه؛ إذ إنّه انطلق من شيء عامّ (عذاب جهنم)، ثمّ بدأ يدقق ويفصّل ويدلّل على صحّة رؤياه (المأكل، الملبس، المشرب) ليضع متلقيه أمام صورة فنيّة كثيرة المعالم ومختلفة الألوان، وبها عرفنا كيف أفاد الشاعر من فنّ التقسيم في إيضاح المعاني، و في إثارة المتلقّي.

- المبالغة من التفخيم إلى الفهم:

المبالغة لون بديعيّ آخر ينهض بتأدية وظيفة بلاغية يعوّل عليه المبدع في بناء نصّه الإبداعي (شعر أو نثر)؛ وهي تقنية أسلوبية قائمة على التكتيف المحبّي لفيض دلاليّ ووجد عاطفيّ، إذ من خلالها يحاول المتكلم استمالة المتلقّي وجلب عاطفته والتأثير فيه ومتى كانت موافقة للجانب العقليّ و التخييليّ نجح التعبير وأدى وظيفته التي وُجد من أجلها، حيث إنّ التخييل يخرج اللّغة عن حدود أوضاعها الأصليّة ويؤهلها للتعبير عن المعنى بلا حدود، مطلقاً بلا تقييد¹. وعلى هذه النظرة نجد نقادنا العرب وغيرهم يركّزون عليها كونها مثيراً من مثيرات إحداث الانفعال ومنح التأثير لتكملة المعنى والوصول إلى مشاركته المتعدّدة، وعلى الخلاف قد تكون عيباً من العيوب التي تعسر الفهم وتقطع طريق التواصل بين طرفي العمليّة التواصلية، وهذا جدل قديم اعترى الطّرح البلاغيّ و التقديّي منذ القدم². امتازت آراء البلاغيين والنقاد بالتخصيص لهذا الفنّ البديعيّ والشموليّة معتبرين المبالغة حجّة يلجأ إليها الكتاب الشعراء قاصدين من خلالها "تحسين حسن أو تقييح قبيح فيتجاوزون حدود أوصافه الحقيقية ويحاكونه بما هو أعظم منه حالاً أو أحقر، ليزيدوا النفوس استمالة إليه أو تنفيرا عنه"³، وهذا الكلام يجعلنا أمام تصوّر جديد للمبالغة وذلك في جمعها بين جانبيين من الجوانب المراعية للإبداع؛ جانب عقليّ يصف ويقارب الحالة في إطارها البعيد الذي يؤدي إلى التّسليم وآخر يكمن في الجانب الإمتاعيّ المتعلّق بالأثر التّفسيّ الذي تصاحبه هذه المبالغة، فهي على ما تبعته في النّفس من متعة وإثارة تكشف لنا حالة الأديب الشعوريّة؛ إذ بها يستطيع إخراج مكبواته وما يعتلج في حنايا ضلوعه.

¹- ينظر: عبد الله البهلول، المبالغة بين اللّغة والخطاب (ديوان الخنساء أمودجاً)، تقديم: محمّد الهادي الطرابلسي، مكتبة قرطاج، تونس، ط1؛ 2009م، ص05.

²- ينظر: بسويوني عبد الفّتاح فيود، علم البديع (دراسة فنيّة وتاريخيّة لأصول البلاغة ومسائل البديع)، مؤسسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط2؛ 1418هـ، 1998م ص197، 198.

³- حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة. ص73.

"المنتقد"

كما أنّ المبالغة لا تلجأ إلى وصف الشيء بمعنى الوصف؛ وإنما إلى تعميق الوصف بما هو أعظم منه على صعيد التشكيل اللغوي، ولذلك أخذت صبغة الدوام والاستمرار فقولنا مثلاً: فلان كثير الرماد بمعنى أنّه مضيافٌ وناؤه دائمة الاشتغال. فلغة الشاعر أو الكاتب تقوم على إعادة تشكيل الواقع الخارجي بإقامة الأشياء في وجود لغوي آخر تتجدد فيه العلاقات فيما بينها من واقع الذات الأدبية وما تصحبه من مشاعر ومكبوتات ورغبات ملحة في اقتناص الحقائق والوصول إلى جوهر الأشياء، وتسجيل ذلك الفكر السيال المتدفق بكلمات اللغة، أي أنّ المبالغة تجمع بين اللغة والفكر وبهما تصحّ، وبهذا النشاط يتلقاها القارئ أو السامع فيطوف معها في حدود تقديره للكلمة وإيمانه بفاعليتها ونشاطها فيمتع ويقنع بما أُلقي عليه¹.

إنّ الحديث عن المبالغة حديثٌ عن اللغة وطرق توظيفها واستعمالها، وقد عُنت التداولية بدراسة هذه الوظيفة والكشف عن مقصديات الخطاب²، فالأديب لا يقول من أجل التّفنّ بالقول والتّعالي فيه، وإن كانت فنياته الأسلوبية واللغوية موجودة تميزه عن غيره إلاّ وتبقى قضية التأثير وفهم المراد عالقة بالمتلقي الذي تدفعه إلى المحاوره والتقصّي في مكانها المضمره، ومرات لا يستطيع الأديب التعبير عن أمره إلاّ من خلال المبالغة التي تكون أحسن وسيلة للتوصيل والتبليغ.

فمن هذا الكلام يتضح أنّ المبالغة تتركز على مبادئ تداولية أكثر منها بلاغية أسلوبية وهي المتمثلة في مراعاة المقال للمقام وبها تنجح المقاصد ويتحقّق الفهم، وفي هذا تجمع المبالغة بين شقين شقّ تواصلية إبلاغيّ بالأساس باعتبار أنّ للكلام شعره ونثره وظيفه، وشقّ ثاني يتناسل عن الأوّل؛ وهي مسألة الإجادة والصناعة النظمية المعبرة عن ملكة الأدباء وقدراتهم الكتابية.

أخذت المبالغة حصّة لا بأس بها في آثار الشيخ العقبي الفنية الأدبية التي سلك فيها مذهب الإقناع المصاحب للتأثير، أي أنه بحكم ملكته الأدبية الفذة ركّز على الجانب الفعّال للمبالغة في خطابه الأدبي، علماً أنّ كلّ ما يتفوّه به راجعٌ إلى غاية يودّ إرسالها للمتلقّي، ولن يحصل التأثير على المتلقي إلاّ إذا عُرض الكلام معرضاً حسناً عليه "فيقدّر أسلوبه ويؤمن بقدرته على التأثير هنا تستطيع المبالغة أن تحمله إلى قريب من الأفق الذي ولدت فيه"³. وعلى هذا الكلام تبني بعض الباحثين والنقاد المحدثين إدخال المبالغة علم البيان لأنّها تعني بالمعاني

¹ - ينظر: عالي سرحان القرشي، المبالغة في البلاغة العربية (تاريخاً وصورها)، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، السعدية، ط 1؛ 1406هـ، 1985م، ص 268.

² - ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الزباط؛ 1986م، ص 08.

³ - عالي سرحان القرشي، المرجع السابق، ص 268.

"المنتقد"

وهي أبعد من أن تكون تقنية أسلوبية مقارباتية للشئ الموصوف. ولمنح هذه الكلام صبغة تعلل مدى هيمنة هذا اللون البديعي على إبداع الشيخ العقبي نأخذ قوله : " طالعنا العدد الأول منها فألفيناها آية في صناعة الصحافة وانتقاء المواضيع، يحكي بما اشتملت عليه كبريات الصحف الشرقية، جمع فأوعى ودل على شجرة الخلد ومملك لا يبلى، يرشد إلى سلوك خطة حميدة، ومبادئ في طرق الإصلاح جديدة، محررا بأرقى قلم، وهو في ترتيبه من أحسن ما رأى وعلم"¹.

ينبري الكاتب إلى مدح جريدة "المنتقد" وذكر مزاياها وفضائلها، وهذا ما نستشفه من رؤيتنا الأولى لهذه الفقرة، ولذلك يوظف التباهي والإعجاب حتى يقارب بهما ويؤكد، فقد استهل حديثه في هذه الفقرة عن حسن مقال العدد الأول منها وتمازج نظمته ودقة انتقاء مواضيعه، فعبر عنه بالآية في صناعة الصحافة، والآية تطلق على العلامة والعبارة والأمانة والمعجزة، كما تطلق على كل عمل يفوق سير الأشياء الطبيعي، ثم رأى أن عواطفه مشحونة لم يسعها التعبير الأول المصور لحسن الجريدة وفضلها وتميز عددها، فكثف الكلام في مقولته هذه من خلال المبالغة ذاكرا أن العدد الأول من مجلة "المنتقد" يتحدث بمواضيع اشتملت عليها كبريات الصحف الشرقية. وهاته المواضيع قد انتشرت في كل الصحف وتوزعت على كل الجرائد الشرقية إلا أن العدد الأول من جريدة "المنتقد" جاء جامعا لها كلها ولا تشاركه فيها صحيفة من الصحف الأخرى.

ففي هذه المبالغة يتقصّد الكاتب إقناع المتلقي وما حديثه عن الصحف الشرقية إلا دليل على أقوال طُرحت في ذلك العصر فمن الناس من ظن أن لا خير في غيرها، وعليه كانت هذه المبالغة حجة تبين نفعية الممدوح وقيمتها وسط أبناء الجزائر، وبهذا كان لها القبول الحسن في نفسية المتلقي حيث انطلق فيها الكاتب من التعبير بذكر المحاسن (آية في صناعة الصحافة) إلى الترتيب والمفاضلة (من أحسن ما رأى)، وبهذا القول صنع الكاتب صورة الجريدة وأزّلها منزلة الآيات والمعجزات في صناعة الصحافة، كيف لا وقد جعل التشويق والحماس يراودان نفسية المتلقي، فبالمبالغة اقتدر الكاتب على الجمع بين "الإمتاع والإقناع الممثل في إيضاح المعنى وتقريبه وهي مبالغة قريبة في الذوق يقبلها العقل"².

ظهرت المبالغة بصيغ الصدق والحقيقة في مقالات الشيخ العقبي وفي توظيفه إياها منح لها بعداً آخر غير الفنية التي تجمل الكلام إلى التركيز على التأثير الذي تمثله في نفسية المتلقي، ولأجل هذا كانت المبالغة عنده أداة استمالة بالدرجة الأولى غاية الكاتب منها إبراز حقيقة الأشياء باعتبارها تمثل في أي نظم "وسيلة لتصوير العواطف،

¹ - الطيب العقبي، جريدة المنتقد في نظر الكاتب، المنتقد، ص84.

² - براهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد)، ص278.

"المنتقد"

وهي وسيلة ناجعة في إبراز صفات الممدوحين¹، ثمَّ إنَّ التَّعبير بما أبلغ وأغدق وأغرق في استزادة المعاني، وبإمكاننا التَّدليل على ذلك بقول الشَّيخ العقبي: " أما اليوم فقد هب نسيم العلم الغض فأحيا دارس الرَّمم وأنعش الأرواح التي كانت تعالج سكرات الموت المرَّة فرجعت إلى حسن ما كانت عليه، فليس للمقصر من عذر ولا للمتقاعس عن الرفقة غير الوزر وعظيم الخسر"².

يواصل الكاتب مدحه لجريدة "المنتقد" فيصوِّر العلم الذي بثته الجريدة في الجزائريين وهو يحيي قلوبهم ويجلي عنهم الجهل والعي والزان، إلَّا أنَّ هذه الصُّورة موجودة وقد تواترت عليها كلُّ ألسنة العلماء فلا جدَّة فيها؛ إلَّا أنَّ قدرة كاتبنا كبيرة فقد لجأ إلى أشياء معروفة وفتَّحها ليخرُج منها أشياء جميلة؛ فشبه إحياء العلم للقلوب الميتة التي تغشاها العي والزان بالأرواح التي كانت تصارع سكرات الموت المرَّة فرجعت إلى حسن ما كانت عليه من عافية وصحة، وبهذه المبالغة ابتكر الكاتب صورته الجميلة التي أثار بها مشاعر المتلقِّي ودغدغ شعوره وجعله يعيد الصُّورة ويقارنها.

إنَّ توظيف الشَّيخ العقبي للمبالغة الحسنة نابغٌ من تيقنه بأنَّ المتلقِّي شريك له، لذلك وجب عليه إرضاءه ومنحه أحقيته في التَّأويل والتَّفكير والتَّأمل، والشَّيخ العقبي بحكم وعيه السليم يحاول دفع قارئه ليتتبَّع مناحي الجمال في صوره الأدبية الثرية. وفي مثل هذا يقول الشَّيخ العقبي: " ولكننا نقول إن كان هذا هو هلالكم فأيقنوا أنه سيكون بدركم أبا لمجموعة الكواكب وأكبر مادة تتولد منها شمس الحقائق (وأول الغيث قطر ثم ينهمل) فله إرادة خصصته وقدرة أبرزته وما ذلك على من ألهم التوفيق بعزير"³.

صورة وصفية زادت المبالغة جمالاً وروعة وفيها شبه صدور العدد الأول من جريدة "المنتقد" بولادة الهلال الأبلج المعلن عن بداية الشهر، ولم يورد الكاتب التَّعبير بأسلوب إخباريٍّ مجرد بل فعَّله بالمبالغة فتصوير صفة حسن العدد الأول من الصحيفة ودقته وتماهه إلى حدِّ حسن الهلال ونموه إلى أن يصبح بدرًا مكتملاً أمر غير ممكن؛ وهو مستحيل في حقِّ الصحافة إلَّا أنَّ الكاتب تدارك هذا الموقف وضبطه بحركة فعل الشرط (إن كان) مدعياً أنَّ الإصدار الأول من جريدة "المنتقد" يكاد يكتمل من دقته، وهذه مبالغة أخرج فيها الكاتب الصِّفة على غير حقيقتها، وجاءت عوناً على إبراز المدى الذي بلغته الجريدة، و جاءت كذلك مسحة خيالية فنية ارتقت بالأسلوب وحسنت التعبير ولطفته.

¹ - براهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصُّورة الفنيَّة في الشُّعر العربي (مثال ونقد)، ص 277.

² - الطيب العقبي، جريدة المنتقد في نظر الكاتب، المنتقد، ص 82.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ب- البديع التّقابليّ:

-المطابقة من الإدهاش إلى التّأثير:

أسهب البلاغيون القدامى في الكلام عن مصطلح الطّباق وما له من دور في تحميل الكلام والتّأثير في المتلقّي، وماهية الطّباق في السّياق تتجاوز ذلك الفهم النمطي المعياريّ المدرسيّ الذي لا يزال حاصلاً، إذ هو لون بديعيّ ذو وجهة تقابلية تحمل عنصر المفاجأة والإدهاش بالدّرجة الأولى، كأن يجمع الأديب في نظمه بين لفظتين تختلفان لفظاً وتتساوقان استعمالاً وتوظيفاً، هذا ما أورده صاحب المنهاج في قوله موضّحاً ماهيتها: " وذلك بأن يوضع أحد المعنيين المتضادين أو المتخالفين من الآخر وضعاً متلائماً"¹.

فالتّلاؤم مطلب يحاول كلّ شاعر أو كاتب إقامة كلامه عليه، وهو صعب المنال لا يدركه إلاّ الفحول، فإنّ تجمع بين لفظتين متباينتين لفظاً متفقتين في تأدية المعنى أمر تندسّ ضمنه مجموعة من الآليات والمبادئ المنشئة له كالتناسب، ومتى حضرت منحت الكلام جماليته. وكلام حازم القرطاجني هذا محاولة منه "الرصد البنيّ البديعيّة الرّئيسيّة بتحديد النّظام الذي يحكم حركتها الدّاخلية، دون محاولة منه فرض هذا النّظام الخارج أو بفكر مسبق؛ وإنّما ترك للبنيّ إفراز نظامها في السّطح أو العمق وكشف فاعليتها في إنتاج المعنى"²؛ أي إنّ المطابقة في الكلام تعتلق المعنى لا اللفظ، إذ المعنى هو ما يحرك عواطف المتلقّي ويجعله يُسلم لصحة القضيّة.

وقد يتجاوز الأديب هذا الملمح الذي يعوّل عليه في مطابقاته إلى ملمح آخر تكون فيه هذه المطابقات حججاً يراد من خلالها الإقناع، وهي ما سُميت في الدّراسات الحجاجيّة بحجج المقابلة؛ وهي حجج تفهم من مقابلة الألفاظ واجتماعها واتّحادها لتأدية حجّة ما تخدم موقفاً ما، أو يحاول من خلالها المتكلم تغيير سلوك ما³، فبالنّضاد تبرز المعاني وتتّضح لدى المتلقّي الذي لا يقف عند الألفاظ بل يتعادها لمساومة المعنى موطن بلاغتها كما يرى مجمل الخطاب النّقدي "فالضّدّ أو المقابل هو ما يجلب إلى الدّهن ضده أو مقابله فإذا كتب المبدع -

¹ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، ص48.

² - محمّد عبد المطلب، البلاغة العربية (قراءة أخرى)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1؛ 1997م، ص353.

³ - ينظر: سامية الدّريدي، الحجج في الشّعر العربي القديم، ص194، 195.

شاعراً كان أو ناثراً- أو نطق أحد المتساندين وقع مقابله في ذهن متلقيه، قبل أن يقرأه أو يسمعه وبهذا يتحوّل متلقّي الأدب إلى مرسل له"¹.

من خلال هذا القول تبرز لنا بنية المطابقة في السياق؛ فهي أداة تأثير ومحاورة تجعل المتلقّي على علم بمجريات الرسالة، كما تضعه في سياق القول نفسه، ولأجل هذا تكون بانيةً للعلاقة التبادلية المترابطة بين المتكلّم وقائله؛ كما أنّها تُبرز صلة المتلقّي بالنص من جهة تكملة المعنى.

إنّ المطابقة بهذا الفهم تكسر مقولات ارتباط النصّ بقائله، لأنّها مؤسّسة للعلاقة المكتملة فيما بين المبدع والمتلقّي وبهذا التواشج تبرز الفائدة من النصّ، كما أنّها تستحضر علاقة الغياب فيما بين الألفاظ المتقابلة من جهة المبدع؛ بمعنى أنّ ما كان غائباً على المبدع يجلو في ذهن الطرف الآخر المتلقّي، وبها تكون الصّور جميلة اندستت تحت ركام ألفاظها معان كثيرة، وبها يحسن التعبير وتصلح الحجج فيما بين الباتّ والمتلقّي فيفهم كلّ منهما الآخر. هذه التكملة بالمطابقة يقسمها حازم القرطاجني إلى محضة وغير محضة فيقول: " فالمحضة مفاجأة اللفظ بما يصاده من جهة المعنى وغير المحضة تنقسم إلى مقابلة الشيء بما ينزل منه منزلة الضد وإلى مقابلة الشيء بما يخالفه"².

تأخذ المطابقة في مقالات الشيخ الطيب العقبّي حيزاً كبيراً يمثّل في معرفة الضدّ بما يُقاس عليه كجديد قديم، و واسع ضيق، وهذه المطابقة تنزوي تحت مضمار التّناسب الذي يربط السّابق باللاحق، وعليه يقوم الانتاج الدلاليّ في علاقة بسيطة تتابعيّة تخدم المعنى، ومنها نذكر قوله: " حاول فيها كاتبها الممضي (متعجب) بما كتبه الحكم على كل الصحف العربية أو أكثرها شرقاً وغرباً بالخيبة وعدم الإتيان من وجودها للأمة بفائدة"³.

نجد في هذا القول تناسباً بين متقابلين كلاهما يطلب الآخر، وهي علاقة تلازم نفهم قصدها دون إعمال فكرٍ على وجه الحقيقة إلا أنّ الكاتب أراد بها وصف الحقد الذي يكنه صحافي جريدة (المنتقد) لكل الجرائد العربية، فهو في قوله هذا يتحدّث عن صحف البلاد وتنوعها؛ إذ كثرتها هي ما جعلته يميزها عن بعضها البعض بالجهات تفصيلاً لها لأنّه لو ذكرها بكلمة واحدة لضيق مجالها، فالقول هنا إخبار يصف فيه قائلهظعن الصحافي في سائر الجرائد العربية لمتلقّ ضمنيّ ولذلك يتقصّد الشرح ليضعه أمام صورة مكتملة، هذا من جهة.

¹ - عبده قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص319.

² - الطيب العقبّي، رد يصادف محله، المنتقد، ص212.

³ - أبي الحسن حازم القرطاجني، قصائد ومقطّعات صنعة، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، ص32.

"المنتقد"

ومن أخرى نلمح أن في توظيف الكاتب للجهتين دلالة نفسية طرح من خلالها رسائل جمّة، فتعبيره بالشرق أولاً لجلب انتباه المتلقّي، ثمّ يعاكسه بالجهة الغربية لتثبيت فكرته وترسيخها في ذهنه وهذا لاتجاهان يتماشيان معاً في خط واحد نهايته هي التأثير والإقناع.

يُسهم الطّباق في تكثيف الجانب المعنوي للنصّ الأبي من خلال التّقابل الذي يحدثه في البنية العميقة للألفاظ، فهو ينبو عن وعي الأديب بماهية اللفظة وما يمكنها فعله في نفسية الآخر، فمرات يحاول الكاتب أو الشاعر إقامة بناء ضديّ يتأسّس على تعزيز عقيدة وتقرير منهج وذلك في قول الشيخ الطيب العقي¹:

قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا أَدْعُو سَوَى خَالِقِ رُؤُوفٍ بِالْعِبَادِ

يقرّر الشيخ العقي في هذا البيت منهجه وعقيدته وقد أسعفه الطّباق في تقديمهما للقارئ، إذ شطر البيت يقوم على بناء ضديّ تقابليّ حاصل بين الكلمتين (قائما) و(قاعدا)؛ وهناك معنى مرجو من هذا الوجه التّقابليّ، وفحواه أنّ الشاعر يرد على كل معارضيه من أصحاب الشرك والقبوريين الذين اتخذوا مشايخهم واسطة يتقربون بها زلفى إلى الله، فهو يدحض كل شركياتهم ويرد على كل من اتهمه بالبدعة والمروق عن الدين، لذلك يأتي بهذا البيت ليفصح عن براءته من عملهم و توحيدهم لله عزّ وجل في كل عبادته والتي منها الدعاء، فهو في كل أحواله يخلص الدعاء له ولا يصرفه لغيره سواء كان قاعداً أو قائماً لا يتضرع إلا لله الواحد الأحد المستحق للعبادة.

هذا نوع من أنواع الطّباق الذي وظفه الشيخ العقي في جريدة "المنتقد"، وقد ألفينا في قراءتنا لدرره نوعاً آخر يدفع القارئ ويستفزّه للبحث عن معناه لأنّ التّقابل فيه ينضوي تحت المصطلحات النفسية العاطفية كلفظة يفرح ويجزن وما يجري مجراها، ولعلّ عاطفة الكاتب وحرصه على كشف أفكار أهل الأهواء المتضادة وتقلّبات عقائدهم كانت سبباً في إيراد هذا النوع من الطّباق، ومن الصّور الفنيّة التي تُثبت هذا النوع قوله: " ويسرني انتقاد أهل العلم الصحيح وردهم على بضاعتي المزجاة بألة الشرع الشريف وحجج المنطق المقبولة شرعاً، ولكن يسوؤني جداً أن يكون في الأمة من يحاول رد الدين الخالص والحسن من القبول بمجرد التهتّر والتهوّر، ويجزني كثيراً إذا كان ذلك المحاول سفيها"².

بنى الكاتب قوله على ثنائية ضدية تجمع بين لفظة (يسرني) ولفظة (يسوؤني، يجزني)، فنفسيته مع منتقديه بين السرور والحزن، هذا ما نراه سطحياً إلا أنّ التّقابل في هذا القول له دلالة أخرى نستشفها من خلال لفظتي (آلة الشرع) و(التهوّر)؛ فأما حزنه فهو دليل على محاربتة كلمن يتبعون أهواءهم في جرحهم أو تعديلهم وعدم ثقته بمن يستخدمون آراءهم وعقولهم في ردهم ونقدهم، وفيه إشارة إلى شرعية وصواب علمه واعتياده الدائم على تحكيم

¹ - الطيب العقي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص138.

² - الطيب العقي، إعلان، المنتقد، ص310.

"المنتقد"

الشرع واستحضار الدليل، وأما حبوره وسروره فهو دليل على حبه للعلم الصحيح وشغفه بأهله الذين يعتمدون في تجريحهم وردودهم على الأقوال الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة والتي لا تتنافى مع العقل السليم غير البضيق؛ فهذا الطِّبَاق تمكن الكاتب من تثبيت صفتي السرور والحزن في نفسية المتلقِّي.

وفي مقال آخر للشيخ العقبي بعنوان "الدين والاجتماع" يقول فيه: "ولهذا لا نألو جهدا في خدمته بنشر مبادئه الحقّة وتطهيره من كل ما أحدثه المحدثون والدفاع عنه من أن يمس بسوء من أهله أو من غير أهله"¹. ومحل الشاهد من هذه العبارة (أهله) و (غير أهله)، يرسم لنا الكاتب بهذا الطِّبَاق (طباق السلب) البرنامج الذي تسير عليه جريدة "المنتقد" والأسس التي اختارتها وجعلتها منهاجا لها تسلكه وتدعو الناس إليه، فقد جعل السوء الذي ترنو الجريدة لإبعاده عن الدين غير مقتصر على من لا يعتنقونه فقط بل شمل حمايته حتى من إذاية أهله دون مراعاة الأبعاد القومية الوطنية والعرقية، فالدين قبل كل شيء وفوق الجميع، وبهذا التّقابل الحامل لفيض دلاليّ غزير استطاع الكاتب التّعبير عن جدية مسعى جريدة "المنتقد" في خدمة الدين والدفاع عن حياضه من برائن البدع، ولعلّ لجوء الكاتب إلى هذا التّضاد لأسباب منها أهما يوحيان إلى معاني الصرامة والمصادقية والحرص الشديد، كما أتهبهما استطاع التّعبير عن مقتته لأهل البدع والخرافات حيث لولا التّقابل لما استطاع التّعبير عمّا يصول ويجول بداخله.

-المقابلة من الجمال إلى السّبك:

المقابلة وجه بلاغيّ أوسع من الطِّبَاق تنبني على التّقابل والتّضاد المركب، وهي توافقه-الطِّبَاق- في أهدافه ومساعيه؛ لأنّ ذكر الشّيء وما يقابله ليس ببعيد عن ذكر الشّيء وما يضادّه، كما أنّها-المقابلة- تتباين معه، ففي الطِّبَاق تتداعى المعاني المعاكسة، وفي المقابلة تتداعى المعاني المتشابهة، والمتعاكسة كذلك²، وهذه رؤية نقدية قديمة، فقد عرّف نقادنا القدامى المقابلة وفصلوا فيها مفرّقين بينها وبين الطِّبَاق، ولعلّ أسمى محاولة قاربت هذا اللون البديعيّ محاولات حازم القرطاجني الذي أرجع وجودها "فيالكلام بالتّوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضا والجمع بين المعنيين اللّذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب، على صفة من الوضع ثلاثم بما عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر كما لاءم كلا المعنيين في ذلك صاحبه"³.

¹ - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص99.

² - ينظر: براهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصّورة الفنّيّة في الشّعْر العربي(مثال ونقد)، ص271.

³ - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، ص52.

"المنتقد"

فبهذا الكلام يكون حازم القرطاجني قد أعاد الرؤية الحقيقية للمقابلة، فهي كما يراها الباحثون قائمة على التّضاد، كما أنّها تقوم على المطابقة والمشابهة، ولذلك فللمقابلة فيما يرى الناقد حازم القرطاجني أنواع " تتشعب قلّ من تجده يفتن لمواقع كثير منها في الكلام. كما أنّ كثيرا من الناس يعدّ من المقابلة ما ليس منها. وأكثر ما يشعر به منها مقابلة التّضاد والتّخالف"¹.

وبمعنى آخر إنّ المقابلة تتجاوز هذه العلاقة المتعكسة لتظهر شيئا آخر هو تلاؤم عبارة المعنى الأوّل مع عبارة المعنى الثاني على وجه الصّحة²، وعلى هذا الكلام تصبح أداة لسبك النّصّ، فُتبرز المعاني وتُقدّمها بطريقة جميلة موحية تدفع المتلقّي إلى التأمّل والتّفكير؛ وهي بذلك تجمع بين التّعبير والتّفكير³ ليدرك معناها فينفع ويتأثر.

يتقصّد المبدع التّعبير بالمقابلة لأنّه يرى فيها الوسيلة المثلى لأسر متلقيه عقلياً وعاطفياً، فهو لا يضع الألفاظ في سياق القول اعتباطاً؛ وإتّما لهدفٍ يريد تحقيقه و توصيله؛ إذ له فنيّات في توظيفها محافظاً على مبدأ التّوازي الحاصل بين المستويات الصّوتية والتّركيبية، وبتعاضد التّوازي و التّركيب الصّوتي مع التّقابل الدّلاليّ نكون أمام نصّ محبوك ومسبوك، وهذه أفضل أنواع المقابلات⁴.

وعلى هذه الأغراض الموجودة في هذا اللّون البديعيّ أقام الشّيخ الطيب معظم مقالاته في جريدة "المنتقد"؛ فهي دعامة للتأثير و الإقناع في أجهى و أوضح صورته، كما أنّها فاتحة لآفاق التّأويل لسعتها وكثافتها إذ السّعة ضمن الدّائرة التّعبيرية ليست بقوى الألفاظ وحدها؛ بل ما تنشئه من ظلال ودلالات ثوانٍ وثوانٍ⁵.

ومن أمثلة المقابلة نذكر قول الشّيخ العقبي : " فإلى الله وحده المشتكى، وإلى رجال فرنسا الأحرار ومآمرها الكبار نرفع بصوتنا صارخين ليحي العدل والعلم وليسقط الظلم والجهل"⁶.

قام هذا القول على تقابل وتضاد صانع لبنيته الكلّية، وفيه قابل الكاتب بين ثلاثة حاصلة في بدايته وثلاثة في نهايته، فقد أقام علاقة عكسية بين (يحي) و (يسقط)، (العدل) و(الظلم)، (العلم) و(الجهل)، وفي هذه المقابلة أبرز الكاتب معان كثيرة أراد بها إطلاع الشعب على خبايا المستعمر الفرنسي، فرجال جريدة "المنتقد" يدعون إلى العدل والعلم النافع، وفي هذا صلاح للبلاد، وعلى خلاف هذه الخلال الحميدة نجد المستعمر يعاديهم

¹- المصدر نفسه، ص52.

²- ينظر: محمّد الحجوي، البديع عند حازم القرطاجني، مجلة آفاق التّراث والثّقافة، مركز جمعية الماجد للثقافة والتّراث، دبي؛ جانفي 1996م، العدد(13) ص33.

³- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النّصّية، ص151.

⁴- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النّصّية، ص: 131.

⁵- ينظر : احمد تركي، الحجاج و أثره القرائي على النص الشعري، ص41.

⁶- أبي الحسن حازم القرطاجني، قصائد ومقطّعات صنعة، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، ص144.

ويقف منهم موقف الصّدّ فيدعو إلى الجور والجهل المركب، وهذا بعيد عن أهداف الجريدة ومن يتحلى بتلك الرذائل فهو هالك لا محالة ، وهذه الصّفات انتقاها الكاتب انتقاه منتظما ومتساوقا جسّد من خلالها مناهج تدور حولها نجاة الجزائريين كلهم، وفي ظلّ هذا التتابع القوي المتضاد استطاع الاستحواذ على المتلقّي الذي هاله العجب والإدهاش.

وقد أفادت هذه المقابلة الفقرة من جهة الإيقاع الصّوتيّ من خلال التوازي الحاصل بين مفرداتها، وما نتج عنها توزيع وتنسيق صوتيّ ولفظيّ إيقاعي في الصّيغة فكانت أداة للتّحسين الشّكلي وغاية في استشراف المعنى ككلّ.

ومن صور المقابلة كذلك نذكر قوله : " ومعلوم أن الحب في الله والبغض في الله قرينة وطاعة ولفاعله الأجر، والحب مع الله لأي كان معصية كبرى ولمرتكبه البعد وعظيم الوزر " ¹.

إنّ مما نلاحظه ونحن نتتبع الألوان البديعيّة في مقالات الكاتب الشيخ " الطيب العقبي " نجد أنّ الكاتب ينتج قولاً يأتي في جزئه الأول بحكم شرعي ثابت في الكتاب والسنة ، ثمّ يشحن الجزء الثّاني بما هو مناف له وغير ثابت لا في الكتاب ولا في السنة، فبعد أن يذكر فضل الحب في الله والأجر المترتب على هذا الفعل المعظم المشروع في كلام صريح مفهوم، يقابل بينه وبين الأشياء الأخرى المحرّمة التي قد تُنسب إليه، وفي مقابلته له تمييز وعلوّ له فكان الكلام بالمقابلة أبلغ وأفهم، والمقابلة في قوله موجودة بين (في الله) و(مع الله)، (طاعة) و(معصية)، (فاعله) و(مرتكبه)، (الأجر) و (الوزر).

وهي صفات أضفت زينةً على خلق الرجل المؤمن، فالمؤمن من سمته أنّه يسعى للأجر والعلّاء، وعلى النّقيض يخاف ويحذر من الإثم والوزر، وبهذه الصّفات استطاع الكاتب ترسيخ الحكم الشرعي في ذهن المتلقّي من خلال عرض الصّفات المثبتة المنفيّة في مقام واحدٍ، ثمّ إنّّه في جعل الصّفات المثبتة في مستهل القول والمنفية في آخره أعطى للصّورة نفسها على صعيد الشّكل بعداً آخر، وهذا ما يُبرز جمال المقابلة وصحّتها وقوتها التأثيرية .

يوصل الكاتب الشيخ العقبي توظيف المقابلة في مقالاته لأنه يرى فيها ترسانة من وسائل الإقناع، فهو عندما يضع الألفاظ ويرصفها مع بعض بما يضادها يصبو إلى هدف واحد هو أسر المتلقي وشد انتباهه، ومن أمثلتها في مقالاته ما قاله : " إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون والذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة هم المؤمنون المتقون، والتقوى هي امثال الأوامر واجتناب النواهي " ².

¹ - الطيب العقبي، حول القصيدة العاشورية، المنتقد، ص 304-305.

² - الطيب العقبي، حول القصيدة العاشورية، المنتقد، ص 304.

يُنسب الكاتب الصفات العليا للمتقين من قبيل المقابلة الماثلة في بداية القول (امثال، الأوامر)، وفي نهايته بلفظي (اجتناب، النواهي)، ولقد وُفق الكاتب في نسج هذه الصورة التقابلية التي أبعد فيها الصفات الذميمة عن المؤمن المتقي، فمن يقرأ الجزء الأول من العبارة يعلم أن المتقي ليس عاصيا؛ بقرينة أن الامثال يستلزم غياب العصيان، ومن يقرأ شطرها الثاني يعلم أن المتقي ليس مرتكبا المحارم ومقدما على النواهي، لأن اجتناب النواهي يستلزم حضور الامثال للأوامر والانقياد لها، فبأسلوب التقابل استطاع الكاتب تكثيف المعنى في قول واحد من خلاله عبّر عن معانٍ عدّة موجودة في ذات الرجل المؤمن المتقي.

- براعة الاستهلال بين السبك والتأثير:

تعدّ براعة الاستهلال بابا مهما من الأبواب البديعية في لفت انتباه المتلقي واستمالاته وشد تركيزه لفحوى الخطاب، فهي تمثل أداة تهيئة وتوطئة بين يدي الخطيب، يصبغ بها خطابه بلون أدبي "يكون جرسه في الأذن جميلا، ووقعه على النفس سهلا، فهو بجملته على المستمع يسير مقبول، فلا يدخل الخطيب في صلب الموضوع حتى يجد آذانا مصغية"¹. وتفطن أرسطو في كتابه الخطابة بمكانة حسن الابتداء وجعله منظرا للمطلع في الشعر الدرامي أو الافتتاحية في قطعة معروفة على الناي²، لأن براعة الاستهلال تجعل المتلقي في خضم موضوع الخطاب بإزالة الإبهام والغموض.

وقد تنبه القدماء لأهمية البنية الافتتاحية الكامنة من وراء براعة الاستهلال، وهي "أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده، والكاتب أشد ضرورة إلى ذلك من غيره ليثبتنى كلامه على نسق واحد دل عليه من أول علم به مقصده"³. وتعرف براعة الاستهلال بمصطلحات أخرى نذكر منها "التسويم"، وهو مصطلح ذكره حازم القرطاجني في بحثه عن السبك النصي وكيفية إيراده، وفيه تحدّث عن المحاسن التأليفية من جهة وظيفتها وما تفعله في نفسية الآخر من التذاذ واستجابة، تتحوّل إلى أفعال منجزة يقوم بها المتلقّي بعد سماعه أو تلقيه هذا النصّ.

وهذه مبادئ تداولية تهدف إلى المنفعة في القول وتحرص على طرق تليغها، ولتوثيق الصلّة بين الانفعال والتفاعل أوجب حازم القرطاجني على الشعراء تجديد نشاط النفس في قصائدهم من خلال الاعتناء بفواتح

¹ - عبد المحسن جار الله الخراي، لطائف الأدب في استهلال الخطب، مجلة الوعي الإسلامي، الإصدار 27، الكويت، ط1، 1995، ص:12.

² - ينظر: أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، ص230.

³ - أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري، تحاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ، ج7،

الفصول وهذا ما سمّاه بالتسويم وفيه يقول: "ولما كان اعتماد ذلك في رؤوس الفصول ووجودها أعلاما عليها وإعلاما بمغزى الشّاعر فيها، وكان لفواتح الفصول بذلك بهاء وشهرة وازديان حتى كأنها بذلك ذوات غرر رأيت أن أسمى ذلك بالتسويم وهو أن يعلم على الشيء وتجعل له سيمة يتميز بها. وقد كثر استعمال ذلك في الوجوه والغرر"¹.

ويكون ذلك باختيار صياغات تميّز بداية الفصل عن نهايته حتى تعاود النّفس نشاطها مع هذا التّنوع الحاصل في القصيدة الواحدة، ولعلّ إدراج حازم القرطاجني لهذا المصطلح كما يرى النّقاد المحدثون "مخافة السّام من التّمادي على حال واحدة"²، وبهذا تنكسر علاقة المتلقّي بصاحبه في النّصّ، فهو فسحة نفسيّة يترشّف من خلالها المتلقّي جماليّات الأسلوب الشعريّ فيحصل الانسجام والتّكامل للنّصّ.

هكذا، ينظر حازم إلى القصيدة القائمة على هذا العنصر الجماليّ التّفنسيّ فأجمل الشّيء مفتحة كما نلاحظ إشارة أخرى لحازم مع هذا المصطلح وهي أنّ الفصول عنده "عبارة عن وثبات نفسيّة ضابطها جماليّ فنيّ الواجب فيه أن يبدأ في بداية الفصل بالمعنى المناسب لما قبله، وأن يكون ذلك المعنى هو عمدة معاني الفصل والذي كان له نصاب الشّرف كان أجهى لورود الفصل على النّصّ"³.

فعلى الشّاعر أن يُجيد استفتاحات فصوله بطريقة تجذب المتلقّي وتؤثّر فيه، لأنّ أبلغ الكلام هو ما يستفتح به الشّاعر قصيدته، كيف لا وقد كان النّقاد يحكمون على القصائد من استفتاحاتها، وقد برع أبو المتنبّي في إجادة هذا النّوع وجعله وشاحاً تتزيّن به قصائده، وبه امتازت على القصائد ككلّ، فالمتنبّي كان عالماً بمستويات الكتابة الشعريّة ملماً بأدواتها من حوار وما يصاحبه من تأثير وهزّ للنفوس إلى موسيقى وإيقاعات تدعّمه، ولذلك أدخله النّقاد زمرة حذاق الشّعراء ممن "اعتنوا باستفتاحات الفصول وجهدوا في أن يهيئوها بهيئات تحسن بها مواقعها من النفوس وتوقظ نشاطها لتلقي ما يتبعها ويتصل بها، وصدروها بالأقاويل الدّالة على الهيئات التي من شأن النفوس أن تنهياً بها عند الانفعالات والتأثرات لأمر سارة أو فاجعة أو شاجيّة أو معجبة بحسب ما يليق بغرض الكلام من ذلك، وقصدوا أن تكون تلك الأقاويل مبادئ كلام من جهة ما نحي بها من أنحاء الوضع أو محكومها لها بحكم المبادئ وإن وصلها بما قبلها"⁴.

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، ص 297.

2- جودت فخر الدين، شكل القصيدة العربية في التقّد العربي حتى القرن الثامن الهجري، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 1؛ 1984م، ص 70.

3- آدم محمّد أبو القاسم، "التّدواليّة في منهاج حازم القرطاجني". آدم محمّد أبو القاسم. مجلة النّيل الأبيض للدراسات والبحوث، كاليّة النّيل الأبيض للعلوم والتكنولوجيا، العدد (02)؛ 2013م، ص 13.

4- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء. حازم القرطاجني. تح: محمّد الحبيب بن الخوجة. ص 296.

وبعد هذه القراءة النقدية لهذا المكوّن البديعي الجمالي، نلاحظ أن الشيخ الطيب العقبي قد جسّد عنصر التّسويم أو براعة الاستهلال في جريدة (المنتقد)، وبها استطاع نشر دعوته الإصلاحية وبث أفكاره الرصينة والتّعبير عن آلامه وتشخيص عواطفه البّحّاء وحبّه للغة العربية وللأرض الجزائرية العربية الجميلة فجاءت مقالاتهم تماسكة، لا يستطيع القارئ إخراج مقال عن الآخر لسبكها ودقّة إحكامها، وللتدليل على ذلك نتأمل قوله في مفتتح قصيدته التي يقول فيها¹:

أَيُّهَا الْأَقْوَامُ إِنَّ تَبَعُوا الْهُدَى مَالِكُمْ وَاللَّهُ غَيْرُ الْعِلْمِ هَادٍ

بدأ الشّيخ العقبي قصيدته هذه بدعوة قومه وأبناء جلدته إلى سلوك سبيل العلم الذي به هدايتهم وفيه نجاتهم من مزالق الشرك وبرائن البدع والضلالات، فكان بمثابة الناصح الأمين المشفق على إخوانه يوجّه لهم خطابه الدّعوي الموصل إلى بر الهدى والفلاح، ثمّ واصل الشّاعر حديثه عن زوال العلم الصحيح واندثار السنة واستشراء داء الجهل والاعتقاد الفاسد في بلاده حتّى إذا فرغ منه انتقل إلى الجرح والذّم، وقد تخلّص من فصله الأوّل ودخل في الفصل الثّاني بطريقة لبقة لم يكدر القارئ يحسّ بخلخلة أو هلهلة فقال²:

مَاتَتِ السُّنَّةُ فِي هَذِي الْبِلَادِ قَبِرَ الْعِلْمِ وَسَادَ الْجَهْلُ سَادَ
وَفَشَا ذَاءُ اعْتِقَادٍ بَاطِلٍ فِي سُهُولِ الْقَطْرِ طُرّاً وَالنَّجَادِ
عَبَدَ الْكُلُّ هَوَاءَ شَيْخِهِ جَدَّهُ ضَلُّوا وَضَلَّ الْإِعْتِقَادُ
حَكَّمُوا عَادَاتِهِمْ فِي دِينِهِمْ دُونَ شَرَعِ اللَّهِ إِذْ عَمَّ الْفَسَادُ

وفي هذا الفصل يبقى الشّاعر على رتبة الفصل الأوّل، دون أن يشعر القارئ بانقطاع على مستوى القصيدة ككلّ، فنجدّه يُورد تصريحاً يمهدّ به لبيته الثّاني، وفيه تخلّص من النصح إلى الجرح والذّم، فوصف أهل الشرك والبدع بالضلال والجهل وأهل الأهواء.

يزيد الشّاعر في قصيدته من تكثيف هذا الهجاء والذّم وجعله صفة ملازمة لأهل البدع والأهواء دون أن يصفهم بغيره في كلّ أبياته الشعرية، وما ذلك إلّا لتدبّر منزلة أصحاب البدع والضلالات الذين يستحقون الذم والهجاء، فشبهاتهم وبدعهم كثيرة أضرتّ بأمتّه وقادت أهله إلى الزيغ والضلال والرّدى، وهذا ما جعله يفتتح فصله بتوعدهم وذكر ما ينتظرهم من عقاب يوم الدين فيقول³:

¹ - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص136.

² - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص: 135.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

"المنتقد"

لَسْتُ مِنْهُمْ لَا وَلَا مِنِّي هُمْ وَيَلَهُمْ يَا وَيَلَهُمْ يَوْمَ الْمِعَادِ
يَوْمَ يَأْتِي الْخَلْقُ فِي الْحَشْرِ وَقَدْ نُشِرُوا نَشْرَ فَرَّاشٍ وَجَرَادِ
يَوْمَ لَا تَنْفَعُهُمْ مَعْدِرَةٌ وَلَظَى مَاوَاهُمْ بِنَسِ الْمِهَادِ
يُصْهَرُ السَّاكِنُ فِي أَطْبَاقِهَا كُلَّمَا أُحْرِقَ مِنْهُ الْجِلْدُ عَادَ

وبعد أن وصف الشاعر في فصله هذا حال أهل الشرك والاعتقاد الباطل يوم القيامة، انتقل من وصف المذموم إلى وصف معتقده ومبادئه التي نشأ عليها، فقد أجاد في الوصف إجادة عظيمة وبرع فيه، وقد أحسن التخلُّص فيما سبق ليبدأ فصلاً جديداً يذكر فيه عقيدته ومنهجه ومشربه العلمي فيقول في مستهله¹:

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مُعْتَقِدِي يَبْتَغِي مِنِّي مَا يَحْوِي الْفُؤَادِ
إِنِّي لَسْتُ بَبِدْعِي وَلَا خَارِجِي ذَابُهُ طُولُ الْعِنَادِ
يُحَدِّثُ الْبِدْعَةَ فِي أَقْوَامِهِ فَتَعْمُ الْأَرْضُ نَجْدًا وَوَهَادِ

لَيْسَ يُرْضِي اللَّهَ مِنْ ذِي بَدْعَةٍ عَمَلًا إِلَّا إِذَا تَابَ وَهَادَ
بَلْ أَنَا مُتَّبِعُ نَهْجِ الْأَلَى صَدَعُوا بِالْحَقِّ فِي طُرُقِ الرَّشَادِ

على هذه الطريقة نسج الشاعر الطيب العقبي كل قصيدته (إلى الدين الخالص) من بدايتها إلى نهايتها، فأمتع قارئه وقد ترك له فسحة ومجالاً للراحة النفسية، فبالرغم من طول القصيدة إلا أن القارئ يلمس فيها جمالاً ولذّة، ولا تكتمل هذه اللذّة إلا مع قراءة البيت الأخير فيها، ومما لاحظناه ونحن نقرأ القصيدة أن الشاعر لا يتخلّص بيت واحد؛ وإنما ليفعل حركة المزج بين الفصول والأغراض بنجده يمهد لتخلّصه بمجموعة من الأبيات؛ حيث ينتقل فيها بالقارئ من جوّ نفسيّ ويدخله في جوّ نفسيّ آخر، محافظاً على رتبة الأوّل، ولعلّ تشديده على هذه المحافظة خوفاً من نفور القارئ ومملّه، هذا زيادة على عنايته بتجويد النظم وإحكام النسيج وهذه الأشياء كفيّلة بالتأثير؛ فهي ما تشوّقه وتجذب نفسيته وتجعله يُدعن.

- التحجيل وحسن التخلص بين تحقيق التفاعل والتماسك النصي :

¹-المرجع نفسه، ص136.

"المنتقد"

لو تصفّحنا البنيات الأسلوبية للافتتاحيات في مقالات الشيخ الطيب العقبي لألفينا طاقة كامنة متمثلة في دقة انتقاء المفردات، مع انسجامها داخل المستوى التركيبي التي نشأت و ترعرعت فيه مع القوة الدلالية المعتلجة بداخلها، كأن تشير أو تومئ إلى مضمون الخطاب وفحواه، وتتسع هذه البنية لتصل إلى خاتمة الخطاب ونهايته، لأن براعة الاستهلال تقتضي أيضا حسن الختام، مما يحقق للنص الانسجام و الالتئام أو التماسك النصي بين الاستهلال والاختتام، وهذا ما يعرف بالتَّحجِيل وهو عند النقاد البلاغيين القدماء تذييل الفصول و" إغراقها بالأبيات الحكمية و الاستدلالية ليكون اقتران صنعة رأس الفصل و صنعة عجزه نحو من اقتران الغرة بالتحجيل في الفرس"¹.

هذه علاقة ربط و شيجة بين السَّابِق و اللاحق، فتكون الأبيات الأخيرة استدلالا لما تقدّمها، وعليها يكون الفهم التام و تحصل المنفعة من هذا النَّصِّ الشّعريّ، وكأَنَّ الشَّاعر يفسر و يبرّر لقارئه كلّ مقدّماته التي ألقاها في نصّه الشعري صحيحة مستدلّا في نهايته بِحِجْمٍ أو ما شابه خدمة للقول الأوّل، فبعد مرحلة التّأثير و التهيئة النَّفسية تأتي مرحلة الإقناع بالاستدلال المؤدّي إلى تصديق رؤى الشَّاعر في نصّه، وعليه يكون التَّحجِيل "إنجاداً للمعاني الأولى وإعانة لها على ما يراد من تأثّر النفوس لمقتضاها. فكان ذلك من أحسن ما يعتمد في الفصول وأزينه لها"²، وكلّمًا جاء الشَّاعر "باستدلال أو حكمة ذيل بها فصوله زادت الفصول بذلك بهاءً وحسنا ووقعت من النفوس أحسن موقع"³.

ونتيجة للفائدة الكبيرة لقضية التَّحجِيل في النَّصِّ، نسج الشيخ العقبي قصيدته "إلى الدين الخالص" مراعيًا فيها هذا اللون و متبعًا طرق شعراء فحول كزهير بن أبي سُلمى (ت: 609م) و أبي الطَّيِّب المتنبي (ت: 354هـ)، يقول الشَّاعر⁴:

وَفَرَارِي كَلَّمَا أَفْرَعَنِي حَادِثٌ يُلْبِسُنِي ثَوْبَ الْحِدَادِ
لِلَّذِي أَطْلُبُ رِزْقِي دَائِمًا مِنْهُ إِذْ لَيْسَ لِمَا يُعْطِي نَفَادًا

¹- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، ص 297.

²- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، ص 300.

³- ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴- الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 137.

"المنتقد"

بعد أن أكمل الشاعر تقرير عقيدته أورد حكمة عقب بها على ما قاله قبل، وهذا تحجيل تخلّص به الشاعر تخلصاً بديعاً، بحيث لم يشعر المتلقّي بانقطاع وبتر، بل زاده تشويقاً وإثارة وتصديقاً لكلامه من خلال هذه الحكمة التي يُوثّق بها علاقته مع متلقيه، وبعد هذه الحكمة يُورد أبياتاً استدلاليةً ينوّه فيها بعقيدته و من أروعها نذكر¹:

وَإِذَا زُرْتُ أُرْزُ مُعْتَبِرًا بِقُبُورِ مَاتَ مَنْ فِيهَا وَبَادَ

وهذا إقرار وحزم جاء به الشاعر مادحاً عقيدته في هذا البيت، وكأنّ الكلام هنا يقتضي وجود كلام ضديّ، فبعض النَّاس لم يروا أنّ الشيخ العقبي موحد سنيّ فكان هذا الاستدلال رداً عليهم، ولم يقف الشاعر عند هذا البيت فقد فعّله بيت ذي صورة استدلاليةً أخرى حرص فيها على إشهار عقيدته في وجه أعدائه القبوريين غير مبال بانتقادهم²:

وَالَّذِي مَاتَ هُوَ الْمُحْتَاجُ لِي هَكَذَا أَقْضِي وَلَا أَحْشَى انْتِقَادَ

وبهذا التسلسل تمكّن الشيخ الطيب العقبي من بلوغ مراده من هذا النصّ الشعريّ، الذي أسّسه على آليتي التّسويم والتّحجيل، فبالتّسويم يدبّج الشاعر افتتاح قصيدته بألفاظ ومعان تُلقني في مهجة المتلقّي الإعجاب، فتجعله يفرّغ فاه ويتمتّع بما ألقى عليه، ثمّ يفعل الشاعر قصيدته ويذيلها بتحجيل يصل به الأبيات بعضها لبعض دافعاً إيّاه للتّدبر وإعمال الحِجَا، لينبزي إلى التّأويل وتفسير المعاني التي متى فهمها اقتنع بمدلولها، ونوّه بأهليّة الشاعر و أحقيته بالكتابة الشعريّة والصّناعة التّظميّة، فالشّعر إبداع وإبداعه مستقى من جمال لغته؛ واللّغة تعتمد المباشرة للإقناع كما تعتمد التّمويه والمجاز للإمتاع، والشّاعر يلجأ إلى تحنيد الحجج والدلائل في شعره حتّى يحصل الفائدة ويحقق المبتغى. وعلى هذا يكون الشّعر نصّاً حجاجياً حاملاً لمجموعة من الأفعال يتطلّب إنجازها، وعلى هذا تقوى العلاقة بين الشاعر والمتلقّي، وتأسّس نفعيّة النصّ الشعريّ.

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الأول : القيمة الحجاجية للاستشهاد في مقالات الشيخ العقبي

تعتبر الاستشهادات روافد وأفانين نصوصية تغذي الخطاب، وتضيف إليه قوة إقناعية لم يكن ل يتمتع بها من دونها، وهي تعني " نقل أقوال مكتوبة أو شفوية صادرة عن متكلم آخر غير الذي يستشهد، وذلك بأكثر أمانة ممكنة، أو على الأقل بإعطاء انطباع من الدقة من أجل إحداث تأثير تصديقي في الحجاج"¹، و الشواهد ليست نصوص لغوية فقط، ولكنها تعني أيضا " وقائع ومعطيات وأمورا دقيقة وأرقاما وتفاصيل، وذلك لتدعيم حجة، مثلما يقال : استشهد بوقائع، واستشهد بأرقام، واستشهد بأسماء"². وعلى هذا الأساس يمكننا الحديث عن البنى الاستشهادية التالية في مقالات الشيخ الطيب العقبي :

1 - الشاهد القرآني : يعدّ القرآن الكريم كتابا مركزيا في حياة المسلمين، فهو كلام الله جلّ وعز، لذلك يمثل الاحتجاج به إضافة مهمة لأي خطابه بشري، ولقد تضمنت مقالات العلامة الفقيه الشيخ الطيب العقبي عددا من الاقتباسات القرآنية دعما للحجّة، وتقوية للتوجيهات والدعوات التي انطوت عليها، والمتنزه في رياض نثر الشيخ الطيب العقبي، يدرك أن أبرز ميزة تميز بها هذا العلامة الإمام الشامل بأي القرآن والاقتباس منه، وتضمنين مقالاته آيات من الذكر الحكيم، فقد حفظ الشيخ العقبي القرآن الكريم منذ صغره، واحتفظت ذاكرته بصور بديعة من القرآن وعبارات أروع، وجعل القرآن الكريم السند المرجعي لكل كتاباته حتى أن ظاهرة الاقتباس تكاد تلازم مقالاته وخطبه، وتضفي عليها مسحة جمالية، ومتعة دلالية، وهذا ما أسهم في انفجار قريحة الشيخ الأدبية واكتسابه إنشاء متينا، بليغا، رائق الديباجة، جليّ المعاني، بعيدا عن الصيغ الشاذة والتراكيب الجافة، بريئا من الالتباس والغموض.

وقد ظهرت شخصية العقبي بارزة واضحة للعيان، فكل كاتب يعتمد على طريقة معينة، مسلّحة بذخيرة من المعارف العامة والخاصة، مما يجعل كل كاتب يتميز عن كاتب آخر، ثم إن الآثار الفنية والأعمال الأدبية المشهورة هي التي تطفح بمختلف الروافد بدءًا بالقرآن والحديث، وآثار السابقين من خطب وأشعار وأمثال و ما إلى ذلك، كل ذلك ما هو إلا ثمرة من ثمار المحفوظات الغزيرة والمطالعات الوفيرة التي انصهرت في ذاكرة المبدع، ويعتبر القرآن الكريم رافدا رئيسا في نثر الشيخ العقبي، ولا غرو في ذلك فإن الثقافة الدينية للشيخ هي التي تمدّه بالشواهد الغزيرة وتجعل الجمال والإمتاع وقوة التأثير والإقناع دَيْدَن محتارات الشيخ التي يتمثل بها، إذ حمل كتاب الله وهو طفل و فهم مفرداته وغريبه، وصدق فيه وفي حق أمثاله قول حنّا الفاخوري حين ذكر أن هؤلاء العرب الذين سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث واللذين عجز البشر

¹ - باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب تر أحمد الوديني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2009م، 94.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

العقبة

خلالها في بناء نص مقنع يرمي إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه لتحقيق مشروعه الإصلاحية التربوي والحصول على الاعتقاد الصحيح السليم. وبهذا يتجلى ملمح حجاجي بارز يتمثل في حسن بناء مطلع المقال وبراعة الاستهلال.

وفي المقال ذاته ينبري الشيخ العقبي للتحذير من خطر المبتدعة وضلالات أهل الزيغ والأهواء، فيشرع في كشف عورهم وتعرية شبهاتهم وإظهار حجم الفساد الذي جنوه على الأمة الجزائرية، وأنهم إلى جانب بطلان دعوتهم تلك، ينسبون كلامهم إلى شرع الله جلّ وعزّ وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام فيكونون بذلك قد جمعوا بين حشف وسوء كيلة، ومن أجل تمرير كل هذه الحقائق و إيصالها للقارئ وإقناعه ببطلان دعوتهم والتسليم بزيغها و وهائها، راح الكاتب يستحضر آية قرآنية يتوعد الله جلّ وعزّ فيها كل أفك أشر يفترى على الله الكذب ليضل الناس بغير علم، فيقول: " وأما الضالون المضلون والدجالون الأفاكون فهم بمعزل عن فهم مثل هذا، وهم بؤرة الفساد وسبب إهلاك البلاد والعباد، ومن أين لهم فهم سر تلك الحقائق وهم الداخولون تحت حكمه قوله عزّ وجل: ﴿أَأَنْتُمْ مَنزُورُونَ﴾¹ وقد حذرنا المرشد الأعظم صلى الله عليه وسلم منهم..."¹.

وفي مقال آخر يفصح الشيخ العقبي عما يعتلج حنايا ضلوعه من أمان يتوق فيها إلى ترك بعض المنتسبين للعلم خصلة المداراة والمداهنة لأهل البدع، ويصدعون بكلمة الحق ويصرحون بها ولا يخشون في ذلك لومة لائم، مستشهدا على ذلك بآية قرآنية يأمر فيها الله تبارك وتعالى نبيه الكريم بهذا الفعل، وفي هذا السياق يقول الشيخ محاولا إقناعهم بالعدول عن أسلوب المداهنة والتملق: " أتمنى لو يرفض بعض المنتسبين للعلم صفة المداهنة والمداجاة ويصرحوا بالحق معلنين عملا بقوله عزّ وجلّ لنبيه الأكرم وحببيه الأعظم صلى الله عليه وسلم أنم في ﴿الْحَجْر: ٤٩﴾².

ويواصل الشيخالعقبي الاستشهاد بالقرآن الكريم في باقي كتاباته المنشورة في جريدة "المنتقد" فيقول في مقال العدد السابع عشر والذي عنوانه (حول القصيدة العاشورية): " تكفل الله لنا بحفظ كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفي حفظه حفظ هذا الدين فقال عزّ وجلّ: ﴿أَأَنْتُمْ مَنزُورُونَ﴾³ في الحجْر: ٩".

يرد الشيخ العقبي في هذه العبارة على كل من حاول الابتداع في الدين وتشريع ما لم يأت به القرآن الكريم والسنة النبوية، فيبيّن أن هذا الدين بحمد الله محفوظ كامل لا تشوبه شائبة، وسنة نبيه مضبوطة مشروحة منفي عنها غلو الغالين وانتحال المبطلين، وليس لأحد كائنا من كان أن يزيد في دين الله سنة ولا فرضا بعدما جف القلم في ذلك وطويت الصحف

¹ - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص 102.

² - الطيب العقبي، متمنيات اليوم، ص 283.

³ - الطيب العقبي، حول القصيدة العاشورية، المنتقد، ص 305.

وسبقت كلمة الله العليا قولة كل قائل وحديث كل محدث كيفما كان وكانت منهجيته، ومن أجل تقرير كل هذه العقائد وترسيخها في نفس كل مبتدع يستشهد بتلك الآية التي تخبرنا بحفظ الله عزّ وجلّ لكتابه العظيم وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم.

ومن أجل تحقيق النجاعة للبنية الحجاجية، لم يكتب الشيخ الطيب العقبي في استدلاله بالنقل الكامل لآيات القرآن الكريم - كما أنزلت -، بل اعتمد على الاقتباس منه، فأجاد الربط بين ما يود قوله وما جاء في كتاب الله جلّ وعزّ، لذلك فإن أنافة الأسلوب عنده تأتي من هذه الميزة وهي حسن الربط وأيضا جودة السبك ومهارة تصريف آي القرآن على نحو من التضمين والاقتباس وتحويلها لغرض المتعة الفنية والنجاعة الحجاجية، ومن ذلك قوله مثلا: "هكذا انقضى زمن من وجد من المفكرين بقطرنا وما قضاوا مما أرادوا لأمتهم وطرا".¹ فهي مقتبسة من قوله تعالى: **تِي □ □ □ □ الأذزاب: ٧٣.**

إن الشيخ حين يركز في تكوين صورته التعبيرية على القرآن الكريم يفعل ذلك ليتدبر معانيها ويلقي بظلالها على تعبيره كما نجد مثلا وهو يدعو القارئ على جريدة "المنتقد" إلى المسارعة في نشر مبادئهم الإصلاحية فيقول: "وفي مثله يتنافس المتنافسون"². فهي مقتبسة من قوله تعالى: **أ □ □ □ □ □ □ □ □ الهفغ بن: ٦٢.**

والاقتباس من القرآن الكريم لم يتوقف عن المعنى فقط، فقد يشوق الشيخ المصلح الطيب العقبي القارئ حين يوظف كلمة واحدة قد تفضي إلى آية كريمة كقوله مثلا: "عكفوا يدعونها في كلناد"³، فكلمة عكفوا تحيلنا إلى الآية الكريمة في قوله عز وجل: **أ □ □ □ □ □ □ □ □ الخ لم لي: الأء راف: ٨٣١.**

إن هذه الخاصية في أسلوب الشيخ العقبي موجودة في كل آثاره الأدبية وذلك حصاد طبيعي لنفس حملت كتاب الباري جلّ وعزّ و حافظت على تلاوته وداومت على دراسة علومه وتأمّلت معانيه، فصار هذا المصدر راسخا في نهاه، جاريا على شفتيه، ثابتا في فؤاده، مستشهدا به في كل ما يحل عليه من وقائع من القرآن الكريم، كقوله: 4:

¹ - الطيب العقبي، جريدة "المنتقد في نظر الكاتب، المنتقد، ص 81.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

³ - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 137.

⁴ - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، المنتقد، ص 135.

يَوْمَ لَا تَنْفَعُهُمْ مَعْدِرَةٌ وَلَطَى مَاؤَاهُمْ بِئْسَ الْمِهَادُ.

فهي مقتبسة من قوله تعالى : **أَأَجْمِبِبِهِمْ تَحْتَهُمْ** **جَم** **حَم** **خَم** **سَم** **الرُوم**: ٧٥ ، فكل لفظة من نشر الشيخ العقبي توقفنا أمامها لنبحث لها عن مصدرها الإعجازي فقوله مثلا : " لا لوم عليّ ولا تشريب إذا رأيت في هذا المقال الذي أعدك به فاقرة الظهر "1 مقتبسة من قوله تعالى : **أَأَجْمِبِبِهِمْ تَحْتَهُمْ** **تَهْتُمْ** **جَم** **حَم** **يوسف**: ٢٩ ، بذلك يعد كتاب الله جلّ وعزّ أعظم مصدره أبلغه تأثيرا في أدب الشيخ الطيب العقبي ، فقد كان لع المعين المتفجر والمتدفق بيانا تستكين له النفوس وتحت له القلوب .
وكنموذج ومثال لذلك ، ما كتبه في مقال يوضح فيه تفاصيل حجز جريدة المنتقد وبعض الصحف العربية ، فيقول : " ثم لا يكون جوابهم لمن جاء ينبههم على خطئهم أو يستفسر منهم بالتي هي أحسن ويسألهم عن أمر يهم مصلحة الحكومة على حد سواء ، إلا بالخطرسة والكبرياء إهانة للعربي "2.

فقد اقتبس الشيخ العقبي قوله من القرآن في قوله تعالى : **أَجْمِبِبِهِمْ تَحْتَهُمْ** **جَم** **حَم** **خَم** **سَم** **الرُوم**: ٧٥

أَجْمِبِبِهِمْ تَحْتَهُمْ تَهْتُمْ **جَم** **حَم** **خَم** **سَم** **الرُوم**: ٧٥

ونجد أنموذجا آخر في قوله وهو يتحدث عن المنهاج الصحيح و الأسلوب الشرعي والطريقة المثلى في ميدان الرد والانتقاد ، فيقول : " ويسرني انتقاد أهل العلم الصحيح وردهم على بضاعتي المزجاة بألة الشرع الشريف وحجج المنطق المقبولة

عقلا "3 ، فهو يقتبس من قوله تعالى : **أَأَجْمِبِبِهِمْ تَحْتَهُمْ** **جَم** **حَم** **خَم** **سَم** **الرُوم**: ٧٥ ، ويرد الشيخ المصلح الطيب العقبي على صاحب القصيدة العاشورية قائلا : " إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون و الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة هم المؤمنون المتقون والتقوى هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي ظاهرا وباطنا "4 . فهو يحتكم في هذه المقالة إلى الآية **أَلَمْ لِمَ لِي** **سَم** **الرُوم**: ٧٥

ونس: ٢٦

ويقول الشيخ العقبي أيضا مقتبسا من القرآن الكريم : " قاموا ينصرونه ويؤيدونه كما نصره البعض منهم قبل اليوم ، فلم يفلحوا لأن الله أبقى إلا أن ينصر الحق على الباطل (إن الباطل كان زهوقا) "5 ، فهو مقتبس من قوله تعالى **أَأَجْمِبِبِهِمْ تَحْتَهُمْ** **جَم** **حَم** **خَم** **سَم** **الرُوم**: ٧٥

ني **ير** **سَم** **الرُوم**: ١٨

1- الطيب العقبي ، رد يصادف محله ، المنتقد ، ص 216 .

2- الطيب العقبي ، قضية جريدة " المنتقد " والصحف العربية ، المنتقد ، ص 240 .

3- الطيب العقبي ، متمنياي اليوم ، المنتقد ، ص 283 .

4- الطيب العقبي ، حول القصيدة العاشورية ، المنتقد ، ص 304 .

5- الطيب العقبي ، يسترهبون الدولة ويخوفونها ولكنها لا تخشاهم ، المنتقد ، ص 3326 .

ومجمل القول أن الشيخ العقبي حفظ القرآن وتمعن في معانيه، وتذوق بيانه فظهر أثر ذلك في نفسه وفؤاده ولسانه وفكره، فزخرف مقالاته بأي القرآن مضمنا حيناً ومقتبسا حيناً آخر، وكان ذلك أمانة من أمارات أدبه وطابعا يتميز به فنه الأصيل وزباج يرصع بها نثره، ومن النماذج التي سقناها نستشف سر الإتقان والجودة في اختيار اللفظ المناسب، وفوق كل هذا نستنتج أن القرآن متى ضُبط حفظه وأتقن ذكره وفهم معناه كان نعم المنجد ونعم النصير، وجعل كل من يهرع إلى حماه من العظماء، وكل من تشبث به تمسك بالعرّة الوثقى لا انفصام لها.

2 - الشاهد النبوي :

يأتي الحديث النبوي الشريف في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث إشراق العبارة وفصاحة اللفظ وبلاغة القول¹، وقد أدرك الشيخ الطيب العقبي أهميته فنيا وفكريا ، فراح يستحضره في نصوصه وينهل من معينه، ومن ذلك قوله : " وقد حذرنا المرشد الأعظم صلى الله عليه وسلم منهم بقوله : (سيكون في أمتي دجالون كذابون يأتونك ببدع من الحديث لم تسمعه أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يفتنونكم) "².

فالنبي صلى الله عليه وسلم يخبرنا في هذا الحديث بأنه سيكون من هذه الأمة رجال كذابون يختلقون أحاديث ليس فيها هبو من الصحة و لا ذرو من الصدق، ولما أدرك الكاتب هذه الطائفة و أبصر دجلهم وإفكهم، استحضر هذا الحديث الشريف ليحذر أفراد الأمة من الوقوع في مكرهم و الانسياق وراء خرافاتهم و العلق في حبال خداعهم و غرورهم و زيغهم.

ويقول أيضا : " وهو المرشد الأعظم وحسبك أنه الصادق الأمين الذي لا ينطف عن الهوى، وما توفاه الله إليه حتى قال

لأصحابه (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يضل من سلكها) "³.

جاء الكاتب بهذا الحديث ليبين للشباب الجزائري سبيل النجاة والطريقة الموصلة للسعادة السرمدية في الدنيا والآخرة، ويقنعهم في الوقت نفسه ببطلان عمل القبوريين المشركين الذين جعلوا بينهم وبين الله أندادا وشركاء، وأن التعاسة مصيرهم

¹ - جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، د ط، 2003م، ص 199.

² - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، المنتقد، ص 102.

³ - الطيب العقبي، حول القصيدة العاشورية، المنتقد، ص 305.

بسبب ما أتوا به من أعمال مخالفة لما كان عليه الرسول . عليه أفضل الصلوات و أزكى التسليم . وأصحابه ومضادة لإرشاداته وتعاليمه.

ومن النصوص النبوية المستشهد بها في هذه الصحيفة الغراء " المنتقد " ما حررته يمينه من تشنيع على من يغلو في الصالحين ويطربهم إطراء خارجا عن دائرة الحق والصدق مفضيا إلى الشرك الأكبر الناقل من ملة الإسلام، فيقول : " نحن نمدح النبي صلى الله عليه وسلم و لكننا لا نظريه هو نفسه (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم قولوا عبد الله ورسوله)¹، ولأن للحديث النبوي قوة حجاجية عظيمة وقدرة إقناعية جسيمة تعين الكاتب على تبليغ رسالته بيسر، وبثقة في حسن تلقيها من الجمهور المستعد للامتثال والتصديق والرضوخ لأحاديث نبيه صلى الله عليه و على آله و سلم، نرى أن الشيخ الطيب العقبي وعلى غرار الشاهد القرآني لم يكتف في استدلاله بالنقل الحرفي لأقوال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، بل اعتمد على الاقتباس كرافد حجاجي آخر، ومن ذلك قوله : " وانشروا العلم والحكمة، حبذوا فكر المنصفين وأعمال المصلحين، وانتقدوا خرافات الأفاكين وضلالات المبطلين، لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا"². وهذا مأخوذ من الحديث النبوي الشريف الذي رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن، رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : " لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، التقوى هاهنا، - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله"³.

ويقول أيضا : "فما راعنا إلا والبريد الأخير يحمل إلينا جريدة " المنتقد " فطالعناه بإمعان واعتناء خاص، فألفيناها كما رجونا وفوق ما تمنى (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) فحمدنا الله سرا وعلنا وشكرنا لرجال الغيرة الذين عملوا على إصدارها عملهم المبرور وسعيهم المشكور ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله"⁴. (رواه مسلم).

¹ - المرجع نفسه، ص 308.

² - الطيب العقبي، جريدة المنتقد " في نظر الكاتب، المنتقد، ص 82.

³ - أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تعليق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة زاد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1433 هـ / 2012 م، ص 349 - 350.

⁴ - النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ص 83.

إن هذه القول مقتبس من الحديث التالي : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس"¹. (رواه البخاري في الأدب المفرد).

وبعد هذه الاستشهادات والاقتراسات، يتجلى لنا أنه كما للقرآن الكريم قوة حجاجية مطلقة، فكذلك للحديث النبوي قوى إقناعية جبارة تجعل كل خطاب يستشهد به أكثر نفوذاً في مهجة المتلقي، حيث يتلقاه بالتسليم والإيمان والقبول والإذعان، ولعل استثمار الشيخ العقبي لهذا الرافد الحجاجي العظيم جعل من نصوصها خطابات تتمسك بالقداسة وتتسرب إلى المتلقي بمبدأ شرعي خالص، فيسهل عليه تمريرها إلى عقله بسبب مكانة الحديث النبوي العلية.

3 – الاستشهاد بالمثل:

إن للمثل مكانة كبيرة في نفوس المؤلفين قديماً وحديثاً، وذلك لما له من أثر عظيم على مستعمله وعلى متلقيه، ولما أدركت العرب أن الأمثال تضرب في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول، أخرجوها في أقواها من الألفاظ ليسهل استعمالها ويسر تداولها، وقد عرفها أبو الهلال العسكري في جمهرة الأمثال فقال : " فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه، وأفضله لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها ويسر مؤونتها على المتكلم، ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب"². ومن هذا التعريف يظهر لنا أن القوة الإقناعية للمثل تتجلى في قدرته على صوغ المعاني الكثيرة في أقل قدر من الألفاظ، نتيجة لارتباط المثل دائماً بظروف إنتاجه (المورد) الحاضرة في كل توظيف جديد، كما في قول الشيخ الطيب العقبي معبراً عن شدة حيف وجرم صحافي جريده " التقدم " وادعاءاته الباطلة وتشنيعه على مجلة " المنتقد " الغراء بنسبة كلام رسمته بنائه إليها واتهامها بنسجها لألفاظه، فيقول : " إذا فأنا لست عاقاً لشيخخي ولا أعد مسيئاً الأدب إذا قلت لكم لعلكم بما ذكرتموه من هذه العبارة أردتم أن تفهمونا معنى قولهم (هذا عمل باليد) وتشرحوا لنا مثل الفقهاء (زناه وحده) أي أمره بالزنا وأقام عليه الحد "³.

لقد استحضر العلامة الشيخ الطيب العقبي مثلاً فقهيها يرد فيه على كذب هذا الكاتب المغمور، ويبرئ فيه رجال صحيفة

¹ - أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، الأدب المفرد، باب من لم يشكر الناس، تخریجات محمد فؤاد عبد الباقي، اعنتى بها أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة جديدة، 2014، ص 64. (روه البخاري في الأدب المفرد).

² - أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج 01، دار الفكر العربي، ط 2، 1988، ص 04.

³ - الطيب العقبي، المنتقد، رد يصادف محله، ص 218.

"المنتقد"، مبرزاً بهذا الاستشهاد بمتان الصحافي وزوره، ولعل قوله " هذا عمل باليد " دليل واضح على أن ما ادعاه هو حصاد لسانه وخط يمينه، يستحيل أن تنبس به جريدة " المنتقد " ولو قطع رجالها وكتابها إربا إربا ورمي بهم في أتون. ويقول في المقال نفسه رادا على سوء نقد الكاتب وعدم إجادته لفن الرد : " أردت أن تنتقد ووجهت ملامة ولكن : (ما هكذا يا سعد تورّد الإبل) وإذا أردت أن يظهر لك صدق قولي فأعد نظرا في مقالك بشرط أن تكون خاليا مع نفسك مستجمعا لقواك العقلية ورشدك"¹.

هنا يستحضر الكاتب المثل الشهير الذي استقاه من عجز البيت الشعري الذي أطلقه الشاعر مالك بن زيد مناة، سبط تميم بن مرة، والذي يقول فيه : (ما هكذا يا سعد تورّد الإبل).

ويضرب هذا المثل لمن قصر في الأمر، وقصته أن مالك بن زيد بن مناة بن تميم كان آبل أهل زمانه، ثم إنه تزوج ودخل بامرأته، فأورد الإبل أخوه سعد، ولم يحسن القيام عليها ولا الرفق بها، فقال مالك² :

أُورِدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ مَا هَكَذَا تُورِدُ يَا سَعْدُ الْإِبِلُ .

بهذا المثل يكون الشيخ العقبي قد أماط اللثام عن محيّا هذا الصحافي الطعان العيّاب، وأبرز مدى مجانته للصواب في حكمه الجائر على صحيفة " المنتقد " ورجالها الأفاذاذ الصالحين الخيّرين.

ومن خلال هذا النوع من الاستشهاد، استطاع الشيخ العقبي توشيح مقالاته بسحنة حجاجية محكمة، وذلك لما تضطلع به الأمثال من وظائف إقناعية تقود القارئ إلى الانقياد لدعوة الكاتب والسير على خطاه وتحمله على الإذعان إليها.

المبحث الثاني : أسلوب التنسيق اللفظي ودلالته الإيحائية :

لقد نالت مسألة التنسيق اللفظي اهتمام النقاد قديما وحديثا، إذ عني هؤلاء النقاد بإبراز الخصائص الأسلوبية للنص الأدبي والكشف عما يعتلج في حناياه من سمات جمالية وما ينطوي عليه من فرادة وتميز، فانصب اهتمامهم على البحث عن السمة الإنشائية في الخطاب الأدبي،¹ غير أن مستويات السمة الإنشائية في الخطاب لم تكن واحدة في نظر هؤلاء النقاد .

¹ - الطيب العقبي، المنتقد، رد يصادف محله، ص 218.

² - أبو عبيد البكري ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، حققه وقدم له : الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1971، ص347

فهي تكمن عند القاضي الجرجاني فيما يحصل بين مكونات النص اللغوية من "نسب وتناسب"²، ويراها أبو هلال العسكري ماثلة في "حسن التأليف وكمال الصوغ والتركيب"³، ويحددها ابن الأثير في ثلاثة مستويات هي مستوى الاختيار، ومستوى النظم، ومستوى الدلالة، إذ يقول: "إن صاحب الصناعة اللفظية يحتاج في تأليفه إلى ثلاثة أشياء: - الأول: اختيار الألفاظ المفردة، وحكم ذلك حكم الآلي المبددة فإنها تتخير وتنتقى قبل النظم .

- الثاني: نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها، لئلا يجيء الكلام قلقا نافرا عن مواضعه، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها .

- الثالث: الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، وحكم ذلك حكم الموضوع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارة يجعل إكليلا على الرأس، وتارة يجعل قلادة في العنق، وتارة يجعل شنفا في الأذن، ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه"⁴.

المأمل في قول ابن الأثير يدرك أن عملية الإبداع تقوم أساسا على اختيار اللفظ وتركيبه تركيبا فنيا بما يحقق المقاصد والأغراض الدلالية لدى الكاتب وقرائه معا، إذ ينطوي هذا القول على إدراك علمي وجمالي لطبيعة الظاهرة الإبداعية، وينم عن رؤية فلسفية جمالية حيال اللغة الأدبية تنطلق من النظر إلى اللغة من داخل السياق النصي، لا من خارجه، إذ إن اللفظ خارج العلاقات النصية والسياقية لا قيمة له، ذلك أن "اللغة في شكل سياق قوة فعالة تعطي الأجزاء دلالات أو فعاليات خاصة، ومعنى ذلك أن هناك حركة خلق مستمرة في اللغة وتكيفاتها"⁵. وبذلك يتجلى أن الفعالية الإبداعية هي انبلاج لطاقة قوية من الإمكانيات والدلالات التي تكمن في اللغة والتي يوفرها سياقها النصي ومعجمها اللغوي بلا عد ولا حد، وفي ضوء هذه الرؤية نقارب في هذا التحليل خصائص الصناعة اللفظية والمعنوية في مقالات أحد رجالات جمعية العلماء المسلمين ألا وهو الشيخ الطيب العقبي، وذلك انطلاقا من تظهير خواص اللفظ الجمالية والدلالية و الإقناعية في نسقين أساسيين هما التنسيق اللفظي والصورة الأدبية. وسنكتفي هنا بدراسة المظهر الأول المتمثل في التنسيق اللفظي .

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط 2، 1982، ص 163 .

² - القاضي عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتبني وخصومه، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د ط، ص 413 .

³ - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 56.

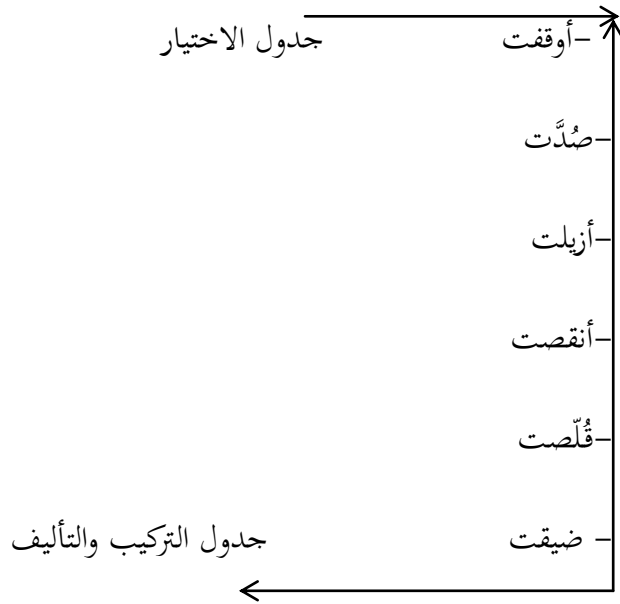
⁴ - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ص 210.

⁵ - مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت، ط 2، 1985، ص 48 .

اتضح مما سبق ذكره، أن الصناعة اللفظية والمعنوية إنما مرجعها في الأساس إلى الاختيار في اللفظ ثم تركيب ذلك اللفظ المختار مع غيره من الألفاظ، بما يتوافق والقاعدة التركيبية من جهة، وبما تقتضيه وتسمح به إمكانية التصرف في هذه القاعدة من جهة أخرى، ولاشك أن جمالية التنسيق اللفظي باعتبارها مظهرا أسلوبيا في نصوص المدونة المدروسة يمثل فيها الاختيار اللفظي دورا أساسيا في إبراز قيم اللفظ وخصائصه الجمالية والدلالية و الإقناعية. ومن ثم فإن جمالية التنسيق اللفظي في جريدة " المنتقد " تستند في تبلورها وتشكل أنساقها إلى عوامل لفظية، بعضها دلالي، وبعضها الآخر تركيبى (نحوي، بلاغي).

ومن مظاهر التنسيق اللفظي القائم في بعده الدلالي على الإيجاء ، قول الشيخ الطيب العقبي : " أما أنا فيإني لا أزال أعتقد أن العلماء متى قاوموا هذه البدع ونشروا بين الناس عقائد الحق وردوها في أمر دينهم إلى الله ورسوله وماكان عليه عمل السلف زالت أو على الأقل أوقفت هذه البدع عند حدّها. " ¹

فمن نماذج التنسيق اللفظي الذي تعود إليه جمالية النص وأدبيته والذي يسهم في تمكين الخطاب من المرور فنيا وأسلوبيا ودلاليا وحجاجيا إلى مستوى ثان يبرز الطابع الجمالي فيه تساق محوري الاختيار والتأليف في المقولة السابقة، بما يمكنه من إنجاز وظيفته الجمالية ويحقق دلالاته الإيحائية الملفوظات التالية (أوقفت هذه البدع عن حدها)، وباستخدام جدول الاختيار يمكن أن نتصور بدائل كلمة أوقفت كالتالي :



¹ - الطيب العقبي، الذين والاجتماع، المنتقد، ص 103.

(أوقفت البدع عن حدها)

إنّ اختيار الفعل (أوقفت) من بين عدد من الممكنات التي تمثلها الأفعال الواردة في جدول الاستبدال وغيرها مما قد يؤدي الدلالة ذاتها ولم يرد في الجدول، هو مؤشر أسلوبى على خروج الملفوظ من مستوى الأداء اللغوي العادي إلى مستوى غير عادي، ولعل علة ذلك أن الفعل (أوقفت) بالقياس إلى البدائل المذكورة هو الذي أنجز الوظيفة الأسلوبية للملفوظ.

ونلاحظ أن المقال اصطنع الفعل (أوقفت) تحديداً، لأنه أكثر إيجاء بالدلالة التي أرادها الكاتب، ولأن البدائل التي تشاركه محور الاستبدال حتى وإن انتظمها التركيب ذاته، فإنها غير قادرة على التعبير عن الدلالة التي يرنو إليها الكاتب، ولا عن تلك الدلالة التي شكلها الخطاب في هيئته المخصوصة التي جاء عليها، وبهذا فاختيار الفعل (أوقفت) اختياراً محكم مقصود غير اعتباطي، فالبدع توقف بفعل العمل الإصلاحي المنتظم والحازم .

وهناك ملحوظ آخر يمكن في أن الملفوظ ما كان ليحقق أسلوبيته وينجز دلالاته الإيجائية التي تنطوي على حمولة الفعل الإصلاحي المنتظم والهادف، لولا تضافر وحداته اللغوية ضمن السياق الخاص الذي ساعد على بناء علاقتها وتأسيس وظائفها، إذ لا عبرة باللفظ خارج فاعلية السياق، فهم أشبه بالعضو المشلول الذي يفقد حرارة الجسد والحياة ومن ثمّ " كانت المفردة مجرد إشارة إلى الصورة الباردة للشيء. أما الكلمة المستخدمة فهي شحنة من العواطف الانفعالية والصور الذهنية والمشاعر الحية، إلى جانب ما فيها من معنى عقلي مجرد "1.

فالاختيار وحده غير كاف ما لم يشد عضده تأليف للوحدات المختارة، بحيث يراعي في نظمها العلاقات السياقية التي تمكنها من إنجاز ووظائفها الأسلوبية والجمالية والإقناعية.

ومن ثمّ فإننا إذا تأملنا محور التأليف ألفينا الفعل (أوقفت)، الذي هو أصلاً حدث مادي، وقد ركب في علاقات تأليفه مع الوحدات (البدع - حدّها)، قد اكتسب قوة دلالية إضافية، لأن (الإيقاف) لم يسلط على شيء مادي، هنا، وإنما سلط على شيء معنوي، فإذا (البدع) توقف كما يوقف كل شيء مادي في أصله وطبيعته، ثم إن (الإيقاف) لم يكن إيقافاً عشوائياً أو غير محدد في أصله و طبيعته وماهيته وكيفيته، بل هو (إيقاف) منهجي يحاصر البدع من كل النواحي حتى يأتي عليها ويخلص المجتمع من آثارها الخطيرة، ومن ثمّ كانت عبارة (من حدّها) موحية بالدلالة السابقة.

1- محمد زكي العشاوي، قضايا النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، ص 305.

وأما النموذج الثاني فهو الملفوظ " بصفتي من رجال (المنتقد) وممن يغارون عليه خاصة وعلى الصحافة عامة، وبصفتي عربيا يقدّس لغته ولا يود قتلها"¹.

وباستعمال جدول الاستبدال يمكننا أن نتصور بدائل لفظة (يقدّس) كالتالي :

جدول الاستبدال (الاختيار)

يقدّس	↑
يعظّم	
يحبّ	
يطهّر	
يعلي	
يبجّل	
جدول التأليف (...)	

لقد وظف الكاتب الفعل (يقدّس) إنجازا للوظيفة الأسلوبية في السياق النصي، ليس باعتباره أقوى إحاء وأقدر تصويرا، من حيث الدلالة من غيره من الأفعال التي شكل معه البدائل في عمود الاختيار، بل لأنه جاء على صيغة التضعيف في الزمن المضارع، فاكسبت الدلالة بذلك قوة، وتأكيدا، واستمرارية، لأن الفعل المضارع المضعف، وهو ضمن السياق، جعل التركيب أكثر حيوية، والحدث أكثر استمرارية، والدلالة، لما فيه من زيادة في المبنى². فالفعل عندما يتعرض لتغيير اشتقائي ما، أي في صيغته ومبناه، فإنه يحمل بالإضافة إلى القيم الإيصالية قيم تعبيرية³. والحقيقة أن الاختيار لا ينهض بالوظيفة الأسلوبية الإقناعية وحده، إن لم يستند في ذلك إلى العلاقة التأليفية التي فيها " تقوم العلاقات بين عناصر استهدفها المتكلم يركب بينها وبين ملفوظه"⁴، وبالتالي فإن الوحدات اللغوية (عربي، يقدّس، لغته، لا يود قتلها) المشكلة

¹ - الطيب العقي، قضية جريدة المنتقد والصحف العربية، المنتقد، ص 239.

² - ينظر: إبراهيم عبد الله جواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دار الثقافة، عمان، (د ط)، (د ت)، ص 186.

³ - ينظر: منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ط 1، 1985، ص 38.

⁴ - المرجع نفسه، ص 85.

سلسلة الكلام في النموذج، تنهض على علاقة تلازمية دلالية ، لأن اللغة من القيم المعنوية المتحولة سلبا وإيجابا، تبعا لظروف الأمة وعوارضها وأحوالها، فإذا كان الجهل مطبقا والجور طاغيا، فإن ذلك يكون مدعاة لحجز الصحف العربية، وانتشار اللغة الفرنسية وتقوية سلطاتها واستشراء خطرهما، وإذا أخذ الوعي الإصلاحى يدب في كيان الأمة ويجري مجرى الدم في عروقها، فإن مساحة اللغة الفرنسية تتقلص حتما .

وهكذا نرى أن العلاقة التركيبية التي تقوم على محور التأليف بين الوحدات قد آزرت العلاقة الاختيارية ، وأسهمت في تحقيق التنسيق اللفظي، فأمتعت وأقنعت القارئ .

وتأكد خاصية التنسيق اللفظي القائمة على الاختيار اللفظي بما يحقق الغرض ويولد الدلالة والإقناع في خطاب الشيخ الطيب العقبي ، مما يعني أن اللغة عنده لم تكن من وحي العبثية والعشوائية، وإنما يعني أن الكاتب كان واعيا تمام الوعي في انتقاء اللغة ومفرداتها وتركيبها، فيسلكها في نسق لغوي متكامل ينبىء بخلق لغوي جديد يحقق له مقاصد أسلوبية وجمالية ودلالية و حجاجية إقناعية .

ومن مظاهر هذه الخاصية قوله : " طال علينا أمد الغربة، واليوم حان زوال تلك الوحشة والكربة . طال ما أملنا (والمني رأس أموال المفاليس) أن نرى جريدة عربية مستوفاة الشروط جامعة في سيرها وما تنوي المثابرة عليه ضروري إنما تحتاج الأمة إليه " ¹ .

يتمثل الاختيار اللفظي في مجيء لفظة معينة في سياق معين لتؤدي مع غيرها من الألفاظ في السياق عينه وظيفة جمالية ودلالية في آن واحد. إذ إن " السياق هو الذي يفرد قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها وهو الذي يخلق قيمة حضورية " ²، نلاحظ إذاً أن الكاتب وظف ألفاظا بأعيانها توظيفا دينيا لأجل أداء وظيفة مزدوجة طرفاها الإبلاغ والتأثير الفني ومن ذلك لفظة (الغربة) وما توحى به من ظلال نفسية ضمن السياق الذي يؤطرها، وذلك حين يقول الكاتب (طال علينا أمد الغربة) .

إن لفظة (الغربة) لم يتسن لها القيام بدورها الجمالي والدلالي إلا وهي متضافرة مع غيرها من الألفاظ في تشكيل السياق ودلالته وفي تشكيل نسيج الملفوظ وجماليته، إذ ليس لللفظة (الغربة) من قيمة أسلوبية ودلالية إلا بمقدار ما لها من إيجاءات

¹ - الطيب العقبي، جريدة " المنتقد " في نظر الكاتب، المنتقد، ص 83 .

² - مصطفى السعداني، البنات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987، ص 69.

شعورية تعاضد في إنشائها وحدات أخرى تشاركها السياق ذاته، وهذه الوحدات، والتي تسهم في بناء التنسيق اللفظي، هي (الوحشة - الكرية)، وهي تصب في حقل دلالي واحد وهو (الألم)، فالدلالة واحدة، وإن تنوعت المونيمات المختارة التي رصدت لها قصد التوكيد، غير أن لفظة (الغربة) وهي اللفظة المركزية في تكوين الدلالة، هي أعمق تعبيراً، وأخصب إيجاء، وأبلغ تأثيراً من الوحدات التي تشكل معها عمود البدائل، مما يدل على أن الكاتب قد اختارها عن قصد ووعي ووضعها في سياق أكسبها بدوره قدرة إبداعية و طاقة تأثيرية وإيجاء دلاليًا خاصاً، لاسيما وأن هذه اللفظة مستقاة من الحديث الذي أخبر فيه النبي عليه الصلاة والسلام أن الإسلام كما أتى غربياً سيعود غربياً وطوبى للغرباء .

والمواقع أن هذه اللفظة استطاعت في موقعها من السياق النصي أن تعبر عن عمق الروابط بين صحف جمعية العلماء المسلمين وبين أفراد الأمة، والتي إذا انفصلت عراها أصاب الأمة الانحلال والتفكك، فصحف الجمعية وكتابات أعضائها هي بمثابة الخيط الذي ينتظم فيه حبات العقد ليسلكها في نسق واحد .

ومن خلال كل هذه النماذج، نستخلص أن التنسيق اللفظي في مقالات الشيخ العلامة الطيب العقبي لم يكن إلا نتيجة اختيارات هذا الكاتب التي يتساوق في سياقها اللفظ ودلالته الإيحائية، وسواء أكان التنسيق اللفظي ناتجاً عن تساوق الاختيارات اللفظية أم عن تساوق الاختيارات الصوتية، فالأكيد أن جمالية اللفظ إنما تتشكل ضمن السياق وما يكتسبه فيه من خواص جمالية ودلالية تضفي عليه التأثير والحاذبية والإشعاع .

المبحث الثالث : العلاقات الحجاجية بين السبك و التأثير

1-العلاقات الحجاجية :

صحيح أن أي دراسة حجاجية في خطاب ما ترنو إلى استخراج الحجج التي يعتمدها الباحث في أطروحة معينة يحاول إقناع المتلقي بها أو حمله على الإذعان لها، لكن لا يمكن النظر في هذه الحجج والأدلة بشكل مستقل منفصل عمّا جاورها وأحاط بها، بل ينبغي البحث في العلاقات التي تجمع بينها والتي تحقق التناغم و الاتساق و الانسجام بين مفاصل الخطاب وتربط بين أجزائه وأقسامه، هذه العلاقات هي ما يعرف في ميدان الإقناع بالعلاقات الحجاجية والتي يقصد بها " العلاقات بين مختلف الحجج والبراهين من جهة والنتائج التي يصل إليها الخطاب ويقود المتلقي إليها من جهة أخرى، هذه العلاقات تحدد بدورها مسار البرهنة وتعكس استراتيجية معينة في الإقناع اختارها الباحث دون سواها لأنه يراها كفيلة بتحقيق غاية الخطاب " .¹

¹ - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 317.

فالخطاب الحجاجي إذأ بناء قائم على علاقات مخصوصة موجّهة تحكّمه معطيات عديدة منها ما يتصل بالمخاطب ومنها ما يعود على المخاطب ومنها ما يرجع إلى وضعيات الخطاب ومساعيه ومختلف مقاصده.

2- أهم العلاقات الحجاجية و تمظهراتها في جريدة المنتقد:*

2. 1 - علاقة التابع :

تعدّ علاقة التابع ذات طاقة إقناعية لأنّها ككل علاقة حجاجية تصل الحجة بالنتيجة المرصودة للخطاب ولكنها تتميز عن كل علاقة بأنّها يحتج فيها المتكلم بتقرير تتابع مستمر في الأحداث، ويكون لهذا التابع مستويان: أحدهما مستوى

الأحداث وثانيهما مستوى الأفكار¹ فتنشأ بين أجزاء النص وحدة خفيّة يعسر اكتشافها ما لم تفهم قضية "التتابعية" في المواقف أو الأفكار، ومن أمثلة هذه العلاقة التتابعية في جريدة "المنتقد" قول الشيخ الطيب العقبي: "وإيكم ما جرى بعد ذلك، ذهبت إلى دار الكوميسار يصحني حضرة الشهم الغيور السيد(أحمد الاحمر)، وجدنا بهذه الإدارة نائب الكوميسار البريقادي، سألتناه بواسطة السيد أحمد الأحمر عن القضية، فأجابنا بأن عون البوليس المسمى(الساسبي) حقيقة ألقى القبض يوم السبت الماضي على السيد أحمد بن العابد العقبي لكونه وجد بيده جريدة "المنتقد"، وساقه إلى هنا وبعد إدلائه بحجته أمام السيد(الجوج) قاضي الصلح أطلق صراحه ولكن ثقفنا جريدة المنتقد لننظر في شأنها، ثم أخرج لنا الجريدة من مكتبه وعليها بخط يده أسطر نقتضي تحويل قضيتها إلى دار(البيرو عرب)، فقلنا له نرجوك تطلعنا على الأمر الوارد في تعطيل هذه الجريدة ومنعه عن الزواج..."²

يفتح الكاتب نصه بجملة ذات طاقة حجاجية هامة (وإيكم ما جرى بعد ذلك) لما فيها من إثارة واضحة، إذ بها يستنفر المتلقين، ويستجلب الأسماع، ليعرض صورة جسيمة تنطوي على أجل معاني الرجولة والصدق و الغيرة عن اللغة العربية والذود عن مقومات الوطن، فلم يذر الشيخ العقبي مجالاً للدعاية والشكوك والغموض حول حادثة منع جريدة "المنتقد" عن الزواج ، ولم يُرغم على إظهار الحقيقة ، بل انبرى إلى عرض القضية وسرد تفاصيلها من تلقاء نفسه.

وبذلك يكون الكاتب قد أجاد بناء مطلع المقال، وضمن حسن الإنصات ودقة المتابعة لما حدث لجريدة "المنتقد". وتأتي الجملة الموالية مرتبطة حجاجياً بالأول، وذلك لما تتضمنه من أفعال متتابعة تخبر بما وقع للسيد (أحمد بن

¹ - ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 321..

² - الطيب العقبي، قضية جريدة "المنتقد" والصحف العربية"، المنتقد، ص 239

* اعتمدنا في هذه العلاقات الحجاجية على تقسيمات | : سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 321 ومايلها.

العابد) الذي وُجد بيده جريدة "المنتقد" ، ليشكل هذا التتابع المستمر في الأحداث أهم علاقة من العلاقات الحجاجية ألا وهي علاقة التتابع، "التي تسمح بالجمع بين الحديث و مستتبعاته، بين السابق ولواحقه"¹.

فالشيخ الطيب العقبي يحتج بتقرير تتابع مستمر في الأحداث، فقد بسط للقارئ صورة رسمت بدورها منظرا للجريدة المحكوم عليها بالمنع، وتابعتها في سيرها حتى بلغت إدارة الكوميسار، وكانت في ذلك - مثل عدسة الكاميرا في يد مصور دقيق الملاحظة شديد الانتباه - تلتقط مناظرا من جوانب مختلفة،² فالرجل (أحمد بن العابد) يسير باتخاذ وهدوء كغيره من المواطنين، يحمل في يده جريدة "المنتقد" يتأهب كعادته التي دأب عليها لقراءتها والاطلاع على ما حررته أنامل كتأبها الوطنيين.

إنه يتهادى في مشيته والنشوة تظله، وعلى ثغره ترسم ابتسامة الطفل وهو يستقبل الصباح الجديد، إنه رافع جريدته جلالاتها لأنها يدرك جيدا قيمتها و درجة سناؤها، ثم يتضخم الحدث وتلحقه صرخة قوية تعلن إيقافه، فيندفع نحوه البوليس طالبا جريدته معلنا القبض عليه وإحالاته إلى قاضي التحقيق، يدلي بحجته أمام السيد (الجوج) ويطلق سراحه، ثم يعود والوجل معتلج حنايا مهجته تاركا جريدته في مكتب الكوميسار.

هكذا صور الشيخ العقبي جريدة (المنتقد) وهي تتقدم نحو مقصلة المنع حتى انتهت إليها، معتمدا علاقة تتابعية "توفر للخطاب تطوره وتحفظ له في الوقت ذاته تناغمه"³، إذ تلتقي المتتابعات في أمر واحد يجمعها هو علو وسناء قيمة جريدة "المنتقد" وتعلق الشعب بلغته العربية. وبهذا السرد المتتابع للأحداث (وجدناه، سألنا، ساقه، أخرج...) قدم رسائل توعية وتحذير، وانتباه وفطنة، وصدق وصدق بالحق، وإقدام وجسارة، ليلهب الحماسة في أبناء الثورة ليثبتوا في ميدان المواطنة، ويتشبثوا بمقومات الوطن.

2.2 علاقة السببية :

تعتبر هذه العلاقة من أبرز العلاقات الحجاجية وأقدرها على التأثير في المتلقي، وهي في حقيقة الأمر "ضرب مخصوص من العلاقات التتابعية، إذ يحرص المتكلم على ربط الأفكار والوصل بين أجزاء الكلام دون الاكتفاء بتلاحق عادي بينها وتتابع طبيعي يجعل الأحداث والأفعال والأفكار والأحكام متسلسلة متجاوبة، بل يعتمد إلى مستوى أعمق من العلاقة فيجعل بعض الأحداث أسبابا لأحداث أخرى ويسمي فعلا ما بأنه نتيجة لفعل سابق ويجعل موقفا معينا سببا مباشرا لموقف لاحق"⁴ وهذا ما نلمحه بشكل جلي في قول الكاتب الشيخ الطيب العقبي: "ثم لا يكون جوابهم لمن جاء ينبههم على

¹ - سامية الدريدي، المرجع السابق، ص 322.

² - ينظر: يحيى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية، دار البعثة، الجزائر، ط1، 1987 ص 321 .

³ - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص323.

⁴ - المرجع نفسه، ص 327

العقبة

خطئهم أو يستفسر منهم بالتي هي أحسن ويسألهم عن أمر يهمهم ومصلحة الحكومة على حد سواء إلا بالخطرة والكبرياء إهانة للعربي كيفما كان واحتقارا لجنسيته وهويته".¹

يأتي هذا القول مفسرا عاما للخطاب، بعد أن استكمل الكاتب عرضه في الفقرة التي سبقتها، هذا التفسير يعتبر نتيجة صاغها الكاتب ليبرز الحقيقة التي ساقته الجريدة إلى مذبح الحجز، ويحدد بوضوح مقابل منعها، فموتها يعني حياة اللغة الفرنسية.

ومن هذا، يصبح التمسك بالهوية الجزائرية ضرورة لا تتم إلا بضحايا تقدمها ثمنا لتحقيق هدفها، ويصبح الاستشهاد في سبيل الوطن (منع جريدة "المنتقد" من الظهور يدخل في هذا الإطار) سببا في نيل الحرية المطلوبة .

ومن هذه العلاقة السببية، نرى أنه لا غرابة في أن يودع المحتجزُ عالمه من أجل نتيجة سامية هي تحرير الهوية الوطنية من أصفاد الاستعمار، ولا غرو في حشد الكاتب هذه الحجّة ليقنع الشعب ببناء حجرة في جسر يفصل بين العربية والهوية، وبين الضفة المقابلة له وهي الفرنسية والتبعية.

2. 3 علاقة عدم الاتفاق أو التناقض :

هي "علاقة ذات خلفية منطقية واضحة إذ ندفع أمرا بإثبات تناقضه مع نتيجة للخطاب"²، ويمكن تبين هذه العلاقة بيسر في قول الشيخ الطيب العقبي:

قَالَ قَوْمٌ سَلَّمَ الْأَمْرَ لَهُمْ	تَكُنِ السَّابِقَ فِي يَوْمِ الطَّرَادِ
تَنَلِ الْمَقْصُودَ تَحْطَى بِالْمُنَى	وَتَرَى خَيْلَكَ فِي الْخَيْلِ الْجِيَادِ
قَوْلُكُمْ هَذَا هُرَاءٌ أَصْلُهُ	مَا رَوَتْ هِنْدُ وَمَا قَالَتْ سَعَادُ
لَسْتُ أَدْعُوهُمْ كَمَا قُلْتُمْ وَقَدْ	عَجَزُوا عَنْ طَرْدِ بَقٍّ أَوْ قَرَادٍ ³

ينبري الشيخ العقبي في هذين الأبيات إلى ذكر نتيجة الخطاب ألا وهي (الإخلاص في عبادة الله وتحقيق التوحيد)-حسب ما يدعيه القبوريون- ثم يشرع في الاستدلال على شرك هذه الطائفة وابتداعها بدل توحيدها وإخلاصها، فيأتي بحجج تقود المتلقي إلى النتيجة المذكورة، ولكن ما يربطها بهذه النتيجة إنما علاقة عدم الاتفاق.

¹ - الطيب العقبي، جريدة "المنتقد في نظر الكاتب"، المنتقد، ص 240

² - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 344

³ - الطيب العقبي، إلى الدين الخالص، ص 18

العقبة

فالحجة الأولى أن صاحب التوحيد يُفوّض أمره لله وحده و القبوري يسلم أمره للأشياخ المقبورين، والحجة الثانية أن المؤخّذ يعتقد أن الملك كله لله وحده فهو المانع والمعطي و الثُبُوري يعتقد أن أهل القبور يمتلكون القدرة على المنع والإعطاء، والحجة الأخيرة أن المحقّق للتوحيد المخلص لعبادته لله يدعو الله وحده ولا يصرف الدعاء لغيره لاعتقاده أن المخلوق عاجز عن طرد أضعف الكائنات و صاحب الشرك والبدع والضلالات يدعو من في القبور.

فالحجج تثبت التناقض الكبير بين ما يعتقدُه أهل الشرك والبدع من القبوريين وما يعتقدُه أهل التوحيد والسنة. وهنا تبدو المفارقة صارخة بين الحجج التي ردها الكاتب ونتيجة الخطاب المذكورة آنفا.

وبهذا نستشف أن علاقة عدم الاتفاق أو التناقض أكثر العلاقات إثارة وأشدّها تعبيراً عن دهاء الكاتب، ودقة اختياره للألفاظ التي وظفها لإقناع الناس باللزامية النهوض بالتوحيد ومحاربة الشركيات وأهلها للسير على نهج الأوائل من أهل السنة والجماعة.

4.2- علاقة الاقتضاء:

تعدّ علاقة الاقتضاء ذات قوة حجاجية وشحنة إقناعية عالية لأنها تصل الحجة بالنتيجة المرصودة للخطاب، فهي تتميز عن كل علاقة "بأنها تجعل الحجة تقتضي تلك النتيجة اقتضاء والعكس صحيح، بحيث تغدو العلاقة ضرباً من التلازم بين الحجة والنتيجة وهو مالا توفره سائر العلاقات حتى السببية منها، وصاحب الخطاب . مع هذا الصنف من العلاقات . يعتمد إلى الاجتهاد كل الاجتهاد في إضفاء نوع من الحتمية على العلاقة بين الحجة والنتيجة "1.

وأقدر الروابط الحجاجية على تحقيق هذا النوع من العلاقات أدوات الشرط المتنوعة التي يتكئ عليها المتكلم كثيراً في الاستدلال والاحتجاج رغبة منه في إقناع المتلقي وحمله على الإذعان، ومن الأمثلة الموضحة لحجاجية هذه العلاقة قول الشيخ الطيب العقبي : "ومتى علمنا تلك المأمورات والمنتهيات عن الشارع ووقفنا عند الحد الذي حده لنا بلا زيادة ولا نقصان... كنا من المؤمنين المتقين ودخلنا في زمرة أولياء الله العاملين وعباده الصالحين"2.

في هذا القول يربط الكاتب بين سببين اثنين ونتيجتين اثنتين أيضاً. فأول الأسباب: العلم بما أمر به الشارع ونهى عنه، ونتيجته تحقيق الإيمان والتقوى، وثاني الأسباب : الوقوف عند الحد الذي حدّه الشرع، ونتيجته الدخول في زمرة أولياء الله العاملين الصالحين.

يتضح لنا من خلال هذه الجملة التي تناولها الكاتب من حيث وظيفتها الحجاجية مدى قدرة الجملة الشرطية على توفير اقتضاء شكلي بين السبب والنتيجة، سبب يُمثّله الشرط ونتيجة يمثّلها الجواب، وبهذه العلاقة التلازمية بين العنصرين يستطيع الكاتب إقناع القارئ بما يدعو إليه ويصبو إلى نشره.

1 - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص335.

2 - الطيب العقبي، حول القصيدة العاشورية، المنتقد، ص304.

5.2- علاقة الاستنتاج:

هذه العلاقة منطقية دون شك أو لنقل هي "ما يدين به الحجاج للمنطق وهي في جوهرها خاصية من الخصائص التي تؤكد أن الحجاج فن الانتقال من فكرة إلى أخرى بشكل منظم"،¹ وفي هذه العلاقة يترك المتكلم عادة مهمة الاستنتاج للمتلقى، أي يعرض عليه المقدمات ويوكل إليه أمر استخلاص النتائج نحو قول الشيخ العقبي: "هل إذا انتقد "المنتقد" على من زعم أن في الهيئة البشرية رجالا من غير الأنبياء يوحى إليهم بوحى لا كوحىهم وهو من كلام الله؟ وربما قيل عنه إن تلاوته مرة واحدة أفضل بكذا مرة من تلاوة القرآن... هل المنتقد لمثل هذا والذي لم يقبل عقله ولا دينه كلام مثل هذا يلام على هذا الانتقاد ويعتبر غير عالم حتى بهذه المسألة البسيطة...".²

المثير في هذه العبارات أنها مقدمات لاستنتاج لم يكتمل بناؤه، إذ على المتلقي أن يصل إلى النتيجة ويستخلصها مما قدمه الكاتب من قرائن دالة على الوجهة الصحيحة في الاستنتاج. ذلك أن القول حمل في طياته تشكيكا بل تكديبا في جدوى هذا النقد والحكم الذي أصدره أحد كتاب جريدة "التقدم" في حق جريدة "المنتقد"، وجاء هذا التكذيب عن طريق استفهامات متلاحقة: إذ كيف يُنتقد من يرد على من ادّعى النبوة أو من يعتقد أنه يوحى إليه بكتاب غير القرآن الكريم؟ وكيف يُلام من لا يصدق هذه الاعتقادات الشيطانية الزائفة ويُرمى بالجهل؟ وهي كما نرى استفهامات تُكذب دعوى صاحب المقال الذي يتهم جريدة "المنتقد" بالخبيثة وعدم الإتيان من وجودها بفائدة للأمة، وهي بذلك تقود المتلقي إلى استنتاج حقيقة هي عبثية حكم صحافي جريدة "التقدم" و جوهره وحقده الدفين على رجال الإصلاح.

¹ - سامية الدريدي، المرجع السابق، ص339

² - الطيب العقبي، رد يصادف محله، المنتقد، ص215.

عالجنا بالدراسة والتحليل في هذا البحث قضية تهتم بالحجاج والتواصل اللغوي والآليات التي تنضي بالباحث إلى التأثير في المرسل إليه، وقضية الحجاج قضية ثاوية في جميع النصوص والخطابات بأنواعها المختلفة، وقد لامس الحجاج جميع الحقول والمجالات المعرفية من فلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلوم الاتصال وغيرها من العلوم، ليُلامس حتى الخطاب العامي مادام مطلبه الأساسي كامن في التأثير والإقناع.

ولما كان خطاب الشيخ الطيب العقبي نصاً لغوياً متماسك الأجزاء يهدف إلى التغيير في المجتمع الجزائري في حقبة الاستعمار، تبوّعت فيه الحجّة مكانة مرموقة؛ وقد حاولنا في هذه الدراسة الوقوف على هذه المحطات الحجاجية على اختلاف ألوانها، فتكشفت لنا مجموعة من النتائج التي نوجزها فيما يأتي :

- إن لغة "المنتقد" تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية انطلاقاً من الفرضية المشهورة "نحن نتكلم عامة بقصد التأثير".
- تنضوي تحت مقالات الطيب العقبي أساليب إمتاعية وإقناعية يصل إليها المتلقي عن طريق المساءلة.
- مقالات الشيخ الطيب العقبي تحمل في طياتها طابعا حجاجيا خاصا، مزج فيها صاحبها بين بلاغة الإمتاع واستراتيجية الإقناع.
- يركز الشيخ العقبي في نصوصه على تقديم النتيجة ثم إدراج الحجج لتدعيم هذه النتيجة أو العكس، فقد تكون النتيجة مضمرة فنقوم باستخلاصها من مقاصد المتكلم بالاعتماد على سياق النص، ثم نوجهها وجهة حجاجية وذلك انطلاقاً من المقاصد.
- نرى أن بناء نص المقالات حجاجيا من حيث الشكل يشبه إلى حد بعيد الشكل الحجاجي المتواتر في النص الحجاجي العربي، وهو الشكل القائم على هذا الترتيب: مقدمات، دعوى، تبرير، تدعيم، وهذا الشكل يتسم بالمنطقية التي تعد من أسس الحركة الحجاجية، إذ تعطي ترابطاً منطقياً بين العلاقات الدلالية العامة للمقالات.

- نلاحظ اعتماد الشيخ العقبي على "التدعيم" باعتباره مكوناً أساسياً من مكونات الحجج، ووسيلة من الوسائل المنطقية الدلالية المعتمد فيه، وهو في أكثر الحالات عبارة عن أدلة منطقية، وشواهد، وأمثلة مدعمة لصحة الدعوى، وقد تجسد التدعيم في خطابه بثلاثة وجوه: التدعيم بالدليل، التدعيم بالقيمة، التدعيم بالمصادقية.
- وظف الشيخ العقبي القياس بأنواعه، القياس المنطقي، القياس المضمّر، القياس المتدرج، وهذا ليصل المتلقي بطريقة تدريجية إلى النتائج عبر طريقة استدلالية من قبله، وبالتالي لا يمكن الاعتراض عليها.
- إن الأقوال تتفاوت في درجات إقناعها مما يجعلها تتفاضل في درجات السلم الحجاجي، لذلك يفضل الباث الارتقاء من الحجة الأدنى إلى الحجة الأعلى حتى يكون حججه منطقياً وفعالاً.
- يعتبر خطاب الشيخ العقبي خطاباً حججياً بامتياز، حيث وظف فيه ترسانة من وسائل الإقناع البلاغية واللغوية.
- تخلق الصور البيانية للقارئ مشاهد تفرض عليه إعادة قراءتها وصياغتها ليصل إلى المعنى، وبعدها إلى الاقتناع بالنتيجة التي استنبطها.
- بنى الشيخ العقبي قصيدته " إلى الدين الخالص " على ثنائية التّخييل والحجّاج وبتعالقهما منح نصّه فسحةً جماليّةً موحيةً ومعبرةً.
- يُؤدّي التّشبيهُ والاستعارَةُ الحجّاجيّةُ دوراً كبيراً في نصوص الشيخ العقبي وفيهما جمع بين الجماليّة والحجّاجيّة، و بهذا التزاوج الأسلوبي و الإقناعي أنثر في متلقّيه وجعله يدّعن لما يلقي عليه من وراء هذه الصُّور البيانية الفنية.
- في ظلّ براعة الشيخ الطيب العقبي اللغوية أصبح للمحسنات البديعية الشكلية دور مهم في استراتيجية الإقناع، إضافة إلى أدوارها التجميلية للخطاب أضحت لها مهامها تداولية وتأثيرية.

- شكّلت الروابط الحجاجية عنصراً هاماً في المقالات العقبية، فقد أضفت على النص تكاملاً وترابطاً محافظة على الاتساق والانسجام الشامل للخطاب، مما سمح بتدرج وتسلسل القضايا، الشيء الذي يسند لكل قول دوراً حجاجياً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة.
 - اعتمد الشيخ العقبي على الإضمار في توظيفه للاستلزام الحوارية الذي يتجاوز فيه المتلقي دلالة الجملة الوضعية إلى الدلالة المستلزمة.
 - أكّد الشيخ الطيب العقبي على ضرورة الاتكاء على الأسس العقائدية والأسلوبية في تأسيس المعاني وبناء النصوص، ولذلك نراه يتناول الاستشهاد، والتنسيق اللفظي، والعلاقات الحجاجية كآليات مساهمة في بناء المنظومة الحجاجية وتشكيل السند الإقناعي المؤدي إلى احتضان نفسيّة الآخر وأسرّه بشتى السبل.
- لقد حاولت هذه الدراسة البحث في قضية شائكة تمس الجانب التّأثيريّ المتجسّد في اللّغة، فالخطاب كلام جامع لكلّ الأساليب والرّؤى والأفكار التي يلجأ من خلالها الباث إلى إثبات صحّة دعوى أو نفيها، تاركاً للمتلقّي حقّه في التّأويل وإبداء وجهة رأيه.
- وإنّنا لا ندعي باستخلاصنا لنتائج كثيرة في هذا المقام الختاميّ من الدراسة، أنّ باب البحث في قضية الحجاج أوسع، ولا نروم أنّها دراسة ملّمة بجميع ما يخصّ موضوع الحجاج في مقالات الشيخ الطيب العقبي، إلّا أنّنا حاولنا مقارنة القضية في أبعاد معانيها، لتكون بداية لقراءات أخرى لا يزال موضوع البحث فيها مفتوحاً والحجاج مصطلح متشعب وكثيف لا تحدّه دراسة واحدة مادام أنّه يمثّل جوهر اللّغة في جميع مستوياتها.
- فإنّ وفّقنا في توضيح بعض الآراء والمفاهيم المتعلّقة به فبتوفيق من الله الذي بصّرنا بخبايا البحث، وإن كان دون ذلك فالأمر لنا وحدنا، وعزاؤنا أنّنا قد بذلنا الجهد في الوصول إلى الهدف المبتغى، ويبقى الكمال لله وحده...

1- مولده و نشأته

هو الطيب بن محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح بن إبراهيم و قد ذكر ذلك في ترجمته حيث قال " والدي هو محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح¹ ، "و إلى هذا ينتسب اليوم كل فرد منا و به تعرف عائلتنا ، فيقال لكل منا بن الحاج صالح و عائلتنا من أوسط سكان البلدة فلا هي أعلاه و لا هي ادناه أصل من سكن بلدة سيدي عقبة من جذورنا من أولاد عبد الرحمن بجبل أحر خدو بالجهة التي تسمى منه باسم كباش² . "

أما الواردة فهي السيدة باية بنت محمد من أسرة آل خليفة ، جاء بها والده من بلدة ليانة قرب خنفة سيدي ناجي في الميزاب الشرقي و عمرها نحو 15 عاما و سكن بها مدينة سيدي عقبة فولدت له الطيب و هو ولدها البكر و سكينه ثم حمزة في المدينة المنورة و توفي بها³ .

" ولد الشيخ الطيب العقبي في الخامس عشر من شوال 1307 هـ ، 1890 م ببلدية سيدي عقبة الواقعة على بعد نحو 18 كلم شرق مدينة بسكرة⁴ ، هاجر مع أسرة إلى المدينة المنورة سنة 1313 هـ - 1895 م ، فنشأ بها و أخذ عن علمائها مختلفة العلوم الإسلامية التي كانت تدرس بالمسجد النبوي ، و هناك نشر في الصحف عدة مقالات في الدين و السياسة مما جلب له المشاكل مع السلطات العثمانية التي نفتته إلى الاناضول بتركيا سنة 1916 م⁵ ، "و لم يعد إلى الحجاز إلا بعد الانتهاء الحرب العربية ، فولاه الشريف حسين رئاسة تحرير صحيفة القبلة* خلفا للكاتب الإسلامي الشهير محب الدين الخطيب⁶"

2- تعليمه و تربيته :

إذا كانت التربية هي عملية تعديل السلوك فإن التعليم هو اكتساب المعرفة "و العقبي نشأ وسط بيئة علمية ثقافية، إذ أدخلته

¹ - محمد الطاهر الفضلاء، الطيب العقبي رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر، سحب للطباعة الشعبية للحيش، الجزائر 2007، ص: 16.

² - هشام بقاضي، معجم علماء الدين و الإصلاح في الوطن العربي، دار سحنون للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص: 82.

³ - ينظر: محمد علي ديبوز، نفضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ج2، الجزائر، 2007، ص: 106.

⁴ - محمد عبد الرحمن، المرجع سابق، ص: 227.

⁵ - آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دار المسك للنشر و التوزيع، الجزائر، 2008، ص: 81.

* القبلة: هي أول جريدة عربية في العهد الهاشمي صدرت في 15 أوت 1916 م بمكة و هي نصف أسبوعية دينية سياسية، للمزيد ينظر: عبد القادر قوبع، الحركة

الإسلامية في منطقتي الزيبان و ميزاب بين سنتي 1920 و 1954م، دار طليطلة، الجزائر، 2013، ص: 71 .

⁶ - عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر و العشرين الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 م، ص: 345.

عائلته منذ استقرارها بالحجاز إلى الكتابيب القرآنية لاستكمال حفظ القرآن الذي حرم منه في الجزائر⁷، بالمدينة المنورة حفظ العقبي القرآن الكريم على أيدي معلمين مصريين برواية حفص¹، و كان حفظه تاما راسخا، جعل القرآن عدته الميسورة الحاضرة في كل موقفه أينما حل و ارتحل، و درس بعناية فائقة فن التجويد فأتقنه فصار من المجودين المتقنين لأحكام التلاوة المرموقين .

"و في الخامس من شعبان 1320هـ توفي والده و الطيب في سنته الثالثة بعد العشرة، فواصلت أمه تربيته تربية إسلامية قوية و تعليمه، و حمته من مكاره اليتيم و الغربة"².

و قد ذكر ذلك في ترجمته (الشيخ الطيب العقبي)، فقال: " و بعد وفاة والدي بقيت مع شقيقي و شقيقتي و أختي للأب تحت كفالة والدي، و قد رباني ربي و أحسن تآديبي، و تربيت في حجري أمني يتيما غريبا لا يحوطني و لا يكفلني غير إمرة ليست بعاملة و لا صاحبة إدراك و رأي سديد، بل كنساء أهل هذه البلاد و لولا فضل الله علي و عنايته بي صغيرا يتيما لما كنت هديت سواء السبيل، فالحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله"³.

فجلس في حقل العلم الزاخرة في الحرم النبوي و لازمها مدة فرع في علوم اللغة و الشريعة، و استطاع أن ينبغ سريعا في العلم فسطع نجمه في المدينة، فجلس للتدريس في الحرم النبوي، فعلم العلوم الشرعية و اللغوية، فأفاد فائدة كبرى و من أهم أساتذته ومشايخه في العلم الشيخ محمد عبد الله زيدان الشنقيطي و الشيخ الحبيب التونسي و الشيخ حمدان الونيسي و غيرهم⁴.

2- موقفه من القضايا الداخلية و الخارجية

2-1 - موقفه من القضية المغربية (المغرب الأقصى):

⁷ - أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص: 34.

¹ - هشام بلقاضي، معجم علماء الدين و الإصلاح في الوطن العربي، ص: 79.

² - محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ص: 106.

³ - محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر، ص: 19.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 106-107.

من أهم القضايا التي عاشها المغرب الأقصى الظهير البربري* الذي أصدرته الحكومة الفرنسية في 16 ماي 1930م، ولقد استنكر الشعب المغربي هذا الظهير وقام نائرا عليه، كما قام العالم الإسلامي يشجبه ويسجل على فرنسا أفعالها الخبيثة، "فقد تقدمت جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية بمصر في سنة 1930م لفرنسا باحتجاج ضد هذا الظهير، راجين من عصبة الأمم أن تعمل في تعاون مع الآخرين لجعل حد لهذه البربرية التي لم تعد تصلح لهذا العصر"¹.

واعتبر علماء الجمعية في صحفهم و منهم الشيخ الطيب العقبي أن الظهير البربري محاولة استعمارية للإساءة إلى وحدة شعوب المنطقة والظعن و الثلب في دين الإسلام الحنيف والثقافة العربية القحة، "لأن الفكرة انطلقت في عهد كان فيه الاستعمار يقوده المستشرقون، ومثلهم المبشرون الذين يهتمون بالكنيسة والبابوية والقساوسة، وتدعمهم السلطات المحلية الفرنسية"².

لذا لم يفوت الشيخ المصلح الفذ الطيب العقبي و رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أية فرصة للتنديد بالسياسة الاستعمارية بالمغرب ، وذلك " لاستنكارهم للإجراءات القمعية التي سلطتها إدارة الحماية ضد المغريين المنتفضين رفضا للظهير البربري"³.

ومنه نستشف أصالة الشيخ الطيب العقبي ومدى ارتباطه الوثيق بعالمه العربي ومحيطه الإسلامي، فهو رجل وحدة واتحاد، يتمنى لشعبه في الجزائر ولشعب المغرب أن يكونا كتلة واحدة لها ارتباطها وامتدادها الوثيق، لأن في تعاضدها وتلاحمها قوة ضد المستعمر الغاشم، وفي اتصالها سدّ سديد منيع ضد أصحاب المال و الثروة و الفكر البضيض الهادف إلى مسح الهوية العربية.

2-2- موقفه من جامعة الدول العربية:

* الظهير البربري: كان أول مشروع فرنسي هو إصدار ظهير بربري في 11 سبتمبر 1914م، ثم أصدرت فرنسا ظهيرا بربريا في 16 ماي 1930م، الذي بموجبه يخضع سكان المناطق الناطقين بالأمازيغية لأعرافهم وليس للأحكام الشرعية الإسلامية. أنظر: محمد منيب، الظهير البربري، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، د م ن، 2003م، ص 9، 10.

¹ - الفضيل الورتلاي، الجزائر الفائرة، دار الهدى، الجزائر، ط4، 2009م، ص 295.

² - ينظر: أبو قاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص 155.

³ - عبد القادر الخليلي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية لتونس والجزائر 1899م-1983م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص 150.

يمثل النشاط السياسي و الديني للشيخ الطيب العقبي إحدى أهم المراكز و الإسهامات القوية في دعم وترسيخ فكرة الوحدة العربية، " فكل المبادئ الإصلاحية التي دعا إليها الشيخ العقبي تندرج في دائرة الدعوة للمساهمة في قيام الجامعة العربية"⁴.

كان الشيخ الطيب العقبي يعبر عن بعد نظره اتجاه العالم الإسلامي في كل المناسبات وخلال كل الاجتماعات التي كان يعقدها، "ففي سنة 1945م، عرفت مصر حدثا عربيا تاريخيا هاما تمثل في ميلاد الجامعة العربية"، وأضحت مدينة القاهرة بذلك قلب العالم الإسلامي النابض، وساعده المتين العامر، و قبلته السياسية المقصودة، "و اعتبر العقبي هذا الحدث حدثا جليلا بالنسبة للأمة العربية والإسلامية، وعلق الآمال العريضة على دور الجامعة العربية في إحياء مجد الأمة العربية وبعثها

من جديد"¹.

و اعتبرت جريدة "البصائر" أن قيام الجامعة العربية إنجاز مهم في التاريخ الوحدوي العربي، لما تمثله من دور في لم شمل العرب وتوحيد كلمتهم و صفهم، وتخليصهم من الاستعمار الأوروبي، ولهذا الجميع كان يسعى لدعمها وإرساء وجودها ومعالها في الساحة العربية.

و رأى الشيخ العقبي في تأسيس الجامعة العربية منبرا لمنصرة القضايا العربية ومنها قضية الجزائر، وعمل جاهدا في تنوير الجمهور بأهميتها، وأهمية دورها في الحياة العربية والإسلامية حاضرا ومستقبلا، وشجع كل جهود المخلصين في الدفاع عن القضايا العربية في المشرق والمغرب، "و أرسل لرئيس الجامعة العربية برقية، وأبرق له المرات العديدة مؤيدا عمل الجامعة ومباركا جهودها، وحفز أعضاء الجامعة في أكثر من مناسبة على الاهتمام بالقضية المركزية للأمة العربية والإسلامية قضية فلسطين"².

ورغم الإجراءات الفرنسية التعسفية، فقد كانت الجزائر كغيرها من الدول العربية تقوم بإحياء ذكرى ميلاد الجامعة العربية، "ففي 22 مرس 1947م، احتضن نادي الترقى على غرار النوادي الأخرى احتفالا بمناسبة الذكرى الثانية لتأسيس الجامعة"³، وقد عبر عنه آنذاك بأنه يوم العروبة، وقدم الشيخ العقبي جهدا جسيما في تعميق الحدث، واعتبره حدثا عربيا في

⁴ - أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص 410.

¹ - أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص 404.

² - ينظر: كمال عجالي، الطيب العقبي أديبا، ص 107.

³ - فتيحة حباشي وكلثوم فرحون، القضايا المعاصرة في اهتمامات الشيخ الطيب العقبي، ص 57.

أرض عربية، "كما اعتلى الشيخ منصة الخطابة، فرحب بالحاضرين وشرح لهم الدواعي لإقامة هذه الذكرى وهو ضم أصوات العالم الإسلامي إلى صوت الجامعة العربية"⁴.

يبدو أن الشيخ الطيب العقبي كان دائم الدعوة للوحدة العربية والالتفاف بقضايا العالم الإسلامي، كما كان كثير الإلحاح والإصرار على ضرورة توحيد الجهود بين جميع أطراف العالم العربي والإسلامي، و لعل موقفه هذا من جامعة الدول العربية يلخص مدى شغفه وتعلقه واعتصامه بدين الإسلام، وكذا استماتته في الذود عن حياض العروبة وأهلها.

2-3- موقفه من القضية الفلسطينية:

نظر الجزائريون إلى القضية الفلسطينية من وجهتين "الأولى مقدسة باعتبارها أولى القبلتين وثالث الحرمين و مسرى نبينا صلى الله عليه وسلم، والثانية باعتبارها بلدا عربيا مسلما وقع في مخالاب الدوائر الإسلامية على غرار الأقطار العربية الإسلامية"⁵.

وقد أعلنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اهتماما بالقضية الفلسطينية مبكرا، وظهر ذلك جليا في جرائدها التي انبرى للكتابة فيها الشيخ ابن باديس، والشيخ الإبراهيمي والشيخ العقبي، واعتبر الشيخ العقبي "أن القضية الفلسطينية ليست بالقضية الإقليمية الخاصة بشعب فلسطين وحده، بل هي قضية العالم الإسلامي، مستنكرا وعد بلفور 1917م، وقرارات مؤتمر "سان ريمو" سنة 1920م، القاضي بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وندد بسياسة الانتداب البريطاني فوق أرض فلسطين، باعتبار بريطانيا تهدف أساسا إلى خدمة الحركة الصهيونية، وبإثارة الفتى في البلاد العربية لتأمين مشاريعهم و اختراق الإجماع العربي"¹، و كتب الشيخ العقبي مقالا هاما في جريدة "البصائر" بعنوان: "البيك لبيك فلسطين فما أنت لأهلك فقط ولكنك للعرب كلهم وللمسلمين أجمعين"، وفيه بين حزنه الشديد وألمه اتجاه محنة الشعب الفلسطيني الذي يعاني من ويلات القمع الصهيوني، ومن أبرز ما دونه في هذا المقال قوله: "لهذا فإن كارثة فلسطين لم تكن بأمر يخص أهلها فحسب، ولكنها كانت مأساة عامة و كارثة عظمى حلت بالعالم الإسلامي كله والعربي أجمعين، ومن الناس اليوم من لا يلهج باسم فلسطين الشهيدة، فلسطين الدامية، فلسطين الثاكلة، فلسطين الباكية الشاكية، الحزينة..."²، ولم يتهم الشيخ العقبي الإنجليز والصهيونية بالتواطؤ والتآمر وحدهم على الشعب الفلسطيني، بل اتهم كذلك التواطؤ العالمي المتمثل في عصبة الأمم

⁴ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص.405

⁵ - أوبوكر الصديق حميدي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالعالم العربي 1947م-1956م، دار المتعلم، الجزائر، 2015م، ص 125.

¹ - عبد الكرم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ص 327.

² - الطيب العقبي، "حصن الإسلام ومقل العروبة"، في جريدة البصائر، العدد 78، السنة الثانية، 13 أوت 1973م، دار الغرب الإسلامي بيروت، 2006م، ص 221.

لمعالجة القضايا العالمية سلمية، والتي تأسست سنة 1920م، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "كل هذا من الإنجليز الظالمة، وتحت نظر وموافقة جمعية قالوا عنها أنها جمعية الأمم وعصبة الشعوب المتمدنة في هذا القرن الذي سموه أيضا عصر المدنية والنور"³. من هذا القول يتجلى لنا موقف الشيخ العقبي الساخر من مكانة هذه الجمعية المائعة، المتلونة، المموهة للعامة أنها في خدمة السلم والسلام، ونصرة الضعفاء، لكنها في الحقيقة تدس السم في العسل، وما هي إلا لعبة بين أنامل الظلمة الصهانية و بريطانيا الجائرة.

و عكف الشيخ العقبي على خدمة القضية الفلسطينية وولائه لها ونصرته بشتى السبل المتاحة والممكنة، فقد كان يرى بضرورة الإسراع في تقديم المعونة لفلسطين، "فأسس سنة 1947م لجنة الدفاع عن فلسطين"⁴. "و في ربيع 1950 زار العقبي برفقة بن حورة فلسطين و تفقد الاحساس الجزائرية ، كما زار شرق الأردن و ألتقى باللاجئين الفلسطينيين و تعرف على حالتهم المعيشية و وضعيتهم الاجتماعية ، وحسب بعض الروايات فإن العقبي و بن حورة لم يكونا بمفرديهما بل رافقهما عباس تركي و هو الذي أخذ المبلغ المالي الذي قدر بثمانية ملايين و أوصله إلى اللاجئين الفلسطينيين بصفة الأردن".

و كان إعلان دولة إسرائيل في 15 ماي 1948م مصابا جلا وحدثا مهولا شكلا حزنا عميقا على الأمة العربية، لذلك سعى الشيخ العقبي مع الجمعية إلى المشاركة بما أمكن من التضامن والمساعدة لتخليص فلسطين من محتتها حتى تبقى عربية مسلمة، "وقد تحمس العقبي منذ البداية لأداء الممكن اتجاه إخوانه الفلسطينيين، وكان قد أسس لجنة الدفاع عن فلسطين منذ سنة 1947م بنادي الترقى تتولى هذه اللجنة جمع التبرعات، وقد أسند هذه المهمة لمصالي الحاج"¹. ولقد تمكنت هذه اللجنة التي ضمنت أهل العلم والفضل من جمع تبرعات مالية معتبرة قدرت بحوالي ثمانية ملايين فرنك كتبرعات من الشعب الجزائري الذي لى النداء وساند فلسطين ماديا ومعنويا، فرغم ظروفه الاستثنائية إلا أنه قدر قداسة القضية الفلسطينية، واعتبرها قضية لا تقبل الإرجاء أو الانتظار، وقد أعلن الشيخ الإبراهيمي "أن المبالغ قد أوصلوها إلى مأمنها في فلسطين

³ - شرفي الرفاعي أحمد، مقالات وآراء علماء جمعية علماء المسلمين الطيب العقبي، جمع وتقديم أحمد شرفي الرفاعي، ج2، دار الهدى، الجزائر، 2011م، ص 411.

⁴ - ينظر: أحمد مريوش، القضية الفلسطينية في اهتمامات الشيخ الطيب العقبي، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 09، بوزريعة، الجزائر، 1995م، ص 255.

¹ - أبوبكر الصديق حميدي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالعالم العربي، ص 129.

واستلموا الشهادة القاطعة على وصولها ورفعوا رأس الجزائر². "وقد وصلت هذه الأموال إلى فلسطين عن طريق العقبي الذي استعان في ذلك بالجامعة العربية"³.

يدو من خلال كل هذا، أن الشيخ العقبي كان له سبق في نصره فلسطين من خلال تشكيله للهيئة العليا لإغاثة فلسطين، وقد كانت نظرتة في ذلك أكثر تفهما للواقع السياسي و التعبوي للجزائر، و بذلك عزز الشيخ العقبي قضايا العالم الإسلامي، و دعم الوحدة العربية، وجعل القضية الفلسطينية محور انشغالات العالم العربي الإسلامي.

2-4- موقفه من الاتجاه الطرقي :

عندما عاد الشيخ العقبي من الحجاز تأثر أيما تأثر ببدعة الطرقية التي استشرت في المجتمع الجزائري بسبب الاستعمار الفرنسي، فانطلق بالمهجوم عليها بعنف و قوة من دون هوادة مستخدم موهبته الشعرية و بلاغته النثرية لفضح الطرقية و مشايخها و إسقاط الهالة الدينية التي كانوا يستترون بها حيث قال⁴ :

إِنِّي أَلْعَنُكُمْ مِمَّا بَدَا حَاضِرٍ فِي إِفْكِهِ مِنْهُمْ وَبَادٍ

و قد اعتبر الشيخ العقبي الطرقية إحدى أشكال الاستعمار الذي سعى إلى نشر الجهل و الضلال الذين نشأ عنهما الإضرار المادي و الأدبي بهذه الأمة حتى بلغت أقصى درجات الانحطاط الفكري و الاجتماعي لذلك أشهر سيف الردود على هذه الفئة المنحرفة اعتقادا منه أنه لا طرق في الإسلام و إنما هو دين واحد⁵.

و بهذا نلتمس الموقف الواضح للعقبي من المذهب الطرقي في نشاطه الأول بعد رجوعه من الحجاز .

2-5- موقفه من التجنيس :

تباينت مواقف الطيب العقبي من قضايا عصره بتباين أهمية الأحداث، ولعل من النقاط التي أثارت الجدل في تاريخ الحركة الوطنية قضية التجنيس* التي تشعبت حولها الآراء، و المتأمل في موقف رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من هذه

² - محمد البشير الابراهيمي، كيف تشكلت الهيئة العليا لإغاثة فلسطين، جريدة البصائر، العدد 53، السنة الثانية، 18 أكتوبر 1948م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م، ص 63.

³ - أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص 324.

⁴ - الطيب العقبي، الى الدين الخالص، المنتقد، ص :

⁵ - ينظر: عبد الكريم بوصفصاف، المرجع سابق، ص : 264.

* التجنيس : لغة مشتق من المجانسة والتجنيس، ويقال هذا يجانس هذا أي يشاكله، والجنسية الصفة التي تلحق بالشخص من جهة انتسابه لشعب أو أمه، أما تعريفه الاصطلاحي: هو رابطة سياسية وقانونية بين شخص ودولة معينة عضوا فيها، وتجعله في حالة تبعية سياسية لها، للمزيد ينظر: يوسف بوغابة، معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار زمورة للنشر والتوزيع، 2013، ص 246.

القضية، يدرك عام الإدراك أنهم حاربوا هذه القضية بغية الحفاظ على كيان المجتمع الجزائري، وقد كتب الطيب العقبي كغيره من العلماء في شأن قضية التجنس التي أثارها جريدة "الإصلاح" الأولى، والظاهر أن الشيخ العقبي لم يكن من المتحمسين لدعوة أخذ الجنسية الفرنسية والتنازل عن الأحوال الشخصية، ولعل ذلك هو ما دفع به إلى استشارة زملائه في فكرة التجنس قبل تأسيس جمعية العلماء¹.

وقد كان الشيخ العقبي صريحا وواضحا في موقفه من التجنس، "ولم يدع في إصلاحه إلى أخذ الجنسية الفرنسية والانسلاخ عن الأحوال الشخصية، بل اعتبر فكرة التجنس كفرا وحراما في الشريعة الإسلامية، حيث عبر الشيخ العقبي عن موقفه هذا من خلال جريدة "البصائر"، حيث كتب افتتاحية عنونها *تمكن الصراعية في التجنس و المتجنسين*² وقد قال فيها: "التجنس بمعناه المعروف في شمال إفريقيا حرام والإقدام عليه غير جائز بوجه من الوجوه ومن استغل استبدال حكم واحد من أوضاع البشر وقوانينهم بحكم من أحكام الشرع الإسلامي فهو كافر عن دينه بإجماع المسلمين لا يرجع إلى دائرة الإسلام وحظيرة الشرع الشريف حتى يرفض رفضا باتا كل حكم وكل شريعة تخالف حكم الله وشرعه المستبين"³.

2-6- موقفه من الحزب الشيوعي:

لقد كانت علاقة الشيخ العقبي بالحزب الشيوعي الجزائري محدودة جدا خاصة في بداية حركته الإصلاحية، ولعل ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى الاختلاف العقائدي بينهما علاوة على الاختلاف في أسلوب العمل، "فالإصلاح عند العقبي مرده إلى القرآن والسنة، في حين يعتمد الاتجاه الشيوعي على المظاهر الطبيعية والمادية في تفسيره للأحداث، كما يعتمد الشيخ العقبي في إصلاحه على الوعظ والإرشاد، والمرحلية للبناء للذهنيات الجزائرية، في حين يلجأ التيار الشيوعي إلى توظيف الأوضاع المزرية وتدني الأوضاع الاجتماعية لاستمالة الطبقة الكادحة، وتسخير ما في المسيرات والإضرابات وإثارة تهيج الشعب وثورته، والظاهر أن الشيخ الطيب العقبي كمثل جمعية العلماء المسلمين في تأسيسها سنة 1931م، لم تكن له علاقة مع الاتجاه الشيوعي¹"، وقد عبر "أوزقان" عن العداوة الشديدة التي كان العقبي يكنها ضد الحزب الشيوعي في قوله: "الشيخ العقبي الخطيب الذي أعجبت به الجماهير كان يهاجم الشيوعية بمهاجمة طبقة العمال الملحددين²".، ولم تعرف العلاقة بين

¹ - أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 365.

² - تركي رابع عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، منشورات ANEP، الجزائر، 2001، ص 96.

³ - محمد رمضان، فتوى الشيخ الطيب العقبي في التجنس والمتجنسين، مجلة الثقافة، العدد 83، السنة 14، ص 369.

¹ - أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص 380.

² - عمار أوزقان، الجهاد الأفضل، دار القصة للنشر، ط2، 2005، ص 21.

الشيخ العقبي والاتجاه الشيوعي الانفراج، بل كانت متأزمة في معظم أحيائها، "وقد أدى ذلك بالعقبي إلى أن يمنع الأطراف الشيوعية من الدخول إلى نادي الترقّي وحضور نشاطاته."³

لقد عكف الطيب العقبي على طلب العلم في الحجاز، ولزوم غرز أكابر المشايخ، فنهل من معينهم الصافي، ودأب على حضور حلق الذكر، والتفقه في الدين، والسير على نهج السلف الصالح عقيدة وخلقا، إلى أن صار عالما فذا جهبا ليس في منهجه هبو من الزيغ ولا ذرو من الابتداء، ولما عاد إلى الجزائر حرص على خدمة بلده، والتزم بفكرته النضالية، ألا وهي النهضة وتطهير الأرض وتخليص العباد، يقول الشيخ الطيب العقبي: "اعملوا لبث الأخلاق الفاضلة في نفوس قتلها الجهل، وقلوب يدكم إن شاء الله تعالى مفاتيح أقالها، تعالوا بنا اليوم نتحد ونقترب، فقد كفانا طول ذلك الافتراق، طال علينا والله أمر الغربة."⁴

ولقد تشبث بحق الشيخ الطيب العقبي بفكرته النضالية تلك، وعاش بها ولها، ووقف حياته وأدبه وفكره لخدمة الدين والأمة، فدعا إلى الخروج من ربة التخلص ونبد البدع والضلالات التي استشرت في ربوع الجزائر، لاسيما بدعة الطريقة وانحرافاتهما، وفي ذلك يقول: "لقد أوغل رؤساء البدع وأئمة الضلال منهم في إرهابهم للأمة واستغلالهم الجمهور المستعبد لهم والمسخر لشهواتهم باسم الدين، ولم يقفوا في استثمارهم لجهوده وامتصاص دمه..."

فكان من حقه أن يستفيق ويحاول التملص والتخلص من براثن أولئك المفترسين والطواغيت المعتدين ومن أظلم ممن يحاول إبقاء الأمم والشعوب خاضعة لسلطة غيه وسلطان جوره وبغيه، دون أن تنتبه في يوم من الأيام."⁵

وهذا ما كان واقعا وفعلا يحياه أهل الجزائر، فقد غالت الطريقة في تحذير هذا الشعب وجره إلى الجمود والتصرف اللا إيجابي الذي يصير الإنسان كائنا محلقا في غياهب غيبات لا تصنع من الفرد سوى جثوما على أبواب الضلال.

وقد حارب الشيخ العقبي الطرفين بسبب تمزيقهم لوحدة الشعب ولخلق طرق مختلفة متصارعة مائعة باسم الاسلام، "وهو تفويض وتحريف لمبدأ الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى وحدة المسلمين وتضامنهم في القول والعمل."⁶

كما حارب الشيخ العقبي بعض الطرفين لكونهم تعاونوا مع الاستعمار كالطريقة التجانية التي أسسها أحمد التجاني، وذلك بما كانوا ينشرونه من أباطيل وخزعבלات وخرافات بين أفراد المجتمع لكي يعزلوه عن ميدان الصراع الفكري، وهذا ما أشار إليه

³ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 381.

⁴ - كمال عجالي، الطيب العقبي أديب، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث، جامعة قسنطينة، معهد اللغة والأدب العربي، 1997، 1998م، ص 487.

⁵ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 450.

⁶ - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931م-1945م، مدارس تاريخية و إيدولوجية مقارنة، عالم المعرفة، الجزائر، 5، 2009م، ص 264.

بقوله: "نحن لا نحارب المرابطين لعداوة شخصية بيننا وبينهم، أو حسد لهم على ما أوتوا من مرتبة وجاه، ولكننا نحارب الجهل والضلال الذين تلبسوا بهما، فنشأ عن ذلك الإضرار المادي والأدبي بهذه الأمة حتى بلغت أقصى حركات الانحطاط الفكري والاجتماعي معا، كما هو مشاهد ومعلوم من رجال الأمة الإسلامية اليوم، كما أننا نحارب الطرفين لأنه لا طرق في الإسلام، وإنما هو دين واحد وطريقة جامعة"¹.

بهذا يتضح لنا موقف الطيب العقبي من الزوايا والطرق الصوفية خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي والذي اتسم بالحدة والصلابة، والهجوم والنقد الواصب لهم بغية دحض افتراءاتهم وتخليص المجتمع من أفكارهم الزائفة الممتعة، كما ينبج لنا من خلال كل هذا مدى التزامه بقضايا بلده، فهو لم يكن بمعزل عن واقع مجتمعه، ولا وضع نفسه في أبراج عاجية لتناول قضيته بنظرة الفوقي أو المتعالي، إنما كان عضوا في الجمعية متأثرا بالأحداث الدائرة حوله، مشاركا في كل ما يهم وطنه، إذ لم يكذب بمر حدث إلا وساحت أقلامه حبرا مشخصا الداء والعللة طارحا سبل العلاج لهذا الواقع المريض، كاشفا الواقع بأسلوب صريح ولغة معبرة بألفاظها ودلالاتها.

3- نشاطه التعليمي الإصلاحي:

وصل الشيخ العقبي إلى الجزائر في ربيع 1338هـ يوم 04 مارس 1920م وعمر إحدى وثلاثون سنة، فحل بمدينة بسكرة حيث طفق ينشر فكرته الإصلاحية ويدعو إلى العقيدة الصحيحة في الدين وينهر عن الخرافات وأباطيل الطريقة"²، التي سيطرت على الفكر الجزائري في القرن التاسع عشر سيطرة مذهلة، "فبلغ عدد الزوايا في الجزائر 349 زاوية، وعدد المريدين أو الإخوان 295 مريدا"³، فثار عليه العامة والطرقيون المنحرفون فناصروه العداة ولكنه لم يحجم، بل ازداد إصداعا بدعوته حتى كسب قلوب العامة، فاستشرت فكرته الإصلاحية، فانبرى الناس إلى العلم والعمل، فقويت شوكته في بسكرة، حيث "أحاط بالشيخ العقبي طائفة من الشباب في بسكرة، فاستفادوا من علمه وتأثروا بشخصيته وعددهم نحو عشرة منهم الشيخ محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر، والشيخ أحمد الدراجي، وأحاطت بالعقبي طائفة من أعيان بسكرة يؤيدونه وينهلون من علمه منهم الأستاذ الأمين العمودي، والشيخ محمد خير الدين* وأسرته.

¹ - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931م-1945م، مدارس تاريخية و إيدولوجية مقارنة، عالم المعرفة، الجزائر، ط5، 2009م، المرجع نفسه، ص 178.

² - محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، الجزائر، 2007، ص109.

³ - عمار طالي، بن باديس حياته وآثاره، ج1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2009، ص 18.

* محمد خير الدين: من مواليد فرفار بولاية بسكرة، كان من الرجال الكبار في جمعية العلماء المسلمين انضم إلى حركة الإصلاح في بسكرة مع الشيخ الطيب العقبي وهو الذي يشغل منصب عضوية المجلس الأعلى، للمزيد ينظر إلى: محمد خير الدين، مذكرات خير الدين، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 16.

وكان جهاد الشيخ الطيب العقبي التربوي "يرمي إلى إصلاح المجتمع بالوعظ والصحافة، وإلى إعداد الشباب المثقف الصالح بالتربية، وأثمرت مساعيه الطيبة لبسكرة ولكل الجزائر، حيث ابتداء الشيخ العقبي وعظ الجمهور في مسجد سيدي منصور في بسكرة السفلى القديمة، ينتقد فيه البدع المضرة التي تخالف الدين، ولما وقع الإقبال عليه من العامة انتقل إلى جامع بركات في بسكرة القديمة، فاستمرت فيه دروس وعظه للعامة في كل يوم ودروسه لتلاميذه في العلوم إلى أن انتقل إلى الجزائر¹، كما حرص الشيخ على أن تصل دعوته الإصلاحية التعليمية إلى كل نواحي بسكرة و الزيان، فاختر "مسجد بكار"² الذي يقع وسط بسكرة، وفيه قدم الدروس النظامية لبعض طلبة العلم في العلوم الدينية، وكان من بين تلاميذه في هذه الفترة عبد المجيد بن حبة، الغرور بن حوحو، طه حمراوي، ومحمد العيد آل خليفة، وقد ضلت وشائج الدعوة بينه وبين طلبته متصلة إلى أن شرب من كأس المنية، وبخاصة ما كان منها بينه وبين أمير الشعراء الجزائريين محمد العيد آل خليفة، ويصور محمد العيد هذه الوشيحة في قوله:³

أَيُّهَا الْعُقْبِيُّ أَقْبِلْ ظَافِرًا	إِنَّكَ الْيَوْمَ إِمَامُ الظَّافِرِينَ
لَمْ يَزَلْ طُولَ الْمَدَى مُسْتَحْكِمًا	بَيْنَنَا حَبْلٌ مِنَ الْوُدِّ مَتِينٌ
لَكَ الْفُ لَيْسَ يُنْسَى الْفُهُ	وَخَلِيلٌ لَا يُحِبُّ الْآفِلِينَ
عِنْدَهُ مِثْلُكَ بِالصِّدْقِ هَوَى	وَلَهُ مِثْلُكَ لِلشَّرِّ حَنِينٌ
كُلَّمَا مَسَّكَ ضُرٌّ مَسَّهُ	وَطَعَى الدَّمْعُ عَلَيَّ وَالْأَيْنُ

وبعدها انتقل العقبي إلى الجزائر العاصمة وقام فيها بنشاط فعال في مجال الإصلاح الديني والاجتماعي "حيث كان يشرف على إدارة نادي الترقى"⁴ واعظا ومرشدا يلقي دروسه بمنظمتها عامة، وبعض مساجد العاصمة أيضا، ويأتي في مقدمتها الجامع الجديد، "وفي الوقت نفسه كان مشرفا على هيئة الإرشاد والتوجيه في مدرسة الشبيبة الإسلامية الجزائرية بالعاصمة،

¹ - محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ص 110.

² - مسجد بكار: أحد المساجد الشعبية التي حافظت على مكانتها الدينية دون الطرق الصوفية كالطريقة التيجانية التي كانت سائدة آنذاك ويبدو أن هذا المسجد لم يتعرض كغيره من المساجد الأخرى للمضايقات الفرنسية، للمزيد ينظر أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 88.

³ - محمد عبد الرحمن البسكري، ص: 231.

⁴ - آسيا تميم، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 81.

وكان لهذا الجهد الملحوظ في هذا الحقل التربوي التهذيبي فعاليتها في نفوس الأهالي، فشفيت هذه النفوس من عللها، وزكت واستقامت سلوكيات أصحابها، وتسامت وتعاضمت أمانيتهم، وتطلعت إلى بعيد، إلى الإعتناق والحرية⁵.

ويعتبر العقبي من الرواد الأوائل في المدرسة الإصلاحية، ولاسيما بشعره الديني، إذ دعا الجماعة الإصلاحية إلى التعاضد و التآزر و الائتلاف و انتهاج سبيل الدعوة و التصفية و التربية و الإصلاح لبلوغ السنا و العلا و الدنو من أصحاب العلم النافع والنأي عن أهل العي و الجهالة الذين يكونون العداء لرجال العلم و الأدب و الإصلاح، ولقد ظهر ذلك جليا في قصائده الشعرية الإصلاحية التي تعتبر مرآة لشخصيته الدينية و شعلة من مهجته المتقدمة و المتأججة إصلاحا و تطلعا إلى التجديد، منها قصيدة "عليكم بنهج الصالحين"، التي نظمها في بسكرة ونشرت له في الشهاب الأسبوعي سنة 1927م و يقول في بعض أبياتها:¹

هَلُمَّ بِنَا يَا قَوْمُ نَحْوِ الْعُلَا نَرْقَى	لِتَجْدِيدِ دِينِ اللَّهِ فَهُوَ الَّذِي يَبْقَى
و دُونَكُمْ أَهْلُ الْغَوَايَةِ وَ الرَّدَى	فَفِيهِمْ وَعِيدُ اللَّهِ لَا شَكَّ قَدْ حَقَّ
أُنَاسٌ دَعَوْكُمْ لِلضَّلَالِ وَ نَاصَبُوا	دَوِي الْعِلْمِ وَ التَّقْوَى الْعِدَا لَهُمْ حَمَقَى
أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْجَهَالََةَ غِيْهَا	وَخِيْمٌ وَ أَنَّ الْمَرْءَ بِالْجَهْلِ كَمْ يَشْقَى

4- أعماله و مسؤوليته:

"الطيب العقبي أحد الرجال الأوائل الذين ساهموا بقوة و بعمق في نشر مبادئ الحركة الإصلاحية و تعميقها و إقامة قواعدها و الذود عنها بالخطبة و بالدرس و الموعدة و بالكتابة في الجرائد و المجلات"²، فمنذ عودته إلى أرض الوطن سنة 1920 م "سكن مدينة بسكرة و تولى التدريس في بعض مساجدها"³، "كما كتب في صحيفة الحق و صدى الصحراء"⁴، " و في سنة 1927 أسس الطيب العقبي جريدة الإصلاح في مدينة بسكرة، وكذا العقبي ممثلا للعلماء في الجزائر العاصمة قبل خلق جمعيتهم، حيث أصبح معروفا بأنه أكثرهم تأثيرا و خطابا"⁵، و عمل " بعد 1927 م بنادي الترقى بالعاصمة واعظا و

⁵ - عبد الرحمن بسكر، فتح ذي القوة المتين ببيان بعض جهود العلماء المسلمين الجزائريين، ص 233.

¹ - صالح فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال 814 ق.م، 1962م، ج 3، دار أيد كوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 354.

² - سليمان بشتون، الجذور الشعبية في الحركة الإصلاحية، دار هومة، الجزائر، 2012، ص: 30.

³ - عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، دار النعمان، الجزائر، 2014، ص: 172.

⁴ - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص: 685.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1992، ص: 393.

مرشداً⁶ ، و قد وصف الشيخ محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي بعد زيارته للعاصمة الجو العام الذي أصبح عليه النادي بفضل الخدمات الجليلة التي قدمها العقبي بقوله⁷ :

نَادِي التَّرَقِّي فِي الجَزَائِرِ عَامِرٌ بِالْوَعظِ وَ التَّدْكِيرِ وَ الإِرْشَادِ
نَادِي بِهِ العُقْبِي عُقْبَاهُ النَّجَاهُ مِنْ الجَهَالَةِ أَصْلُ كُلِّ فَسَادٍ
نَادِي بِهِ القُرْآنُ يُتْلَى وَ الحَدِيثُ وَ قَوْلُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الهَادِي

" و عندما التقى العلماء في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 م كان الطيب العقبي أحد مؤسسيها الرئيسين و من أبرز أقطابها العاملين ، كانت فصاحته تجلب الألباب ، كان ذا صوت جهوري يؤثر على الجماهير تأثيراً عظيماً ، كان عظيماً مدهشاً يجلب الألباب بسحر لسانه و بديع بيانه ، فالتفت الناس حوله التفاتاً رائعاً و ساندوه مساندة قوية ، " و عين نائبا للكتاب العام فيها ، و في سنة 1933م تولى رئاسة جريدة السنة ثم جريدة الشريعة ثم الصراط السوي بالاشتراك مع الأستاذ محمد السعيد الزاهري¹ ، " و قد تولى رئاسة تحرير جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عند إصدارها في عام 1935م فترة من الوقت² .

و يمكن اعتبار العقبي من أكبر رجالات الإصلاح و الأدب و الدين و السياسة في الجزائر من آثاره " ديوان شعر مخطوط مكتوب بالإعلام الآلي يتكون من 59 صفحة يضم 26 قصيدة و 36 مقطوعة شعرية ، و هو من جمع و توثيق و تصحيح الدكتور كمال عجالي ، و يضاف الى ذلك المقالات الكثيرة التي نشرت في جريدة المنتقد ، و الشهاب ، و البصائر ، و جريدته الإصلاح التي جمعت لشكلت كتاباً ضخماً³ .

5- وفاته :

"مرض رحمه الله في عام 1377 هـ ، 1957 م بداء السكري وهو مرض العظام لشدة تفكيره و ما ركبته من المموم الكثير في جهاده الطويل الصعب ، لازمه هذا المرض نحو ثلاث سنين ، و انتقل الى جوار ربه في الواحدة بعد الزوال يوم 21 ماي

⁶ - خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية و الفكرية التونسية 1939، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص: 330.

⁷ - أحمد مريوش، الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص: 123.

¹ - عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، ص: 174 .

² - توكي رابع عمارة، جمعية علماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931-1956 و رؤساؤها الثلاثة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2014، ص:

³ - عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، المرجع السابق، ص: 174.

1960 ، أول ذو الحجة 1379 هـ و عمره 72 عاما⁴ ، " و كانت وفاته بداره في العاصمة بجي سانت أوجين بعد أن ظل مدة طريح الفراش و متجاهلا من قبل أولئك الذين ظلوا طويلا يكيلون له المدح و التفريط⁵ .

توفي العقبي و أمته حين ذلك تقود معركتها الحاسمة في ثورتها المباركة ، و كانت جنازته حاشدة مشت وراءها مدينة الجزائر و الجماهير التي استطاعت الوصول من المدن المجاورة حيث حزنّت الجزائر و المغرب العربي حزنا شديدا

يظهر مما سبق أن الشيخ العقبي شخصية فذة لها تأثيرها على مجريات الأحداث الأدبية و الاجتماعية و السياسية، فكان مصلح ملتزما كما كان خصما عنيدا لأعداء الاستعمار و أعداء الإسلام، هكذا كان الطيب العقبي إلى أن توفي رحمه الله .

⁴ - محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ص: 123.

⁵ - علي مرّاد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، دار الحكمة، الجزائر، ص: 119.

المنتقد، مجموعة باحثين، ج1، العدد الأول، الجزائر، 1935م، ص 05



العلامة المصلح الشيخ الطيب العقبي

محمد علي دبوز، نفضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ص 105



لجنة إغاثة فلسطين المؤسسة سنة 1948، اشترك فيها كل الأحزاب والهيئات، ودعا إليها الشيخان إبراهيمي و

العقبي.

أحمد مريوش، الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص411.

519	30	للهجج	ق
558	2	﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾	الطلاق
566	3	أأتمتهنم	الحاقة
576	27	أأ	المدثر
578	01	أأخمسم	الإنسان
580	14	أأسم	المرسلات
587	17	أأنيير	الإنفطار
588	8	أأ	المطففين
588	26	أأ	ن
591	2	أألي	الطارق
592	18	﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾	الأعلى
599	02	﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾	الزلزلة

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
243	مسلم بن يسار أبي عثمان القنبيذى الأصبحي ، وحديثه حسن ، ولا يصل إلى درجة الصحيح	"سيكون في أمتي دجالون كذابون يأتونك ببدع من الحديث لم تسمعه أنتم....."
244	ابن ماجه عن العرياض بن سارية	"تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يضل"
244	رواه البخاري في الصحيح	"لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم قولوا"
244	رواه مسلم	"لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على يبيع بعض....."
245	رواه البخاري في الأدب المفرد	"لا يشكر الله من"

الصفحة	المصدر	متن المثل
245	أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج01، دار الفكر العربي، ط2، 1988، ص 04	"زناه وحدّه"
246	أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، حققه وقدم له : الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1971، ص347	"ما هكذا يا سعد تورد الإبل"

الصفحة	المصطلح المقابل له	الرمز
121	وجهة نظر أولى	و ج ن 1
121	وجهة نظر ثانية	و ج ن 2
121	متلفظ أول	م 1
122	متلفظ ثان	م 2
121	قول	ق
122	مرسل	مر
150	النتيجة	ن
150	الحجة	ح

المصادر والمراجع باللغة العربية:

القرآن الكريم برواية حفص .

- 1- إبراهيم عبد الله جواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، عمان، دط، دت.
- 2- أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث - دراسة - منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1996م.
- 3- أحمد بن طباطبا، عيار الشعر، تح زغلول سلام، منشأة المعرفة، الإسكندرية، ط3، 1984م.
- 4- أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج7، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1432هـ.
- 5- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م.
- 6- أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 2007م.
- 7- أحمد مطلوب، القزويني وشروح التلخيص، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1387هـ، 1967م.
- 8- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 2009م.
- 9- أرسطو طاليس، فن الخطابة، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد 1986م.
- 10- أوبييردريفوس و بول راينوف، ميشال فوكو مسيرة فلسفية، تر جورج أبو صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1988م.
- 11- أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟ ، تر محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، 2005م.
- 12- إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد). الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1؛ 1416هـ، 1996م.
- 13- أبو إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: د حنفي محمد شرف مكتبة الشباب، د ط-القاهرة، 1969م.

- 14- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب «نحو المعنى والمبنى»؛ ترجمة: أحمد الوديني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.
- 15- أبو بكر العزاوي، حوار حول الحجاج، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1431هـ- 2010م.
- 16- جابر أحمد عصفور، الصُّورة الفنية في التّراث البلاغيّ والنّقديّ عند العرب. المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، ط3؛ 1992م.
- 17- جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، دط، 2003م.
- 18- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 2000م.
- 19- جودت فخر الدين، شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.
- 20- جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 198م.
- 21- حازم القرطاجني، منهج البلاغة وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981م.
- 22- حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013م.
- 23- حسن سند الكيلاني، حازم القرطاجني حياته وشعره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1986م.
- 24- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي (نحو تصوّر نسقيّ لبلاغة الخطاب). دار كنوز، الأردن، ط1؛ 1435هـ، 2014م.
- 25- أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج5، دار الفكر، سوريا، ط1، 1979م.
- 26- حسين مروّة، قضايا أدبية، منشورات دار الفكر، دط، القاهرة-مصر - 1956م.
- 27- حلمي مرزوق، النزعة الرومانتيكية والواقعية في الأدب "الأصول والإيديولوجية دار النهضة العربية، دط، بيروت-لبنان - 1980م.

- 28- خالد حميدي كاظم، علم البديع رؤية معاصرة، وتقسيم مقترح (دراسة في ضوء المقاربات السيميائية والأسلوبية والتداولية). الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط1؛ 2015م.
- 29- خليل إبراهيم، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997م.
- 30- خميس الورتاني، الإيقاع في الشعر العربي الحديث خليل حاوي نموذجاً، ج1، دار الحوار، ط1، سوريا، 2005م.
- 31- دلفيلر ملفين وساندرا بروكتيش، نظريات وسائل الإعلام، تر: كمال عبد الرؤوف، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004 م.
- 32- رابع بوحوش، اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد - الأردن - 2007م.
- 33- سامي محمد عبابنة، التفكير الأسلوبية رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، جدارة للكتاب العالمي، ط1، عمان - الأردن - 2007م.
- 34- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيت وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد الأردن، 1428هـ - 2008م.
- 35- سرحان القرشي عالي، المبالغة في البلاغة العربية (تاريخها وصورها)، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، السعودية، ط1، 1406هـ، 1985م.
- 36- سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية (آفاق جديدة)، مجلس النشر العلمي، الكويت، ط1؛ 2003م.
- 37- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، 1992م.
- 38- الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأنباري، دار اللسان العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)؛ 1992م.
- 39- شكري المبخوت، 1- الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010م.
2- الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإسلامية، تونس، منوبة.

- 40- صابر حباشة، محاولات في تحليل الخطاب، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت: لبنان، 1430هـ-2009م.
- 41- صالح خريفي، في رحاب المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت - لبنان - 1985م.
- 42- صالح فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال، ج3، دار أديكوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- 43- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم الفكر، الكويت، 1992م.
- 44- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الكوفي وبدوي طبانة، مكتبة نخضة مصر، ط1، 1959م.
- 45- طه عبد الرحمن، 1 - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997م.
- 2 - تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2.
- 3 - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م.
- 46- عادل حرحوش ومؤيد سعيد سالم، الموارد البشرية مدخل استراتيجي، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العلمي، الأردن، ط2، 2006م.
- 47- عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.
- 48- عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي خلفياته الاجتماعية وآلياته النظرية، ديوان المطبوعات الجامعية الاجتماعية، الجزائر، دط، 2000م.
- 49- عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، ط4،
- 50- عبد جاسم الساعدي، الشعر الوطني الجزائري بين حركة الإصلاح والثورة-دراسة- منشورات التبيين الجاحظية، دط، الجزائر، 2002م.
- 51- عبد الجليل العشاوي، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد -الأردن- 2012م.
- 52- عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، ط6، 2002م.

- 53- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشّاددي، ج5، خزانة ابن خلدون بيت العلوم والفنون، الدّار البيضاء، المغرب، ط1؛ 2005م.
- 54- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، أفريقيا الشرق، ط2، المغرب، 2012م.
- 55- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط3، 1982م.
- 56- عبد العزيز عبده قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1998م.
- 57- عبد الفتاح أبو غدة، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 1417 هـ، 1997م.
- 58- عبد الفتاح فيود بيسيوني، علم البديع (دراسة فنية وتاريخية لأصول البلاغو ومسائل البديع)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998م.
- 59- عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي (1920-1954)، دار طلييلة، 2013م.
- 60- عبد القاهر الجرجاني، 1 - دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود محمّد شاكر. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5؛ 2004م.
- 2 - أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمّد شاكر، دار المدني، جدّة، (د.ط) و(د.ت).
- 61- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان؛ ط1، بيروت-لبنان- 2013 م.
- 62- عبد الله البهلول، المبالغة بين اللغة والخطاب، ديوان الخنساء أمّودجا، تقديم محمد الهادي الطرابلسي، مكتبة قرطاج، تونس، ط1، 2009م.
- 63- عبد الله ركيبي، الشعر... في زمن الحرية (دراسات أدبية ونقدية)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1994م.
- 64- عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته، من خلال مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة لبييرمان وتيتكاه-، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإسلامية، تونس1، كلية الآداب منوبة.

- 65- عبد الله بن محمد العوشن، كيف تقنع الآخرين ، دار العاصمة للنشر و التوزيع، الرياض، ط1، 1992م.
- 66- عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830م-1962م، رصد لصور المقاومة في النشر الفني، ج1، دار هومة، دط، الجزائر، 2009م.
- 67- عبد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، إعداد وتقديم: عبد الله حمادي، دار بهاء للنشر والتوزيع، ط2، قسنطينة -الجزائر- 2007م.
- 68- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب(مقاربة تداولية لغوية)، دار الكتاب الجديدة، ط1، 2004م.
- 69- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ج1، دار الجيل، بيروت، دط، دت.
- 70- عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، الدار العربية للنشر والتوزيع، دط، بيروت، 2000م.
- 71- أبو علي بن سينا، الإشارات والتنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، ج1، مؤسسة النعمان، بيروت، 1413 هـ، 1992 م.
- 72- علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، لبنان، 2010م.
- 73- علي عمران، حجاجية الصورة الفنية في خطاب الحربي خطب الإمام علي أنموذجا دار نينوي، دط، دمشق - سورية - 1430هـ-2009م.
- 74- علي مرّاد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، دار الفكر، الجزائر، دط، دت.
- 75- عمر أوكان، اللغة والخطاب، رؤية النشر والتوزيع، ط1، 2011م.
- 76- عمر بوشموخة، الإبداع في الفن العربي، منشورات أبيك، دط، الجزائر، ديسمبر 2007م.
- 77- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري (تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط5، الجزائر، 1995م.
- 78- العياشي أودراري، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2001م.

- 79- ابن عيسى بالطاهر، البلاغة العربية (مقدمات وتطبيقات)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، دط، 2008م.
- 80- فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1403هـ / 1983م.
- 81- فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986م.
- 82- فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمد درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2004م.
- 83- فيليب بریتون و جوتيه جيل، تاريخ نظريات الحجاج. ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي. مركز النشر العلمي، السعودية، ط1؛ 1432هـ، 2011م.
- 84- أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- 85- كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2010م.
- 86- كمال عبد الرزاق العجيلي، البنى الأسلوبية دراسة في الشعر العربي الحديث، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت - لبنان - 2012م.
- 87- المبرد أبو العباس، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظمة، ج1، عالم الكتب، بيروت، دت.
- 88- مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس الفنية للأساليب البلاغية العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984م.
- 89- محسن علي عطية، الأساليب النحوية عرض وتطبيق، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م.
- 90- محمد بریم، الاقتضاء في سورة البقرة ووظائفه الحجاجية ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف أحمد قادم، سعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016م.
- 91- محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب). المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1؛ 1991م.

- 92- محمد رواس قلعة جي، حامد صادق القنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت، ط1، 1405، 1985م.
- 93- محمد زكي العمشاوي، قضايا النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1،
- 94- محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008م.
- 95- محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
- 96- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر، ط1، المغرب، 1426هـ/2005م.
- 97- محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد لحركة الإصلاح الديني في الجزائر، سحب للطباعة الشعبية للحيش، الجزائر، 2007م.
- 98- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب، القاهرة، ط1، 2005م.
- 99- محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري، أفريقيا الشرق، دط، المغرب 2013م.
- 100- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم. دار الثقافة، الدوحة، (د.ط) و(د.تا).
- 101- محمد العمري، 1 - البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2010م.
- 2 - البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب، 2005م.
- 3 - في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1986م.
- 102- محمد علي دبو، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، الجزائر، دط، 2007م.
- 103- محمد علي القارصي، الباعة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماير، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإسلامية، تونس1، كلية الآداب منوبة.
- 104- محمد لشهب، الروابط الحجاجية في المقامة-مقامة النحو الزمخشري أنموذجا- ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم، أحمد قادم، سعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016م.

- 105- محمد مشبال، البلاغة والأدب (من صور اللُّغة إلى صور الخطاب)، دار العين، القاهرة؛ 2010.
- 106- محمد مفتاح، النَّصّ من القراءة إلى التَّنظير. شركة النَّشر والتَّوزيع (المدارس)، الدَّار البيضاء، المغرب، ط1؛ 1999م.
- 107- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وإعلامها، من 1903-1931، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1938هـ/1978م.
- 108- محمد الولي، الصُّورة الشُّعرية في الخطاب البلاغي والتَّقدي. المركز الثقافي العربي، الدَّار البيضاء، ط1؛ 1990م.
- 109- مصطفى السعداني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987م.
- 110- مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1985م.
- 111- معصم باكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دط، 2003م.
- 112- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ط1، 1985م.
- 113- ابن منظور، لسان العرب؛ تحقيق: تح: عبد السلام هارون، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.
- 114- ميشال فوكو، حفریات المعرفة، تر سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005م.
- 115- النووي، رياض الصالحين، تح: محمد مصطفى عماري، دار إحياء الكتاب العربي، دط، 1375هـ، 1956م.
- 116- الهادي قطش، جريدة المنتقد 1925، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، دط، 2009م.
- 117- هشام بلقاضي، معجم علماء الدين والإصلاح في الوطن العربي، دار سحنون للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2011م.

118- هشام الرفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، (فريق البحث في البلاغة والحجاج)، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، كلية الآداب منوبة.

119- أبو هلال العسكري، 1 - الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006م.

2- جمهرة الأمثال المؤلف. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطام قطامش. ج2، دار الفكر، بيروت ط2؛ 1988م.

120- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص). ترجمة: محمد العمري. افريقيا الشرق، المغرب؛ 1999م.

121- وفاء محمد مصطفى، تحكّم في سلوكك الشخصي تحقّق التميز و النجاح، دارابن حزم، القاهرة، ط1، 2006م.

122- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج. تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3؛ 2001م.

123- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.

المجلات:

1- أحمد تركي، حجاجية التشبيه عند النقاد العرب القدامى، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، العدد04، جوان2013م.

2- إبراهيم بن صالح الحميدان، الإقناع و التأثير (دراسة تأصيلية دعوية) مجلة جامعة الإمام، كلية الدعوة و

الإعلام، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، العدد 49، محرم 1426 هـ.

3- إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المغرب، المجلد الثامن، العدد15، 2014م.

- 4- بشير دردار، واسمات التعدد الصوتي اللسانية ودورها الحجاجي، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، العدد 05، جانفي 2014م.
- 5- بلقاسم حمام، (البلاغة العربية وآلية الحجة)، مجلة الأثر، ورقلة، الجزائر، ع4، ماي، 2005م.
- 6- حبيب أعراب، (الحجاج والاستدلال الحجاجي): (عناصر استقصاء نظري)، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، مج 30، سبتمبر 2001م.
- 7- حبيب بوزوادة، (استراتيجية الحجاج عند البشير الإبراهيمي) خطبة مسجد كتشاوة أنموذجا، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، ع5، مج 20، جانفي 2014م.
- 8- شريف حمزاوي، عن مفهوم الاستراتيجية في إدارة الأعمال، مجلة التواصل، جامعة الجزائر، عدد جوان 2002م، ص: 41.
- 9- عابد بوهادي، ثقافة الحوار وأثره في الإقناع، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت ع4، جوان 2013م.
- 10- عبد القادر زروقي، الاستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، المجلد الثاني، العدد 07، سبتمبر 2014م.
- 11- فواتيح عبد الرحيم، من بلاغة الاستفهام في الخطاب القرآني، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، المجلد الثاني، العدد 07، سبتمبر 2014م.
- 12- لخداري سعد، (نحو الحجاج بلاغي فاعل لفهم وتفسير الخطاب)، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، ع 05، مج 02، جانفي 2014م.
- 13- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج (أفلاطون و أرسطو و شامبيرلمان)، مجلة عالم الفكر، ع 2، مج 40، الكويت، ديسمبر 2011م.

✦ الرسائل الجامعية:

- 1- أمحمد تركي، الحجاج وأثره القرائي على النص الشعري، بحث في جدلية التلقي وآليات التأويل، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم، كلية الآداب واللغات، جامعة بن خلدون، تيارت، 2015-2016م.
- 2- جيلي هدية، استراتيجيات الخطاب القرآني سورة "آل عمران" أنموذجا- مقارنة لغوية تداولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد الأمين دباغين، سطيف، 2017 - 2018م.

- 3- زوبر بوزاغو، التلوينات الحجاجية في مقالات البشير الإبراهيمي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017-2018م.
- 4- كمال عجالي، الطيب العقبي أديبا، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة قسنطينة، 1997-1998م.
- 5- محمد عبد الله عوض الخواص، النفي بين النظرية والتطبيق، رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايره، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، 2007-2008م.
- 6- محي الدين محمد، ثقافة الإبراهيمي وأثرها في أسلوبه، عيون البصائر نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث، إشراف محمد غيتري، جامعة تلمسان، 2007-2008م.
- 7- منى إبراهيم إسماعيل اللبودي، تنمية فنيات الحوار وآدابه عند طلاب مرحلة الثانوي، رسالة الدكتوراه بكلية التربية، جامعة عين الشمس، القاهرة، 2000-2001م.
- 8- يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا دراسة فنية تحليلية، رسالة ماجستير مطبوعة، دار البعثة، ط1، الجزائر، 1407هـ-1987م.

✦ مراجع أجنبية:

- 1- Christian Plantin, L'ARGUMENTATION, SEUIL, Paris, 1996.
- 2- Elfie Poulin, Approche pragmatique de la littérature, Ed. L'Harmattan, 2006.
- 3- Ferdinand de Saussure. cours de linguistique général. édition critique préparée par Tulio De Mauro, Payot, Paris.
- 4- G. Genette, Figures I, Paris, Editions du seuil, 1966.
- 5- Jacques Moeschler & Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique. du Ed seuil, 1994.
- 6- Le grand robert, dictionnaire de la langue française, 1ere édition, paris, 1989.
- 7- Mariana Tutescu, L'argumentation, introduction à l'étude du discours, Universitate adinbucuresti. 2003.
- 8- Meyer Michel, logique langage et argumentation, hachette-université 2ème édition paris, 1982.
- 9- Meyer Michel, Logique langage et argumentation, Ed. HACHETTE, Paris 1982.

- 10- Olivier Reboul, Introduction a la rhétorique P.U.F .1994.
- 11- Oswald Ducrot et Jean-Claude Milner, l'argumentation dans la langue, éditeur Pierre Mardaga, Bruxelles, 1983.
- 12- Paul Ricœur . Du texte à l'action – Essais d'herméneutique 2 – ED Du Seuil – 1986 . P 1 68.
- 13- Perelman et Toulmin, traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, préface de Michel Meyer, 5ème édition, édition de l'université de Bruxelles, 1992.
- 14- Philippe Breton. *L'argumentation dans la communication*. La Découverte, coll « Repères », Paris, 1996.
- 15- Ruth Amossy. *L'argumentation dans le discours (discours politique)* . Littérature d'idées, fiction Nathan, Paris, 2000.
- 16- Ruth Amossy. *La présentation de soi. Ethos et identité verbale*. Paris, PUF, 2010.

فهرس المحتويات

إهداء و شكر

أ- ط	مقدمة:
		الفصل الأول (تحديدات ومفاهيم أساسية)
15		المبحث الأول: الاستراتيجية، المفهوم، الأنواع،
15		الأهمية:.....
16		مفهوم مصطلح الاستراتيجية :.....
18		تعريف الاستراتيجية الخطائية:.....
19		أصناف استراتيجيات الخطاب :.....
21		أهمية استراتيجيات الخطاب :.....
21		المبحث الثاني: الإقناع ، مفهومه، استراتيجياته،
22		ركائزه:.....
24		مفهوم الإقناع لغة واصطلاحا:.....
25		الإقناع عند العرب :.....
27		الإقناع عند الغربيين:.....
31		استراتيجيات الإقناع:.....
31		أسس الإقناع وركائزه:.....
33		المبحث الثالث: الحجاج، الأصول
34		والمنطلقات:.....
37		تحديد مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا:.....
38		أنواع الحجاج:.....
39		سمات النص الحجاجي:.....
41		بين البلاغة والحجاج:.....
43		البلاغة في اللغة والاصطلاح:.....
		أوجه التداخل والاختلاف بين البلاغة والحجاج:.....
50		بواعث الحجاج:.....
50		تقنيات ووسائل الحجاج:.....
53		الفصل الثاني : تمظهرات الحجاج في الدراسات الأدبية

53	المبحث الأول: الحجاج في الفكر الغربي القديم
55	والحديث:.....
58 الحجاج في الفكر الغربي القديم:.....
62 الحجاج في الفكر الغربي الحديث:.....
68 الحجاج عند بيرلمان (Perlman) و تيتكاه (Tyteca) (البلاغة الجديدة-):.....
69 مقومات الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه:.....
70 العناصر البلاغية والأسلوبية كآليات عرض حجاجية عند بيرلمان :.....
76 تقنيات الحجاج عند بيرلمان وتيتكاه:.....
82 الحجاج عند ستيفن تولمين (Stephen Edelston Toulmin) :.....
86 الحجاج عند ديكرود (Oswald Ducrot) و أنسكومبر (anscombre) :.....
93 الحجاج عند كريستيان بلانتان (Cristianne Plantene) :.....
96 الحجاج عند فيليب بروتون (Philippe Breton):.....
96 نظرية الحجاج الخطابي عند روث أموسي (Ruth Amossy) :.....
96 حجاجية الخطاب عند مارينا تيتيسكو (Mariana TUTESCU):.....
103 الحجاج عند ميشال ميار (Michel Meyer) - نظرية المساءلة - :.....
111	المبحث الخامس: الحجاج في الفكر العربي القديم
111	والحديث:.....
111 الحجاج في الفكر العربي القديم:.....
117 الحجاج عند العرب القدماء:.....
124 الحجاج في الفكر العربي الحديث:.....
128	الفصل الثالث: (الأبعاد الحجاجية للأساليب الإنشائية والبنى التركيبية في جريدة المنتقد)
133	المبحث الأول: القوة الإقناعية للأسلوب الإنشائي في مقالات الشيخ
136	العقبي:.....
136 البعد الحجاجي لأسلوب الاستفهام:.....
145 أسلوب النفي ودوره الاستدلالي:.....
145 أسلوب التوكيد وأثره في الاستعمال اللغوي:.....
145 القيمة الحجاجية لأسلوب التكرار:.....
146 أسلوب الالتفات وفاعليته الإقناعية:.....

151	المبحث الثاني: الاستراتيجية الحجاجية لبلاغة الصمت والبنى
152	الإفرادية:.....
153	الاستراتيجية الحجاجية لأسلوب الحذف:.....
	الفصل الرابع: الوظيفة الحجاجية لآليات الإقناع في اللسانيات التداولية في جريدة المنتقد
158	المبحث الأول: الروابط الحجاجية ودورها في ترتيب الحجج
158:
159	مفهوم الروابط والعوامل الحجاجية:.....
161	مقاربة لأهم الروابط في مقالات الشيخ العقبي:.....
168	المبحث الثاني: الاستلزام الحوارى ووظائفه
172	الحجاجية:.....
175	تحديد المفهوم:.....
175	الاستلزام الحوارى في مقالات الشيخ العقبي:.....
179	الفصل الخامس: وسائل الإقناع شبه المنطقية في جريدة المنتقد
180	المبحث الأول: الأشكال والبنى الحجاجية في مقالات الشيخ الطيب
182	العقبى:.....
186	سمات المقال عند الشيخ الطيب العقبي:.....
187	أنواع المقالات في جريدة "المنتقد":.....
188	رصد الأشكال والبنى الحجاجية في المقالات:.....
	بنية الحجج في المقالات من حيث وسائل التدعيم والإقناع:.....
190	منزلة الشخص الداعم
190	للقيم:.....
192	المبحث الثاني: القياس المنطقي ودوره في
198	الإقناع:.....
205	القياس المنطقي:.....
	القياس المضمر:.....
207	القياس المتدرج:.....
207	المبحث الثالث: نظرية السلالم الحجاجية في جريدة
209	"المنتقد":.....
212	

215: قانون الحفض:
215: قانون تبديل السلم:
215: قانون القلب:
216	الفصل السادس: آليات الحجاج البلاغية في جريدة "المنتقد"
219	المبحث الأول: الصور البيانية بين الإمتاع والإقناع في مقالات الطيب
221	العقبي:.....
225: التشبيه وخصائصه الحجاجية والاستدلالية:
225: التشبيه من الدلالة الصورية الجمالية إلى صناعة المشهد الحجاجي عند الشيخ العقبي:
228: الطاقة الحجاجية للاستعارة:
230: الاستعارة بين الوظيفة الإمتاعية والوظيفة الحجاجية في مقالات الشيخ العقبي:
234	المبحث الثاني: البديع من الجمالية وتحسين الكلام إلى وضوح الدلالة و الإقناع في مقالات الشيخ
238	العقبي:.....
238: البديع من الإيقاع إلى الإقناع:
243: البديع بين وظيفتين (التحسينية والتداولية):
245: الرؤية المعاصرة للبديع:
246: الآليات البديعية في مقالات الشيخ العقبي:
246: البديع التكراري:
248: التفسير:
252: الجناس:
252: التقسيم بين المحاور والمعنى:
252: المبالغة من التفيخيم إلى
252: الفهم:
254: البديع التقابلي:
255: المطابقة من الإدهاش إلى التأثير:
255: المقابلة من الجمال إلى السبك:
256: براعة الاستهلال بين السبك والتأثير:
259: التّحجيل وحسن التخلص بين تحقيق التفاعل والتماسك النصي:
264	الفصل السابع: أهم الأسس العقائدية والأسلوبية المشكلة للمنظومة الحجاجية العقبية

280	المبحث الأول: القيمة الحجاجية للاستشهاد في مقالات الشيخ العقبي:.....
285	الشاهد القرآني:.....
286	الشاهد النبوي:.....
287	الاستشهاد بالمثل:.....
288	المبحث الثاني: أسلوب التنسيق اللفظي ودلالته
305	الإيحائية:.....
306	التنسيق اللفظي:.....
	التنسيق اللفظي وأثره الجمالي في تشكيل مقالات الشيخ العقبي:.....
	المبحث الثالث: العلاقات الحجاجية بين السبك و
	التأثير:.....
	تحديد مفهوم العلاقات الحجاجية:.....
	أهم العلاقات الحجاجية وتمظهراتها في مقالات الشيخ
	العقبي:.....
	علاقة التتابع:.....
	علاقة السببية:.....
	علاقة عدم الاتفاق أو التناقض:.....
	علاقة الاقتضاء:.....
	علاقة الاستنتاج:.....
	خاتمة:.....
	ملحق:.....
	فهرس الآيات القرآنية:.....
	فهرس الاحاديث النبوية:.....
	فهرس الأمثال:.....
	فهرس الاختصارات:.....
	فهرس المصادر المراجع:.....
	فهرس المحتويات:.....
	الملخص:.....

The argumentative persuasion strategy in the articles of Al-Tayeb Al-Uqbi - Al-Muntaqid newspaper as a model

الملخص:

يمثل الحجاج الركن الأساس للخطاب الأدبي، بسبب حاجة الكاتب لمختلف الأدوات والتقنيات التي تمكنه من التأثير في المتلقي واستمالاته وتغيير قناعاته، وهو ما نلمس أثره بوضوح في مقالات الشيخ الطيب العقبى التي حررها في جريدة "المنتقد"، حيث استخدم ترسانة من الآليات والأفانين الحجاجية، معتمدا على ذخيرة لغوية وثقافية هائلة، سمحت بتنويع المنظومة الحجاجية عبر مستويات محورية مختلفة منها المستوى التداولي، والمستوى التركيبي، والمستوى الأسلوبي، والمستوى البلاغي. وقد تفرع كل واحد منها إلى بنيات حجاجية أصغر، سمحت في النهاية ببناء شبكة حجاجية قوية، و مترابطة، ومنسجمة، تجمع بين الإقناع والإمتاع.

Abstract: Argumentation represents the most important pillar in the literature discourses because of the need of the author to the means and techniques that enable him to influence the audience or readers and change their minds or conviction. That's what we touch in and find its prints in the articles written by the famous Algerian cheikh Al-Tayeb Al-Uqbi in the Newspapers "elmontaquid". He used a plenty of argumentation techniques and arts depending on a huge amount of language and culture background which allowed him to diversify his argumentation mechanism through different basic levels such as the pragmatic level, the rhetorical level, The synthetic and the stylish level. Each one of them dealt with smaller argumentatif structure which allowed him eventually to build a strong cohesive and harmonious argumentatif web which gathers both conviction and entertainment.

الكلمات المفتاحية

الحجاج، المقال، الآليات، المنتقد، الطيب العقبى، Al-Muntaqid، Mechanisms، Argumentation، AI-Tayeb Al-Uqbi